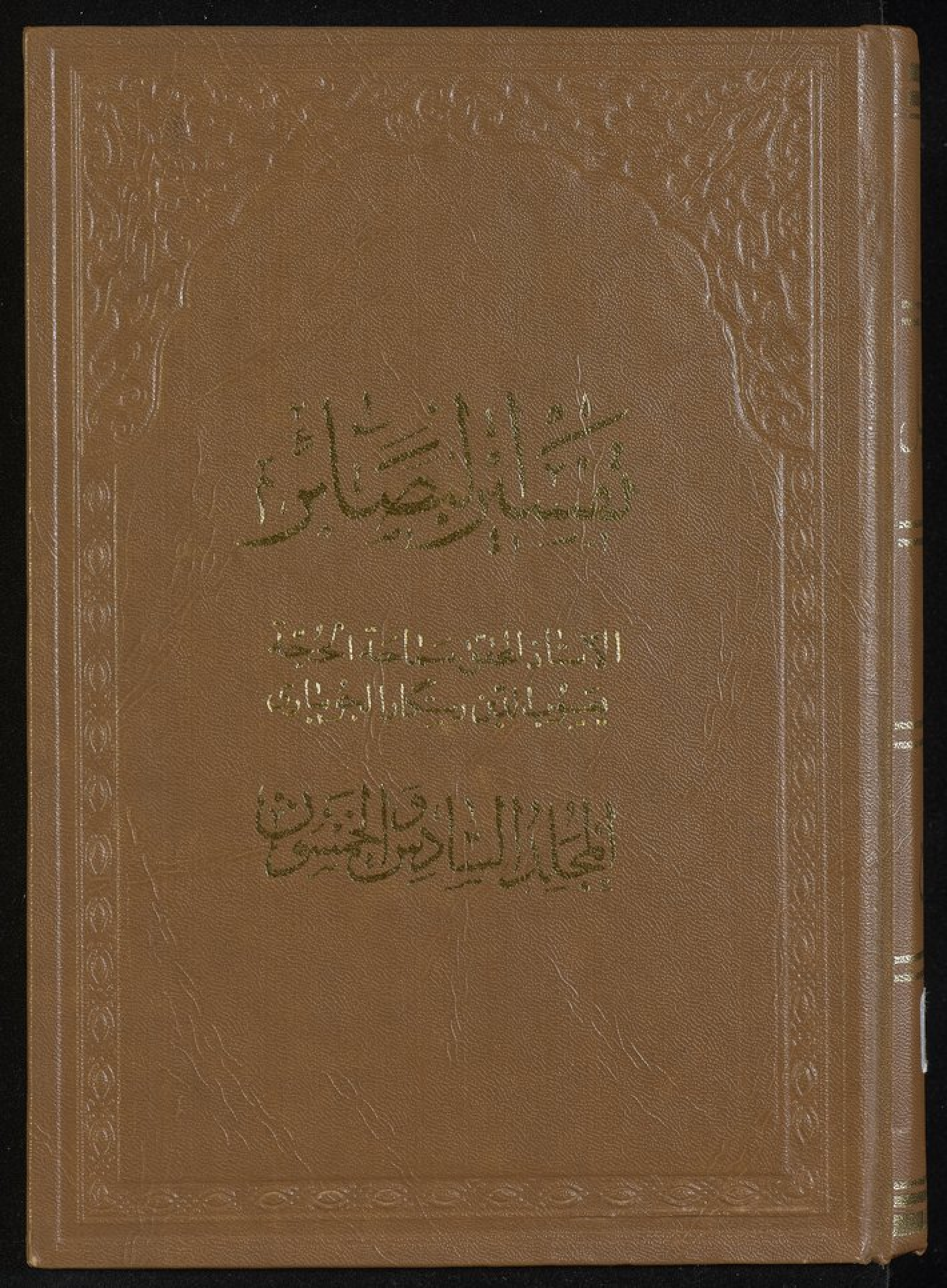
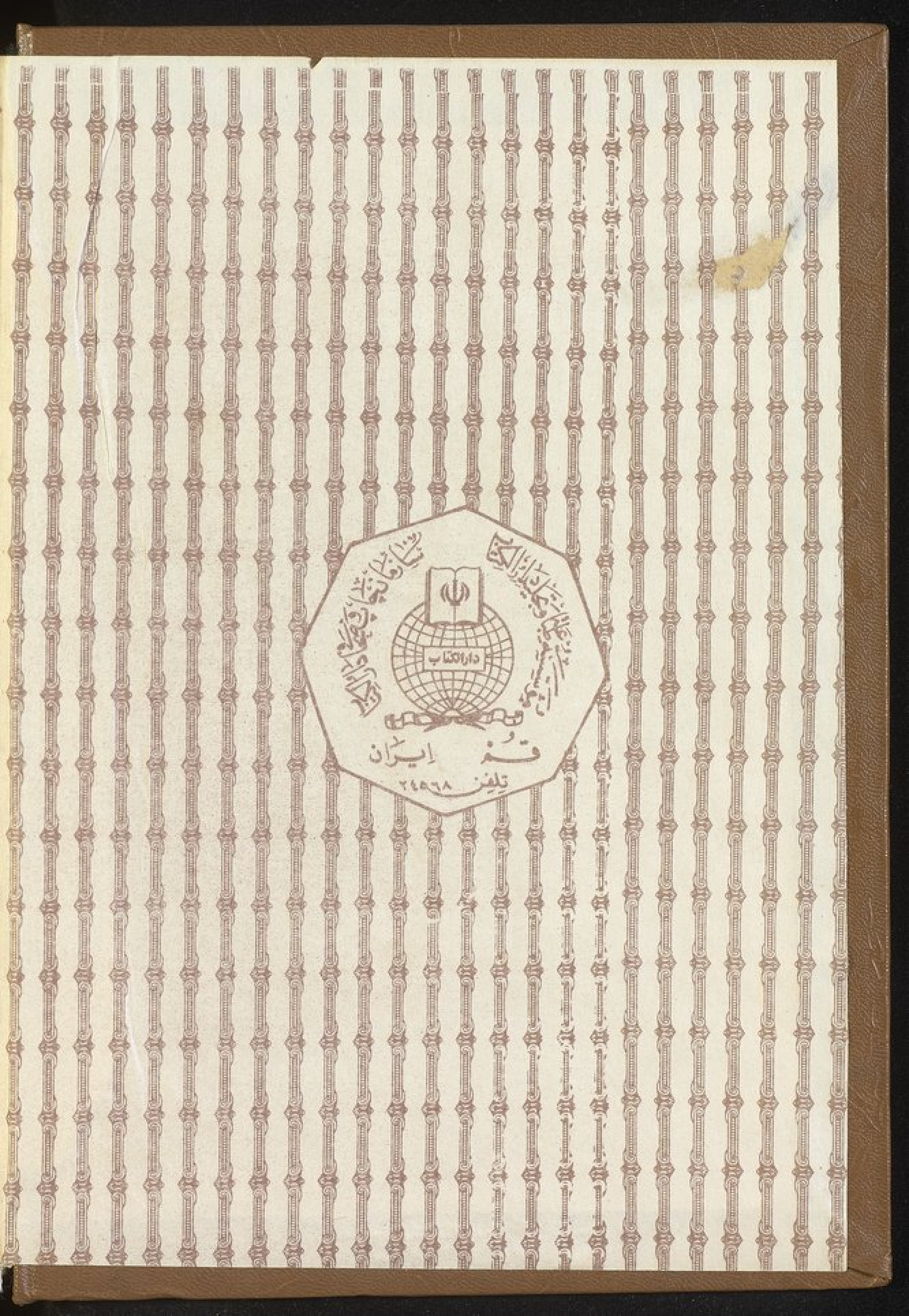
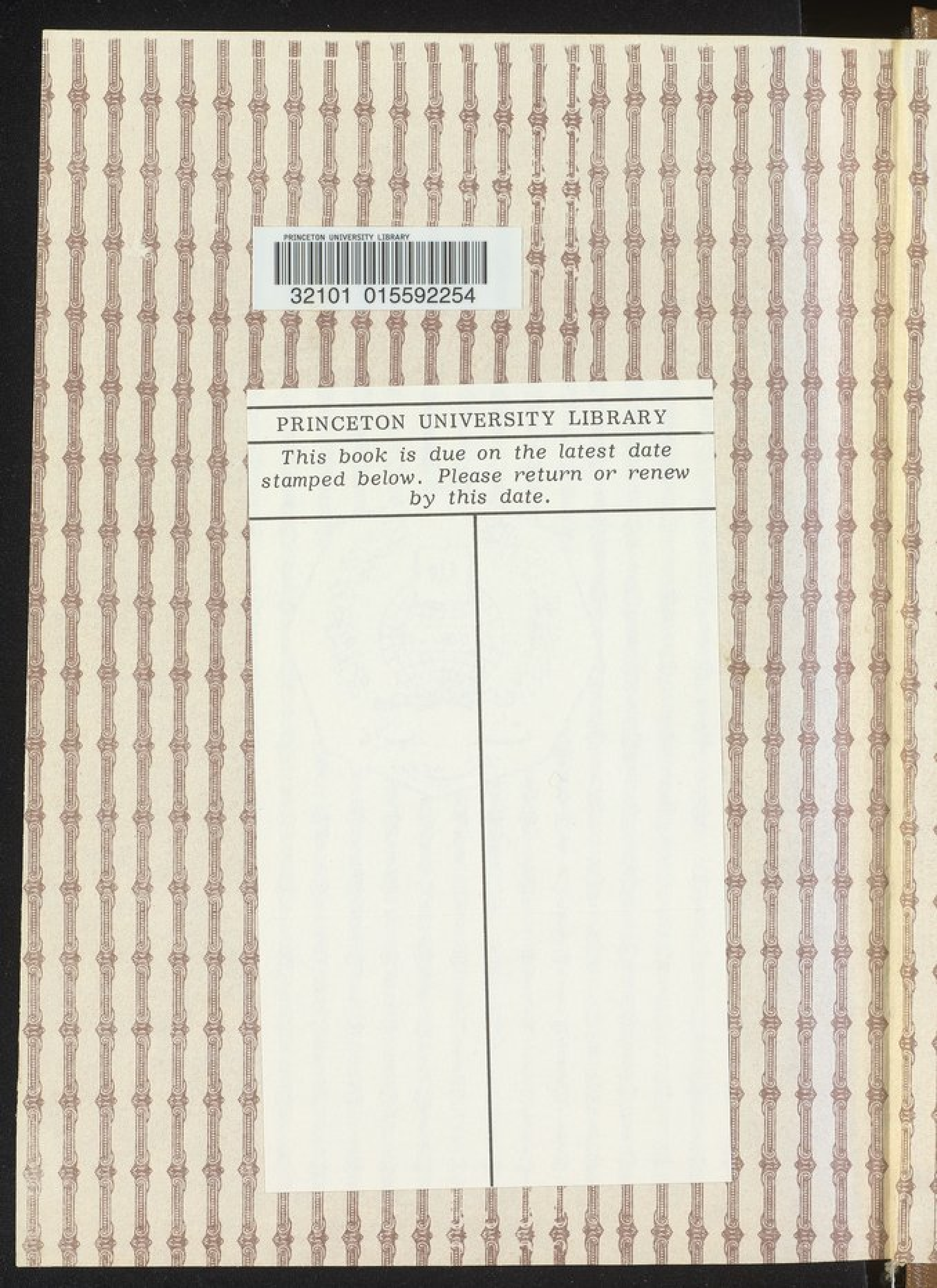

المجلد السادس والخمسون


دار الکتاب
قم ایران
تلفن ۲۴۵۶۸



مشخصات:

نام کتاب : تفسیر البصائر

مؤلف : یعسوب الدین رستگار جویباری

چاپ : سازمان چاپ مهر

تاریخ : آذرماه ۱۳۶۳

تیراژ : دوهزار نسخه

Juybari

...

المجلد السادس والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقّق سماحة الحجّة

يعسوب الدين رستگار الجويباری

ایران - قم

۱۴۰۴هق = ۱۳۶۳هش

سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ
وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحٰيهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلٰيهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلّٰيهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَغْشٰيهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنٰيهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحٰيهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوّٰيهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوٰيهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ
خَابَ مَنْ دَسّٰيهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰيهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقٰيهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰيهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبٰيهَا ﴿١٥﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جآءكم بصآئر من ربكم

فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها

الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

فضلها و خواصها

روى الصدوق رحمةالله تعالى عليه باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من أكثر قراءة « والشمس و ضحيها » و «والليل إذا يغشى » و «والضحى» و «ألم نشرح» فى يوم أوليلة لم يبق شىء بحضرته إلاّ شهدله يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه ، وجميع ماأقلّت الأرض منه ، ويقول الرب تبارك وتعالى : قبلت شهادتكم لعبدى ، وأجزتها له ، إنطلقوا به إلى جنانى حتى يتخيّر منها حيث ماأحبّ . فاعطوه إياها من غير منّ منّى و لكن رحمة منى وفضلاً عليه، فهنيئاً هنيئاً لعبدى .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع ، والبحرانى فى البرهان ، والحويزى فى نور الثقلين ، و الشيخ المحدث الحر العاملى فى وسائل الشيعة ، والمجلسى فى البحار إلاّ أن «فى البحار» بعد «قال» «سمعته يقول» و «جناتى» بدل «جنانى» و ذكر «منى» بعد «فضلاً» .

و ذلك من قرأ سورة «و الشمس» و تدبّر فيها ، فعرف نفسه وما فيها من إستعداد الفجور والتقوى ، فاجتنب عن الفجور وزكّى نفسه وآمن واتقى فأفلح كان له ماجاء فى هذه الرواية الصحيحة من غير ريب كيف لاوقد قال الله عزوجل: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » النور : ٥٢)

وقال :« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ـ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » البقرة : ٢ـ٥)

وقال :« والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ـ فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون» الاعراف : ٨ـ١٥٧)

و قال :« و من يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ذلك جزاء من تزكى » طه : ٧٥ ـ ٧٦)

وقال :« تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم: ٦٣)

وقال :« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » آل عمران : ١٣٣)

وقال: « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء و لاهم يحزنون » الزمر: ٦١)

وقال:« فاتقوا الله يااولى الألباب لعلكم تفلحون » المائدة : ١٠٠)

وقال :« إن أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات : ١٣)

وقال :« يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً » مريم: ٨٥)

وقال : « و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذاجاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» الزمر:٧٣)

وقال: « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » البقرة : ١٩٤)

وقال:«وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى واتقون يااولى الألباب»البقرة :١٩٧)

وأما الذين يقرؤون القرآن الكريم بدون تدبر و لاعمل ، أولايتلونه وما لوا إلى الفجور ودسوا أنفسهم وخابوها فعليهم الذلة والخسران، والهلاك والنيران.

قال الله تعالى:«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعدما تبيّن لهم الهدى الشيطان سوّل لهم و أملى لهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٤ ـ ٢٥)

وقال : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعدالله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذاعلم من آياتنا شيئا اتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم » الجاثية : ٦-١٠)

وقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة : ٤٤)

وقال :« كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون »الصف : ٣)

وفى البرهان :عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة «الشمس» تصدق على من طلعت عليه الشمس والقمر، ومن كان قليل التوفيق، فليدمن من قرائتها فيوفقه الله تعالى أينما توجه ، وفيها زيادة حفظ وقبول عندجميع الناس ورفعة .

أقول: روى الطبرسى قدس سره فى المجمع صدر الخبر عن أبى بن كعب عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى البرهان : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: يستحب لمن يكون قليل الرزق و التوفيق ، كثير الخسران و الحسرات أن يدمن فى قرائتها يصيب فيها زيادة وتوفيقاً ، ومن شرب مائها اسكن عنه الرجف .

أقول: و ربما ينجبر ضعف الروايتين الأخيرتين بالآيات القرآنية و الروايات الصحيحة الواردة فى الأبواب المختلفة لايسعها المقام ، مع أن لتأثير آى القرآن الكريم وسوره كنفسه فى الانسان وغيره نفياً وإثباتاً شرائط كثيرة ... أهمها : الايمان والتقوى .

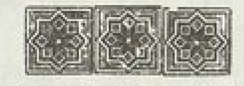
قال الله عزوجل :« ولوأن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الاعراف : ٩٦)

وقال :« ومن يتق الله يجعل لهمخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب »الطلاق: ٢ـ ٣)

وقال :« ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » الطلاق: ٤)

وقال:« ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »الاعراف : ١٢٨)

وقال :« وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً » الاسراء : ٨٢)



﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لحقيقة النفس الانسانية على طريق التأكيد بالاقسام بمظاهر الكون ونواميسه، وبنفسها، وماأودع الله جل وعلا فيهامن قوة الاختيار والتمييز والسلوك، وقابليتها لفعل الخير والشر، ولاتصافها بصفتي الفجور والتقوى، و إقدارها على الطاعة والمعصية: ووقوعها بين جذبتى الهدى و الضلال، جذبتى الحق والباطل، جذبتى الايمان و الكفر، جذبتى الصلاح والفساد، وبين جذبتى الفلاح والخيبة ...

وفيها إشارة إجمالية إلى هدايتى التكوينية والتشريعية للنفس البشرية، و إلى مافيه فلاحها وسعادتها وخيرها ونجاتها ... من تزكيتها وإتباع الهدى وصالح الأعمال وإلتزام حدود الله عز و جل . . . و إلى مافيه خيبتها وشقاؤها و شرها و هلاكها ... من دسّها وإفسادها باتباع الهوى و طلاقة العنان، والتمرد وسيئ الأعمال ... مستشهدة للأخير بذكر قصة قوم صالح وشقائهم بسبب سلوكهم طريق الشقاء والخسران وإستعمالهم تلك القابلية فى سبيل الخيبة، فآل أمرهم بالهلاك والنار.

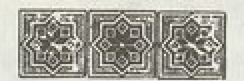
وفيها كذلك تقرير عام التوجيه مستمر المدى لأهداف الدعوة فى تطهير النفس والتسامى بهاعن الاثم والغواية، و تبشير المستقيمين المتقين بالفلاح، و إنذار المنحرفين والفاجرين بالخسران، وفيها تذكير بماكان من تكذيب ثمود لنبيهم وطغيانهم وجرأة أحدهم على عقر ناقة الله تعالى دون أن يأبوه بتحذير نبيهم، بماكان من نكال الله تعالى فيهم.

﴿ النزول ﴾

سورة « الشمس » مكية نزلت بعد سورة « القدر » و قبل سورة « البروج » و هي السورة السادسة والعشرون نزولا و الواحدة والتسعون مصحفاً .

وتشتمل على خمس عشرة آية ، سبقت عليها ٤٤٤٤ آية نزولا ، و ر٦٠٤٣ آية مصحفاً على التحقيق .

و مشتملة على / ٥٤ كلمة ، و قيل : ٥٠ كلمة ، و على / ٢٤٧ حرفاً ، وقيل : / ٢٤٦ حرفاً ، و قيل : ٢٤٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير .



﴿القراءة﴾

قرأ أبوجعفر و نافع و إبن كثير « فلا يخاف » بالفاء و ضم الياء على أن الفاء للعطف على قوله تعالى : « فكذبوه فعقروها » كأنه يتبع تكذيبهم و عقرهم إن لم يخوفوا ، و ان « قد أفلح » جواب القسم على حذف اللام أى لقد أفلح .

والباقون « ولا يخاف » بالواو و فتح الياء على أن الواو للحال ، فالجملة فى موضع نصب على الحال أى فسوّاها غير خائف عقباها أى غير خائف أن يتعقب عليه فى شيء مما فعله من عقر الناقة .

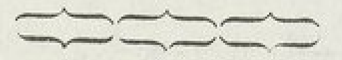
و يجوز على قراءة الفاء أن تكون للعطف على قوله : « فكذبوه » و أن تكون للعلة بأنهم عقروا ناقة الله فانهم لم يخوفوا مما فعلوه إن كانوا خائفين لما فعلوه .

****
****

﴿ الوقف والوصل ﴾

« ضحيها ص لا » علامة على جواز الوصل عند البعض ، و عدم جوازه عند البعض الآخر من القراء ، وفي المقام يجوز الوصل عند الاولين للعطف التالى ، و لايجوز عند الآخرين لتمام القسم . و « تلاها ص لا » و « جلاّها ص لا » و « يغشيها ص لا » ، و « بناها ص لا » و « طحيها ص لا » و « سوّاها ص لا » و « تقواها ص لا » و « زكّاها ص لا » كل ذلك لما تقدمّ .

و « دسّيها ى ط » « ى » علامة العشر التى توضع عند إنتهاء عشر آيات ، و أما « ط » في المقام فلتمام الجملة الجوابية للقسم ، و « بطغواها ص لا » و « أشقاها ص لا » كما سبق ، و « سقياها قف » علامة الوقف المستحب و لا بأس في الوصل ، و « فعقروها ص لا » و « فسوّاها ص لا » كالمتقدم .



﴿ اللغة ﴾

٤٥- الشمس - ٨١٣

شمس الرجل يشمس شمساً و شماساً وشموساً ـ من باب ضرب و نصر ـ : إمتنع و أبى ، وشمس فلان لفلان : تنكّر و أبدى له العداوة ، وهم له بالشر والأشمس ـ إسم تفضيل ـ من الشماس كقوله : « و إلاّ فانا نحن أبى و أشمس » أي أشد إباءة و أبلغ إمتناعاً . و شمس الفرس : إستعصى على راكبه ، و لايمكّن أحداً من ظهره ، و لا من الاسراج واللجام ، و لايكاد يستقرّ و فى الحديث : « مالى أراكم رافعى أيديكم فى الصلاة كأنها أذناب خيل شمس » هى جمع شموس و هو النفور من الدواب الذى لا يستقرّ لشغبه و حدّته . و الشامس من الخيل : الذى يمنع ظهره ، و من الرجال : الصب الخلق . و رجل شموس : عسر فى عداوته ، شديدالخلاف على من عانده ، و شمس شماساً : إذا ندّ و لم يستقرّ تشبيهاً بالشمس فى عدم إستقرارها . و المتشمس : القوى الشديد ، و البخيل غاية .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « ألا ان الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقمحت بهم فى نار جهنم »

و شمس لى فلان يشمس ـ من باب علم ـ : بدت عداوته ، فلم يقدد على

كتمها كأنه هم أن يفعل و انه لذوشماس شديد كقوله : « شمس العداوة حتى يستقاد لهم » شامسه : عاداه و عانده كقوله : « و قوم إذا شومسوا لج الشماس بهم » .

الشمس : هى ذلك الكوكب المشتعل الذى يمد الارض بالضوء و الحرارة وهى سراج تضيىء بنفسها باذن الله تعالى إلى أجل معلوم عنده عزوجل.

قال الله تعالى: « و الشمس وضحيها » الشمس : ١) مؤنثة تصغيرها شميسة جمعها : شموس . يقال: شمس يومنا شمساً: إذا كانت الشمس ظاهرة فيه. الشامس من الايام : ذوالشمس . يوم شموس: ذوشمس ، وأشمس يومنا: ظهرت فيه الشمس ، وتشمس فلان : قعد فى الشمس ، وانتصب لها وعلينا: بخل ، والمتشمس : المنتصب للشمس .

والشمس: ضرب من المشط كانت النساء فى الدهر الاول يتمشطن به و هى الشمسة ، والشمس : نوع من القلائد ومعلاق القلادة فى العنق ، والشمس : قلادة الكلب. والشمس : صنم قديم ، والشمسة : مشطة النساء ، والشموس من أسماء الخمر لانها تشمس بصاحبها تجمع به فهى مثل دابة الشموس ، والشموس من النساء التى لاتطالع الرجال ولاتطمعهم .

الشماس : دون القسيس و هو سريانى معناه : خادم جمعه : شمامسة.

شمس الكافر - من باب التفعيل - : عبدالشمس ، و شمس فلان : صار شماساً، و مارس عمل الشماسة ، وشمس الشيء : بسطه فى الشمس ، وشمس فلاناً : نفره يقال : « ألا أن تشمس من ظلم » أى تنفر.

فى المفردات : الشمس يقال للقرصة و للضوء المنتشر عنها و تجمع على شموس .

وفى المجمع : و هى - الشمس - : انثى واحدة الوجود ليس لها ثان ، و لهذا لاتثنى و لا تجمع ، و قول بعضهم : **تجمع الشمس على شموس على وجه**

التأويل لا الحقيقة ، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمساً كما قالوا للمفرق : مفارق .

وفى القاموس وشرحه : قال الليث : عين الضح أراد أن الشمس هو العين التى فى السماء تجرى فى الفلك ، وان الضح ضوئه الذى يشرق على وجه الارض ، والشمس: عين ماء يقال: له عين شمس، وقد سمت عبد شمس وهو بطن من قريش، قليل : سموا بذلك الصنم ، وأول من تسمّى به سبأ بن يشجب.

وفى اللسان : المتشمس من الرجال : الذى يمنع ماوراء ظهره وهو الشديد القومية والبخيل أيضاً المتشمّس : هو الذى لاتنال منه خيراً ، يقال: أتينا فلاناً نتعرض لمعروفه فتشمّس علينا أى بخل .

وفى شرح التقويم: ان الشمس مأخوذة من شمسة القلادة وهى أعظم جواهرها جرماً وأنفسها قيمة ، وإنما سميت بذلك لتوسطها بين الكواكب .

٣- الطحو والطحى - ٩٢٠

طحاه يطحوه طحواً واوياً - من باب نصر نحو دعا - و طحاه يطحيه طحياً يائياً - من باب منع نحو سعى - : بسطه وانبسط فهو لازم ومتعد .

وقد وردت بمعنى الدحو مرة واحدة .

قال الله تعالى :« والأرض وماطحاها » الشمس : ٦) أى بسطها و وسّعها .

يقال: طحوته مثل دحوته: بسطته . وقيل: أصل «طحا» : دحا فابدلت الدال طاءاً . يقال: ضربه ضربة طحا من الأرض : إمتدّ وانبسط على وجه الأرض ،وطحا: إذا مدّ الشيء

الطحى : المنبسط من الارض ، و الطاحى : الممتد و المنبسط على وجه الارض ، وطحا فلان : إضطجع فى سعة من الارض ، وطحيته : إضطجعته . و طحا يطحو : بعدوهلك ، وطحاه : ألقاه على وجهه ، والطاحى : الهالك .

و المطحىّ : اللازق بالارض . والبقلة المطحيّة : النابتة على وجه الارض قد افترشتها ، وطحا الرجل : ذهب في الارض ، ويقال : طحابه قلبه : إذا ذهب به في كل شيء ، وطحابك همك وقلبك : ذهب بك في مذهب بعيد ، يقال : ما أدرى أين طحابه قلبك .

وطحا الجارح بالارنب : ذهب بها ، وطحا بفلان شحمه : سمن ونام ، ويطحى القوم بعضهم بعضاً : يدفع ، وطحا الشيء : دفعه ، وطحا القوم: تدافعوا ، والمدوّمة الطواحي : هي النسور تستدير حول القتلى ، و طحا بالكرة : رمى بها ، و فرس طاح : مشرف ، و في قسم العرب : لا و القمر الطاحي : المرتفع ، وطحا القمر: أشرف .

الطاحي : الجمع العظيم ، والطاحي : المرتفع ، والطاحي : الذى ملأ كل شيء كثرة، ومطحوّة : عظيمة منبسطة . والطحى من الناس : الرذال ، والطحو: الضخم .

٧٠- النفس- ١٥٢٥

نفس ينفس نفساً ـ بالتحريك ـ من باب علم ـ : ضنّ وبخل وأمسك ، ونفس عليه بخير: حسده عليه ، ونفس عليه الشيء نفاسة: لم يره أهلاً له، ومنه قوله تعالى : « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه» محمد صلى الله عليه وآله وسلم :٣٨) مال نفيس : مضنون به.

ونفسه ينفس ـ من باب ضرب ـ : أصابه بعين .

وقد جاءت النفس في القرآن الكريم والروايات و كلمات العرب لأربعين معنى :

١ـ النفس : النفس الانسانية مطلقاً ، و يكون بها الانسان إنساناً ، وهي لا ترى ولا تلمس بحال ، وإنما نعرفها بالآثار كالجاذبية ، وهي التى أودع الله جل و علا فيها قابلية الفجور و التقوى ، تستطيع بها أن تفلح بتزكيتها ، و أن تخيب

بدسّها ، و هى خاصة بالانسان دون الحيوان . . . وفيها قدرة إكتساب الخير و الشر ، وإستعداد الهدى والضلال ...

قال الله عز و جل : « ونفس و ماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقدخاب من دسّاها » الشمس : ٧ـ ١٠)

وان النفس مؤنث إذا اريد بها هذا المعنى ، و بعض معانيها الاخر ، و إن اريد بها الشخص فمذكر . و جمعها : أنفس و نفوس ، و هى مشتقة من التنفس لحصولها بطريق النضج فى البدن .

وفي الحديث : « أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه » وهي الواقعة بين القوة الشهوانية والقوة العاقلة . وعن إبن عباس انه قال : لكل إنسان نفسان : إحداهما ـ نفس العقل الذى يكون به التمييز ، و الاخرى نفس الروح الذى به الحياة ، وسميت النفس نفساً لتولد النفس منها واتصالها به .

وان النفس تقع موقع القلب والضمير يكون فيه السرّ الخفىّ ، والنفس : معنى فى الانسان يوجهه إلى أفعاله من الخير و الشر تقول : أمرتنى نفسى ، وسوّلت نفسى لى فعل السوء ، والنفس : معنى فى الانسان به التمييز والادراك والاحساس لما يحيط به ، وهذا المعنى يفارقه فى النوم وحيث يغيب وعيه .

قال الله تعالى : « و لقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه » ق : ١٦) النفس هنا مافى الانسان ممايوجّهه إلى الخير و الشر .

وقال : « فأوجس فى نفسه خيفة موسى » طه : ٦٨) النفس هنا الضمير والقلب فيهما يخفى .

وقال : « واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه » البقرة : ٢٣٥) الأنفس هنا : الضمائر والقلوب .

٢ـ النفس : الروح التى بها الحياة ، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت ، و هى باقية مابقى فى الحى نفس تقول : خرجت نفس المحتضر .

قال الله تعالى :« أخرجوا أنفسكم » الانعام : ٩٣) الانفس هنا : الأرواح و المعنى : أزهقوا أرواحكم ، وأخرجوها من أبدانكم عند الاحتضار والموت .

وقال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » الزمر:٤٢) الانفس : الارواح . وقال :« وتزهق أنفسهم « التوبة : ٥٥) أى أرواحهم .

٣ـ النفس : الانسان جميعه : من الروح والجسد ، وإنما اتسع فى النفس و عبّر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفساً و طرأ عليه هذا الاسم بسبب الجسد كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء حسب إختلاف أنواع الشجر من حلو ومرّ و حرّيف وغير ذلك .

قال الله تعالى :« من قتل نفساً بغير نفس» المائدة : ٣٢) و قال : « أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله » الزمر: ٥٦)و تقول : عندى أربعة أنفس: أربع نفوس .

٤ـ النفس : الجسم ، قال الله تعالى : « و لاتقتلوا أنفسكم» النساء: ٢٩) أى لاتنتحروا حال الغضب أوالضجر ، و يقال : « هو عظيم النفس » أى الجسد .

ومن هنا لايأتى بالتاء إذا قيل: رأيت ثلاثة أنفس، فانه اريد بالنفس الشخص فأتى مذكراً، بخلاف ما اريد بالنفس حقيقة الانسان كقوله تعالى:« الذى خلقكم من نفس واحدة » الاعراف : ١٨٩)

٥ـ النفس : الجنس قال الله تعالى : « رسولاً من أنفسهم » آل عمران : ١٦٤) أى من جنسهم و قال : « و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » النحل : ٧٢)

وقدمنّ الله تعالى على بنى آدم باتخاذ أزواجهم من جنسهم ليكون أدعى إلى الالف و حسن المعاشرة ، وتقول : ولّى عليكم والٍ من أنفسكم أى من عشيرتكم غير أجنبى عنكم .

٦- النفس : آدم أبو البشر عليه السلام قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » النساء : ١) أى من آدم عليه السلام.

٧- النفس : ذات الشيء و حقيقته يقال : لاتظلم نفسك بحملها على خصال السوء ، وثق بنفسك ، تقحم النفس فى مثل هذا لئلا يتعدّى العامل النحوى إلى الشيء وضميره ، وذلك مجتنب فى العربية إلا فى أفعال القلوب وماجرى مجراها لاتقول ضربتنى، ويأتى هذا فى جانب الله سبحانه مراعاة لهذا فى غير مقام المشاكلة نحو: « كتب الله على نفسه الرحمة »

وقال :« ويحذركم الله نفسه » آل عمران : ٣٠) النفس هنا بمعنى الذات و هى مقحمة لئلا يتعدى العامل إلى الشيء ، وضميره فى غير أفعال القلوب . وهذا و إن كان قد حصل من حيث اللفظ مضاف ومضاف إليه يقتضى المغايرة ، وإثبات شيئين من حيث العبارة ، فلا شيء من حيث المعنى سواه تعالى عن الاثنوية من كل وجه .

وقيل : إن إضافة النفس إليه جل و علا إضافة الملك ، ويعنى بنفسه نفوسنا الأمارة بالسوء ، وأضاف إليه على سبيل الملك .

وقال :« تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك » المائدة : ١١٦) أى تعلم جميع مافى ذاتى وحقيقة أمرى ، ولا أعلم مافى ذاتك وحقيقة أمرك .

وقال:« أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم » البقره : ٤٤) نفس الامر: وجوده فى حدّ ذاته و حقيقته ، نفس الشيء : بجملته و حقيقته تقول : فلان قتل نفسه وأهلك نفسه أى أوقع الاهلاك بذاته كلها وحقيقته .

٨- النفس : البعض قال الله تعالى : « ولاتقتلوا أنفسكم» النساء : ٢٩) أى لايقتل بعضكم بعضاً على قول كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « سلموا على أنفسكم » وقال تعالى: « فاقتلوا أنفسكم » البقرة : ٥٤) أى ليقتل بعضكم بعضاً أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده .

وقيل: أمر كل منهم أن يقتل نفسه . وقال :« ولاتخرجون أنفسكم من ديار- كم» البقرة:٨٤)أى لايخرج بعضكم بعضاً.وتقول: أيها المتعلمون أكرموا أنفسكم أى ليكرم أحدكم الآخر كأنه إذ يكرم الآخر يكرم نفسه .

٩- النفس : بمعنى عندقال الله تعالى :« تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك» المائدة : ١١٦)

أى تعلم ماعندى و لا أعلم ماعندك على قول . و تأتى بهذا المعنى فى القرآن الكريم فى مقام إضافتها إلى البشر مضافة إلى الله سبحانه و تعالى لداعى المناسبة والمشاكلة .

١٠ النفس : الغيب قال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :« تعلم ما فى نفسى و لاأعلم مافى نفسك » المائدة : ١١٦) قال إبن الأنبارى : ان النفس هنا بمعنى الغيب أى تعلم غيبى لان النفس لماكانت غائبة اوقعت على الغيب ، ويشهد على ذلك قوله تعالى : « انك أنت علام الغيوب » كأنه قال : تعلم غيبى يا علام الغيوب .

١١- النفس : الأخ والأهل قال الله تعالى :« فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم » النور: ٦١) وقال :« ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً » النور : ١٢) أى بأهل الايمان وأهل شريعتهم .

١٢- النفس: العقوبة قال الله تعالى :« ويحذركم الله نفسه» آل عمران:٢٨) أى عقوبته على قول .

١٣- النفس: الدم السائل ، وفى الحديث:« لايفسد الماء إلا ماكان له نفس» أى دم سائل، ومالا نفس له كالذباب ونحوه فلابأس فيه ،يقال، سالت نفسه أى دمه، والروح كمايقال: خرجت نفسه ، ويقال :« دفن نفسه » أى دمه .

و فى الحديث : « ما ليس له نفس سائلة فانه لاينجس الماء إذامات فيه » وإنما سمى الدم نفساً لان النفس- بالتحريك - تخرج بخروجه .

١٤- النفس- محركة- : مصدر نسيم الهواء وريح يدخل و يخرج من فم الحيّ ذي الرئة وأنفه حال التنفس جمعه: الأنفاس وهو كالغذاء للنفس إذ بانقطاعه بطلانها ، و تنفّست الريح إذا هبّت طيبة .

وفي الحديث :« لا تسبّوا الريح فانها من نفس الرحمن» يريد بها انها تفرّج الكرب وتنشيء السحاب و تنشر الغيث و تذهب الجدب ، و هو مستعار من نفس الهواء الذي يرده التنفس إلى الجوف ، فيبرد من حرارته ، ويعدّلها أو من نفس الريح الذي يتنسّمه فيستروح إليه أو من نفس الروضة و هو طيب روائحها فيتفرج .

١٥- النفس- بالتحريك- : الأنصار وفي الرواية :« أجد نفس ربكم» وذلك لان الله تعالى نفّس بهؤلاء الأنصار الكرب عن المؤمنين ، و هم يمانون لانهم من الأزد وهو اليمن .

١٦- النفس: العظمة .
١٧- النفس: العزة .
١٨- النفس: الكبر .
١٩- النفس: الهمّة.
٢٠- النفس: الارادة .
٢١- النفس: الأنفة .
٢٢- النفس: العيب .
٢٣- : النفس : عين الشيء و كنهه و جوهره . ويؤكد به يقال: رأيت الملك نفسه، ورأيته عينه، فتأتى النفس لتقوم مقام التوكيد ، فنفس الشيء عينه ، تقول : هذا يمسّ نفسك أي يمسك عينك و لا يمسّ غيرك .

قال الله تعالى : « فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلاّ نفسك » النساء : ٨٤) المراد هنا التوكيد أي الأمر مقصور على نفسك وحدها .

٢٤- النفس : العين ، يقال : أصابت فلان نفس أي عين ، و يقال للعاين : نافس . نفسه بنفس : أصابه بعين. النفوس : العيون الحسود المتعيّن لأموال الناس ليصيبها .

٢٥- النفس : الجرعة من الماءِ يقال : أكرع من الماءِ نفساً أو نفسين أي جرعة أوجرعتين ، ولاتزد عليه إذاشرب الماء بنفس واحدة يقال : شراب ذو نفس أى ريّ ، و شراب غير ذى نفس أى كريه الطعم آجن متغير و اذاقه ذائق لهم يتنفس فيه .

٢٦- النفس: حين، وفى الحديث :« بعثت أنا من نفس الساعة » أى حين قيامها و قربها إلاّ انها اخرجت قليلاً قليلاً ، فاطلق النفس على القرب . نفس الساعة : آخر الزمان، و النفس : الساعة كقوله : « عينى جواداً عبرة أنفاساً » أى ساعة بعد ساعة .

٢٧- نفس المتكلم : ضمير المتكلم المفرد أى« أنا» و نفس المتكلم مع الغير : ضمير الجمع المتكلم أى« نحن» .

٢٨- النفس: الخلق يقال : رجل ذو نفس أى خلق كريم ، وثوب ذو نفس أى جلد وقوة .

٢٩- النفس : الفرج عن الكرب و ذهاب الهم و الغم . يقال : اللهم نفّس عنّى أى فرّج عنى .

وفى الحديث : « من نفّس عن مؤمن كربة نفّس اللهعنه كربة من كرب الآخرة» أى من فرّج عن مؤمن كربة فى الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة. وفى رواية :« سبعين كربة » وفى الحديث :« انى لا أجد نفس ربكم من قبل اليمن».

٣٠- النفس: الرأى . ٣١- النفس: الطويل من الكلام يقال :« كتب كتاباً نفساً » أى طويلاً . وفى الحديث عمار : لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست أى أطلت و أصله : ان المتكلم إذا تنفس إستأنف القول و سهلت عليه الاطالة ٣٢- النفس: السعة والفسحة فى الامر ، ومنه :« اعملوا وأنتم فى نفس البقاء » و يقال : إعمل و أنت فى نفس أى فى فسحة وسعة قبل الهرم و الأمراض والحوادث و

الآفات .

والنفسة - بالضم - : المهلة يقال : ذلك في هذا الامر نفسة أي مهلة . و في الحديث : « وأنت في نفس من أمرك » أي في سعة منه، وصيّ منفوس ، موسّع أمره ، و تنفّس النهار عبارة عن توسّعه ، قال الله تعالى : « و الصبح إذا تنفّس » التكوير : ١٨)

أي إذا امتدّ و طال . و يقال : دارك أنفس من داري أي أوسع ، و هذا الثوب أنفس من ذاك الثوب أي أطول وأمثل و أعرض و أوسع .

٣٣- النفس : خزانة معلومات الانسان قال الله تعالى : « تعلم مافي نفسي » المائدة: ١١٦) على قول .

٣٤- النفس: قدر دبغة وهي الجلود التي تجعل في الدباغ، وقيل : النفس من الدباغ : ملء الكف .

٣٥- النفس : الشيء النفيس ، وهو الذي له قدر و خطر يقال في كل شيء له قدر : انه نفيس ، و النفيس : المال الكثير ، و الأنفس - إسم تفضيل - من النفاسة ، و يقال : هذا أنفس مالي أي أحبه و أكرمه عندي ، وهذا الثوب أنفس الثوبين أي أعلاهما .

وشيء نفيس : يتنافس فيه و يرغب ، وهذا شيء نفيس: أي جيد في نوعه ، ومنه : جارية نفيسة . من نفس الشيء ينفس نفيساً و نفاسة - من باب كرم - :صار نفيساً ومرغوباً فيه التنافس: الرغبة في الشيء والانفراد به ، وهو الشيء النفيس الجيد في نوعه ، والمنافسة : مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره قال الله تعالى : « و في ذلك فليتنافس المتنافسون » المطففين: ٢٦)

أي فليتراغب المتراغبون ، و هذا كقوله تعالى : « سابقوا إلى مغفرة من

ربكم » الحديد : ٢١) و في حديث : « تنافسوا في زيارة الحسين بن علي بن أبيطالب عليهما السلام »

وفي حديث : « اخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها » .

٣٦- النافس : أحد القداح العشرة من قداح الميسر ، قيل : و هو الخامس من سهام الميسر .

٣٧- النفس : العجب ، وفي حديث إسمعيل عليه السلام : « انه تعلّم العربية وأنفسهم » أي أعجبهم وصار عندهم نفيساً .

٣٨- النفس : الحسد ، و منه حديث مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام : « لقد نلت صهر رسول الله فما نفسناه عليك »

٣٩- النفس : القرب ، ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بعثت في نفس الساعة » أي بعثت وقد حان قيامها وقرب إلاّ ان الله أخّرها قليلاً ، فبعثني في ذلك النفس ، فاطلق النفس على القرب ، وقيل : معناه انه جعل للساعة نفساً كنفس الانسان اراداني بعثت في وقت قريب منها أحسّ فيه بنفسها كما يحسّ بنفس الانسان إذا قرب منه يعني بعثت في وقت بانت أشراطها فيه وظهرت علاماتها .

٤٠- النفاس - بالكسر - : ولادة المرأة إذا وضعت فهي نفساء ، وهي مأخوذة من النفس بمعنى الدم ، فاذا ولدت فهي نفساء ، وجمعها نفاس .

٤١- المنفوس : المولود ، وفي الخبر : « المنفوس لا يرث شيئاً حتى يصح » وفي رواية : « مامن نفس منفوسة إلاّ قد كتب رزقها و أجلها » أي مولودة و في رواية : « مامن نفس منفوسة إلاّ وقد كتب مكانها من الجنة والنار » .

٤٩ - الالهام - ١٣٨٦

لهم الشيء يلهمه لهماً - بالسكون والحركة - من باب علم - : إبتلعه بمرة، ولهم الماء : جرعه .

ألهمه الله الرشد يلهمه إلهاماً - من باب الافعال - : مكّنه في قلبه أو هداه إليه، وألهمه الشيء: أبلعه إياه، و ألهم الله تعالى فلاناً خيراً: أوحى إليه به، ولقّنه إياه، و وفّقه له . و في الحديث : « أسئلك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي » .

قال الله عز و جل : « فألهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٧) أي ألقى فيها إحساساً تفرق به بين الضلال و الهدى، بين الفساد والصلاح ، وبين السعادة والشقاء.. ولعل هذا الاحساس هو الذي يسمى في عصرنا الحاضر بالضمير .

الالهام: أن يلقي الله تعالى في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده .

وتلهّم الشيء و إلتهمه: ابتلعه بمرة مثل لهمه ، وإلتهم الفصيل ما في الضرع : إستوفاه ، واستلهم الله خيراً : سئله أن يلهمه إياه يقال : إستلهم الله الرشاد .

اللهام - بضم اللام - : الجيش العظيم كأنه يلتهم كل شيء ، واللهم - بالكسر - : المسنّ من كل شيء ، جمعه : لهوم .

رجل لهم - ككتف - ولهم - كصرد - : أكول، واللهم - بكسر اللام وفتح الهاء - : الكثير الخير و العطاء ، و البحر العظيم ، و السابق الجواد من الخيل و الناس. يقال: هذا فرس لهمّ - بكسر اللام وفتح الهاء - : سبّاق كأنه يلتهم الارض ، ورجل لهمّ : رغيب الرأى جواد عظيم الكفاية ، جمعه لهمّون ، و لا توصف به النساء ، و رجل لهوم : أكول . واللهموم - بالضم - : الناقة الغزيرة اللبن ، و الجرح الواسع ، و فرج المرأة ، و السحابة الغزيرة القطر ، والعدد الكثير .

و فى حديث المجاهدين مع الامام على عليه السلام: « أنتم لها ميم العرب » أى سادتهم جمع لهموم، و هو الجواد من الناس و الخيل. و إبل لها ميم: سريعة المشى.

وملهم ـ كمقعد ـ: كثير النخل، وجمل لهميم ـ بالكسر ـ: عظيم الجوف. واللهيم ـ مصغرة ـ: المنية والحمّى والداهية، والقدر الواسعة، والملهم ـ بالكسر ـ: الأكول، والملهم ـ بالفتح ـ: موضع كثير النخل.

فى المفردات: الالهام: إلقاء الشيء فى الروع، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى قال تعالى: « فألهمها فجورها وتقواها » و ذلك نحو ما عبّر عنه بلمّة الملك وبالنفث فى الروع كقوله عليه الصلاة والسلام: « ان للملك لمّة وللشيطان لمّة » و كقوله عليه الصلاة والسلام: « ان روح القدس نفث فى روعى » وأصله من إلتهام الشيء وهو إبتلاعه، والتهم الفصيل مافى الضرع وفرس لهم كأنه يلتهم الارض لشدة عدوّه.

وفى اللسان: اللهم: الابتلاع، ولهم الماء لهماً: جرعه، جيش لهام: كثير، يلتهم كل شيء، ويغتمر من دخل فيه أى يغيّبه ويستغرقه، واللهام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء، ام اللهيم: كنية الموت لانه يلتهم كل أحد.

وفى شرح القاموس: الالهام: ايقاع شيء فى القلب يطمئن له الصدر يخصّ الله به بعض أصفيائه.

٦٧ ـ الخيبه ـ ٢٥٥

خاب يخيب خيبة ـ من باب ضرب نحو باع ـ: حرم و خسر و كفر.

والخيبة: الحرمان والخسران، ومنه خيّبه الله تعالى: حرّمه.

قال الله عز وجل: « وقد خاب من دساها » الشمس: ١٠)

خاب: لم يظفر بماطلب، وخاب سعيه و أمله: لم ينل ماطلب ، وخاب: إنقطع أمله فهو خائب . و الخيبة : حرمان الجلد . و في المثل : الهيبة خيبة يضرب لمن تقاعد عن مرغوبه خوفاً .

ومن هاب خاب. يقال: فلان في خياب : في خسار. وفي الحديث :« خيبة لك» و« ياخيبة الدهر» دعاء عليه ويقال : نزلت به خيّبه . وخيبة: لم يظفره بطلبته . و تخيّب : لم يظفر بماطلب . الخياب : القدح لايوري .

خاب يخوب خوباً وخوبة - من باب نصر نحو قال - : إفتقر . و الخوبة : الجوع وفي الحديث :« نعوذبالله من الخوبة » والخوبة : الارض التي لم تمطر بين أرضين ممطو رتين ، والخوبة : الارض التي لارعى بهاولاماء، و منه يقال : نزلنا بخوبة من الارض أي موضع سوء لارعى به ولاماء.

و **في المفردات**: الخيبة: فوت الطلب قال تعالى:« وخاب كل جبار عنيد» و« قدخاب من افترى» و« وقدخاب من دساها »

و **فـي المجمع** : - الخائبون - هم الذين فاتهم الظفر بالمطلوب ، و منه الدعاء :« أعوذبك من خيبة المنقلب »

١٩ - الدس - ٤٧٨

دسّ الشيء يدسّه دسّاً - من باب نصر نحو مدّ - : أخفاه ودسّه في التراب: دفنه ، و كل شيء أخفيته فقددسسته ، ودسّه دساً : إذاأدخله في شيء بقهر و قوة وعنف .

قـال الله تعالـى : « أيمسكه علـى هون أم يدسّه فـي التراب » النحل : ٥٩)

أي يدفن مابشربه و هو الانثى في حال الحياة فتموت تحت التراب و هو

الوأد ، و كان ذلك عند بعض العرب في الجاهلية، ومن المحتمل أن يكون المراد إهلاكها بالوأد أو بغيره أو إخفائها عن أعين الناس ، فتكون كالمدسوس في التراب .

و في الحديث : « مملوك إذا أراد أن يشتري نفسه فدسّ إنساناً فهل للمدسوس أن يشتريه كله »

إندسّ الشيء : إندفن ، إندسّ فلان إلى فلان : أتاه بالنمائم ، الداسوس : الجاسوس ، و الدسس - بضمتين - المراؤن بأعمالهم يدخلون في القرّاء و ليسوا منهم ، والدسس : إخفاء المكر .

الدسّ : إدخال الشيء من تحته ، و في الحديث : « استجيدوا الخال فان العرق دسّاس» أي دخّال لانه ينزع في خفاء و لطف . العرق دسّاس : مثل يراد به ان أخلاق الآباء تتصل إلى الأبناء .

و الدساس : حيّة أحمر كأنها الدم محددة الطرفين لا يدرى أيهما رأسه ، غليظ الجلدة، يأخذ فيه الضرب وليس بالضخم الغليظ ، وهي أخبث الحيات، فيندس في التراب ، فلا تظهر للشمس وهي على لون القلب من الذهب المحلى. والدساسة: حيّة صمّاء تندس تحت التراب أي تختفي .

والدسيسة : ما أكمن من العداوة والمكر والحيلة والخدعة والشبهة الخبيثة والدسيس : إخفاء المكر ، و الدسيس : من تدسّه ليأتيك بالأخبار ، والدسيس شبيه بالمتجسّس . و الدسة - بضم الدال - : لعبة لصبيان الاعراب ، و دسّ البعير : إذا طلى بالهناء طلياً خفيفاً بعد ما جرب ، فطلى موضع الجرب و قيل : طلى جميع جسده . والمدس - بكسر الميم و فتح الدال - : آلة تسبر بها الجراح .

دسا يدسو دسواً - من باب نصر نحو دعا - : نقص و اتضع بأعمال الفجور و المعاصي . . . و دسا أيضاً : إستخفى خزياً من فعل شيء ، و دسّاه تدسية : وضع

من شأنه ، و أيضاً أخفاه لسوء فعله قال الله تعالى : « و قد خاب من دسّاها » الشمس : ١٠)

ويجوز أن يكون دسّى أصلها : دسّس وهو تضعيف دسّ للمبالغة ، فابدلت ثالثة السينات ياء كما قيل : تظنّى فى تظنن ، وتقضى فى تقضض.

فى المفردات : الدس: إدخال الشىء فى الشىء بضرب من الاكراه .

وفى المجمع : « و قد خاب من دساها » أى فاته الظفر من دسّ نفسه يعنى أخفاها بالفجور والمعصية ، والاصل : دسها فغيرت .

٢٩ ـ الدمدم ـ ٤٨٨

دمدمه يدمدم دمدمة ودمداماً رباعى ـ من باب دحرج ـ : طحنه فأهلكه. و دمدم الشىء : ألزقه بالارض ، و دمدم فلان على فلان : كلّمه مغضباً أشد الغضب .

ودمدمهم ودمدم عليهم : طحنهم فأهلكهم و أزعهم و عذبهم عذاباً شديداً . و بالمعانى فسّرت الآية الكريمة: « فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها » الشمس:١٤) أهلكهم بذنبهم لأنهم رضوا جميعاً به وحثوا عليه، وكانوا قد اقترحوا تلك الآية واستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب إستيصال .

الدمادم ـ بضم الدال الاولى ـ : صنفان من النبات الاول أحمر قانىء، و الثانى أحمر إلاّ أن فى رأسه سواداً . والدمدامة : عشبة لها عرق كالجزر يؤكل حلو جداً جمعها : دمدام . و الدمدم ـ بكسر الدالين ـ : يبيس الكلأ . و الدمدمة : حكاية صوت الهرة ، و منه: دمدم فلان فى كلامه. و الدمدمة : الغضب .

دمّه يدمّه دمّاً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ : طلاه بأىّ صبغ كان . دمّ البيت:

طلاه بالنورة وجصّصه ، و دمّ السفينة . طلاها بالقار، ودمّ العين الوجعة : طلا ظاهرها بصبر وزعفران ، ودممت الثوب : طليته بصبغ ما. ودمّ اليربوع جحره : غطاه و سدّ فمه . والدمام : دواء يطلى به جبهة الصبى .

الديمومة : الارض المستوية التى لأعلام بها ولا طريق ولاماء ولأنيس . و الديموم والديمومة: الفلاة الواسعة ، والدمة : الطريقة. والدميم : القبيح المنظر والحقير ، وصغير الجسم .

****

****

﴿النحو﴾

١- (والشمس وضحيها)

الواو الاولى للقسم ، و ما بعدها من واوات هى حرف عطف ، تعطف هذه الأقسام بعضها على بعض لأن ماسوى الواو الاولى إن كنّ للقسم لزم إجتماع أقسام كثيرة على مقسم به واحد ، وهو مستنكر عند الخليل وسيبويه لان إستئناف قسم آخر دليل على أن القسم الاول قد استوفى حقه من الجواب فيلزم التغليظ، و إن كن عاطفة لزم العطف على عاملين بحرف واحد ، و ذلك ان حرف العطف ناب عن واو القسم المقتضى للجر ، و عن الفعل الذى يقتضى إنتصاب الظرف .

و قال بعض النحويين : ان الواوات كلها للقسم ، وأما لزوم العطف على عاملين فممنوع لأن حرف العطف ناب عن واو القسم النائب عن الفعل المتعدّى بالباء ، و كما أن واو القسم تعمل الجر فى القسم والنصب فى الظرف إذا قلت مثلاً إبتداء : والليل إذا يغشى لقيامه مقام قولك : اقسم بالليل إذا يغشى . فكذا حرف العطف النائب منابه نظيره : قولك: ضرب زيد عمراً وبكر خالداً ، فترفع بالواو وتنصب لقيامه مقام ضرب .

و « الشمس » مجرورة بواو القسم ، و الشمس مؤنثة ، تصغيرها شميسة، و «ضحاها» قسم ثان، مجرور على طريق العطف بالواو على «الشمس» و«ها» مجرور بالاضافة ، وهى تعود إلى « الشمس » ولا علامة للجر فيه لأن الضحى مقصور مثل

هدى ، والضحى مؤنثة تصغيرها ضحية .

وأضاف الضحى إلى «الشمس» لأنه إنما يكون بارتفاع الشمس ، و الضحى مؤنث يقال : إرتفعت الضحى و هى فوق الضحو و قد تذكّر ، فمن انّث ذهب إلى أنها جمع ضحوة ، ومن ذكّر ذهب إلى أنه قسم على فعل نحو صرد و هو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول : لقيته ضحى و ضحى إذا أردت به ضحا يومك لم تنوّنه، و أصله : الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فقلبوها ألفاً .

٢- (والقمر اذا تلاها)

الواو للعطف ، و « القمر » مجرور بالعطف على « الشمس » و «إذا » فى الثلاثة لمجرد الظرفية ، و العامل فيها فعل القسم المقدر و « تلا » فعل ماض و«ها» فى موضع نصب على المفعولية كالضمائر التالية ، و الجملة حالية أى اقسم بالقمر حالكونه تالياً للشمس ، و المراد بتلوه لها إن كان كسبه النور منها ، فالحال حال دائمة، وإن كان طلوعه بعدغروبها فالاقسام بهمن حال كونه هلالاً إلى حال تبدّر .

٣- (والنهار اذا جلاها)

الواو للعطف ، و « النهار » مجرور بالعطف على « القمر » ، و قيل : ان المعطوفات كلها عطف على « الشمس » و ان الضمائر فى كل مقطع تعود على المعطوفات لاعلى المعطوف عليها، وإتيان الضمير المؤنث مع كون بعض المراجع مذكراً لرعاية الفواصل .

و«جلاّ» فعل ماض من باب التفعيل ، و«ها» فى موضع نصب على المفعولية وفى مرجع الضمير وجوه: أحدها ـ راجع إلى الارض وإن لم يجر لها ذكر كقوله تعالى : « حتى توارت بالحجاب » ص : ٣٢)

والمعنى : واقسم بالنهار إذاأظهر الارض للابصار . و قيل : أى جلّى مافى

الارض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلاً و إنتشاره نهاراً . ثانيها - راجع إلى الظلمة ، و إن لم يجر لها ذكر كما تقول : أضحت باردة تريد أضحت غداتنا باردة .

ثالثها - راجع إلى الشمس على أن ضمير الفاعل فى «جلاّها» للنهار ، و ضمير المفعول للشمس ، و المراد الاقسام بحال إظهار النهار للشمس ، فانها تنجلى و تظهر إذا انبسط النهار . وفيه انه لا يلائم ماتقدمه فان الشمس هى المظهرة للنهار دون العكس .

وقيل: ضمير الفاعل لله تعالى ، و ضمير المفعول للشمس ، والمعنى : واقسم بالنهار إن أظهر الله جل و علا الشمس وقيل : انه يبيّن بضوئه جرمها . رابعها - راجع إلى الدنيا .

٤- (والليل اذا يغشاها)

الواو للعطف ، و«الليل» مجرور بالعطف على «النهار» و«يغشى» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «النهار» و«ها» فى موضع نصب على المفعولية ، راجع إلى «الارض» و قيل : راجع إلى «الشمس» قيل: وهذا بعيد فان الليل لا يغطّى الشمس ، وإنما يغطّى الارض وماعليها .

٥- (والسماء ومابناها)

الواو للعطف ، و «السماء» مجرور بالعطف على «الليل» و فى «ما» وجوه : أحدها - مصدرية ، والمعنى : واقسم بالسماء وبناها . كقوله تعالى : « بما غفرلى ربى» يس: ٢٧)

أى بغفران ربى ، و اعترض عليه فى الكشاف بأنه يلزم من عطف قوله : « فألهمها » على « و ماسوّاها » فساد النظم فالوجه أن تكون « ما » موصولة .

ثانيها - موصولة بمعنى الذى ، و المعنى : و اقسم بالسماء و الذى بناها .

ثالثها ـ بمعنى : « من » و هو إسم الله تعالى و المعنى : و اقسم بالسماء و من بناها .

٦ـ (والارض وما طحاها)

الواو للعطف ، و « الارض » مجرورة بالعطف على « السماء» و في «ما» من الوجوه مافي « ما» المتقدمة ، و«طحا» فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه ،راجع إلى «ما» و«ها» في موضع نصب ، راجع إلى «الارض» .

٧ـ (ونفس وماسواها)

الواو للعطف ، و « نفس» مجرورة بالعطف على «الارض» اريد بها الجنس فتشمل الجمع ، والمفرد ، و«سوّى» فعل ماض من باب التفعيل ، و«ها» في موضع نصب على المفعولية ، راجع إلى « نفس» ولايخفى : ان موضع ماءات الثلاث جر بالعطف على ماقبلها من المجرورات بالاقسام .

٨ـ (فألهمها فجورها و تقواها)

الفاء للتفريع ، و«ألهم» فعل ماض من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله جل و علا ، و « ها » في موضع نصب ، مفعول أول ، راجع إلى « نفس » و « فجورها » مفعول ثان ، و الفجور : إسم مصدر يطلق على المعاصي الكبيرة ، اضيف إلى ضمير النفس ، و « تقواها » عطف على «فجورها » و ان الواو في التقوى مبدلة من ياء ، والتاء في أولها مبدلة من واو فأصلها : وقياها .

وقيل: التقوى إسم من الاتقاء ، وأصله : تقيا، وقيل : أصله : و قوى فقلبوه للفرق بين الاسم و الصفة ، و قيل : ان الفجور و التقوى مصدر ان في موضع المفعول به .

٩ـ (قد أفلح من زكاها)

«قد» حرف توقّع ، و«أفلح» فعل ماض من باب الافعال ، و«من» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل ، و«زكّى» فعل ماض من باب التفعيل، و «ها» في موضع نصب : مفعول به، راجع إلى «نفس» .

وفي جواب القسم وجوه : أحدها- قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » ثانيها- قوله تعالى : « قد أفلح من زكاها » على حذف اللام لطول الكلام تقديره : لقد أفلح .

ثالثها- جوابه محذوف على تقدير: ليدمدمنّ الله على أهل مكة لتكذيبهم رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام . رابعها - هو على التقديم والتأخير بغير حذف والمعنى : قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها والشمس وضحاها .

خامسها - محذوف على تقدير : والشمس و كذا و كذا لتبعثن ، وأما قوله تعالى :« قد أفلح من زكاها» فكلام تابع لأوله لقوله :« فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء .

١٠- (وقد خاب من دساها)

الواو للعطف . و «قد» للتحقيق ، و «خاب» فعل ماض ، و«من» موصولة ، و «دسّا» فعل ماض من باب التفعيل ، أصله : دسّس من التدسيس ، مبالغة الدسّ ، فاجتمعت ثلاث سينات ، فابدلت السين الأخيرة ياء للاستثقال ، و كراهية إجتماع ثلاث سينات كقوله تعالى :« ثم ذهب إلى أهله يتمطّى » القيامة : ٣٣) والاصل . يتمطّط .

ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها ، و إنفتاح ما قبلها ، و«ها» في موضع نصب ، مفعول به، راجع إلى «نفس» والجملة عطف على« قد أفلح من زكاها »

١١- (كذبت ثمود بطغواها)

« كذبت » فعل ماض من باب التفعيل ، و«ثمود» فاعل الفعل على تأويل قبيلة

ثمود و « بطغواها» في الباء وجوه : أحدها ـ سببية أي بسبب طغواها. ثانيها ـ زائدة. ثالثها ـ أنها للآلة أي فعلت التكذيب بواسطة طغيانها.

رابعها ـ انها للالصاق ، على حذف المضاف و المجموع صفة للعذاب أي كذبت ثمود بما أوعدت من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى: «فاهلكوا بالطاغية» وفي الطغوى وجوه : أحدها ـ إسم من الطغيان كالدعوى إسم من الدعاء ثانيها ـ الطغوى فعلى من الطغيان، والواو مبدلة من ياء كالتقوى، وأصل طغوى : طغيا إلا أن فعلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واواً ليفصل بين الاسم و الوصف.

ثالثها ـ الطغوى: إسم عذاب نزل بهم. رابعها ـ الطغوى : مصدر كالطغيان. وقيل : هيهنا تقدير : أي بالذنوب الطاغية أي المطغية.

١٢ـ (اذا نبعث أشقاها)

«إذا» ظرف للماضي عاملها قوله تعالى : « كذبت» وقيل: «طغواها» و«انبعث» فعل ماض من باب الانفعال، و«أشقا» إسم تفضيل اضيف إلى ضمير «نفس» فاعل الفعل و«ها» راجع إلى القبيلة.

١٣ـ (فقال لهم رسول الله ناقه الله وسقيها)

الفاء جواب لـ «إذ» و«قال» فعل ماض، و «لهم» متعلق بـ «قال» وضمير الجمع راجع إلى الجماعة الأشقياء أو إلى قوم صالح عليه السلام، و «رسول الله» فاعل لـ «قال» و الرسول هنا هو صالح النبي عليه السلام و «ناقة الله» منصوبة على التحذير و الاغراء أي احذروا ناقة ولا تقتلوا واحفظوها كقوله تعالى :«عليكم أنفسكم» على أن «أنفسكم» منصوب باسم الفعل وهو «عليكم» و «شهر رمضان» أي صوموا شهر رمضان، والواو في « وسقياها » للعطف ، و « سقياها » في موضع نصب بالعطف على « ناقة الله » :

١٤ـ (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

الفاء للترتيب على ترتب التكذيب على الطغيان، و «كذّبوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، وضمير الوصل المفرد في موضع نصب، مفعول به راجع إلى «رسول الله» و الفاء في «فعقروها» للعطف، و «عقروا» فعل ماض، عطف على «كذّبوا» و «ها» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «ناقة الله».

والفاء في «فدمدم» للتفريع، و «دمدم» فعل ماض، رباعيّ نحو دحرج و «عليهم» متعلق بـ «دمدم» و «ربهم» فاعل لـ «دمدم» والباء في «بذنبهم» للسببية، و ضميرا الجمع راجعان إلى الجماعة الاشقياء من قوم صالح عليه السلام و الفاء الرابعة للتفريع و «سوّى» فعل ماض من باب التفعيل. و «ها» في موضع نصب، مفعول بها، راجع إلى الدمدمة لان الفعل إذا ذكر دلّ على مصدره كقوله تعالى: «واستعينوا بالصبر و الصلاة وانها لكبيرة» أى و ان الاستعانة لكبيرة.

وقيل: راجع إلى القبيلة. وقيل: راجع إلى الدمدمة. و قيل: راجع إلى العقوبة.

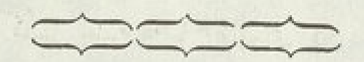
١٥- (ولايخاف عقباها)

في الواو وجوه: أحدها - الاستئناف. ثانيها - الواو للحال ثالثها - هي و «لا» كلتاهما للعطف. و «لا» حرف نفي و «يخاف» فعل مضارع، و في الفاعل وجوه: أحدها - قوله تعالى: «ربهم» والمعنى: ولايخاف ربهم عاقبة الدمدمة عليهم وتسويتهم كما يخاف الملوك و الاقوياء عاقبة عقاب أعدائهم و تبعته.

ثانيها - هوالاشقى أى لايخاف هذا الاشقى: عاقر الناقة عقبى ما صنع بها.

ثالثها - هوصالح النبى عليه السلام والمعنى: و لايخاف صالح عليه السلام عقبى الدمدمة عليهم لثقته بالنجاة.

و«عقباها» في موضع نصب ، مفعول بها، والجملة في موضع نصب على الحال و المعنى : سوّاها غير خائف عاقبتها ، و في ضمير « عقباها » وجوه : أحدها - راجع إلى الفعلة . ثانيها - راجع إلى الدمدمة . ثالثها - راجع إلى التسوية . رابعها - راجع إلى العقوبة أي فعل ذلك و هو لا يخاف عاقبة العقر .



﴿ البيان ﴾

١- (والشمس وضحاها)

وقد افتتحت هذه السورة بأحد عشر قسماً ربانياً بمظاهر الكون و نواميسه بأن المفلح السعيد من زكّى نفسه باتباع الهدى و صالح الاعمال و إلتزام حدود الله جل و علا ، و بأن الخاسر الشقي من أفسدها بالضلال و التمرد و الأفعال المنكرة ...

و فى الاقسام بالشمس إطلاقاً - غابت أو ظهرت - تنبيه على عظم قدرها و آثارها و الانتفاع بها ، و ذلك لما كان قوام العالم المحسوس : من الانسان و الحيوان و النبات و الجماد . . . بطلوع الشمس و غروبها ، وقد أقسم بها إطلاقاً أولاً لأنها خلق عظيم يدل على قدرة مبدعها ، و حكمة صانعها ، و تدبير خالقها . . .

«وضحاها» قسم ثان ، وأضاف الضحى إلى الشمس لانه إنما يكون بارتفاع الشمس ، و هو إمتداد ضوئها و إنبساطه ، وقد أقسم به لانه مبعث الحياة فى كل حيّ ، فالقسم الثانى قسم خاص بعد عام ، فلولا الشمس ما أبصرت حياً و لا رأيت نامياً ، و لولاها ما وجد الضياء و لا إنتشر النور ، و إذا ارسلت خيوطها الذهبية على مكان فرّ منه السقم ، و ولت جيوش الامراض هاربة لانها تفتك بها فتكاً ذريعاً .

ولايخفى على القارىء الخبير : ان تلك الاقسام الحادية عشرهي: الشمس و ضحاها، والقمر والنهار والليل والسماء ومن بناها ، والارض ومن بسطها، والنفس ومن خلقها .

ونحن نرى ستة من تلك الاقسام متزاوجة متقابلة ، وذلك ان الشمس يقابلها القمر، والنهار يقابله الليل ، والسماء تقابلها الارض، ثم نرى الشمس والنهار والسماء يقابلها على التوالى : القمر و الليل والارض .

وإذ نبحث عن مقابل للنفس ، لانجد هذا المقابل الذى يستدعيه سياق النظم فى ظاهره إلاّ باعتبار الخالقية والمخلوقية، فاذا أمعنا النظر قليلاً ، نجد أن النفس تضمّ فى كيانها شيئين متقابلين ، و هما : الفجور و التقوى ، و إن شئت فقل : الشمس والقمر ، أو النهار والليل ، أو السماء و الارض ، ففى كيان النفس ، نور و ظلام ، ونهار وليل ، وعلوّ وسفل، فاذا تعمقنا النظر وجدنا الشمس تمثل العقل و القمر يمثل الضمير الذى تستضيىء بصيرته من العقل ، كما يستمد القمر نوره من الشمس، وللعقل شروق و غروب ، فاذا اتجه إلى الحق أسفر عن وجهه و كان نهاراً مبصراً ، يتحرك الانسان فيه على هدى و بصيرة ، على صلاح و سعادة ، وعلى فلاح و نجاة . . . وإذا اتجه إلى الباطل غربت شمسه ، وأطبق ليله ، و عمّيت على صاحبه السبل ودرست معالمها ...

ثم إذا أخذ الانسان طريق الحق إتجه صعداً نحـو معالم النور و الكمال ، فكان أقرب إلى عالم السماء منه إلى عالم الارض ، وإلى العالم العلوى منه إلى العالم السفلى . . أما إذا ركب مركب الضلال ، فانه يهبط منحدراً حتى تغوص أقدامه فى اليمّ ، وقد يتدلّى حتى يكون حشرة من حشرات الارض ، أودودة من ديدانها ، فلننظر فى أجزاء هذه الصورة التى رسمتها الآيات الكريمة للانسان من داخل نفسه كما تحدثت عنها آيات القرآن الكريم .

هكذا يكون الانسان حين مولده ، انه أشبه بالشمس في إشراقه و إضائته ، انه الانسان في أحسن تقويم كما خلقه الخالق عزوجل قبل أن تنعقد في سمائه سحب الضلالات ، وتهبّ عليه أعاصير الحياة محملة بالغثاء والتراب .

وعن بعض المتكلمين : ان في تلك الاقسام مضافاً محذوفاً ، تقديره: و رب الشمس . . .

وزيف هذا بلزوم التكرار في قوله جل وعلا : «ومابناها» ومابعده .

اجيب عنه : بان «ما» في «ومابناها» و بعدها مصدرية ، و اعترض عليه في الشكاف بأنه يلزم من عطف قوله تعالى :«فألهمها» على قوله جل وعلا:«و ماسوّاها» فساد النظم ، فالوجه أن تكون «ما» موصولة .

قيل: إن في إستقلال الاقسام بالشمس وضوئها، وتعليق غيرهما على الوصف إشعاراً بتفخيم الشمس و ضحاها كما أن في تقديمها إشعاراً على ذلك مع تقديم النور على المستنير، والنهار على الليل .

٢- (والقمر اذا تلاها)

قسم ثالث و هذا قسم بالضوء في طور آخر ، و هو ظهوره و إنتشاره ليال البيض - من الليلة الثالثة عشر من الشهر إلى الخامسة عشر - كلها ، و هي الليالي المستضيئة تمامها من غروب الشمس إلى الفجر ، اقسم بالقمر حال تبدّره لماله من تأثيرات فلكية في الاشياء : برّيها و بحريها في تلك الليالي ...

٣- (والنهار اذا جلاها)

قسم رابع ، قسم بالنهار حال إظهاره بارتفاعه ، فيظهر على الارض للابصار .

و قيل : و هذا قسم بالنهار حين كشفه الظلمة ، على جواز الكناية عن الظلمة من غير ذكرها ، لأن المعنى معروف غير ملتبس كقوله تعالى: « إنا

أنزلناه في ليلة القدر » : القدر : ١) حيث ان الضمير راجع إلى القرآن من غير سبق ذكر له .

٤- (والليل اذا يغشاها)

قسم خامس ، وهو قسم بالليل ، حال غشيانه الارض فتظلم الآفاق، والتعبير عن غشيان الليل الارض بالمضارع : « يغشى» بخلاف تجلية النهار لها ، وتلو القمر للشمس حيث قال : « والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلّاها » للدلالة على الحال ليكون فيه ايماء إلى غشيان الفجور الأرض في الزمن الحاضر الذي هو أوائل زمن ظهور الدعوة الاسلامية لما تقدّم ان بين هذه الأقسام وبين المقسم بها نوع إتصال وإرتباط ، وهذا مضافاً إلى رعاية الفواصل ...

٥- (والسماء ومابناها)

قسم سادس بالسماء إطلاقاً ، وقسم سابع بمن بناها ، و في التعبير عن الله تعالى بلفظة «ما» دون «من» لارادة معنى الوصفية : الوصف البانى تفخيماً وتعجيباً كأنه قيل : واقسم بالسماء و بذلك البانى القادر العظيم الذى بناها .

و من المحتمل أن يكون التعبير عنه تعالى بكلمة « ما » لكراهية ذكر كلمة واحدة وإطلاقها على الخالق والمخلوق في السياق الواحد، إذ يقول : « قد أفلح من زكاها » ولم يعكس لدفع توهم العموم من كلمة «ما» في ناحية المخلوق تشمل الكون ومافيه .

وفي ذكر البنيان إشارة إلى ما انطوى عليه رفعها وتسويتها من بارع الحكمة وتمام القدرة وأن لها صانعاً حكيماً قد أحكم وضعها و أجاد تقديرها ، فانه شدّ هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها حتى يتماسك .

ولما كان الخطاب موجهاً إلى قوم لا يعرفون الله جل وعلا بجليل صفاته، وكان القصد منه أن ينظروا في هذ الكون نظرة من يطلب للأثر مؤثراً ، فينتقلوا من

ذلك إلى معرفته عز و جل ، عبّر عن نفسه بلفظ «ما» التى هى الغاية فى الابهام المفيد للتفخيم والتعجب .

٦- (والارض وما طحاها)

قسم ثامن بالارض على طريق الاطلاق ، وقسم تاسع بمن بسطها و مهّدها للسكنى ، و وسّعها ليمكن الخلق التصرف عليها ، و جعل الناس ينتفعون بما على ظهرها من حيوان و نبات ... وبما فى باطنها من مختلف المعادن ...

٧- (ونفس وماسواها)

قسم عاشر بالنفس الانسانية لما فيها من شرف فى هذا الوجود، و ما فيها من القوى ما ليس فى غيرها ، وتنكيرها دون سائر ما اقسم به إما للتنويع أى نفس خاصة من بين النفوس وهى النفس الانسانية التى أودع الله عز و جل فيها قابلية التمييز بين الهدى والضلال ، فلاسبيل إلى لام الجنس لان نفوس غير الانسان خارجة عن ذلك لقوله تعالى : « فألهمها فجورها و تقواها » ولاسبيل إلى لام العهد لان المراد ليس نفساً واحدة معهودة ، وإما للتفخيم على أن المراد بها نفس آدم عليه السلام أو لتكثير النفوس البشرية على مدى الأزمان و نفوس الجن لكونهم مكلفين كالانسان و إما إشارة إلى أن لها وصفاً وان لها نبأ ، أو إشارة إلى مجهولية حقيقة النفس ، أو تشويقاً لمعرفة ما يذكر من صفاتها و آثارها ..

« و ماسوّاها » قسم حاديعشر بمن خلق النفس و أقدرها على حدّ التساوى لاكتساب الخير و الشر ، فهى بين جذبتى الخلق والباطل بالتسوية .

٨- (فألهمها فجورها و تقواها)

تقرير لتسوية النفس ، و تقديم الفجور على التقوى رعاية للفواصل . . . وفى تفريع الالهام على التسوية فى قوله عز وجل :« وماسوّاها فألهمها فجورها و تقواها » إشارة إلى أن إلهام الفجور و التقوى و هو العقل العملى من تكميل تسوية النفس فهو من نعوت خلقتها كما قال الله جل و علا : « فأقم وجهك للدين

حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها » الروم : ٣٠) وقال : « ومالى لاعبد الذى فطرنى » يس: ٢٢)

و قال حكاية عن إبراهيم عليه السلام: « اننى براء مما تعبدون إلاّ الذى فطرنى فانه سيهدين » الزخرف : ٢٦ـ ٢٧)وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ... »

و فى تعليق الالهام على عنوانى فجور النفس و تقواها دلالة على أن المراد بتعريفه تعالى للانسان صفة فعله من تقوى أوفجور وراء تعريفه متن الفعل بعنوانه الاوّلىّ المشترك بين التقوى والفجور كالنظر المشترك بين النظر إلى من يجوز النظر إليهن وهو من التقوى، وإلى الأجنبية وهو من الفجور ،فأنشأها مستعدة لهما ولكنهما من صفة فعل الانسان .

وفى إضافة الفجور والتقوى إلى ضمير النفس إشارة إلى أن المراد بالفجور و التقوى المختصّين بالنفس الانسانية ، و أما النفس الجنية و إن كانت مكلفة على مايصرّح به القرآن الكريم ولكنها غير مرادة فى المقام على مايظهر من السياق .

٩ـ (قدأفلح من زكاها)

جواب للأقسام المذكورة على حذف اللام على تقدير: لقد أفلح ...فحذفت اللام لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها ، تقريراً لما يترتب على هذه النفس المسويّة من الفلاح إذا كان عنانها بيد العقل المؤيد بالشرع فتزكى، فد خلت فى عالم النور والهدى .

و فى التعبير بالتزكية عن إصلاح النفس دلالة على أن من كمال النفس الانسانية انها ملهمة مميزة بحسب ـ هدايتها التكوينية ـ للفجور من التقوى بأن الدين عندالله تعالى هو الاسلام ، و هو فطرى للنفس ، فتحليتها بالتقوى تزكية و إنماء صالح و تزويد لها بما يمدّها فى بقائها قال الله تعالى :

« و تزوّدوا فان خير الـزاد التقوى واتقون يا اولـى الألباب » البقرة: ١٩٧)
و أمرها فـى الفجور علـى خلاف التقوى كمـا أن أمر التزكيـة علـى خلاف التدسية .

١٠- (وقد خاب من دساها)

تقرير لما يترتب على هذه النفس المسويّة مـن الخيبة إذا كـان عنانها بيد الشهوة المؤيدة بوسوسة الشيطان ، فتدسّى فـدخلـت فـى عالم الظلمـة و الظلالة .

وفي تكرير «قد» إبراز لكمال الاعتناء بتحقيق مدخولها من تعقب الفلاح على التزكية ، والخيبة على التدسية ، وايذان على تعلق القسم بالمدخول كل على الاصالة .

و نعم مـا قيـل : « هـل تكون خيبة أعظم ، و خسران أكبر مـن خيبة هذا الزى مسخ نفسه بسوء عمله ؟ فما أجمل هـذا التعبير ! و مـا أحواه للمعانى الرفيعة ! »

١١- (كذبت ثمود بطغواها)

مستأنف بيانى سيق لتقرير مضمون قوله تعالى : « وقد خاب مـن دساها » على طريق الاستشهاد على آثار خيبة النفس و تدسيتها بتكذيب ثمود قوم صالح النبى عليه السلام رسولهـم بسبب ما كانـوا عليه من البغى و الطغيان و اتبعوا أهواءهم . . .

و عرض للمواجهة الضالة التى إتجه إليها أهل الضلال ، مؤثرين إياها على طريق الحق و الهدى . . . انهم لم يزكّوا أنفسهم ، و لم يرتفعوا بالجانب الطيب المشرق منها ، بل آثروا جانب الفجور و افردوا قلوع سفينتهم فى اتجاه ريحه العاصفة .

و ان الباء فى « بطغوها » سببية ، و ذلك ان الطغيان سبب للتكذيب، فـان

الطغيان والمعاصي إذا تراكمت على إنسان سدّت عليه طريق الحق والصواب ، طريق الهدى والرشاد ، وطريق الفلاح والنجاة . . . فيكذبه ، فشأنهما أن تحجب النفس عن الحقائق ، وتنجذب بكل مافيه شقائها وفسادها ، إنحطاطها وخسرانها، وهلاكها وعذابها ... فان عقبى الكافرين النار .

١٢- (واذ انبعث أشقاها)

تقرير لأمارة ذلك التكذيب، وإستشهاد عليه بان إنطلاق الأشقى لعقر الناقة، ورضا القوم عنه شاهد صدق على تكذيبهم لنبيهم صالح عليه السلام الذى جعلها دليل نبوته ،وبرهاناً قاطعاً على صدق رسالته، وأوعدهم إذا تعرضوا لها و سكوت قومه على ما يفعل دليل رضاهم عن فعله ، فكانوا مكذبين مثله .

١٣- (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها)

بيان لما توعدهم به صالح النبى عليه السلام على فعل قومه ، أى احذروا ناقة الله أن تمسّوها بسوء و لا تعتدوا عليها فى سقياها ، فان لها شرب يوم و لكم شرب يوم معلوم ، وفى إضافة «ناقة» إلى «الله» تعظيم لشأنها ، ولأنه تعالى عليها على خلاف سنته فى خلق الابل و صفاتها لم يخلق فى الابل سواها ناقة تختصّ بالشرب يوماً و أهل ذلك الماء يوماً آخر ، و هى كانت تعرف يومها الخاص بها ولا تقرب الماء فى يوم أهلها .

١٤- (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

بيان لأمارة طغيانهم من تكذيبهم نبيهم صالح عليه السلام عملاً إذا رتكبوا مانهاهم عنه غير ما كذّبوه قولاً ، فعقروا الناقة ، وقد نهاهم عن التعرض عليها، ثم إشارة إلى عاقبة عملهم ، وما استحقوه من الجزاء .

١٥- (ولا يخاف عقباها)

تعليل لطغيان عاقر الناقة و تكذيب ثمود نبيهم بأنهم لو خافوا عاقبة أمرهم ما فعلوه .

و من المتحمل أن يكون ذ كر الخوف هنا تمثيلاً يراد به الاشارة إلى هذا التدمير الشامل المتمكن ، فان الذى يخاف عاقبة أمر لا تتسلط عليه يده تسلطاً كاملاً ، بل يحول بينه و بين تصرفه المطلق فيه، خوف الحساب والجزاء ممن يحاسبه و يجازيه ... وتعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً .

****

****

﴿الاعجاز﴾

و من وجوه الاعجاز لهـذا الوحـى السماوى هـو نظمه الفريـد الذى لا يشبهه نظم ، و اسلوبـه الوحيد الـذى لايشبهـه اسلوب المخلوق من الجن و الانس . . . فانظر نظرة تدبـر و إعتبـار فـى اسلوب هـذه السورة الكريمة و نظمـها ـ مضافـاً إلـى معـانيـها العاليـة و مبـانيـها الرفيـعـة و حـكمتها البالغة . . ـ كيف ختمت آيها كلها ـ خمس عشرة آية ـ بحر فـى الهاء و الألف : «ها».

اسلوبها و نظمها معجزة خالـدة تتلألـأ فـى نورها الالهى ، و تتألـق فى جمالها القدسى معجزة خالدة إنقطع بها الانس و الجن عن محاكاة مثلها ، و ارتعد فرائص الصناد يدو الجبابرة عند سماعها ، انهافصيحة قدأخرست بفصاحتها فرسان البلاغة و قادة الخطابة و سادات القوا فى و ملوك البيان . . . انها حكمـة إلهية أبهرت سماسرة الحكمة والفلسفة، وأدهشت أساطير القانون والشريعة ، وأحارت أراكين النظام و الدستور .. . انها حق ألزم كل غال الحجة و دلّ كل باحث على المحجة ...

كل هذه صفات جليلة متقنة، وجميلة محكمة تؤثر على العقل والاحساس والعواطف والأميال ، فتتحكم فيها تحكم المالك في ملكه ولكنه فوق ذلك كله لانه روح من أمر الخالق الحكيم ، والقادر الخبير : « و كذلك أوحينا إليك روحاً

من أمرنا » الشورى: ٥٢)

روح تصل من روح الانسان إلى حيث لاتصل إليه أشعة البلاغة والبيان ، ولا سيالات الحكمة و العرفان ، و تسرى من صميم معناه إلى حيث لايحوم حوله فكر و لاخاطر ، ولا يتخيله خيال شاعر ، هذه الروحانية تنفذ إلى سرّ سريرة الانسان و سويداء ضميره ، و تستولى منها على أصل حياته و مهب عواطفه و إحساساته و تخلقه خلقاً جديداً ، و تصوره صورة لايتخيلها ، و لو قيلت له لما أدركها .

انها معجزة خالدة فى كل وقت و مكان لايستثنى من ذلك من كان من الجن و الانس ، و من يكون إلى آخر الزمان لايتطاول إليه أحد من البشر وإن كانوا أعرف الناس .

فى عيون الاخبار : باسناده عن القاسم بن إسمعيل أبى ذكوان قال : سمعت إبراهيم بن العباس يحدث عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام : ان رجلاً سئل أباعبد الله عليه السلام ما بال القرآن لايزداد عند النشر و الدرس إلاّ غضاضة ؟ فقال : لان الله لم ينزله لزمان دون زمان ، و لالناس دون ناس فهو فى كل زمان جديد و عند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة .

و فيه: باسناده عن محمد بن موسى الرازى قال : احدثنى أبى قال : ذكر الرضا عليه السلام يوماً القرآن فعظم الحجة فيه و الآية و المعجزة فى نظمه قال : هو حبل الله المتين و عروقه الوثقى و طريقته المثلى المؤدّى إلى الجنة ، و المنجى من النار لايخلق على الأزمنة ولايغث على الألسنة لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان و الحجة على كل إنسان : « لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم

حميد »

وان هذا الأداء القرآنى معجز معجز سواء كانوا يؤمنون به أولا يؤمنون، وهو الذى يتفرّد فى ايقاعاته على فطرة البشر، ومن ثم كانوا يقولون: « لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » فصلت : ٢٦).

لما كانوا يجدونه فى نفوسهم من مسّ هذا القرآن الكريم وايقاعه الذى لايقاوم كما كان بعض أعداء القرآن اليوم، يسعون أن يصرفوا القلوب عن هذا الوحى السماوى بما ينزلونه من مكاتيب، واتبعهم بعض المسلمين بانغمارهم بمطالعة المكاتيب و عدم إطلاعهم مما فى هذا الروح الالهى، و هم الذين بعملهم يبعدون عن الحق و يقربون من الباطل، فجعلوا موضع تفكرهم فى القرآن أوهاماً و أباطيل و خرافات من المجلاّت و الكتب التى لاتروّى و لاتشبع.

ثم يستشكلون بمالم يعلموا مآخذه ولا أجوبته، و لايعرفون مناهج هذا الوحى السماوى.

منهجه فى مخاطبة الكينونة البشرية بحقائق الوجود و هو الذى لايدع خاطراً لايجاوبه، و لايدع هاتفاً لايلبيه، منهج يتناول قضايا هذا الوجود، فيكشف منها ما تتلقاه فطرة الانسان و قلبه و عقله و نفسه بالتسليم المطلق و التجاوب الحىّ و الرؤية الواضحة و يوقظ فيها طاقاتها المكنونة، و يوجهها الوجهة الصحيحة.

منهج يأخذ بيد الفطرة الانسانية خطوة خطوة، و يصعد بها فى هينة و رفق و فى حيوية كذلك، و حرارة و فى وضوح و على بصيرة درجات السلم فى المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة فى المعرفة و الرؤية، و فى الانفعال و الاستجابة و فى التكيف و الاستقامة، و فى اليقين

والثقة و في الراحة و الطمأنينة إلى حقائق هذا الوجود الصغيرة و الكبيرة.

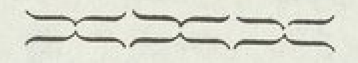
منهج يلمس الفطرة الانسانية من حيث لايحتسب أحدمن البشر أن يكون هذاموضع لمسة أويكون هذا وتر إستجابة، فاذا تنتفض الفطرة و تصوت وتستجيب ذلك ان منزل هذا القرآن هو خالق هذا الانسان أي يعلم من خلق، و كيف خلق و هو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو الذي بيّن في هذا الكتاب طبيعة البشر و حقيقته، وأصله و نشأته وماوراءه من أسرار وطبيعة تركيبه و إنفعالاته و إستجاباته...

و أسرار كتاب هو الذي مصدر المعرفة و التربية و التوجيه و التكوين الوحيد لجيل من البشر جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية لا من قبل و لامن بعد إلى يوم القيامة، فان هذا المصدر هو الذي أنشأ بمشيئة الله جل و علا و قدرة هذه المعجزة المجسمة الخالدة في عالم البشر، و هي المعجزة التي لاتتطاولها جميع المعجزات و الخوارق التي صحبت الرسالات جميعاً.

و هي معجزة واقعة مشهودة خالدة، و لقد كان المجتمع الذي تألف من ذلك الجيل أول مرّة، و الذي ظلّ إمتداده أكثر من ألف عام تحكمه الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم، و يقوم على قاعدة من قيمة وموازينه و توجيهاته و ايحاءاته كان هذا المجتمع معجزة اخرى في تاريخ البشرية حين تقارن إليه صور المجتمعات البشرية الاخرى التي تفوقه في الامكانات المادية بحكم نموّ التجربة البشرية في عالم المادة، و لكنها لاتطاوله في الحضارة الانسانية، ان الناس اليوم في الجاهلية الحديثة يطلبون حاجات أنفسهم و مجتمعاتهم و حياتهم خارج هذا القرآن الكريم كالجاهلية العربية الذين كانوا

يطلبون خوارق غير هـذا الوحـى السماوى ، و الفرق ان الجاهلية القديـمة يطلبون ذلك عناداً و عتواً ، وأما الجاهلية الحاضرة فبلسان التمدن مع الجهل عن مفهومه .

ثم تدبّر فى مبانيها ومعانيها و حكمها و أسرارها و معارفها . . . عميقاً من وجوه إعجازهذه السورة واغتنم جداً .



﴿التكرار﴾

واعلم أن البحث فى المقام على ثلاثة أقسام :

الاول : ان السور التى إختتمت آيها بحرف واحد : إحدى عشرة سورة .

الاولى : سورة «الشمس» إذختم تمام آياتها بحرف الهاء .

الثانية : « «التوحيد» « « « الدال .

الثالثة : « «الكوثر» « « « الراء .

الرابعة : « « العصر » « « « « .

الخامسة : « « القدر » « « « « .

السادسة : « « القمر » « « « « .

السابعة : « « الناس » « « «السين .

الثامنة : « « الفيل » « « « اللام .

التاسعة : « «المنافقون» « « «النون .

العاشرة : « « الليل » « « « الياء .

الحادية عشر : « « الاعلى » « « « الياء .

الثانى : نشير إلى صيغ سبع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من

السور القرآنية :

١- جائت كلمة «الشمس» على صيغها في القرآن الكريم نحو : ٣٣ مرة

٢- « « «الطحو والطحى» « « «: مرة واحدة

وهي في سورة الشمس : ٦)

٣- « « «النفس» « « «: مرة واحدة

٤- « « «الالهام» « « «: ٢٩٨ مرة

وهي في سورة الشمس : ٨)

٥- « « «الخيبة» « « «: خمس مرات:

أحدها- في سورة الشمس : ١٠) ثانيها و ثالثها - في سورة طه : ٦١) و ١١١) رابعها - في سورة إبراهيم : ١٥) خامسها- في سورة آل عمران : ١٢٧)

٦- « « «الدس» « « «: مرتين :

أحدهما- في سورة الشمس : ١٠) ثانيهما - في سورة النحل : ٥٩)

٧- « « «دمدم» « « «: مرة واحدة

وهي في سورة الشمس : ١٤)

الثالث : و قد جاءت قصة ثمود و ناقة الله تعالى لصالح عليه السلام معاً لأوّل مرّة في هذه السورة ، و هي أوّل إشارة إجمالية قرآنية إلى هذه القصة ، ثم تكررت على طريقي الاجمال و التفصيل حسب الاقتضاء و التناسب في عشرة سور قرآنية اخرى فرادى و معاً و تلك هي السور التالية على الترتيب النزولي :

١- سورة النجم : ٥١) ٢- سورة القمر : ٢٣ - ٣٢) ٣- الاعراف : ٧٣ - ٧٩)٤- سورة الشعراء : ١٤١ - ١٥٩) ٥- سورة النمل: ٤٥ - ٥٣)٦- سورة هود : ٦١ - ٦٨) ٧- سورة الحجر : ٨٠ - ٨٤) ٨ - سورة فصلت : ١٧ - ١٨)

٩- سورة الذاريات : ٤٣- ٤٥) ١٠- سورة الحاقة: ٤-٥) .

وقد تكررت لمافيها من الاستشهاد والعظة والتذكير والانذار و الوعد و الوعيد... ومن المباحث الاجتماعية والاخلاقية والاعتقادية والثقافية والاقتصادية والسياسية ... سلبياًو ايجابياً .

****

﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها- التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى :فان هذه السورة نزلت بعدسورة « القدر » فلما اشير فيها إلى التقدير مع التذكير بانزال الوحى السماوى فى ليلة القدر إجمالاً أشار فى هذه السورة إلى تقدير النفس الانسانية ، وقابليتها التى هى عرض عام لأهداف الدعوة الالهية التى يتعقب عليها التقدير التشريعى على طريق التأكيد بالاقسام بمظاهر الكون و نواميس الوجود .

و أما الثانية : فمناسبة هذه السورة لماقبلها مصحفاً فبامور :

أحدها- لماافتتحت سورة «البلد» بالاقسام بأشرف الأمكنة على وجه الارض - بيت الله الحرام - وبأشرف الانبياء وخاتم المرسلين وهومحمد صلى الله عليه وآله وسلم واشير فيها إلى خلق الانسان و بعض عوارضه إجمالاً إفتتحت هذه السورة بالاقسام بشىء من العوالم العلوية و السفلية و النفس الانسانية و خالقها لبيان حقيقة الانسان و ما أودع فيها من قابلية يتميز بها الانسان مما سواه ، و هى النفس الملهمة .

ثانيها- لما اشير في سورة «البلد» إلى الانسان وما أودعه الله جل وعلا فيه من قوى تميز بين الهدى و الضلال ، بين الحق والباطل ، بين الخير و الشر ، و بين الصلاح والفساد ... وما فيه سعادته وشقاؤه ، وفلاحه وخيبته ، ونجاته وهلاكه . . إذ قال :« وهديناه النجدين » : ١٠)

فصّل في هذه السورة ما أشار إليه في السورة السابقة بقوله تعالى :« ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » ثم أشار بعد ذلك إلى موقف الانسان من «هديناه النجدين» فقال :« قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها »

ثالثها- لما جاءت السورة السابقة بذكر ما يتزكى به النفس الانسانية : من فك رقبة، وإطعام الأجوياع يوم المجاعة ، بعد الايمان و الثبات عليه و الرحمة ، جاءت هذه السورة بذكر انه لابد لمن أراد الفلاح من تزكية نفسها بما جاء في السورة السابقة ...

رابعها- ان الله عز و جل لما ختم السورة السابقة بذكر أصحاب الميمنة و أصحاب المشئمة أعاد ذكر الفريقين في هذه السورة بقوله تعالى : « قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » .

خامسها- لما ختم السورة السابقة بذكر شيء من أحوال الكفار و الاشقياء في الدار الآخرة ، ختم هذه السورة بذكر شيء من أحوال نظائرهم في الحياة الدنيا.

سادسها - ان الله جل و علا لما ختم ما قبلها بذكر النار المؤصدة بيّن في هذه السورة طريق النجاة منها لمن أرادها : من تزكية نفسه و تقواها .

وأما الثالثة: فنجد بين المقسم بها التي افتتحت بها السورة تزاوجاً و تقابلاً : الشمس يقابلها القمر، والنهار يقابله الليل ، والسماء تقابلها الارض على التوالي، و بعد إمعان النظر نجد النفس بين المتقابلين : التقوى و الفجور ، و النور و

الظلام، و النهار و الليل، و العلو و السفل، ثم نجد ما فيه التقوى و الفجور من تزكية النفس و تدسيتها، و ما يتعقب عليهما من الفلاح و الخيبة، و مايؤول إليه أمرهما: من النجاة و السعادة أوالدمار و الهلاكة في الحياة الدنيا، و من الجنة و نعيمها، و النار و عذابها في الدار الآخرة مستشهدة للأخير بذكر قصة ثمود وعقر الناقة إجمالاً.

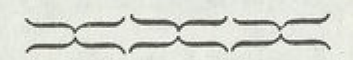
ولما كان إنتفاع الانسان والحيوان والنبات والجماد من الشمس أكثر من القمر، و كانت أوضح دليل على خالق الكون وعظمته، وعلى علمه الشامل و كمال قدرته و تدبيره التام إفتتحت بها السورة، وقدّمتها على غيرها في الذكر مع أن نورانيتها و تنويرها وإضائتها غيرها، وإستضاءة أهل الارض برّيها و بحريها منها يقتضي ذلك، وان ماله النور مقدّم على غيره كما في ناحية النهار والليل و السماء والارض، وتقوى النفس و فجورها وتزكيتها وتدسيسها.

وانظر كيف بدأ الله عز و جل هذه السورة بالاقسام بجرم الشمس أولاً ثم بضوئها ثانياً كل على سبيل الاستقلال، و هما أظهر الأشياء، ثم أقسم بثلاثة من حيث إتصافها بالوقت والظرف، وهي القمر حين تبدّره، و النهار وقت تجلّيه، والليل في إحاطة ظلمته، ثم أقسم بثلاثة و صانعها: السماء و بانيها، والارض و باسطها، والنفس الانسانية وخالقها، وبدأ بأظهر الأشياء وجوداً و آثاراً، و ختم بأخفاها وجوداً وصفاتاً...

وبدأ بمايضيء بكماله على وجه الارض، وختم بمايضيء بكماله على وجه العقول والأفكار كلها، كل ذلك لبيان قوله تعالى: «فألهمها فجورها وتقواها» من غير فرق بين إنسان وإنسان كل بحسبه:

بلافرق بين عالم و جاهل، بين أسود و أبيض، بين عربي و أعجمي، بين مذكر ومؤنث، بين قصير وطويل، بين راع ورعية، بين رئيس ومرؤس ولابين بلدي و بلدي...

ثم أشار تعالى إلى أن الناس تجاه هذا الالهام العميم تصنفوا بصنفين : صنف أهل التقوى و اليقين أعقبهم الفلاح و النجاة و النعيم ، و صنف أهل الفجور و الأثيم تبعهم الخسران والهلاك و الجحيم مستشهداً للآخرين على قصة ثمود و عقر الناقة .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً فى هذه السورة يدل على أن فيها ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهة ، فآياتها محكمة ، والله عز وجل هو أعلم .

****
****

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (والشمس وضحاها)

في «ضحاها» أقوال: ١- عن مجاهد: أي ضوء الشمس وإشراقها. ٢- عن قتادة والفراء: أي النهار كله. فقد أقسم الله تعالى بالشمس ونهارها لان ضوء الشمس الظاهرة النهار، وذلك لدوام نور الشمس.

والمعنى: اقسم بجرم الشمس وبالنهار كله. فالمراد بالضحى من طلوع الشمس إلى غروبها لقوله تعالى: «و أغطش ليلها و أخرج ضحاها» النازعات: ٢٩)

٣- قيل: ضحى الشمس: أول النهار. و قد أضاف الضحى إلى الشمس لانه إنما يكون بارتفاع الشمس عن افقها على ان ضحى الشمس: صدر وقت طلوعها، و ضحى النهار: صدر وقت كونه، وان الضوء الحاصل من الشمس عند إرتفاعها هو أعظم أوصاف الشمس وأظهرها.

٤- عن قتادة أيضاً: أي بهاؤها. ٥- عن السدي ومقاتل: أي حرّها وعن إبن عباس: «وضحاها» قال: جعل فيها الضوء وجعلها حارة لقوله تعالى: «و لاتضحى» طه: ١١٩)

أي لايؤذيك حرّها. ٦- عن مجاهد أيضاً و الكلبي: أي إمتداد ضوئها و إنبساطه على وجه الارض. ٧- قيل: أي ماظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها و بمخلوقات الارض كلها.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢- (والقمر اذا تلاها)

فى « تلاها » أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة والحسن و الكلبى : أى تبعها . يقال : تلوت فلاناً إذا تبعته ، و ذلك إذا سقطت الشمس رؤى الهلال و ذلك ليلة الهلال .

وقيل : أي يتلوها صبيحة الهلال. وقيل : أى يتلوها فى غروبه ليلة الهلال بعدها . ٢- عن الزجاج : أى حين إستوى واستدار فكان مثل الشمس فى الضياء و النور .

٣- عن إبن زيد : أى إذا غربت الشمس فى النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع ، و فى آخر الشهر يتلوها بالغروب ، فالقمر فى النصف الأول يتلو الشمس و تكون أمامه و هو ورائها ، و فى النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع .

٤- عن الفراء : أى أخذ القمر من ضوء الشمس فيتبعها فى كل وقت لان نوره مستمد من نورها ، فهو لذلك يتبعها ، وأثبته علماء الفلك حديثاً .

٥- عن إبن عباس : أى إذا تلا القمر النهار . ٦- عن زيد بن أسلم : أى تلاها ليلة القدر . ٧- قيل : أى يتلوها فى أخذ الضوء عنها . ٨- قيل : أى يتبعها وهذا فى الخامس عشر إذ يطلع القمر مع غروب الشمس ، فيتلوها غاية فى منتصف الشهر .
٩- قيل : أى جاء بعد غياب الشمس ، وذلك فى الليالى البيض : ١٣ و ١٤ و ١٥ حيث يضيىء الليل بالكامل من غروب الشمس إلى الفجر .

أقول: ان القمر يتلو الشمس فى كل وقت على إختلاف الآفاق ، فهو يطلع فى افق و يغروب فى افق آخر كما أن الشمس كذلك ، فهو أول هلال فى افق و آخر شهر فى افق آخر كما أنه فى ليال بيض فى جميع الأوقات . . . فتدبر و

اغتنم جداً .

٣- (والنهار اذاجلاها)

فى «جلاها» أقوال: ١- عن الفراء والكلبى : أى كشف النهار الظلمة . على أن ضمير التأنيث يعود إلى الظلمة وإن لم يجر لها ذكر كما تقول : أضحت باردة تريد أضحت غداتنا باردة .

٢- قيل: أى جلى النهار للشمس . و المعنى : انه يبيّن بضوئه جرمها . و عن مجاهد: أى أضاءها . وعن قتادة : أى غشيها النهار . على أن النهار يبرز الشمس للعيان و اضحة جلية .

ومنه قول قيس بن الحطيم : تجلّت لنا كالشمس تحت غمامة - بدا حاجب منها و ضنّت بحاجب و المعنى : كشف النهار الشمس و أتمّ وضوحها . و سمى النهار مجلياً لها لظهور جرمها فيه ، فتنجلى به و تظهر إذا انبسط النهار و ارتفع .

ان قيل : ان النهار عبارة عن ضوء الشمس ، وإذن هى توجد النهار و تظهره للابصار مع أن الآية تقول : هو الذى أظهر الشمس وأبرزها ؟

تجيب عنه : ان الشمس توجد النهار ايجاد المؤثر لأثره، والنهار يدل على الشمس دلالة الأثر على المؤثر ، وعليه يكون المراد بالجلاء المعنى الحقيقى ، و هو الدليل على وجود الشمس لاعلى ايجادها .

و كلما كان النهار أصدق نوراً كانت الشمس أجلى ظهوراً ، فان الكشف و العيان يدل على قوة المؤثر و كماله لاقوة الأثر ، فكان النهار يبرز الشمس و يظهرها .

٣- قيل: أى جلّى النهار مافى الارض : من الحيوان و الانسان والنبات و الجماد ، ومن البر و البحر ... حتى ظهرت لاستتارها ليلاً و إنتشارها نهاراً . ٤- قيل: أى جلّى الارض فالضمير راجع إلى الارض وإن لم يجر لها ذكر ، ومثله قوله

تعالى: « حتى توارت بالحجاب » ص : 32)

و المعنى : واقسم بالنهار إذا أظهر الارض للابصار . 5- قيل: أى و أقسم بالنهار إذاأظهر اللهالشمس . 6- قيل: أىإذا جلّى النهار الدنيا .

فضمير التأنث يعود إلى الدنيا و إن لم يجر لها ذكر . 7- قيل : أى و اقسم بالنهار حين جلائه . فالضمير راجع إلى النهار . و تأنيثه لرعاية الفواصل .

أقول: والأخير هوالأنسب بظاهر السياق .

4- (والليل اذا يغشاها)

فى « يغشاها » أقوال : 1- عن مجاهد: أى يغشى الليل بظلمته الشمس، فيذهب بضوئها عند سقوطها فتظلم الآفاق . . . فيغطى الليل ضوء الشمس و يحجبه حتى تغيب و يلبسها سواده ، و لا يبقى لها من أثر فى الليلة الاولى و الأخيرة من الشهر القمرى .

2- قيل: أى يغشى الليل الدنيا بالظلم ، فتظلم الآفاق ... فالضمير راجع إلى الدنيا وإن لم يجر لها ذكر .

3- قيل: أى والليل إذا يغشى الشمس ، فيزيل ضوءها فى الليالى الحالكة التى لاأثر لضوء الشمس فيها لامباشرة لما فى النهار و لابالواسطة كضوء القمر المستفاد منها ، و هى قليلة فانها ليلة أوليلتان أوبعض ليال فى الشهر ، و فى هذا ايماء إلى أن الليل يطرأ على هذا الكوكب العظيم ، فيذهب ضوئه ، ويحيل نور العالم ظلاماً فهو على جليل نفعه و عظيم فائدته لايتخذ إلهاً لأن الاله لا يحول ولايزول ولايعتريه تغيّر ولا افول ، و فيه ردع و تأنيب للمشركين على تأليهه وعبادته .

3- قيل: أى يغشى الليل بظلمته الارض. على أن الضمير راجع إلى الأرض بدلالة قرائن الاحوال ...

أقول: والاخير هو الأنسب بظاهر السياق .

٥- (والسماء ومابناها)

في « السماء » أقوال: ١- قيل : اريد بالسماء سماء الدنيا . ٢- قيل: اريد بالسماء الجنس ، فتشمل للسموات السبع كلها . ٣- قيل : اريد بالسماء ما في الفضاء من الكواكب والنجوم ... والسماء : كل ما ارتفع فوق رأسك ، والمراد به هذا الكون الذي فوقك ، وفيه الشمس و القمر و سائر الكواكب التي تجري في مجاريها .

أقول: والأول هو الأنسب بظاهر السياق .

و في قوله تعالى : « و ما بناها » أقوال : ١- قيل : أي بما رفع في السماء مما جعل فيها كل كوكب من الكواكب بمنزلة لبنة في بناء سقف أوقبة تحيط بك.

٢- عن قتادة والمبرد: أي واقسم ببيان السماء على أن «ما» مصدرية والمعنى: و السماء و بنائها مع إحكامها و إتساقها و إنتظامها . ٣- قيل : أي و بمن خلقها .

٤- عن مجاهد والحسن والكلبي : أي واقسم بمن بناها . على أن «ما» بمعنى «من» كناية عن الله جل و علا لانه هو الذي خلق السماء ورفعها . و عن عطاء : أي بناها و جعلها سقفاً للارض . فوضع «ما» موضع « من» كقوله تعالى : « و والد و ما ولد » .

أقول: وعلى الرابع جمهور المحققين .

٦- (والارض وماطحاها)

في «طحاها» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة و الضحاك والسدي و الثوري و أبي صالح وإبن زيد : أي بسطها. نحو: دحاها . دحوته: بسطته . والدحو: البسط الواسع والتمهيد .

٢- عن مجاهد أيضاً و الحسن : أي بسطها يميناً وشمالاً ومن كل جانب .

٣- عن إبن عباس : أى قسمها . ٤- قيل: أى خلقها . ٥- عن إبن عباس أيضاً: أى ماخلق فيها وماخرج منها من نبات و حيوان و كنوز لانه حياة لما خلق عليها .

٦- قيل: أى وسعها .

أقول: والاول هوالانسب بمعناه اللغوى وعليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٧- (ونفس وماسواها)

فى «نفس» أقوال : ١- عن الحسن : اريد بالنفس آدم عليه السلام . ٢- قيل : أى كل نفس منفوسة . فاريد بالنفس النفوس و هى النفوس الانسانية . ٣- قيل : النفس شىء يكون به الانسان إنساناً والحيوان حيواناً وهى لاترى ولاتلمس بحال، وإنما نعرفها بالآثار كالجاذبية ، و من آثارها النمو و الحركة والشعور بالألم و اللذة و الادراك الذى أشار إليه سبحانه بقوله : « فالهمها فجورها و تقواها » .

٤- قيل : هى نفس خاصة من بين النفوس وهى النفس القدسية النبوية التى تصلح لرئاسة ماسواها من النفوس .

أقول: وعلى الثانى جمهور المحققين .

وفى قوله جل وعلا : « وماسوّاها» أقوال : ١- قيل : أى و اقسم بمن هيّأ النفس و ركّب فيها القوى الظاهرة و الباطنة ، و جعل لكل منها وظيفة تؤدّيها ، و ألّف لها الجسم الذى تستخدمه من أعضاء قابلة لاستعمال تلك القوى .

٢- عن مجاهد : أى خلقها وعدّل وسوّى أعضائها. ٣- عن عطاء : أى سوّاها بالعقل الذى فضل به سائر الحيوان . ٤- قيل : اريد بتسويتها جميع ما خلق من الجن و الانس لانه هو الذى سوّى النفوس . ٥- قيل : أى أحاط عذابه

بالنفس .

أقول: والاول هو الأنسب بظاهر السياق .

٨- (فألهمها فجورها و تقواها)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والضحاك و الثورى : أى عرّف الله تعالى النفس الانسانية طريقى الفجور والتقوى . وعن قتادة : أى بيّن الله تعالى لها فجورها وتقواها فأرشدها إلى فجورها وتقواها وهداها إلى ماقدرلها.

٢- عن إبن زيد: أى جعل فيها فجورها وتقواها ، وزهدها فى الفجور و رغبها فى التقوى .

٣- عن مجاهد وإبن عباس أيضاً : أى عرّفها الطاعة والمعصية ، و قيل : أى علّمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة وتذر المعصية ، وتجتنى الخير ، و تجتنب الشر .

٤- عن محمد بن كعب : إذا أراد الله عز و جل بعبده خيراً ألهمه الخير فليعمل به، وإذا أراد به السوء ألهمه الشر فعمل به. ٥- عن الفراء، أى عرّفها طريق الخير وطريق الشر كما قال: « وهديناه النجدين »

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر ، وفى معناه بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً

٩- (قد أفلح من زكاها)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة و عكرمة و الحسن و سعيد بن جبير : أى قد أفلح من زكّا نفسه بالايمان و صالح الأعمال ، و نمّاها بطاعة الله تعالى، وطهّرها من الكفر والذنوب، ومن الاخلاق الدنيئة والرذائل وأصلحها بالاخلاق الفاضلة ...

٢- عن إبن عباس وإبن زيد : أى قد فاز من زكّى الله نفسه بالايمان والطاعة.

٣- قيل : أى قد ربح و فاز من كفّ أذاه عن الناس و عفّ عن أكل الحرام ،

و لم يعبث بأموال المنكوبين و الأيتام باسم الدين و ثوب الصلاح و الصالحين .

٤- قيل: أى أصاب الفلاح و هو إدراك المطلوب من طهّر نفسه من أدناس الذنوب و نمّاها حتى بلغت غاية ماهى مستعدة له من الكمال العقلى و العملى حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها و لمن حولها . ٥- قيل: أى قد أفلح من عرف نفسه واستكملها .

أقول: والاقوال من المصاديق ، فالتعميم هوالأنسب بظاهر الاطلاق .

١٠- (وقدخاب من دساها)

فى الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى خسرت نفس دسّها الله جل و علا بالمعصية . ٢- عن إبن عباس : أى خابت نفس أضلّها الله تعالى و أغواها فأهلكها .

٣- عن قتادة: أى وقد خاب من دسّ نفسه فى المعاصى وأفجرها وترك طاعة الله عزوجل . ٤- عن إبن الاعرابى : أى وقدخاب من دسّ نفسه فى جملة الصالحين و أهل الخير ، وليس منهم . ٥- قيل: أى جعلها الله تعالى خسيسة .

٦- قيل: أى وقد خاب من أخفى مافى نفسه وأغواها ، ومافيها من الخداع و الرياء والعناد واللجاج والعجب . ٧- قيل : أى من خسر من أنقص نفسه وأخفاها بالذنوب و المعاصى . و أوقعها فى التهلكة من نقصها حقها بارتكاب الجرائم و مجانبة البر و القربات ! فان من سلك سبيل الشر و طاوع داعى الشهوة ، فقد فعل ماتفعل البهائم، وبذلك يكون قدأخفى عمل القوة العاقلة التى اختص بهاالانسان، واندرج فى عداد الحيوان، ولاشك انه لاخيبة أعظم ولاخسران أكبر من هذاالمسخ الذى يجلبه الشخص لنفسه سوء أفعاله

٨- قيل: أى وقد خاب فى طلبته فلم يدرك ماطلب والتمس لنفسه من الصلاح.

٩- قيل: أى وقدخاب من أخمل نفسه وأخفى محلها و وضع منها بخذلانه إياها عن

الهدى والفلاح حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز و جل . ١٠- قيل: أى قد خسر من أفسد نفسه بسيّىء الاعمال و خبيثها .

١١- قيل: أى وقد خسر من جهل نفسه وضيّعها لقوله تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم» وقوله :«ان الله يحول بين المرء وقلبه» على أن القلب هيهنا هى النفس لا العضو المعروف.

اقول: إن أكثر الأقوال من مصاديق دسّ النفس ، وأسباب الخيبة .

١١- (كذبت ثمود بطغواها)

في «بطغواها» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة وإبن زيد: أى بطغيانها وعصيانها . والطغوى هو خروجها عن الحدّ في العصيان ، فكذبوا رسولهم صالحاً عليه السلام بسبب ما كانوا عليه من البغي والطغيان الذى حملهم على التكذيب ، ومجاوزة الحد في العدوان على حرمات الله تعالى .

٢- عن إبن عباس : بطغواها أى بعذابها الذى و عدوا به . قال إبن عباس : و كان إسم العذاب الذى جاءها الطغوى لانه طغى عليهم لقوله تعالى: « فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية» الحاقة: ٥) والمعنى : كذبت ثمود بعذابها الطاغية التى اوعدت، فأتاها ما كذبت به .

٣- عن محمد بن كعب : أى بأجمعها. ٤- قيل: طغوى مصدر، وقد خرج على هذا المخرج لأنه أشكل برؤوس الآى كقوله عز وجل : « و آخر دعواهم » أى وآخر دعائهم .

و قيل : الأصل بطغياها إلاّ أن «فعلى » إذا كانت من ذوات الياء ابدلت في الاسم واواً ليفصل بين الاسم والوصف. ٥- عن مجاهد أيضاً: أى كذبت ثمود بمعصيتهم الله عز وجل .

أقول: و ما يستفاد من مجموع قصة صالح عليه السلام وقومه : ان قبيلة ثمود كذبت برسالة رسولهم عليه السلام و بما أوعدهم من العذاب بسبب الكفر و الطغيان ، و بما

وعدهم من النعمة بسبب الايمان و التقوى، فكذبوه عليه السلام و كذبوا وعده و وعيده بسبب بغيهم وطغيانهم.

١٤- (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

في «فعقروها» أقوال: ١- قيل: أي جرحوها. ٢- قيل: أي قتلوها. ٣- قيل: أي نحروها بالسيف. ٤- قيل: أي قطعوا قوائمها بالسيف. يقال: عفر البعير أو الفرس بالسيف فانعقر: ضرب به قوائمه فانقطعت.

أقول: والأخير هو الأنسب بمعناه اللغوي.

وفي قوله: «فدمدم عليهم ربهم بذنبهم» أقوال: ١- عن إبن عباس وعطاء و مقاتل: أي دمّر عليهم ربهم بجرمهم وجنايتهم. ٢- قيل: أي أهلكهم وأطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر.

٣- عن الفراء والمؤرج: أي أرجف. وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده. والدمدمة: إهلاك باستئصال. ودمدمت الشيء إذا ألزقته بالارض وطحطحته. و دمدم الله تعالى عليهم أي أهلكهم، فجعلهم تحت التراب. فالمعنى: إستأصلهم بالعذاب.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد فتدبر جيداً.

وفي «سوّاها» أقوال: ١- قيل: أي سوّى عليهم الارض. ٢- قيل: أي فسوّى الدمدمة والاهلاك عليهم، وعمّهم بها فاستوت على صغيرهم و كبيرهم، وذلك ان الصيحة أهلكتهم فأتت على الطغاة الجبابرة من قوم ثمود فلم يفلت منها أحد منهم.

٣- عن إبن الأنباري: أي غضب عليهم فدمّر عليهم، فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

٤- عن الفراء: أي فسوّى الامة إنزال العذاب بهم صغيرهم و كبيرهم ووضيعهم وشريفهم، وذكرهم وانثاهم. و عن قتادة انه قال: بلغنا ان احيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم و كبيرهم وذكرهم وانثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله تعالى عليهم بذنبهم فسوّاها. ٥- قيل: أي جعل بعضها على مقدار بعض في

الاندكاك واللصوق بالارض . فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره. وقيل: سوّى الله تعالى قبيلة بالارض . وقيل: هو تسوية الارض بمعنى تسطيحها وإعفاء مافيها من إرتفاع وإنخفاض .

٦- قيل: أي سوّى أرضهم عليهم ودمّر منازلهم وحلّ عليهم عذاب الله تعالى ونقمته . ٧- قيل : أي أحاط عذابه بها . ٨- قيل: أي فسوّى الله تعالى الناقة بعد إهلاكهم .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

١٥- (ولايخاف عقباها)

في مرجع ضمير الفعل والتأنيث أقوال: ١- عن إبن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد والجبائي : أي فعل الله تعالى ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تبعة الدمدمة من أحد. فضمير الفعل راجع إلى الله تعالى و ضمير التأنيث راجع إلى الفعلة كقوله : «من اغتسل يوم الجمعة فبها و نعمت » أي بالفعلة والخصلة . والمعنى: ولايخاف الله تعالى من أحد ، عاقبة أهلاكهم . وذلك ان سبب الخوف لايخلو من أحد فرضين : الخوف أو الظلم، وتعالى الله تعالى عن هذا و ذاك .

وهذا كقوله تعالى : « لايسئل عما يفعل » فلايعبأ الله عز و جل بأحد حينما ينزل على المجرمين عذابه، ولا يسئل عن ذلك ان الله تعالى فعل بهم مافعل، واقتلعهم من الارض إقتلاعاً دون أن يحول بينه وبين مافعل بهم حائل أو يحاسبه محاسب انه فعل ذلك بعدله وقوته وسلطانه الذى لامعقب عليه، مع أن الذى يخاف عاقبة أمر لاتتسلط عليه يده تسلطاً كاملاً بل يحول بينه وبين تصرفه المطلق فيه، خوف الحساب والجزاء ممايحاسبه و يجازيه .. وتعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً .

والمعنى: ولايخاف ربهم عاقبة الدمدمة عليهم وتسويتهم كما يخاف الملوك الجبابرة والحكام الطاغية والامراء المستبدة والرؤساء الظلمة عاقبة عقاب مخالفيهم وتبعته لان عواقب الامور هي مايريده وعلى وفق مايأذن فيه .

٢- عن إبن عباس أيضاً والسدى والضحاك والكلبى : أى لم يخف الذى عقر الناقة عقبى ماصنع، فضمير الفاعل راجع إلى العاقر. وفى الكلام تقديم وتأخير على تقدير : إذا نبعث أشقاها ولا يخاف عقباها، ولا يخاف عاقبة ماصنع لانه كان مكذباً بصالح النبى عليه السلام كما قالوا: انها تعنى أشقى الذى أقدم على عقر الناقة دون أن يحسب حساب العاقبة .

٣- قيل: أى لا يخاف صالح عليه السلام عاقبة إهلاك قومه ،ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم لأنه قد أنذرهم و نجّاه الله تعالى حين أهلكهم وانه كان على ثقة من الهلاك على من طغى و النجاة لمن اتقى .

٤- قيل: أى لا يخاف ثمود تبعة بهلاكها ، ولا يخاف عقبى الدمدمة التى كان صالح عليه السلام يخوفهم بها .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .



﴿التفسير والتاويل﴾

١- (والشمس وضحاها)

اقسم بالشمس وضوئها

ان الله عز و جل أقسم بالشمس نفسها أولاً لكبر جرمها حساً، و انها خلق عظيم، و أوضع دليل على قدرة مبدعها، و عظمة خالقها، و كمال علم صانعها، و غاية حكمة بارئها .. كما كان إبراهيم خليل الله عليه السلام يستدل بها على ذلك :

قال الله عز وجل :« قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر» البقرة: ٢٥٨)

وقال:« فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني برىء مما تشركون » الانعام: ٧٨)

و قال : « ومن آياته الليل والنهار والشمس و القمر » فصلت: ٣٧)

وقال :« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »يس٣٨)

ثم أقسم جل و علا بضوء الشمس وإشراقها على وجه الارض ثانياً لمنافعه و آثاره في العالم العلوى و السفلى . و لأنه مبعث الحياة في كل حي ، فلولاها ما أبصرت حياً، ولا رأيت نامياً ، ولولاها ما وجد الضياء ولا انتشر النور، وإذا أرسلت خيوطها الذهبية على مكان فر منه السقم وولت جيوش الامراض هاربة لانها تفتك

بهافتكا .

قال الله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون» يونس : ٥)

وقال :« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً » نوح : ١٥-١٦)

فأقسم الله جل و علا بهما لما كان قوام العالم: من الانسان والحيوان والنبات والجماد بطلوع الشمس و غروبها مضافاً إلى ما لهما من التأثير فى الجوّ والعالم العلوى، وإرتباط مصالح هذا العالم بحركتها وضوئها .

قال الله تعالى :«ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظّلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وهو الذى جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً » الفرقان: ٤٥-٤٧)

وقال بعض أصحاب التأويل : فاذا تعمقنا النظر وجدنا الشمس تمثل العقل، و القمر يمثل الضمير الذى تستضيىء بصيرته من العقل كما يستمد القمر نوره من الشمس ، و للعقل شروق و غروب، فاذا اتجه إلى الحق أسفر عن وجهه و كان نهاراً مبصراً ، يتحرك الانسان فيه على هدى و بصيرة . . . و إذا اتجه إلى الباطل غربت شمسه ، و أطبق ليله و عمّيت على صاحبه السبل و درست معالمها ...

ثم إذا أخذ الانسان طريق الحق إتجه صعداً نحو معالم النور ، فكان أقرب إلى عالم السماء منه إلى عالم الأرض ، أما إذا ركب مركب الضلال فانه يهبط منحدراً حتى تغوص أقدامه فى التراب ، و قد يتدلّى حتى يكون حشرة من حشرات الأرض أو دودة من ديدانها . . . فالانسان حين مولده أشبه بالشمس فى إشراقه وإضائته ، و انه فى أحسن تقويم كما خلقه الخالق جل و علا قبل أن

تنعقد في سمائه سحب الضلالات ، و تهبّ عليه أعاصير الحياة محملة بالغثاء و التراب .

وماورد في المقام فهو اللب فتدبر جيداً واغتنم جداً .

٢- (والقمر اذا تلاها)

واقسم بالقمر حين يتلو الشمس ويتبعها .

ان الله عز و جل أقسم بالقمر وقت تلوه لها إطلاقاً ، فانه يكون هلالاً في أوّل شهر قمري بالنسبة إلى افق ، حالكونه هلالاً في آخر الشهر بالنسبة إلى افق آخر ، و ممتلأ بالنسبة إلى افق ثالث يضيىء الليالي كلها من غروب الشمس إلى الفجر على إختلاف الآفاق . . . فيتلوها في كل وقت هلالاً او ممتلأ .

أقسم به لما فيه من المنافع و الآثار في العالم الأرضي : بحريها و برّيها ، وفي العالم العلوي ... ومافيه من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على تدبير خالقه ، وحكمة صانعه ، وقدرة باريه ، وعظمة مبدعه ...

قال الله تعالى :« وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين » إبراهيم: ٣٣)

وقال :« والقمر إذا اتسق » الانشقاق : ١٨)

وقال :« والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار و كل في فلك يسبحون » يس : ٣٩-٤٠)

وقال : « فالق الاصباح و جعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم» الانعام: ٩٦)

وقال:« وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد: ٢)

و قال : « وسخّر لكم الليل والنهار والشمس و القمر و النجوم مسخّرات

بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » النحل: ١٢)

وقال بعض أصحاب التأويل : ان «القمر» هو الانسان الذى خيمت عليه موروثات الآباء والأجداد في بيئة الكفر والضلال ، في بيئة الشرك و الفساد ، في بيئة الفتنة والطغيان ، وفي بيئة المعصية والخسران . . . فلعبت بعقله و حجبت شمس فكره ، ثم بقي معه بعد ذلك شيء من شعاع العقل ، يجده مدسّاً في ضميره ، مختزناً في فطرته ، فيقف في مفترق الطريق بين الهدى والضلال ، بين الحق و الباطل ، بين السعادة والشقاء ، بين الفلاح والخيبة ، و بين أن يرجع إلى عقله و يحتكم إلى رأيه أو ينساق مع هواه و يتّبع ما كان عليه آباؤه ...

وما ورد في المقام فمن باب الجرى والانطباق وهو اللب .

٣- (والنهار اذا جلاها)

واقسم بالنهار إذا تجلّى وأتم وضوحه بزوال ظلمة الليل .

قال الله عزوجل : « والنهار إذا تجلّى » الليل: ٢)

إن الله تعالى اقسم بالنهار حين تجلّيه تنبيهاً إلى عظمة أمر الضوء وإعظام أمر النعمة فيه ، وإلفاتاً لأذهان الانسان إلى أنه آية من آيات ربه الكبرى ، و نعمة من نعمه العظمى ، وفيه من الحكمة البالغة ، والآية الباهرة ، و من الدلالة الواضحة على توحيد الربوبية ، و القدرة المطلقة ، و التدبر التام و العلم الشامل لله عز و جل .

قال الله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب و كل شيء فصّلناه تفصيلاً » الاسراء: ١٢)

و قال : « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه و النهار مبصراً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » النمل : ٨٦) و قال : « و جعلنا النهار معاشاً » النباء:١١)

و قال : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون و من رحمته جعل لكم و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون » القصص : ٧٢ـ ٧٣)

وقال:« هوالذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون» يونس : ٦٧)

وقال بعض أصحاب التأويل: ان الرأى إذا غلب على الهوى ، و أخذ الانسان طريق الحق و الصواب و سبيل الهدى و الرشاد عاد إلى العقل سلطانه وتجلّت فى الانسان آيات شمسه، فاضاءت كل شيء حوله ، فيصير كالنهار مبصراً.

وماورد فى المقام فمن باب التأويل أيضاً .

٤ـ (والليل اذا يغشاها)

واقسم بالليل إذا يغطى الارض بظلمته حين غيبوبة الشمس ، فتظلم الآفاق ... فيغشى الليل النهار .

أقسم الله تعالى بالليل النهار حين يغشى بظلمته وجه الارض على إختلاف الآفاق ... لمافيه من النعم الالهية على الانسان وسكونه وطمأنينته فيه، و لما فيه من التأثير فى نموّ الانسان والحيوان والنبات وتركيب الجماد . . . و فى البر و البحر ... ولمافيه من الحجج القاطعة على توحيد الربوبية ، من البراهين الساطعة على القدرة المطلقة الالهية ، ومن الأدلة الواضحة على كمال علم الخالق المتعال وتمام تدبيره ...

قال الله عزوجل :« يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » الرعد : ٣١)

وقال:« ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ـ وهو **الذى جعل** لكم الليل لباساً » الفرقان: ٤٥ـ٤٧)

و قال : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » القصص : ٧١_٧٢)

وقال :« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » آل عمران : ١٩٠)

وأما التأويل : فقيل: ان الهوى إذا غلب على الرأى ، و أخذ الانسان طريق الباطل و الضلال ، سبيل الكفر و الفساد ، و طريق العناد و اللجاج فقد غربت شمس العقل ، وعميت بصيرة الانسان ، واشتمل عليه ليل دامس لا نجم في سمائه و لاقمر . . .

وماورد في المقام من الروايات فمن باب التأويل .

٥ـ (والسماء ومابناها)

واقسم بالسماء ومن بناها ورفع سمكها وجعلها سقفاً محفوظاً .

ان الله تعالى أقسم بسماء الدنيا وبذاته الذى خلق السماء بقدرته ، و رفعها بحكمته ، و جعلها سقفاً محفوظاً بتدبيره ، و زيّنها بزينة الكواكب بعظمته... وهو الذى يمسكها أن تقع على الارض، ولما فيهامن آيات التوحيد وحكمة خالقها

قال الله عز و جل : « الذى جعل لكم الارض فراشاً و السماء بناء » البقرة : ٢٢)

وقال : « ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها » النازعات: ٢٧_ ٢٨)

وقال:« وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون»الانبياء:٣٢)

وقال:« إنازيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب » الصافات: ٦)

وقال :« ومن آياته أن تقوم السماء و الارض بأمره » الروم: ٢٥)

وقال: « ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه» الحج: ٦٥)

وقال: « والسماء بنيناها بأيدو إنالموسعون » الذاريات : ٤٧)

وقال: « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » ق: ٦)

وقال بعض أهل التأويل : ان الانسان الذى أمسك بعقله و استجاب لسلطانه هو إلى عالم السماء أقرب منه إلى عالم الارض ، انه الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم .

وماورد فى المقام فمن باب الجرى والانطباق .

٦- (والارض وماطحاها)

واقسم بالارض ومن بسطها وجعلها فراشاً ومهّدها للسكنى .

ان الله عز و جل أقسم بالارض ، وبذاته الذى خلقها و بسطها وسطحها و وضعها للأنام ، و هو الذى جعلها مهداً و ذلولاً و خاشعة وسلك فيها سبلاً و جعل الناس ينتفعون بما على ظهرها من نبات شتّى و أنواع حيوان و أنحاء جماد . . بريها و بحريها ، وبما فى باطنها من مختلف المعادن و أنواع المنابع، و جعل فيها رواسى و أنهاراً ، و من كل الثمرات ، و جعل فيها قطع متجاورات ، يختلف بعضها بعضاً فى الزرع و الاكل و الآثار . . وأنبت الانسان منها و منها يخرجه و فيها يعيده .

وفى ذلك كله أدلة واضحة على توحيد خالقها و كمال علمه ، على عظمة صانعها و تمام تدبيره ، و على غاية حكمة بارئها و نهاية رحمته على عباده . . .

قال الله عز و جل : « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير

صنوان يسقى بماء واحد، نفضّل بعضها على بعضها فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد: ٣ـ٤)

وقال: « والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » الحجر: ١٩ـ ٢٠)

وقال: « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و ارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها خلقناكم و فيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » طه: ٥٣ـ ٥٥)

و قال: « الذى جعل لكم الارض مهداً و جعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون والذى نزّل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون » الزخرف: ١٠ـ١١)

وقال: « وفى الارض آيات للموقنين ـ والارض فرشناها فنعم الماهدون » الذاريات: ٢٠ـ٤٨)

وقال: « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » يس: ٣٦)

وقال: « والارض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل و الأكمام » الرحمن: ١٠ـ ١١)

وقال: « هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه وإليه النشور » الملك: ١٥)

وقال: « والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها و يخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » نوح: ١٧ـ ٢٠)

وقال: « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ـ وإلى الارض كيف سطحت »

الغاشية : ١٧-٢٠)

وقال: «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج بهزرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى لاولى الألباب» الزمر: ٢١)

و قال: «و من آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير» فصلت: ٣٩)

و قال: «أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً و جعل لها رواسى و جعل بين البحرين حاجزاً ء إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون» النمل: ٦١)

وقال: «أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعراء: ٧-٨)

وقال: «وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكّرون» النحل: ١٣)

وأما التأويل: فقيل: ان الارض هو الانسان الذى زهد فى عقله، وأسلم زمامه لهواه، فكان بعضاً من هذه الارض، فردّ إلى أسفل السافلين.

وما ورد فى الباب فمن باب الانطباق.

٧- (ونفس وماسواها)

واقسم بكل نفس من النفوس الانسانية، و بمن خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة وجعلها قابلة للحق والباطل..

ان الله تعالى أقسم بالنفس الانسانية فى مدى الأزمان النفس التى جعلها الله عزوجل مستعدة لاكتساب الخير والشر، للتميز بين الحق والباطل، و للسلوك فى طريق الصلاح والفساد، طريق السعادة و الشقاء، و طريق النجاة و الهلاك، و

الفلاح والخسران ...

وتنكير النفس للتكثير باعتبار إمتداد النفس الانسانية فى إمتدادالأزمان، أولمجهولية كنهها.

قال الله تعالى :« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم: ٣٠)

وقال :« وهدیناه النجدين » البلد : ١٠)

وقال :« الذى خلقك فسوٰك فعدلك فى أىّ صورة ماشاء ركبك»الانفطار: ٧ـ ٨)

و هذه النفس هى التى يسميها الحكماء بالنفس الناطقة ، و هذه التسوية فعل وقع من جانب الله جل و علا فى محل قابل لفيضان الروح بعد تردده فى أطوار الخلقة بالتسوية و التعديل ، و كما أن القابل للصورة النارية لايمكن أن يكون جسماً يابساً محضاً كالتراب والحجر ، و لارطباً محضاً كالماء و الشجر الرطب ، بل لابد لقبولها من مادية دخانية تحدث من نبات يابس لطيف ، فتشبث به النار و تشتعل فيه كذلك الطين ، بعدأن أنشأه الله عز و جل خلقاً بعد خلق فـى أطوار متعاقبة يصير نباتاً ، فيأكله الآدمى فيصير دماً، فينزع القوة المميزة المركوزة فى كل حيوان من الدم صفوه الذى هوأقرب إلى الاعتدال، وأبعدمن الكثرة والتضاد، فيصير نطفة يقبلها الرحم ويمتزج بهامنى المرأة فيزداد إعتدالاً .

ثم ينضجها الرحم بحرارته فيزداد تناسباً حتى ينتهى فى الصفا ، و استوى نسبة الأجزاء إلى غاية يستعدلقبول النفس وإمساكها كمايستعد الفتيلة الممتزجة بالدهن لقبول النارية و إمساكها ، ثم هذه النفس الآدمية كأنها نطفة روحانية وقعت من صلب القضاء فى مشيمة البدن ورحم الدنيا ، يحتاج إلى تصفية و تعديل الأخلاق والملكات النفسانية بادهان المعارف ولبوب الأغذية العلمية لتصير مادة لفيضان الروح الالهى المنفوخ باذن الله فى قلب العقل الهيولانى بعدتطوره بالأطوار

الملكية ، والتسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لمادة خلقة الانسان في الاطوار السالكة بها إلى صفة الاستواء صورة ومعنى .

فالتسوية تسويتان : باحداهما يحصل الانسان البشرى لأجل فيضان النفس عليه ، وبالاخرى يحصل الانسان الملكى بواسطة فيضان الروح الالهى على نفسه، فالتسوية الاولى للبدن و الثانية للنفس كما قال : «و نفس و ماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها» و قوله أيضاً مشيراً إلى مبادى أطوار الخلقة و نهايات كما لها «الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سوّاه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والابصار و الافئدة» السجدة: ٧ ـ ٩)

وهذه التسوية المذكورة ههنا هى التى وقعت من فعل الله جل وعلا بعد خلق الانسان ونسله ، و هذا الروح المنفوخ المضاف إلى الله تعالى هو الروح الأمرى الذى من عالم الأمر لا النفس التى وقع فيه الاشتراك لجميع الناس وقوله :« وجعل لكم» على سبيل الخطاب لجماعة مخصوصين من هذه الامة المرحومة دالّ على أن المراد بهذا السمع والبصر و الأفئدة ماهى المخصوصة بأهل الفضل والكمال ، لا الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، فهم ممن ليس لهم سمع عقلى و لابصر باطنى ، ولافؤاد نورانى ، فيظهر من هذا ان المراد من الروح العلوى الالهى لا البشرى النفسانى .

٨- (فألهمها فجورها و تقواها)

فألهم الله جل و علا كل نفس إنسانى الفجور والتقوى و عرّفها حالهما إذ أودع فيها قابلية الفجور والتقوى ، وأقدرها لاتيان الخير والشر ، ومكنها للهدى والضلال ، وجعل فيها قوّة التمييز والاختيار والسلوك بحيث تميّز الرشد من الغى ويتبيّن لها الصلاح من الفساد ...

ان التقوى والفجور من صفات الانسان دون الحيوان، وان الفجور : مايكون

سبباً في الخيبة والخسران و الهلكة والنيران ، والتقوى : إتيان مايحفظ النفس من سوء العاقبة .

ان الله عز و جل وهب الانسان العقل و القدرة و الاختيار و الارادة ، و بين له الخير و الحق و الرشاد و أمره به ، و بيّن له الشر و الباطل و الضلال و نهاه عنه ، فمن أطاع أصاب سبيل السلامة ، و من عصى فعليه عاقبة معصيته .

قال الله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

وقال : « إن علينا للهدى » الليل: ١٢)

و قال : « و أما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » فصلت: ١٧)

وقال : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذهداهم حتى يبيّن لهم مايتقون » التوبة : ١١٥)

وقال : « فمن تبع هداى فلا يضلّ ولايشقى » طه: ١٢٣)

٩- (قدأفلح من زكاها)

قدأفلح من زكّى نفسه بالايمان وصالح الأعمال ، والائتمار بأوامر الله جل و علا، والانتهاء عن نواهيه، وطهّر وخلّصها من تراب الارض وحب الدنيا ومتاعها ، و أطلق روحه من أسر المادة و الشهوة و النزوة ، فحلّقت به في عالم الحق و النور ، في عالم الهدى والرشاد ، و طهّرها من الميل إلى الكفر و الرغبة في المعاصي .

و قد اشير في القرآن الكريم إلى أسباب عديدة لحصول الفلاح منها : الايمان والثبات عليه ، واتباع الهدى والطاعة و التولي بولاية أهل بيت النبوة و التوبة والتقوى والصبر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى وذكر الله عز و جل و شكر النعم الالهية ، وخشيته ، وفعل الخير و صالح

الاعمال ابتغاء لوجه الله جل وعلا ، و الاجتناب عن البخل و المحارم كلها . . . و بالجملة ثقل الميزان بصالح الاعمال يوم القيامة .

قال الله تعالى: « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون ـ و الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون» المؤمنون: ١ ـ ٩)

و قال : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون » البقرة: ٢ ـ ٥)

وقال : « ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ـ ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» آل عمران : ١٠٤ ـ ٢٠٠)

و قال : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ـ ياأيها الذين إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة: ٣٥ ـ ٩٠)

و قال : « فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ـ فالذين آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون » الاعراف : ٦٩ ـ ١٥٧)

وقال : « ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » الحج : ٧٧)

وقال : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ـ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا و اولئك

هم المفلحون » النور : ٣١- ٥١)

وقال:« فاثبتوا واذ كروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» الانفال : ٤٥)

وقال : « فأمامن تاب و آمن و عمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين » القصص: ٦٧)

وقال :« فآت ذاالقربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون » الروم : ٣٨)

وقال:« ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » الحشر: ٩)

و قال : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون » الاعراف : ٨)

١٠- (وقدخاب من دساها)

وقد خسر خسراناً مبيناً ، وحرم من الكمال والسعادة ، ومن الفلاح والنجاة من أفسد نفسه باتباعه هواها، فأطفأ نور إستعدادها لاكتساب الخير والهدى بالرغبة في الشر والضلالة ، وأفسد قابليتها للرقى والنيل إلى الكمال الانساني، والصعود إلى أوج الشرف وعالم النور بالكفر و الطغيان ، و أفجرها بالجرم والعصيان ، و أنقصها بالظلم و البهتان ، و أخفى محلها و صدها عن طريق الحق و سبيل الرشاد . . .

قال الله تعالى :« وخاب كل جبار عنيد » إبراهيم: ١٥)

و قال : « و قد خاب من افترى - و قد خاب من حمل ظلماً » طه : ٦١ - ١١١)

و قال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » آل عمران : ١٢٧)

وقال :« قدجاء كم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها »الا- نعام : ١٠٤)

وقال: « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» يونس : ١٠٨)

وقال : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » فصلت: ٤٦)

وقال: « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » يونس: ٢٣)

وقال: « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون» الانعام : ١٢)

وقال: « ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم» الاعراف: ٩)

وقال: « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » البقرة : ١٣٠)

١١- (كذبت ثمود بطغواها)

كذبت قبيلة ثمود : قوم صالح النبي عليه السلام نبيهم فكفروا به وكذبوا بوعده ووعيده بسبب إستكبارهم وطغيانهم، وبغيهم وتمردهم وإتباعهم عن الهوى .

قال الله تعالى: « وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره- قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون » الاعراف : ٧٣- ٧٦)

وقال: « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » فصلت : ١٧)

و قال : « كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه » القمر : ٢٣- ٢٤)

١٢- (اذانبعث أشقاها)

كان تكذيب قبيلة ثمود و غاية طغيانها و عنادها حين نهض أشقاها لعقر الناقة إذ نادوه وبعثوه لهذه الجريمة ، فأسرع إلى عقرها بتحريك قومه ، و لذلك نسب العقر إلى جميعهم ، فاشتركوه في العذاب .

قال الله تعالى: « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر» القمر: ٢٩)

وقال: « فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم » الاعراف : ٧٧)

وقال: « وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها » هود: ٦٤- ٦٥)

١٣- (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)

فقال صالح النبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقومه: ثمود: ياقوم! إحذروا ناقة الله تعالى هذه فانها معجزة تدل على نبوتي، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء بأن تعرّضوا لها بقتلها وايذاءها، ولا تعتدوا عليها في نصيبها من الشرب بأن تمنعوها عن نوبتها في شرب الماء، فان لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم وذلك انهم لما اقترحوا الناقة وأخرجها الله عز وجل لهم من الصخرة الصمّاء بينة، جعل لهم شرب يوم اختصهم به في يومهم، ولها شرب يوم مكان ذلك إختصّها به في يومها.

قال الله جل وعلا: « قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب » هود: ٦٣- ٦٤)

وقال: « إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون - قالوا إنما أنت من المسحّرين ما أنت إلاّ بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم» الشعراء: ١٤٢- ١٥٦)

وقال: « إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر» القمر: ٢٧- ٢٨)

١٤- (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

فكذّب قوم ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام في قوله لهم: « انكم تعذّبون إن عقرتم ناقة الله» فعقروها قدار بن سالف بأن قطع قوائمه بالسيف بتحريك قومه الأشقياء إذ ناداه وبعثوه وحثوا عليه ورضوا بفعله، فاستحقوا العذاب ببغيهم و طغيانهم، و

جرمهم و جنايتهم ، فأطبق عليهم العذاب السماوى بالصاعقة و الأرضى بالرجفة ، فسوّى القبيلة فى العقوبة ، فلم يفلت منها أحد، بل أخذبها كبيرهم و صغيرهم ، و ذكرهم وانثاهم ، وسوّى أرضهم ودمّر مساكنهم على ساكنيها ، فعمهم العذاب كالشيء الذى يلطخ به من جميع الجوانب كالمذبوح الملطخ فى الدم ، فلم يبق لهم و لا لديارهم أثر عليهم كأن لم يكن عليها شيء .

قال الله عز وجل :« فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين » الاعراف: ٧٧ـ ٧٨)

وقال :« فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجّينا صالحاً و الذين آمنوا معه برحمة مناو من خزيء يومئذ ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها » هود: ٦٥ـ ٦٨)

وقال :« فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمّرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون » النمل: ٥١ـ ٥٢)

وقال : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون» فصلت: ١٧)

وقال :« إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »القمر:٣١)

١٥- (ولا يخاف عقباها)

ولا يخاف الله عز وجل عاقبة إهلاك قوم ثمود المجرمين

ان الله تعالى أهلك الجبابرة المجرمين ، و المستكبرة المستبدين من قوم ثمود من غير أن يخاف عن تبعة إهلاكهم لانه جل و علا لم يظلمهم فيخيفه الحق و انه سبحانه لا يظلم أحداً من غير إستحقاق

قال الله تعالى :« وما كنا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون» القصص: ٥٩)

وقال: « وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها » الاسراء: ٥٩)

وقال:« فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون»النمل:٥٢)

وقال:« هل يهلك إلاّ القوم الظالمون » الانعام : ٤٧)

وليس هو جل و علا ضعيفاً حتى يناله منهم مكروه ولا يقدر أحد على معارضته والانتقام منه ، بل عذّبهم بما استحقوا من العذاب والهلاك والدمار بسبب جرمهم و جنايتهم، و ببغيهم و طغيانهم وإستكبارهم ...

«فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » الانبياء: ٢٣)

****
****

جملة المعانی

٦٠٤٤- (والشمس وضحاها)

اقسم بالشمس وضوئها .

٦٠٤٥- (والقمر اذا تلاها)

واقسم بالقمر حين يتلو الشمس ويتبعها .

٦٠٤٦- (والنهار اذاجلاها)

واقسم بالنهار إذاتجلّى ، وأتم وضوحه بزوال ظلمة الليل .

٦٠٤٧- (والليل اذا يغشاها)

واقسم بالليل إذايغطى الارض بظلمته حين غيبوبة الشمس فتظلم الآفاق ...

٦٠٤٨- (والسماء ومابناها)

واقسم بالسماء ومن خلقها وجعلها سقفاً محفوظاً .

٦٠٤٩- (والارض وماطحاها)

واقسم بالارض ومن بسطها وجعلها فراشاً ومهّدها للسكنى .

٦٠٥٠- (ونفس وماسواها)

واقسم بالنفس الانسانية ومن خلقها سوية مستقيمة على الفطرة وجعلهاقابلة لاكتساب الخير والشر ...

٦٠٥١- (فألهمها فجورها وتقواها)

فالهم الله عز و جل كل نفس إنسانى فجورها و تقواها إذ عرّفها

حالهما و أقدرها على إتيان ما فيه فجورها و تقواها باختيارها من غير جبر .

٦٠٥٢- (قد أفلح من زكاها)

قد أفلح وفاز بما يليق للنفس الانسانية من الكمال والسعادة من زكّى نفسه بالايمان و التزم بلوازمه ...

٦٠٥٣- (وقد خاب من دساها)

وقد حرم من الكمال والسعادة من اتبع هواه فاطفأ نور إستعداد نفسه لهما .

٦٠٥٤- (كذبت ثمود بطغواها)

كذّبت قبيلة ثمود بينهم صالحاً عليه السلام بسبب طغيانهم وإستكبارهم .

٦٠٥٥- (اذانبعث أشقاها)

كان تكذيبهم وطغيانهم حين نهض أشقاهم لعقر الناقة وحثّوه عليه .

٦٠٥٦- (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)

فقال لقوم ثمود رسول الله صالح عليه السلام : ياقوم ! إحذروا ناقة الله جل و علا و ذروا سقياها .

٦٠٥٧- (فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

فكذّب قوم ثمود صالحاً في وعيده ، فقطعوا قوائمة ناقة الله تعالى ، فأطبق عليهم ربهم العذاب السماوى والارضى بسبب جرمهم وجنايتهم، فسوّى الله تعالى أرضهم عليهم ، ودمّر مساكنهم على ساكنيها .

٦٠٥٨- (ولا يخاف عقباها)

ولا يخاف الله عز وجل عاقبة إهلاك وقوم ثمود المجرمين .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن قول الله: « والشمس و ضحاها » قال : « الشمس » رسول الله أوضح الله به للناس دينهم ، قلت:« والقمر إذا تلاها » قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام قلت:«والليل إذا يغشاها» قال: ذلك الأئمة الفجور الذين إستبدلوا بالأمر دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسوا مجلساً كان آل رسول الله أولى به منهم ، فغشوا دين رسول الله بالظلم والجور وهو قوله : «والليل إذا يغشاها»

قال: يغشى ظلمهم ضوء النهار قلت:« والنهار إذا جلاّها » قال : ذلك الامام من ذرية فاطمة يسئل عن دين رسول الله فيجلّيه لمن يسئله ، فحكى الله قوله فقال: « والنهار إذا جلاّها ونفس و ماسواها » : خلقها و صوّرها « فألهمها فجورها و تقواها » : عرّفها وألهمها ثم خيّرها ، فاختارت :« قد أفلح من زكاها »: طهّر نفسه « وقد خاب من دسّاها » أي أغواها .

أقول: رواه الكليني في روضة الكافي، والمجلسي في البحار ، والحويزي في نور الثقلين ، و البحراني في البرهان .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن إبن عباس في قول الله تعالى:« والشمس وضحاها » قال: هو رسول الله ، و« القمر إذا تلاها » قال : هو علي بن أبيطالب، «والنهار إذا جلاّها» قال: الحسن والحسين« والليل إذا يغشاها»

قال: بنوامية .

ثم قال الحاكم: و ورد في الباب عن الباقر و الصادق و عكرمة في طرق

وفي تفسيرفرات الكوفي:عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز و جل: «والشمس وضحاها» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والقمر إذاتلاها » يعني أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام « و النهار إذا جلاّها » يعني الأئمة منا أهل البيت . . . الحديث .

وفيه:المعين لهم كمعين موسى على فرعون ، والمعين عليهم كمعين فرعون على موسى .

وفي تفسير البرهان بالاسناد عن إبن عباس في قول الله عزوجل:« والشمس وضحاها » قال: هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم «والقمر إذاتلاها » قال: على بن أبيطالب « والنهار إذاجلاها » الحسن و الحسين «والليل إذايغشاها » بنوامية .

ثم قال إبن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثني الله نبياً فأتيت به بني امية ، فقلت: يابني امية اني رسول الله إليكم قالوا : كذبت ماأنت برسول ثم أتيت بني هاشم، فقلت : اني رسول الله إليكم ، فآمن بي على بن أبيطالب سراً و جهراً وحماني أبوطالب جهراً وآمن بي سراً ، ثم بعث الله جبرئيل عليه السلام بلوائه ، فركزه في بني هاشم و بعث إبليس لوائه، فركزه في بني امية فلا يزالون أعدائنا وشيعتهم أعداء شيعتنا إلى يوم القيامة .

وفيه: بالاسناد عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثلي فيكم مثل الشمس ومثل عليّ مثل القمر ، فاذاغابت الشمس فاهتدوا بالقمر .

قال الله تعالى في إشراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً » الاحزاب : ٤٥-٤٦)

وفي تفسير الفرات : - في حديث - قال الحارث الأعور للحسين بن علي عليهما السلام: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله في كتابه المبين: « والشمس وضحيها»؟ قال : و يحك ياحارث ذلك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت : قوله : « و القمر إذا تلاها » ؟ قال : ذلك أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام يتلو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ... الخبر .

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان تعالى الله عليه عن إبن عباس: سئلت هند عائشة أن تسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعبير رؤيا، فقال : قولي لها: فلتقص رؤياها ، فقالت: رأيت كأن الشمس قد طلعت من فوقي ، والقمر قد خرج من مخرجي ، و كأن كوكباً خرج من القمر أسود. فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها ، فاسودّ الافق لابتلاعها، ثم رأيت كواكب بدت من السماء ، و كواكب مسودّة في الارض إلاّ ان المسودّة أحاطت بافق الارض من كل مكان .

فاكتحلت عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدموعه ، ثم قال : هي هند اخرجي ياعدوّة الله - مرتين - فقد جددت عليّ أحزاني ، و نعيت إليّ أحبابي ، فلما خرجت قال: اللهم العنها و العن نسلها .

فسئل عن تفسيرها فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أما الشمس التي طلعت عليها فعلي بن أبي طالب عليه السلام و الكواكب الذي خرج كالقمر أسود فهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله و تلك الظلمة التي زعمت ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّت فذلك إبني الحسين عليه السلام يقتله إبن معاوية فتسودّ الشمس و يظلم الافق ، وأما الكواكب السود في الارض أحاطت بالارض من كل مكان فتلك بنو امية .

و في تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - « و نفس وماسوّاها » قال: خلقها و صوّرها « فألهمها فجورها و تقواها » أي عرفها وألهمها ثم خيرها فاختارت .

و فی اصول الكافی : باسناده عن حمزة بن محمد الطيار عن أبی عبدالله عليه السلام -فی حديث- فی قوله عزوجل: « فألهمها فجورها و تقواها » قال: بيّن لها ماتأتی و ماتترك.

وفی رواية : قرأ رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم : « فألهمها فجورها وتقواها » قال : اللهم آت نفسی تقواها و زكّها أنت خير من زكّاها أنت و ليّها ومولاها.

وفی رواية: عن إبن عباس ان النبی صلی الله عليه و آله و سلم كان إذا قرأ هذه الاية : « فألهمها فجورها وتقواها » رفع صوته بها. وقال: « اللهم آت نفسی تقواها أنت وليها ومولاها وأنت خير من زكّاها »

وفی المجمع: وجائت الرواية عن سعيد بن أبی هلال قال: كان رسول الله إذا قرأ هذه الاية : « قدأفلح من زكاها » وقف ثم قال: اللهم آت نفسی تقواها أنت وليّها ومولاها وزكها وأنت خير من زكاها.

وفيه: وروی زرارة وحمران ومحمد بن سلم عن أبی جعفر وأبی عبدالله عليهما السلام فی قوله: « فالهمها فجورها وتقواها » قال: بيّن لها ما تأتی وما تترك ، و فی قوله : «قدأفلح من زكاها » قال: قدأفلح من أطاع « وقد خاب من دسّاها » قال: قد خاب من عصی.

و فی صحيح مسلم :عن أبی الأسود الدؤلی قال : قال لی عمران بن حصين: أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشیء قضی و مضی عليهم من قدر ما سبق ؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم نبيهم و ثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت : بل شیء قضی عليهم و مضی عليهم ، قال : فقال : أفلا يكون ظلماً قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً ، وقلت : كل شیء خلق الله و ملك يده ، فلا يسئل عمايفعل و هم يسئلون ، فقال لی : يرحمك الله ! انی لم أرد بما سئلتك إلاّ لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم فقالا !

يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم و يكدحون فيه، أشيء قضى عليهم و مضى فيهم من قدر قد سبق ؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عزوجل: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها».

قوله: «لأحزر» أي لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك.

وقد ورد صحيحاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه كما تولد البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ؟»

وفي رواية: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقول الله عزوجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم.

وفي رواية: عن عائشة انها فقدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها.

وفي رواية: عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم إني أعوذبك من العجز و الكسل والهرم و الجبن و البخل و عذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، و زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها و مولاها، اللهم إني أعوذبك من قلب لايخشع و من نفس لاتشبع و علم لاينفع و دعوة لايستجاب لها» قال زيد: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا هن و نحن نعلمكمن هن.

و في الدر المنثور: عن عمران بن حصين أن رجلاً قال: يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم، و يكدحون فيه شيء قد قضى عليهم و مضى عليهم في قدر قد سبق؟ أو فيما يستقبلون به نبيّهم و اتخذت عليهم به الحجة؟ قال: بل شيء

قضى عليهم ، قال: فلم يعملون إذاً ؟ قال : من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين هيّأه لعملها و تصديق ذلك فی کتاب الله : « و نفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها » .

قوله : « أوفيما يستقبلون . . . » ان الظاهر منه أن الهمزة فيه للاستفهام ، و الواو للعطف ، والمعنى: وهل في طاعتهم لنبيهم قضاء من الله و قدر قد سبق ؟ وقوله : «فلم يعملون إذاً» أی فما معنی عملهم و إستناد العمل إليهم ؟

وقوله ﷺ : « من كان الله... » أی ان وجوب صدور الفعل حسنة أو سيئة منهم بالنظر إلى القضاء والقدر السابقين لا ينافی إمكان صدوره بالنظر إلى الانسان و اختياره .

و فيه: عن إبن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قد أفلح من زكّاها... » أی أفلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس خيّبها الله من كل خير .

ولا يخفى : ان إنتساب التزكية و التخييب إلى الله جل و علا بوجه لا ينافی إنتسابهما بالطاعة و المعصية إلى الانسان ، و إنما ينتسب إلى الله عز و جل من الاضلال ما كان على طريق المجازاة كما قال : « و ما يضلّ به إلاّ الفاسقين » البقرة : ٢٦)

و فی تفسير القمی : باسناده عن محمد بن علی عن أبی عبدالله عليه السلام فی قوله: « قد أفلح من زكّاها » قال: أمير المؤمنين عليه السلام زكاه ربه « وقد خاب من دساها » قال: هو الاول والثانی فی بيعته إياه حيث مسح على كفه .

أقول: ان الامام عليه السلام بيّن أظهر مصاديق تزكية النفس وتدسيسها ، و هو ظاهر لمن له أدنى مسكة و إنصاف .

وفيه: و فی رواية أبی الجارود عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله: « كذبت ثمود بطغواها » يقول : الطغيان حملها على التكذيب . وقال على بن إبراهيم فی قوله :

« كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها» قال: الذى عقر الناقة وقوله : « فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها » قال: أخذهم بغتة وغفلة بالليل . « ولايخاف عقباها» قال: من بعد هؤلاء الذين أهلكناهم لايخافون .

وفى مناقب ابن شهر آشوب :قدس سره : عن سعيد بن المسيب كان على عليه السلام يقرأ إذا انبعث أشقاها فوالذى نفسى بيده لتخضبن هذه من هذا .

و فى تفسير ابن كثير الدمشقى :فى قوله تعالى: « فنادوا اصاحبهم فتعاطى فعقر» الآية و كان هذا الرجل عزيزاً فيهم ، شريفاً فى قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً كما قال الامام أحمد: حدثنا إبن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبدالله بن زمعة قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الناقة و ذكر الذى عقرها فقال : « إذا انبعث أشقاها » : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه مثل أبى زمعة .

وفى الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى عن علىّ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « أتدرى من أشقى الأولين » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، قال : عاقر الناقة ، قال : أتدرى من أشقى الآخرين ؟ قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: قاتلك .

وفى المجمع: والأشقى : عاقر الناقة وهو أشقى الأولين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه قدار بن سالف قال الشاعر وهو عدى بن زيد :

فمن يهدى أخاً لذناب لوّ　　فأرشوه فان الله جار

و لكن أهلكت لوّ كثيراً　　وقبل اليوم عالجها قدار

يعنى حين نزل بها العذاب . فقال لوّ فعلت ، وقد صحّت الرواية بالاسناد عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبيطالب عليه السلام : من أشقى الأولين ؟ قال: عاقر الناقة ، قال : صدقت ، فمن أشقى الآخرين ؟ قال: قلت: لاأعلم يارسول الله قال: الذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا فوخه » اليافوخ : الموضع الذى يتحرك من رأس

الطفل .

وفيه: وعن عمار ابن ياسر قال : كنت أنا وعلى بن أبيطالب عليه السلام فى غزوة العسرة نائمين فى صور من النخل ، ودقعاء من التراب ، فوالله ماأهبّنا إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحر كنا برجله ، و قد تترّبنا من تلك الدقعاء فقال : ألا احدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال : احيمر ثمود الذى عقر الناقة ، و الذى يضربك بالسيف ياعليّ على هذه ووضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه و أخذ بلحيته . و قيل : ان عاقر الناقة كان أشقر أزرق قصيراً ملتزق الخلق .

وفى البرهان: إبن عباس قال : عبدالرحمن بن ملجم من ولدقدار عاقر ناقة صالح و قصتهما واحدة لأن قدار عشق إمرأة يقال لها: رباب كما عشق إبن ملجم قطام .

وفيه: وفى الحديث : قال له ـ لابن ملجم ـ أمير المؤمنين عليه السلام : هل أخبرتك امك انها حملت بك وهى طامث؟ قال: نعم قال : بايع، فبايع ثم قال: خلّوا سبيله ، و قدسمعه وهويقول : لأضربن علياً بسيفى هذا .

وفى المناقب: لابن شهر آشوب رحمةالله تعالى عليه : أبو بكر مردويه فى فضائل أمير المؤمنين وأبو بكر الشيرازى فى نزول القرآن انه قال سعيد بن المسيب: كان عليّ يقرأ :«إذ انبعث أشقاها»قال: فوالذى نفسى بيده ليخضبن هذه من هذه و أشار بيده إلى لحيته ورأسه .

وفى الغيبة النعمانية: عن فرات بن أحنف عن الأصبغ بن نباتة قال :« سمعت أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول : « أيها الناس ! أنا أنف الايمان ، أنا أنف الهدى و عيناه، أيّها الناس ! لاتستوحشوا فى طريق الهدى لقلّة من يسلكه، إن الناس إجتمعوا على مائدة ، قليل شبعها ، كثير جوعها ، و الله المستعان ، و إنما يجمع الناس الرضا و الغضب ، أيها الناس إنما عقر ناقة صالح واحد .

فأصابهم الله بعذابه بالرضا لفعله ، و آية ذلك قوله عزّ و جل : « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر » و قال : « فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ولايخاف عقباها » ألا و من سئل عن قاتلى فزعم أنه مؤمن فقد قتلنى ، أيهاالناس من سلك الطريق ورد الماء ، ومن حاد عنه وقع فى التيه - ثم نزل - »



﴿ بحث فقهی ﴾

و يستظهر من قيد الظرف : « إذا » فی تلو القمر للشمس : « والقمر إذا تلاها » علی تعدد الآفاق ، و علی أن لکل افق حکماً خاصاً ، و كذلك القيد فی جانبی النهار و الليل ، و علی أن رؤية الهلال فی مملكة حجة علی أهلها وحدهم ، و إن اختلفت فيها الساعات . . . فأهل كل افق تابعون له فی الأوقات ، و أما فی رؤية الهلال فأهل المملكة الواحدة تابعون لها ، و ليست بحجة لغيرهم و إن كانوا من جيرانهم من الممالك . . . و يستدل بقوله تعالی : « و نفس وما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها » الشمس : ٧ـ٨) علی إباحتها إذالم توجد حجة علی حكمه بعد الفحص فی الشبهة الوجوبية والتحريمية لما :

فی اصول الكافی : باسناده عن حمزة بن محمد الطيار عن أبی عبدالله عليه السلام فی قول الله عزوجل : « وماكان الله ليضلّ قوماً بعدإذهداهم حتی يبيّن لهم مايتقون » قال: حتی يعرفهم مايرضيه ومايسخطه ، وقال : « فألهمها فجورها وتقواها » قال : بيّن لها ماتأتی و ما تترك ، و قال : « إنا هديناه السبيل إماشاكراً و إما كفوراً » قال: عرفناه إماآخذ و إما تارك ، و عن قوله : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمی علی الهدی » قال: عرفناهم ، فاستحبوا العمی علی الهدی وهم يعرفون . و فی رواية : بينالهم .

وفيه: باسناده عن إبن الطيار عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان الله إحتج على الناس بما آتاهم وعرفهم.

و غيرهما من الروايات الواردة التى تدل على الحكم باباحة ما إذا لم توجد حجة عليه بعد الفحص فى الشبهة الوجوبية والتحريمية.

****
****

﴿ بحث مذهبى ﴾

إعلم أن فى قوله تعالى : « و نفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » الشمس: ٧ـ١٠) ردّاً على الأشاعرة المجبرة الذين يزعمون ان الفجور والتقوى أمران خارجان عن إختيار المكلف ذاته، وإنما هما مفروضان عليه رغم إرادته ومساعيه فى هذه الحياة الدنيا ، فالفاجر عندهم من كتب له الفجور فلايستطيع غيرها، والمتقى من كتب له التقوى، فلايستطيع غيرها.

وهذا الزعم مردود بنفس الايات الكريمة فانها تفرض بأن الله جل و علا أودع فى الانسان قابلية الفجور والتقوى، وانهما من عمل العباد أنفسهم أى ان الفجور لازمة بسوء إختيارهم و أثر سيئات أعمالهم حيث أضافوها إلى أنفسهم كما أن التقوى لازمة لحسن إختيارهم وأثر أعمالهم الحسنة ، مع أنه لو كانت الفجور و التقوى من فعل الله سبحانه المباشرى أو التسبيبى من غير أن تكون لارادة العبد و إختياره الخاص مدخل فى تحصيلهما وإكتسابهما لم يكن موضع لمدح المتقى على تقواه ، ولامجال لتوجيه اللوم إلى الفجار .

كيف لا والله تعالى يقول: « ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧)

ويقول :« إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون» الاعراف: ٢٨)

فى التوحيد :قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : « قالوا ربناغلبت علينا شقوتنا» المؤمنون: ١٠٦) قال :« بأعمالهم شقوا » فهذا الحديث

الشريف إنما يؤكد على أن الشقاء أمر مكتسب من قبل العبد نفسه ، وليس أمراً مفروضاً عليه من قبل الله سبحانه حيث عدله وحكمته تعالى تأبى فرض الشر على أحد إطلاقاً .

قال الله عز وجل :« ثم السبيل يسّره» عبس: ٢٠)

أى ان الله تعالى إنما خلق العباد ليعبدوه وليختار واطاعته على معصيته وقال «وماخلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون» الذاريات: ٥٦) ومن ثم أقدرهم على كلا الأمرين ، ويسّر لهم طرق الامتثال لتكون إطاعتهم عن إختيار وعبادتهم عن رغبة ، وايمانهم عن إرادة ، وهكذا كانت منحة الاختيار لحمكة التكليف والاختبار إلاّ أن من العباد من يستغل هذه المنحة الالهية فى أغراض مخالفة، فيستعمل من قدرته وقواه فى اتجاه معاكس لغرضه .

فى الاحتجاج: - فى حديث الزنديق - سئل الامام أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: أخبرنى عن الله كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين ؟ قال : لو خلقهم مطيعين لم يكن ثواب لان الطاعة إذا لم تكن من فعلهم لم تكن جنة و لا نار لكنه تعالى خلقهم، فأمرهم ونهاهم ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إياه العقاب ، قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله ، والعمل الشر من العبد هو فعله ؟

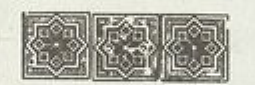
قال عليه السلام: العمل الصالح، العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشرّ، العبد يفعله والله عنه نهاه، قال : أليس فعله بالآلة التى ركّبها فيه؟ قال عليه السلام: نعم، ولكن بالآلة التى عمل بها الخير قدر بها على الشر الذى نهاه عنه . قال: فالى العبد من الأمر بشىء؟ قال عليه السلام ما نهاه الله عن شىء إلاّ وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره بشىء إلاّ وقد علم أنه يستطيع فعله لأنه ليس من صفته الجور و العبث والظلم و تكليف العباد مالا يطيقون. .. الحديث .

قوله:« بالآلة التى ركّبها فيه» وهى قدرته وإرادته ومشيئته .

وقوله عليه السلام: « ولكن بالآلة التي عمل بها الخير الخ» أي الآلة التي جعلها الله في العبد لايقتضي طرفاً من الفعل دون طرفه الآخر حتى يكون العبد مقهوراً لها و مجبوراً على الفعل بسببها ، فيستند الفعل إلى الله وينفى عن العبد، بل الآلة وهي قدرة العبد وإرادته يقتضي طرفي الفعل من الوجود والعدم ، ويمكن أن يستعملها في الخير و الشر، فتخصيص طرفي الفعل أو الخير و الشر بالوجود من العبد .

ان تسئل: كيف صحّ أن يلهمها ذلك، وهذا يدل بظاهره على أن الخير و الشر منه سبحانه ؟

تجيب عنه: ان معنى إلهام الخير و الشر للعباد إفهامهما و إعقالهما، وإن هذا حسن تثاب عليه، وهذا قبيح تعاقب عليه لقوله جل وعلا : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » أي أضلّها وأهلكها بالنقص والاخفاء بالفجور ، فقد جعله فاعل التزكية بالتقوى ، وفاعل التدسية بالنقص والاخفاء بالفجور .



«القرآن الكريم و الشمس»

قال الله عز وجل : « والشمس وضحاها » الشمس : ١)

الشمس هي : ذلك الكوكب المشتعل الذى يمدّ الارض بالضوء و الحرارة .

و قد جاءت كلمة الشمس فى القرآن الكريم نحو : ٣٣/ مرة فى عشرة امور :

أحدها ـ إن آية واحدة منها في خلقها كقول الله جل و علا : « و هو الذى خلق الليل و النهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون» الانبياء :٣٣)

ثانيها : ـ ان ثمان آيات منها في تسخيرها كقول الله تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات و الارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » الاعراف: ٥٤)

وقوله : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش و سخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبّر الامر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد : ٢)

و قوله : « و سخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار» إبراهيم : ٣٣)

و قوله :« وسخّر لكم الليل والنهار والشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » النحل: ١٢)

وقوله :« ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكون » العنكبوت : ٦١)

و قوله : « ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و سخّر الشمس و القمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير » لقمان : ٢٩)

وقوله : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخّر الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير » فاطر:١٣)

و قوله: « خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل و سخّر الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى ألاهو العزيز الغفار» الزمر: ٥)

كل ذلك حسب مقتضى الحال

ثالثها : ـ فى طلوعها وغروبها فى ضمن ثمان آيات ... :

قال الله عزوجل :« قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر » البقرة: ٢٥٨)

وقال:«فلما رآى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء ممايشركون » الانعام: ٧٨)

وقال:« أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً » الاسراء: ٧٨)

و قال : « و ترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و

إذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله - حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة و وجد عندها قوماً - حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً » الكهف : ١٧ و ٨٦ و ٩٠)

و قال : « فاصبر على ما يقولون و سبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من آناء الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى » طه : ١٣٠)

و قال :« فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل الغروب» ق : ٣٩)

رابعها - فى نورها وإضائتها فى ضمن ثلاث آيات ... :

قال الله عزوجل :« والشمس وضحاها» الشمس: ١)

وقال:« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً » نوح: ١٥- ١٦)

و قال :« هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون » يونس: ٥)

خامسها - فى جريانها فى مستقرها فى ضمن أربع آيات ... :

قال الله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لهاذلك تقدير العزيز العليم - لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار و كل فى فلك يسبحون» يس: ٣٨- ٤٠)

وقال :« الشمس والقمر بحسبان » الرحمن: ٥)

وقال :« فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساناً ذلك تقدير

العزيز العليم » الانعام: ٩٦)

سادسها - في سجدتها والسجدة والعبادة لها في ضمن أربع آيات ... :

قال الله عز و جل : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و من في الارض و الشمس و القمر والنجوم و الجبال و الشجر والدواب و كثير من الناس» الحج : ١٨)

وقال حكاية عن الهدهد :« وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » النمل : ٢٤)

وقال : « إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً و الشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » يوسف: ٤)

وقال :« لاتسجدوا للشمس ولاللقمر » فصلت : ٣٧)

سابعها - في كون الشمس آية من آيات الله عز و جل في ضمن آيتين . . . :

قال الله تعالى :« ومن آياته الليل و النهار والشمس والقمر » فصلت: ٣٧)

وقال:« ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » الفرقان : ٤٥)

ثامنها - في أشراط الساعة و الجمع بينها و بين القمر في ضمن آية واحدة :

قال الله عز وجل:« فاذا برق البصر وخسف القمر و جمع الشمس والقمر» القيامة : ٧ - ٩)

تاسعها - في تكوير الشمس عند وقوع الساعة في ضمن آية واحدة :

قال الله سبحانه: « إذا الشمس كوّرت » التكوير : ١)

عاشرها - في فقدها يوم القيامة في ضمن آية واحدة :

قال الله تعالى : « متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً»

الانسان : ١٣)

كل ذلك بحسب مقتضى الحال وما يناسب المقام ، و لايخفى على القارىء الخبير من إجتماع الأغراض فى بعض تلك الايات الكريمة، وإن اندرجنا فى غرض واحد فتامل جيداً واغتنم جداً.

****
****

﴿الشمس وخلقها﴾

قال الله تعالى: « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » الانبياء: ٣٣)

واعلم أن هذه الكريمة وحدها في القرآن الكريم تصرح بخلق الشمس من غير بيان كيفية الخلقة و كميتها لحكم إلهية لا يعلمها إلاّ الله عزوجل ورسوله و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وما وردت رواية صحيحة تصرح بها، ولذلك إختلفت كلمات العلماء وأصحاب الهيئة والفلاسفة والمتكلمين قديماً وحديثاً في ذلك من غير إبتنائها على أساس متقن ولا على أصل محكم، وليس لهم بذلك من علم، وإن هم إلاّ يخرصون.

في توحيد المفضل: قال: قال الصادق عليه السلام: فان قالوا: فلم يختلف فيه أي في ذاته تعالى وصفاته؟ قيل لهم: لقصر الأفهام عن مدى عظمته، وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته، وأنها تروم الاحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه، فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الاقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها:

فقال بعضهم: هي فلك أجوف مملوّ ناراً، له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع.

وقال آخرون: هي سحابة.

وقال آخرون: هي جسم زجاجيّ يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها.

وقال آخرون. هي صفو لطيف ينعقد من ماء بحر.

وقال آخرون: هي أجزاء كثيرة مجتمعة من النار .

وقال آخرون: هي من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع .

ثم إختلفوا في شكلها :

فقال بعضهم: هي بمنزلة صحيفة عريضة .

وقال آخرون: هي كالكرة المدحرجة .

و كذلك إختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الارض سواء .

وقال آخرون: بل هي أقل من ذلك .

وقال آخرون: بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة .

وقال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مأة وسبعون مرة ، ففي إختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، وإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و يدركها الحسّ قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها ، فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم ؟!

ان الشمس هي مركز مجموعنا الشمسي وهي إحدى النجوم السابحة في الفضاء التي يقدر عددها علماء النجوم حديثاً بأربعين مليوناً ، و هي غير الكواكب و السيارات والمذنبات، ان العلم الحديث يقول: ان الشمس كتلة ملتهبة محاطة بطبقة غازية في حالة إلتهاب. وهي مكونة من مواد تشبه المواد الأرضية وعند الخسوف ، فديري لهب يمتد حولها إلى نحو / ٣٠ ألف فرسخ .

وقد حسب مقدار الحرارة التي تأخذها الارض منها كل سنة ، فوجدت انها كافية لاذابة طبقة من الثلج مغطية لسطح الارض كلها بسمك (٣٠) متراً ، هذا ما تأخذ الأرض وحدها أما ما يتوزع منها في الفضاء إلى كل جهة فمما لا يقبل الحصر .

وان درجة الحرارة على سطح الشمس التي هي مصدر الحياة لهذا الكرة الأرضية هي: / ١٢٠٠٠ ه فاهرا نهايت . ويصل إلينا من هذه الحرارة ما يؤدّي إلى إستقرار الحياة على الأرض منذ ملايين سنة، وإذا تغيرت درجة الحرارة على سطح الارض

خلال السنة بمعدل: (٥٥٠) لانعدمت الحياة كلها وهلك الناس إما من شدة الحرارة أو من شدة البرودة.

ومن آثار الشمس الحرارة بالقرب، والبرودة بالبعد و يحصل و يحفظ بهما نظام أرضنا وحصول القرب والبعد بسبب كروية الارض و بالبرودة والحرارة تولد الرياح وتصرف شمالاً وجنوباً ليلاً و نهاراً في الفصول الاربعة على إختلاف فيها فيهما.

و ذلك ان الشمس عند خط الاستواء شديد الحرارة دائما فحينئذ يسخن الهواء. ومتى سخن علا في الجو، فيصل إلى منتهاه لشدة الحرارة بحيث لا يكون للهواء في الارض علو فوق علوه، ومتى وصل إلى نهاية العلو قابل الطبقة الباردة لانك تعلم أن زوايا إنعكاس الضوء تكون منفرجة كلما إرتفعنا إلى أعلى و تزيد إنفراجاً زاد البعد إمتداداً.

وهناك تزيد البرودة و تقل الحرارة تدريجاً بعكس طبقات الأرض، فانك كلما أوغلت فيها نقصت البرودة وازدادت الحرارة، فاذا وصل الهواء المرتفع إلى الطبقة الباردة إجتمع فصار سحاباً فأمطر، فالمطر هناك دائم لدوام التبخر، وهذا الهواء الذى إرتفع إلى أعلى إذا وصل إلى منتهاه أخذ يسير جهة الشمال وجهة الجنوب لأن هواء غيره يحل محله من اسفله لشدة الحرارة على الأرض والهواء الذى يحل محله آت من الشمال والجنوب، وهذا الهواء الجديد يتأثر سريعاً بالحرارة فيرتفع أيضاً، ويحل مكانه غيره وهكذا.

ولذلك تهب دائما نحو خط الاستواء رياح من الشمال الشرقى، ومن الجنوب الغربى تسمى الرياح المنتظمة أو الرياح التجارية وهذا الهواء المرتفع المتجه إلى الجنوب والشمال لا يزال يسير حتى يصل إلى درجة (٢٥) شمال وجنوب خط الاستواء فاذن يثقل و يهبط إلى الارض.

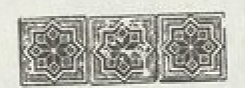
ومتى وصل سطحها لسعته الحرارة فارتفع ثانياً و ينقسم على قسمين:

أحدهما- يرجع إلى خط الاستواء.

ثانيهما - يذهب إلى جهة القطب ، فما يتجه جهة الاستواء يسمى بالرياح المنتظمة أو التجارية .

والتى تتجه إلى الجهة القطبية تسمى بالرياح المتغيرة أو التجارية الضدية، فاذا وصلت الرياح التجارية الضدية إلى الدائرة القطبية الشمالية ، والدائرة القطبية الجنوبية، فهناك يرتفع الهواء كما ارتفع عند خط الاستواء لانه يقابل الهواء البارد الآتى من ناحية القطبين .

فهذا الهواء البارد يحل محل ذلك الهواء الحار فيرتفع الحار ويحل محله الرياح القطبية الشمالية والرياح القطبية الجنوبية كل منهما فى مكانه، و كل هذه الرياح على قاعدة واحدة حرارة وبرودة، وذلك الحرارة والبرودة لبعد الشمس وقربها منا ، وان القرب والبعد لكروية الارض .



﴿ تسخير الشمس و جريانها ﴾

قال الله عزوجل: « وسخّر الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد: ٢)

فى تسخير الشمس والقمر وجوه:

منها- انهما يجريان على مايشاء ولما يشاء، فهما مسخران لاسلطان لهما و لافعل لهما من ذاتهما وجميعها من صنعة الخالق وحركاتهما و سكناتهما كلها بتقدير الله تعالى وبأمره، مسخران يرتبط النظام الكونى للكواكب والنجوم بعضه ببعض وتنتظمه حال واحدة وهى التسخير لقدرة الله عزوجل.

و منها- انهما ذوا خواص وآثار فى نفسهما من شأنهما أن يستقل كل واحد منهما على إثبات وحدانية الله تعالى فى ربوبيته جل و علا حيث ان إختلاف طلوعهما و غروبهما و إختلاف جريانهما ومسيرهما بحسب الحس من غير إختلال ولاتشوّش فى النظام الدقيق الذى لهما تدل على إمتناع ذلك من غير علم ولاخبرة من مدبّر لهما، فأجراهما للنظام الجارى فى العالم الأرضى لايتجاوزانه إلى الأجل المعين فى علمه وحكمته.

ومنها- ان الله جل وعلا سخّرهما للانسان لما فيهما من وسائل الحياة والمعاش ونواميس الكون.

و منها- التسخير هو التذليل و الاخضاع و الانقياد، فالله تعالى أخضعهما لسلطانه وأجراهما حسب أمره وتقديره، فأخضعهما لسنن وقوانين تحكمها وتضبط

موقفها بين المخلوقات بحيث يمكن الانسان إخضاع هذه المخلوقات والانتفاع بها إذا هو عرف القوانين الكونية الممسكة بها ، فسخّرهما تسخيراً منظماً لا يتخلف أبداً .

و منها- ان الأجسام متماثلة ، ومتى كان كذلك كان إختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر و التسخين الشديد والتدبيرات العجيبة فى العالم العلوى والسفلى لابدو أن يكون لاجل أن الفاعل الحكيم والمقدّر العليم خصّ ذلك الجسم بهذه الصفات ، فجسم كل واحد من الكواكب والنيّرات كالمسخّر فى قبول تلك القوى والخواص عن قدرة المدبّر الحكيم .

و منها -إن لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والنجوم سيراً خاصاً بطيئاً من المشرق إلى المغرب ، وسيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم، فالحق جل وعلا خصّ جرم الفلك الأعظم بقوّة زائدة على أجرام سائر الافلاك باعتبارها صارت مستولية عليها، قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الافلاك والكواكب صارت كالمسخّرة لهذا القهر والقسر .

ومنها -ان الله تعالى سخّرهما للانسان وله أن يصنع آلات و يرقى فى الاختراع والاكتشاف والابتكار ... فيدّخربها حرارة الشمس فلايحتاج إلى النفت ولاالكهرباء فى فصلى الصيف والشتاء ، ومنآت آلات اخرى للاستفادة من نورها وحرارتها فى شئون حياته وصنائعه وإختراعاته وفى سياراته وطياراته ... وأن يصنع آلات يقرب بها نور القمر من الارض، فلايحتاج إلى الكهرباء ليلاً، وأن يصنع مايدّخر به حرارة الصيف لفصل الشتاء ، وبرودة الشتاء لفصل الصيف ...

وأما حركة الشمس فكان الفلكى يقول إلى وقت قريب بسكون الشمس ، و ان السيارات تدور حولها ، وقد كان القرآن الكريم ينادى منذ ألف وأربعمأة سنة : «وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى» الرعد : ٢)

وكان الطالب فى المدارس المتوسطة يبقى حائراً لا يعلم هل يأخذ بقول الفلكى

فيقول بسكون الشمس أم بقول الله تعالى فى كتابه الذى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فصلت: ٤٢)

فيقول بحركة الشمس، فان كان مؤمناً حقاً خطأ نفسه فى فهم الوحى السماوى وماحاول التأويل. ولكن الحقايق التى بينها الله عز وجل إظهاراً لعظمته و جليل قدرته لاتماشى أهواء العلماء و أخطأهم انها ثابتة لاتغير فيها، نعم كان هذا التبلبل سائداً إلى زمن قريب حتى إذا تكاملت المجاهر وتقدمت العلوم الرياضية بفضل ماألهم الله عز وجل المشتغلين فى العلوم الرياضية العالية، فتقدم الميكانيك الرياضى و السماوى (Mecanique celeste) فاعترف العلم الحديث بحركة الشمس.

و أثبت الفلكيون ان الشمس متحركة بحركة خاصة بها و تجرى لمستقر لها بسرعة: (٧٢٠٠٠) كيلومتر فى الساعة على شكل حلزونى نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع أى انها تقطع مع سياراتها المنجذبة إليها فى الثانية الواحدة: (٢٠) كيلومتر، و لذلك يتغير مدار الارض من حين لآخر فى الفضاء و المحور هو الخط الواصل بين الشمس و النسر الواقع، فوصلوا إلى بعض الحقيقة التى نطق بها القرآن الكريم فى دور جاهلى ووسط جاهلى حيث لافيزياء ولافلك و لاميكانيك.

و اعترف العلم الحديث أن ليس هناك شيء ساكن و أن الثوابت (من النجوم) بالرغم مما اصطلح عليه، متحركة وتتحرك فى الفضاء بسرعة معينة، وأن سرعة البعض منها تبلغ مئات الكيلومترات فى الثانية، و ان الكواكب لبعدها عنا لانشاهد لها حركة، ولكن الشكل الظاهرى أو الصورة الظاهرية للسماء تتغير خلال كل مأة سنة، وهذا مما يدل على تأخر العلوم الطبيعية والرياضية عن الحقائق القرآنية.

فلاينبغى أن يتسرع الشاب المتعلم فى حكمه على الدين الاسلامى بقوله:

« ان بينه و بين معطيات العلم الحديث تنافياً» ذلك لان العلم الحديث ما هو إلا خصائص وقوانين أودعها الله عزوجل في مخلوقاته في هذا العالم ، وليس الدين إلا قوانين و نظماً أرسلها الله تعالى رحمة للعالمين .

فالمنبع واحد و المبدأ واحد، ولا يعقل التنافي مع وحدة المنبع الفياض، ثم إنا إن شاهدنا بعض الاختلاف بين بعض المظاهر الطبيعية والحقائق الدينية ما علينا إلا أن نتهم المشتغل في علم الطبيعة في إستنتاجه أو قلة عدد التجارب التي قام بها أو عدم الاحاطة بتمام الموضوع ، و ذلك لأن مشاهدة عدد قليل من النماذج في ظروف خاصة لا تعطي حكماً ثابتاً صحيحاً ، فاذا كانت العلوم المستندة على الرياضيات تتغيّر و تنفد من حين لآخر فكيف بالمشاهدات الطبيعية و ما يستنتج عنها .

وقد جاء في القرآن الكريم أكثر من ألف آية كونية تدل على عصارة ما توصل إليه العلم الحديث ، وما سيصل إليه في الأزمنة الآتية ، و قد قال إبن عباس تلميذ الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « ان في القرآن معان سيكشفها الزمن » .

ولم يكن العلم قبل الميلاد وبعده إلى القرون الوسطى مستنداً على التجربة و الاستقراء و الاستنتاج ، وإنما حجتهم فيما يدعون : نظرية الكمال ، دون تحقيق تجريبي ، مستندين في ذلك إلى قول العالم الكبير عندهم المسمى بـ (ماجستير) حين ان الامام علياً عليه السلام كان يقول : « في التجارب علم مستأنف »

وإن ما اكتشفه (كوبرنيك) و (كپلر) في القرن السابع عشر من ثبوت الشمس في محلها كان يخالف ماجاء في القرآن الكريم : من أن للشمس حركة خاصة بها ، حتى إذا تقدمت العلوم الرياضية العالية بما فيها المكانيك الرياضي ، و اخترعت مراقب كبيرة جداً ، علم قبل حوالي (٥٠) عاماً ، و ان الشمس مع كواكبها تسير في الفضاء على شكل لولبي أو حلزوني متجهة نحو نجمة

تسمى بالنسر الواقع بسرعة قدرها فى الساعة حوالى (٧٢٠) ألف كيلومتر، وقد ثبت علمياً قول الله عز وجل قبل أربعة عشر قرناً حين يقول: « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار و كل فى فلك يسبحون » يس: ٣٨: ٤٠)

و فى حركة الشمس و القمر فى نطاق دقيق محكم فيه منافع عظيمة للناس، وفى ذلك تنويه بالعقلاء والمتفكرين الذين تؤهلهم عقولهم ومداركهم وتفكيرهم لتدبر نواميس الله عز و جل فى كونه. وتفهمها ثم حث للسامعين والناس عامة فى كل وقت و مكان على تدبر هذه النواميس وتفهمها بكل وسيلة وطريقة. و للمفسرين فى قوله تعالى: « كل يجرى لأجل مسمى » قولان:

أحدهما ـ قال إبن عباس: للشمس مأة و ثمانون منزلاً، كل يوم لها منزل، وذلك يتمّ فى ستة أشهر، ثم إنها تعود مرة اخرى إلى واحد واحد منها فى ستة أشهر اخرى و كذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً.

ثانيهما ـ ان الشمس والقمر متحركان إلى يوم القيامة، و عنده تنقطع تلك الحركات... وعلى الاول فالمراد بمنازل الشمس فى أيام السنة مداراتها اليومية بحسب أجزاء مدارها الذى عليه طول السنة بحركتها الخاصة، فان ذلك المدار فى سطح منطقة البروج مقاطعاً لمنطقة معدّل النهار على نقطتى الاعتدالين، و كل جزئين من أجزائه شماليّين أو جنوبيّين هما متساويا البعد عن إحدى نقطتى الانقلابين، وبعد أحدهما عن إحدى نقطتى الاعتدالين كبعد الآخر عن الاخرى، فانهما متحدان فى المدار اليوميّ، فالشمس بحسب كونها فى أجزاء مدارها بحركتها الخاصة تعود بالحركة الشرقية فى الرابع الصيفيّ من أرباع السنة إلى مداراتها اليومية الربيعية، و فى الربع الشتوى إلى مداراتها اليومية الخريفيّة، ففى النصف الشتوىّ و الربيعىّ من السنة

تعود إلى مداراتها الخريفية والصيفية، و في النصف الصيفي و الخريفي إلى مداراتها الربيعية و الشتوية، فاحفظ بذلك فانه من بدائع الصنايع الالهية.

وقد اتفق المتأخرون من الهيويين: ان لجرم الشمس حركتين مع كونها مركزاً لأدوار أتباعها، فهي كاحدى ثوابت الكون يستقيم بها نظام مجذوباتها، فهي في أوسط هذا النظام كالمركز لأدوارها:

احداهما- حركة وضعية في حيزها على محور نفسها في خمسة و عشرين يوماً و نصف بالتقريب إكتشفوها في القرن السابع عشر من الميلاد، وقد اتفقوا الآن على هذه الحركة واستنبطوها من تحرك الفلك والبقع والشامات و العلامات المنكشفة على سطح الشمس كلها على نسق واحد من الغرب إلى الشرق في المدة المبينة.

ثانيهما- حركة إنتقالية في البعد البعيد والفضاء المديد تسير بنفسها و بجميع مجذوباتها الرابية في حجر شفقتها فهي تعدوا كالمرأة الهائمة في بيداء الجو ويعدوا خلفها أطفالها بلامأوى ولامثوى.

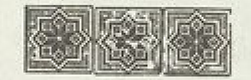
وقد اختلفت كلمات الهيويين في إستطالة هذه الحركة وإستدارتها وفي مركز دورها وفي جبهة الحركة وصوبها ساحبة من ورائها يصف سياراتها حول العوالم ...

و **قال بعض الأعلام:** ان في إسناد الحركة الشديدة المفهومة من لفظ التسخير والدؤاب في قوله تعالى: «وسخر لكم الشمس والقمر دائبين» إبراهيم:٣٣) إلى نفس الشمس والقمر دلالة على أنهما متحركان بأنفسهما في جو السماء.

وقال: ان قوله تعالى: «لاالشمس ينبغي أن تدرك القمر» ناظر إلى الحركة الانتقالية للشمس، وقوله عزوجل: «والشمس تجري لمستقر لها» ناظر إلى الحركة الوضعية لها، فالآيتان من سورة يس تشيران إلى حركتي الشمس: الوضعية و

والانتقاليةمعاً .

وقدقال الامام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام -فى خطبة - : «و الجوّ المكفوف الذى جعلته مغيظاً لليل و النهار و مجرى للشمس والقمر . . . » و هو ظاهر فى كون التحرك و الجريان لنفس الشمس و القمر .



﴿ طلوع الشمس وغروبها ﴾

قال الله جل وعلا: «ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي واميت قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر» البقرة: ٢٥٨)

فى توحيد المفضل: قال: قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل فى طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون فى معايشهم ويتصرّفون فى امورهم، والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه، والارب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب فى ذكره، والزيادة فى شرحه بل تأمّل المنفعة فى غروبها، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدؤ ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدؤ والراحة لسكون أبدانهم، وجموم حواسّهم، وإنبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء.

ثم كان الحرص سيحملهم من مداومة العمل ومطاولته على مايعظم نكايته فى أبدانهم، فانّ كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادّخار، ثم كانت الارض تستحمى (ستحمى خ) بدوام الشمس بضيائها (وضيائها خ) وتحمى كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدّرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا، فصار النور والظلمة مع

تضادّهما منقادين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا في إرتفاع الشمس و إنحطاطها لاقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة و مافي ذلك من التدبير والمصلحة ، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر و النبات ، فيتولد فيهما مواد الثمار، و يستكشف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر و تشتد أبدان الحيوان وتقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الأشجار ، ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتتحلل فضول الأبدان و يجف وجه الأرض فتهيأ للبناء والأعمال، و في الخريف يصفو الهواء ويرتفع الأمراض وتصح الأبدان و يمتد الليل و يمكن فيه بعض الأعمال لطوله. ويطيب الهواء فيه إلى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام .

فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثنى عشر لاقامة دور السنة ومافي ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة: الشتاء والربيع والصيف والخريف، ويستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار، وتنتهي إلى غاياتها، ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل ، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام و بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات الموقتة للديون والاجارات و المعاملات و غير ذلك من امورهم، و بمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الحصة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون ، فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لان الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق، فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب .

ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب ، فتشرق على ما استترعنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة

منها، والارب التي قدّرت له ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى الناس كيف هذه الامور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة، فصار تجري على مجاريها لا تعتلّ ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقائه؟. الحديث.

قوله عليه السلام: «دولتي النهار والليل» الدولة - بالفتح والضم - : إنقلاب الزمان، ودالت الأيام: دارت والله يداولها بين الناس، وهدء - كمنع - : سكن، ويقال: نكيت في العدوّ نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت، وجثم الانسان والطائر والنعام: لزم مكانه لم يبرح، والمراد جثومهم في الليل، والتظاهر: التعاون، ونوّر الشجر أي أخرج نوره. وحدم النار: شدة إحتراقها، والتقصّي: بلوغ أقصى الشيء ونهايته، والغابر: الباقي والماضي، والمراد هنا الثاني، وبزغت الشمس: شرقت أو البزوغ: إبتداء الطلوع، واعتل عليه بعلة: إذا اعتاقه عن أمر، وليلة داجية: مظلمة.

وفي الكافي: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: «يا صاحب الخير أتم وأبشر» وملك ينادي: «يا صاحب الشر أنزع واقصر» وملك ينادي: «أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً» وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك إشتعلت الارض.

قوله عليه السلام: «ينضحها» لعل النضح بالماء كناية عن بثّ الأجزاء المائية في الهواء بسبب الأنهار والآبار والبحار وغيرها... فلولاها لكان تأثير الحرارة في الهواء والارض والأبدان والأشجار والنبات أكثر وأكثر...

وفي التوحيد: باسناده عن أبي ذر الغفاري قال: كنت آخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتماشى جميعاً، فمازلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت، فقلت: يا رسول الله أين تغيب؟ قال: في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثم تقول: يا رب من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قوله عز و

جل: « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »

يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه ، قال: فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره من الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، قال: فتلبس تلك الحلّة كما يلبس أحد كم ثيابه ثم تنطلق بها في جوّ السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء و تؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: «إذا الشمس كوّرت وإذا النجوم إنكدرت» والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه، وإرتفاعه إلى السماء السابعة، ويسجد تحت العرش، وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسيّ، فذلك قوله عز وجل: « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً» قال أبو ذر رضوان الله تعالى عليه: ثم اعتزلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّينا المغرب .

أقول: ما يستظهر من هذا الخبر ونظائره، أنه مبني على التمثيل والاشارة إلى كيفية إنقياد الشمس والقمر لأمر الله جل وعلا ، وإلى أن ضوء الشمس يفاض عليها تدريجاً من مبدأ وجودي عال ومصدر رباني شريف هو العرش وهو حلة تلبسها كما يلبس الناس ثيابهم، وفيه إشارة إلى أن سائر الكائنات أيضاً تنال حظوظها الوجودية في كل آن من المبادىء العالية، وهي عارية عندهم تسترد عند حينونة أجلها، ويكفي لسلبها عدم الاعطاء في الآن الثاني كما أن الشمس والنجوم ستسلب ضوءها ولا تعطى حللها فتنكدر .

وأن الشمس في كل آن باعتبار إمكانها مسلوبة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها ، وإنما تكسب جميع ذلك من خالقها ومدبرها فهي في جميع الاوقات و الأزمان تحت عرش الرحمن وقدرته متحيرة في أمرها ساجدة خاضعة لربها .

ولعلّ السرّ في الفرق بين نور الشمس ونور القمر بكون الاول من العرش والثاني من نور الكرسي ان الواسطة في القمر أكثر بواحدة من الشمس هي هي كما

أن نور الكرسي من نور العرش فتفطن يبقى السؤال عن علة عدم بيان حقيقة حال الشمس والقمر في الطلوع والغروب وغيرهما من الأحوال، والجواب ان بيان حقيقة هذه الامور وايضاحها يتوقف على مقدمات علمية وشرائط ذهنية يتعذر التفهيم بدونها، ومن المعلوم عدم وجود تلك الشرائط في ذلك الزمان، وغرض النبي والأئمة عليهم السلام من بيان الامور التكوينية سوق الانسان إلى الجانب الربوبي و هدايته إلى معرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه بمعرفة آياته الآفاقية و الأنفسية ، وإلا فتعليم الطبيعيات والفلكيات مما هو خارج عن شأن النبي وأوصيائه عليهم السلام .

ولا يخفى ان الخبر و أمثاله من النوادر التي لا يعرفها إلا النوادر ، والله جل وعلا أعلم بحقائق الامور ...

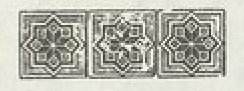
وفي الاحتجاج: عن هشام بن الحكم قال : سئل الزنديق أباعبدالله عليه السلام عن الشمس أين تغيب الشمس ؟ قال: إن بعض العلماء قال: إذا انحدرت أسفل القبة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها ، يعني انها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع ، ويسلب نورها كل يوم وتتجلل نوراً آخر، قال: فخلق النهار قبل الليل ؟ قال: نعم خلق النهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر و الارض قبل السماء .. الخبر .

في قوله عليه السلام : « صاعدة » إشارة إلى أن الشمس إذا غابت عن افق تطلع على افق آخر ،فتصعد إلى أن تصل إلى قمة رأس أهل الافق الاخر، وهي قمة القدم عند أهل الافق الاول ، وهكذا إلى أن تصل إلى المشرق الاول ، لعل تحيرها وإذنها كنايتان عن أنها مسخرة للرب متحركة بقدرته ، إذا شاء حركها. ومتى شاء سكنها ففي كل آن من آنات حركاتها في مطلع افق وطلوعها على قوم و غروبها عن افق باذن الله عزوجل وقدرته ، ولو شاء لجعلها ساكنة،ولما كان الباقي في البقاء محتاجاً إلى المؤثر فهي في كل آن باعتبار إمكانها مسلوبة النور و الصفات والجود بحسب

ذاتها ، وإنما تكتسب جميع ذلك من خالقها ومدبّرها فهى فى جميع الأوقات والأ-
زمان تحت عرش الرحمن وقدرته ، متحيّرة فى أمرها ، ساجدة خاضعة لربها ،
تسئله بلسان إمكانها وإفتقارها الاذن فى طلوعها وغروبها، وتكسى حلّة من نوره
تعالى ، والقائلون بتجدّد الأمثال يمكنهم التمسّك بأمثال هذا الخبر ، و لكن
الصواب انها لاتدل على مذهبهم.

وفى الاختصاص: قال الصادق عليه السلام :« إذا كان عند غروب الشمس و كّل الله
بها ملكاً ينادى:« أيّها الناس أقبلوا على ربكم ، فان ماقل و كفى خير مما كثر و
ألهى» وملك موكّل بالشمس عند طلوعها ينادى:« يابن آدم لد للموت وابن للخراب
واجمع للفناء »

وفى الدر المنثور : عن أبى ذر الغفارى رحمة الله تعالى عليه قال: كنت
مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد عند غروب الشمس، فقال : ياأباذر ! أتدرى أين تغرب
الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن
فى الرجوع فيؤذن لها، فذلك قوله :« والشمس تجرى لمستقر لها »



﴿ الشمس والبروج ﴾

قال الله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يس: ٣٨ـ٤٠)

في كتاب النجوم : للسيد بن طاوس رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إبراهيم بن أحمد اليقطيني قال: حدثني إبن ذي العلمين (إبن ذي القلمين خ) قال : كنت واقفاً بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون، وقد حضره ابو الحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل والنهار وأيّهما خلق قبل، فخاضوا في ذلك ، واختلفوا ثم إن ذا الرياستين سئل الرضا عليه السلام عن ذلك وعما عنده فيه، فقال له: أتحبّ أن اعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك ؟

فقال: اريده أوّلاً من جهة الحساب، فقال عليه السلام: أليس تقولون : إن طالع الدنيا (طالع العالم خ) السرطان وان الكواكب كانت في شرفها؟ قال: نعم قال : فزحل في الميزان ، والمشتري في السرطان ، والمريخ في الجدي ، والزهرة في الحوت ، والقمر في الثور، والشمس في وسط السماء في الحمل، وهذا لا يكون إلا نهاراً قال : نعم فمن كتاب الله ؟ قال: قول الله عز وجل:« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار» أي النهار بسبقه .

قال السيد: ورويناه أيضاً بعدّة أسانيد عن إبن جمهور العمّي وكان عالماً فاضلاً في كتاب الواحدة قال: ومن مسائل ذي الرياستين للرضا عليه السلام انهم تذاكروا بين يدي

المأمون خلق الليل والنهار ، فبعض قال: خلق الله النهار قبل الليل ، وبعض قال : خلق الليل قبل النهار فرجعوا بالسئوال إلى أبى الحسن عليه السلام فقال: إن الله جل ذكره خلق النهار قبل الليل ، وخلق الضياء قبل الظلمة ، فان شئتم أوجدتكم من القرآن: وإن شئتم أوجدتكم من النجوم ، فقال ذوالرياستين : أوجدنا من الجهتين جميعاً فقال: أما النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان ، ولا يكون ذلك إلا والشمس فى بيت شرفها فى نصف النهار ، و أما القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ».

وفى الدر المنثور :عن إبن عباس فى قوله :« رب المشرقين ورب المغربين» قال: للشمس مطلع فى الشتاء ومغرب فى الشتاء ، ومطلع فى الصيف و المغرب فى الصيف غير مطلعها فى الشتاء وغير مغربها فى الشتاء .

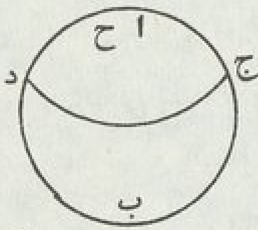
وفيه: عن إبن عباس أيضاً فى قوله تعالى :« فلا اقسم برب المشارق والمغارب» قال : للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه (منه خ) ومغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس وغير مغربها بالأمس.

وفى رواية:قال الامام على عليه السلام :« ان للشمس ثلاثمأة وستين برجاً ، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها »

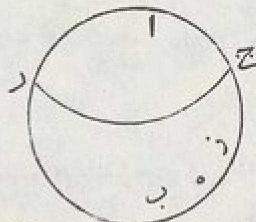
أقول: و فى المقام كلام عن شيخ الطائفة نصير الدين الطوسى قدس سره فى كتاب الطلوع و الغروب فى المقالة الثانية ينبغى للمحقق الخبير أن يتأمل فيه :

«(١) البرج الذى تطلع فيه الشمس من الدائرة الشمسية يكون أبداً خفياً، ولا يظهر له طلوع ولا غروب والذى يقابله يكون الليل كله ظاهراً ، و لا يكون أيضاً طلوعه ظاهر أو لا غروبه، فلتكن دائرة الشمس -اب- والافق- ج د -والمشرق - د- و المغرب- ج - فلندد الكل من - د - إلى - ا - والشمس من - د - إلى - ب - و

ليكن - ده - برجاً و ننصفه على - ز - ولتكن الشمس فى - ز - وليكن البرج المقابل ا - ز ه ج ح - ولأنا و ضعنا إختفاء خمسة عشر درجة فى كل جهة عن الشمس ، فاذا كانت الشمس فى - ز - كان - د - يحدث طلوع الغدوات الظاهر - و - ه - يحدث غروب العشيات الظاهر و كان جميع - ده - مختفياً غير ظاهر الطلوع والغروب و كذلك قوس - ج ح - المقابلة لها على القطر لان - ه د - إذا طلعت غابت - ج ح - وبالعكس فهى أيضاً لاترى طالعة ولاغاربة لكنها تحدث حركة ظاهرة طول الليل فوق الارض فقط و ذلك ماأردنا :

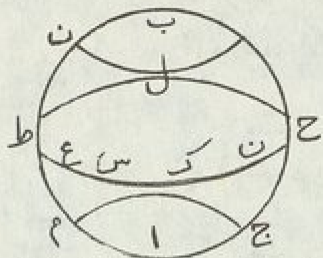


(ب) : البرج الذى يتقدم الشمس يرى طالعاً بالغدوات والذى يتلوها يرى غارباً بالعشيات فلنعد دائرتى البروج والافق و برج الشمس كما كان وليكن - دح - البرج الذى يتقدم على برج - ده - و - ه ط - البرج الذى يتأخر عن برج - ده - فلان بعد - ج د - عن الشمس و هى فى - ز - أكثر من قوس الاختفاء فهو يرى طالعاً بالغدوات قبل طلوع الشمس ، و لأن طلوع - ه ط - بعد طلوعها فى النهار ، فبرج - ه ط - لايرى طالعاً لكن يرى غارباً بالعشيات وذلك ماأردناه :

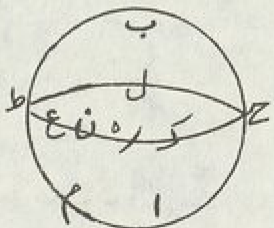


(ج) فى زمان الليل إنما يرى احد عشر برجاً : ستة يتقدم طلوعها قبل دخول الليل ، و خمسة يطلع فى الليل و نعيد دائرتى البروج والافق ، وليكن برج الشمس - ج ه - والشمس فى منتصفه و هو - ز - فظاهران - ج - يحدث

غروب العشيات ، فنصف ـ ج ا د ـ فيه ستة بروج و هى قد طلعت قبل دخول الليل و الخمسة الباقية تطلع فى الليل قبل أن يأخذ برج ـ ه ج ـ فى الطلوع و ذلك ما أردناه :

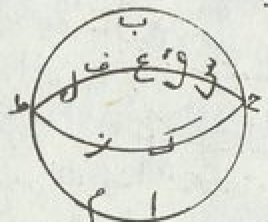


(د) كل واحد من الثوابت فانه يصير من الطلوع الصباحى إلى الطلوع المسائى فى خمسة أشهر فليكن الافق ـ اب ـ و مدار الانقلابين ـ جم ـ ه ن ـ و دائرة البروج ـ ح ك ـ ط ل ـ و ليكن ـ مط ن ـ كواكب على الافق و ليكن برج الشمس ـ ط س ـ والشمس فى وسطه و هو ـ ع ـ فكواكب ـ م ط ـ ن ـ فى أول طلوع الغدوات الظاهر و لتتحرك الشمس خمسة بروج و لتنته إلى ـ ف ـ فلان ـ ع ط ـ نصف برج يبقى ـ ف ح ـ نصف برج و عند كون ـ ح ـ على الافق و الشمس فى ـ ف ـ يكون لكواكب ـ م ط ن ـ طلوع العشيات الظاهر فاذا من طلوعها بالغدوات الظاهر إلى طلوعها بالعشيات الظاهر خمسة أشهر و ذلك ما أردناه :



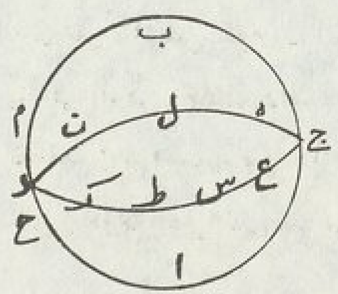
(ه) كل واحد من الثوابت فان طلوعاته و غروباته الصباحية يكون بعد أمثالها بسنة و نعيد الافق و دائرة البروج و ليكن ـ م ـ كوكباً و نفصل ـ ط ن ـ نصف برج فاذا كانت الشمس فى ـ ن ـ كان ـ طم ـ طالعين بالغدوات أول طلوعهما الظاهر و نفصل لليوم و الليلة التى بعده ـ ن س ـ و ليكن ـ ط ع ـ

مساوياً ا ـ ن س ـ ف ـ ع س ـ أيضاً نصف برج وعند كون الشمس فى ـ س ـ كان لكوكب ـ ع ـ أول ظهوره بالغدوات ولا يكون لكوكبى ـ طم ـ أول ظهورهما ولابعد ذلك إلاّ بعد أن تدور الشمس كل قوس ـ س ك ط ل ح ن ـ فانها إذا عادت إلى ـ ن ـ حدث لكوكبى ـ ط ـ م ـ ظهورهما الاول تارة اخرى و كذلك القول فى طلوع العشيات وذلك ما أردناه :



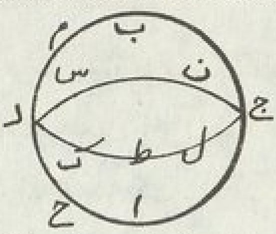
ونعيد الصورة لغروب الغدوات لكوكب ـ م ـ الشمالى فلأن كوكب ـ م ـ أميل إلى الشمال من كوكب ـ ط ـ و كان معه و ليس يغيب معه ، فهو يغيب مع كوكب يتبع كوكب ـ ط ـ لامحالة وليغيب مع كوكب ـ ز ـ وليكن ـ ز ـ مقاطر ا ـ س ـ و نفصل ـ س ع ـ نصف برج فاذا كانت الشمس فى ـ ع ـ كان لكوكب ـ س ـ أول طلوعه الظاهر بالغدوات ، ولكوكب ـ ز ـ الغروب الظاهر بالغدوات ، فكوكب ـ م ـ أيضاً يغيب بالغدوات ولتقطع الشمس فى يوم بليلته ـ ف ع ـ و نفصل ـ س ق ـ مثله فيكون ـ ق ف ـ مثل ـ س ع ـ نصف برج ، فاذا كانت الشمس ـ فى ـ ف ـ كان لكوكب ـ ق ـ أول طلوعه بالغدوات ولم يكن ا ـ س ـ لأنه يطلع قبل ـ ن ـ فلم يكن ا ـ ز ـ ولا ـ لم ـ الغروب الظاهر بالغدوات ولا أيضاً إذا كانت الشمس فى نقطه غير ـ ف ـ إلاّ دارت الشمس دورة واحدة و عادت إلى ـ ع ـ و ذلك إنما يكون فى سنة ، و كذلك القول فى غروب العشيات :

(و) كل كوكب على دائرة البروج فانه يصير من طلوعه الصباحي إلى طلوعه المسائي ومن طلوعه المسائي إلى غروبه الصباحي، ومن غروبه الصباحي إلى غروبه المسائي ومن غروبه المسائي إلى طلوعه الصباحي لكنه يصير من طلوعه الصباحي إلى طلوعه المسائي في خمسة أشهر، ويرى في هذا الزمان طالعاً ومن طلوعه المسائي إلى غروبه الصباحي في شهر واحد، ولا يرى في هذا الزمان طالعاً ولا غارباً، ويكون ظاهر أجل الليل ومن غروبه الصباحي إلى غروبه المسائي في خمسة أشهر، ويرى في هذا الزمان غارباً و من غروبه المسائي إلى طلوعه الصباحي في شهر واحد و يكون في هذا الزمان خفياً، فليكن الافق ـ اب ـ ودائرة البروج ـ ج د ـ وليكن كوكب ـ د ـ على المشرق ونفصل نصف برج وهو ـ ده ـ ونفصل أيضاً ـ زج ـ جح ـ طد ـ مثل ذلك فاذا كانت الشمس على ـ ره ـ حدث لكوكب ـ د ـ طلوع بالغدوات، وإذا كانت على ـ ح ـ حدث غروب بالغدوات، فلتكن القوس التي تقطعها الشمس في يوم بليلته ـ هك ـ ونفصل ـ دل ـ مثلها فـ ـ لك ـ نصف برج، وإذا كانت الشمس في ـ ك ـ رؤى ـ كوكب ـ ل ـ طالعاً بالغدوات و لكن يطلع قبل ذلك كوكب ـ د ـ فاذا هو ليس يرى اول طلوعه بالغدوات يكون رؤيته كذلك دائماً إلى أن تنتهي الشمس إلى ـ ز ـ ويكون ذلك في خمسة أشهر لان ـ ه ز ـ خمسة بروج و كذلك نبين ان الشمس إذا كانت تمر بقوس ـ ز ج ح ـ يكون الكوكب لا طالعاً ولا غارباً وإذا كانت تمر بقوس ـ ح ط ـ يرى غارباً وإذا كانت تمر بقوس ـ ط ده ـ يكون خفياً و ذلك ما أردناه:



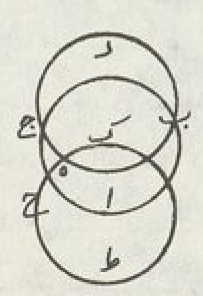
(ز) الكواكب الشمالية عن دائرة البروج يتقدم غروب غدواتها طلوع غدواتها والجنوبية عنهايتقدم طلوع غدواتها غروب غدواتها ، فنعيدالافق ودائرة البروج وليكن كوكب ـ د ـ على المشرق و كوكب ـ ح ـ أميل إلى الشمال و قدمرّان كوكب ـ ح ـ يطلع مع كوكب ـ د ـ و لايغيب معه بل يغيب مع بعض مايتبعه فليغب مع ـ ط ـ وليقاطر ـ ط ـ كوكب ـ ه ـ و نفصل ـ دك ـ نصف برج ـ و ـ هل ـ أيضاً نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على نقطة ـ ك ـ طلع كوكب ـ د ـ بالغدوات وطلع كوكب ـ ح ـ معه بالغدوات ، وإذا كانت على نقطة ـ ل ـ طلع ـ ه ـ بالغدوات و غاب معه ـ ط ـ فغاب ـ ح ـ بالغدوات ، ففى الزمان الذى تمر الشمس بقوس ـ ك ج ل ـ صار كوكب ـ ح ـ من طلوع الغدوات إلى غروب الغدوات وفى الزمان الذى تمرّ بقوس ـ ل ك د ـ صار من غروب الغدوات إلى طلوع الغدوات وقوس ـ كجل ـ أعظم من قوس ـ لدك ـ فلايتقدم ـ ك ـ فمصيره من غروب الغدوات إلى طلوع الغدوات لايكون أوّلاً ومن طلوع الغدوات إلى غروب الغدوات يكون أخيراً .

وأيضاً ليكن ـ م ـ أميل إلى الجنوب وهو يطلع مع ـ د ـ ولايغيب معه بل يغيب مع بعض مايتقدم فليغب مع ـ ن ـ و ليقاطر ـ ن ـ س ـ و تفصل ـ س ع ـ نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على ـ ك ـ طلع ـ د ـ بالغدوات فطلع معه ـ م ـ بالغدوات، وإذا كانت على ـ ع ـ طلع ـ س ـ بالغدوات وغاب معه ـ ن ـ فغاب ـ م ـ بالغدوات ففى الزمان الذى تمرّ الشمس بقوس ـ كطع ـ صار كوكب ـ م ـ من طلوع الغدوات إلى غروبها وفى الباقى بخلاف ذلك ، والزمان الاول أقل من الثانى ، فنقطة ـ ك ـ تتقدم نقطة ـ ع ـ فمسيره من طلوع الغدوات إلى غروب الغدوات يكون أوّلاً و بالعكس يكون أخيراً على ضدّ ما كان فى كوكب ـ ح ـ وذلك ماأردناه :



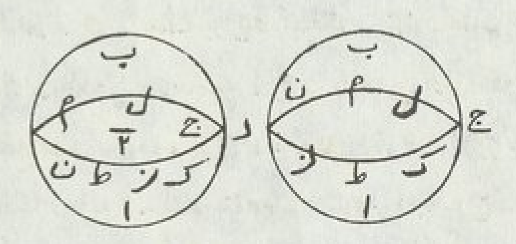
(ح) الكواكب الشمالية عن دائرة البروج يتقدم غروب عشياتها طلوع عشياتها والجنوبية منها يتقدمها طلوع عشيام غروب عشياتها، ونعيد الافق ودائرة البروج مع كوكبى ـ ح ـ م ـ و ـ ح ـ يطلع ـ مع ـ د ـ و يغيب مع ـ ط ـ لما مر ونفصل ـ ط ـ ك ـ نصف برج و كذلك ـ ج ل ـ فلأن الشمس إذا كانت على ـ ك ـ غاب ـ ك ـ بالعشى وغاب معه ـ ح ـ بالعشى، وإذا كانت على ـ ل ـ غاب ـ ج ـ بالعشى فطلع ـ د ـ ومعه ـ ح ـ بالعشى وقوس ـ ل ج د ك ـ أعظم من قوس ـ ك ط ل ـ و كذلك زمانه و ـ ك ـ يتقدم ـ ل ـ فغروب ـ ح ـ بالعشيات يتقدم طلوعه بالعشيات يتأخر عن غروبه بالعشيات .

وأيضاً ليطلع ـ م ـ مع ـ د ـ و ليغرب مع ـ س ـ و نفصل ـ ن س ـ نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على ـ ن ـ غاب ـ س ـ بالعشى ومعه ـ م ـ وإذا كانت على ـ ل ـ غاب ـ ج ـ بالعشى فطلع معه ـ د ـ و معه ـ م ـ بالعشى و قوس ل ج ن ـ أصغر من قوس ـ ن د ل ـ فلا يتقدم ـ ن ـ و كذلك يكون طلوع ـ م ـ بالعشيات يتقدم غروبه بالعشيات و غروبه يتأخر عن طلوعه و ذلك ما أردناه :



(ط) الكواكب التى تقع على احدى موازيه معدل النهار فزمان خفاء الشمالى منها عن دائرة البروج أقل من زمان خفاء الجنوبى منها عنها ، فليكن الافق ـ اب

ج- ودائرة البروج - ج ه د - وترسم موازيه لمعدل النهار عليها - ط ح ك - و ليكن - ح - من الكواكب - حهك - أميل إلى الشمال من دائرة البروج و-ه- عليها و- ك- أميل إلى الجنوب ، فلأن كوكب - ح - من كوكبى - ح - ه- شمالى عن دائرة البروج و كوكب - ه - عليها يكون زمان خفاء - دح - أقل من زمان خفاء - ه- وبمثل ذلك زمان خفاء - ه - أقل من زمان خفاء - ك - فزمان خفاء - ح- أقل كثيراً من زمان خفاء- ك- وذلك ما أردناه :

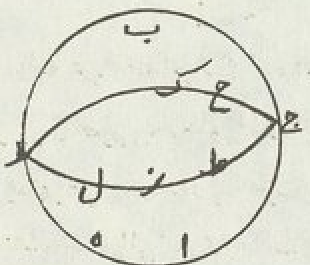


(ى) الكواكب الشمالية عن دائرة البروج الطالع التى بعدد درجات غروبها عن درجات طلوعها أقل من برج يصير من طلوع الغدوات إلى طلوع العشيات فى خمسة أشهر وفى هذا الزمان ترى طالعة ، ومن طلوع العشيات إلى غروب الغدوات فى أكثر من شهر ولا ترى فيه طالعة ولا غاربة من غروب الغدوات إلى غروب العشيات فى خمسة أشهر و ترى فيها غاربة ، و من غروب العشيات إلى طلوع الغدوات فى أقل من أشهر وتكون فيه خفية ، فليكن الافق - ا ب- و دائرة البروج - ج د- و كوكب - د - على المشرق و- ه- شمالياً عن دائرة البروج و ليطلع مع-د- وليغيب مع كوكب يتبعه و هو- ز- ف-دز - أقل من برج و هى إما أن يكون أقل من نصف برج أو يكون أعظم ، و الصورة الاولى للاول و الثانية للثانى .

ونفصل قوس نصف برج و هى - د ط - و نفصل أيضاً - ج ك - نصف برج و- زن- نصف برج وليكن - ل- مقاطراً - لز- و - لم - نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على- ط- طلع -د - بالغداة ومعه - ه - وإذا كانت على- ك - غاب - ج - بالعشى و طلع - د - معه بالعشى ، فطلع- ه - أيضاً معه بالعشى ، فكوكب-

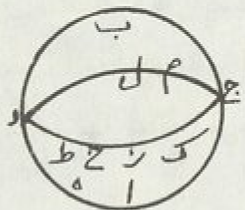
ـه ـ يصير من طلوع الغدوات إلى طلوع العشيات في مدة مرور الشمس بقوس ـ ط ك ـ وهي خمسة أشهر .

وأيضاً إذا كانت الشمس على ـ م ـ طلع ـ ل ـ بالغداة وغاب حينئذ ـ ز ـ فغاب ـ ه س ـ معه فكوكب ـ ه ـ يصير من طلوع العشيات إلى غروب الغداوات في مدة مرور الشمس بقوس ـ ل ج م ـ وهي أكثر من برج بقدر ـ ل ج ـ فالمدة أكثر من شهر ، وأيضاً إذا كانت الشمس على ـ ن ـ غاب كوكب ـ ز ـ بالعشي فغرب معه ـ ه ـ بالعشي فكوكب ـ ه ـ يصير من غروب الغدوات إلى غروب العشيات في مدة مرور الشمس بقوس ـ م ن ـ وهي خمسة أشهر أيضاً ويبقى قوس ـ ن ط ـ من غروب العشيات إلى طلوع الغدوات وهي أقل من برج ، فمدته أقل من شهر و ينبغي أن يتوهم فيما بعد أشياء شبيهة بما قلنا في هذين الشكلين في اشكال يشبههما وذلك ما أردناه :



(يا) الكواكب الشمالية عن دائرة البروج الطالعة التي بعد درجات غروبها عن درجات طلوعها برج ، فهي لا يخفى أصلاً ويكون في ليلة بعينها غروب عشياتها الاخر و طلوع غدواتها الاول ثم يحدث لها طلوع العشيات في خمسة أشهر ثم غروب الغدوات في شهرين ثم غروب العشيات وطلوع الغدوات في الأشهر الخمسة الباقية فلنعد الافق ودائرة البروج مع كوكب ـ ه ـ الشمالي الطالع مع ـ د ـ وليغيب ـ ه ـ مع ـ ز ـ وليكن ـ دز ـ برجاً وننصفه على ـ ل ـ ونجعل ـ ح مقاطراً ـ لز ـ ونفصل ـ ج ط ـ نصف برج و كذلك ـ ح ط ـ فظاهر ان الشمس إذا كانت في ـ ل ـ طلع ـ د ـ بالغدوات ومعه ـ ه ـ و غاب ـ ز ـ بالعشيات ومعه ـ ه ـ فيكون

لكوكب ـ ه ـ ليلتئذ طلوع بالغدوات و غروب بالعشيات ـ فهو لايخفى و لافى ليلة ، فانخفاء الكواكب إنمايكون فيمابين هذاالغروب وهذا الطلوع ،وظاهر أيضاً انالشمس إذا كانت فى ـ ط ـ كان ـ لد ـ طلوع بالعشيات و ـ ه ـ يطلع بالعشيات معهو إذاكانت فى ـ ك ـ كان ـ لح ـ طلوع بالغدوات ـ و ـ لد ـ غروب بالغدوات حينئذ و يغرب ـ ه ـ معه بالغدوات فمن ـ ط ـ إلى ـ ك ـ يكون من طلوع عشياته إلىغروب غدواته وهو برجان فيكون ذلكفى شهرين وتبقى قوس ـ ل ط ـ وقوس ـ كدل ـ و كل واحد منهما خمسة بروج ، فيكون فيهما الحالان الباقيان وذلكظاهر وذلكماأردناه :



(يب) الكواكب الشمالية عنفلكالبروج الطالعة التىبعد درجات غروبها عندرجات طلوعها أكثرمن برج تصير بعدطلوع غدواتها الظاهر إلى غروب عشيا-تها الظاهر وفى هذاالزمان يظهرفى كلليلة إذاغابت بالعشى وطلعت بالغداة ثم يصير إلى الطلوع الظاهر بالعشيات ثمإلى الغروب الظاهر بالغدوات ، فنعيدالافق ودائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الطالعمع ـ د ـ وليغرب مع ـ ز ـ وليكن ـ دز ـ أكثرمن برج، ونفصل كلواحدة من ـ ح ز ـ دط ـ نصفبرج وليقاطر ـ ز ـ م ـ وليكن أيضاً ـ جك ـ نصف برجو ـ مل ـ نصفبرج ، فظاهر ان الشمس إذا كانت عند ـ ط ـ طلع ـ د ـ وطلع ـ ه ـ معهبالغدوات وإذاكانت عند ـ ح ـ غاب ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ بالعشيات فطلوع الغدوات متقدم علىغروب العشيات ، والشمس إذا مرت بقوس ـ طح ـ يبين ـ ه ـ فى ـ ر ـ ط ـ بالعشيات غارباً وبالغدوات طالعاً،و لأنآخر غروب العشيات عند كون الشمس فى ـ ح ـ يكون إذاجازت نقطة ـ ح طلوع الغدواتظاهراً فقط وأيضاً إذاانتهت الشمسإلى ـ ك ـ غاب ـ ج ـ بالعشيات

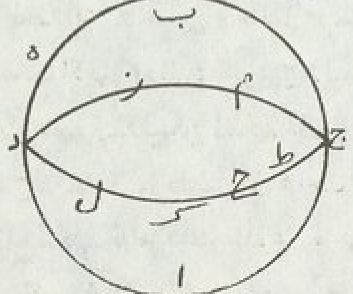
وطلع ـ د ـ فطلع معه ـ ه ـ فيكون هناك طلوع ـ ه ـ بالعشيات ، وأيضاً إذا كانت الشمس عند ـ ل ـ طلع ـ م ـ بالغدوات و غاب ـ ز ـ بالغدوات فغاب معه ـ ه ـ فيكون ـ له ـ غروب بالغدوات ظاهر وذلك ما أردناه :

(يج) الكواكب الجنوبية عن فلك البروج الطالعة التى بعد درجات غروبها عن درجات طلوعها أقل من برج ، فانها تصير من طلوع الغدوات إلى طلوع العشيات ثم إلى طلوع الغدوات فى أقل من ثلاثين ليلة ثم إلى غروب العشيات ثم إلى طلوع الغدوات و يخفى زماناً أكثر من خفاء الكواكب التى على دائرة البروج ، فنعيد الافق ودائرة البروج وليطلع كوكب ـ ه ـ الجنوبى مع ـ د ـ وليغب قبل ـ د ـ مع ـ ز ـ وليكن ـ ز د ـ أقل من برج وليكن ـ ح ـ مقاطراً ا ـ ز ـ ونفصل ـ ط ج ـ ح ك ـ م ز ـ د ل ـ كل واحد منها نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على ـ ل ـ طلع ـ د ـ بالغدوات طلوعاً ظاهراً أولا فيطلع معه ـ ه ـ وإذا كانت على ـ ط ـ غاب ـ ج ـ بالعشى فطلع ـ د ـ آخر طلوعه بالعشى و طلع معه ـ ه ـ و إذا كانت على ـ ك ـ طلع ـ ح ـ بالغدوات فغاب ـ ز ـ و غاب معه ـ ه ـ و مدة قطعها قوس ـ ط ح ج ك ـ أقل من شهر و إذا كانت على ـ م ـ غاب ـ ز ـ وغاب معه ـ ه ـ و يكون مدة الخفاء ما يقطع فيها قوس ـ م ز د ل ـ وهى أكثر من برج ، فاذا ثبت ما ادعينا وذلك ما أردناه :

وقس عليه إن كان ـ ز ـ د ـ نصف برج أو أكثر من ذلك.

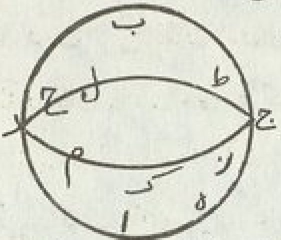
(يد) الكواكب الجنوبية عن فلك البرج الطالعة التى بعد درجات غروبها عن

درجات طلوعها برج واحد تظهر في ليلة واحدة بالعشاء و غاربة بالغداة و يخفى زمانا أكثر من الزمان الذى تخفى فيه الكواكب التي على دائرة البروج فنعيد الافق و دائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الطالع مع ـ د ـ الغارب مع ـ ز ـ و ليكن ـ زد ـ برجا و ليقاطر ـ زدط ـ وننصف ـ طج ـ على ـ ك ـ ونفصل ـ ح ـ ز ـ د ـ ل ـ كل واحد نصف برج، فلأن الشمس إذا كانت على ـ ل ـ طلع ـ د ـ بالغدوات ومعه ـ ه ـ وإذا كانت على ـ ك ـ غاب ـ ج ـ فطلع ـ د ـ ومعه ـه ـ وطلع أيضاً ـ ط فغاب ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ ويكون ليلتئذ لكوكب ـ ه ـ طلوع بالعشاء وغروب بالغداة ، وإذا كانت على ـ ج ـ غاب ـ ز ـ و معه ـ ه ـ ويكون كوكب ـه ـ مدة مرور الشمس بقوس ـ جزدل ـ وهى برجان خفيان ، فاذا ثبت ما قلناه وذلك ما أردناه :

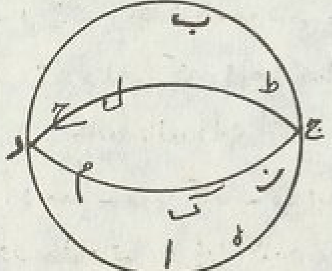


(يه) الكواكب الجنوبية عن فلك البروج الطالعة التي بعدد درجات غروبها عن درجات طلوعها أكثر من برج تصير بعد الغدوات الظاهرة إلى غروب الغدوات الظاهرة ثم إلى طلوع العشيات ثم إلى غروب العشيات ، وترى في كل ليلة طالعة و غاربة من غروب الغدوات إلى طلوع العشيات فنعيد الافق ودائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الطالع مع ـ د الغارب مع ـ ز ـ وليكن قوس ـ ز ـ د ـ أكثر من برج و ليقاطر ـ زح ـ وليكن كل واحد من ـ دل ـ ح ك ـ طج ـ مز ـ نصف برج ، فاذا كانت الشمس فى ـ ل ـ طلع ـ د ـ بالغدوات ومعه ـ ه ـ و إذا كانت فى ـ ك ـ طلع ـ ح ـ فغارب ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ أولاً بالغدوات وإذا كانت فى ـ ط ـ غاب ـ ج ـ و طلع ـ د ـ و معه ـه ـ آخرا بالعشيات و يكون ـه ـ مدة كون

الشمس فيمابين ـ كط ـ طالعة بالعشيات وغاربة ـ بالغدوات وإذا كانت فى ـ م ـ غاب ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ فاذاصح ماادعينا وذلك ماأردناه :

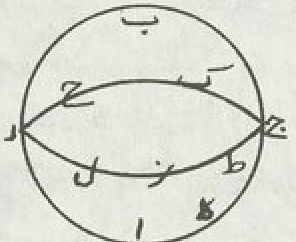


(يو) الكواكب الشمالية عن فلك البروج الغاربة التى بعد درجات طلوعها عن درجات غروبها أقل من برج يكون الحكم فيها كما قدمنا فى الشمالية الطالعة، فنعيد الافق ودائرة البروج وليكن ـ ج ـ على المغرب ـ و ـ ه ـ في الشمال غارباً معه و ليطلع ـ ه ـ مع ـ ز ـ و ـ ز ـ يتقدم ـ ج ـ وقوس ـ ز ـ ج ـ أقل من برج وليكن أولاً أقل من نصف برج ؛ ليقاطر ـ زح ـ و نفصل ـ زج ط ـ نصف برج و كذلك كل واحد من ـ جك ـ لح ـ دم ـ فلأن الشمس إذا كانت فى ـ ط ـ طلع ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ بالغدوات أولاً وإذا كانت فى ـ ل ـ غاب ـ ح ـ فطلع ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ بالعشيات أخيراً وإذا كانت فى ـ م ـ طلع ـ د ـ فغاب ـ ج ـ ومعه ـ ه ـ بالعشيات أخيراً و كل واحدة من قوسى طل ـ م ك ـ خمس بروج وقوس ـ ل دم ـ أكثر من برج وهى التى لاترى فيها طالعة ولاغاربة وقوس ـ كج ط ـ أقل من برج وهى قوس الخفاء فاذاصح ماذكرنا و قس عليه إذا كان ـ زج ـ أكثر من نصف برج وذلك ما أردناه:



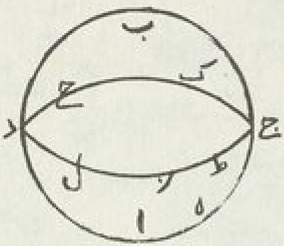
(يز) الكواكب الشمالية عن فلك البروج الغاربة التى بعد درجات طلوعها عن درجات غروبها برج واحد يكون الحكم فيها كما قدمنا فى الشمالية الطالعة ،

فنعيد الافق ودائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الغارب مع ـ ج ـ لطالع مع ـ ز ـ و ليكن ـ ز ج ـ برجاً و ننصفه على ـ ط ـ وليكن ـ ز ـ مقاطراً ا ـ ح ـ و نفصل ـ ك ح ـ د ل ـ كل واحد نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على ـ ط ـ كان ـ ز ـ طالعاً بالغدوات اولاً و كان ـ ه ـ معه و كان ـ ج ـ غارباً لعشيات أخيراً و معه ـ ه ـ كان ـ ه ـ ليلتئذ غارباً بالعشاء آخر غروباتها و طالعاً بالغداة أول طلوعاتها ، و إذا كانت على ـ ك ـ كان ـ ح ـ غارباً ـ و ـ ز ـ طالعاً بالعشيات آخر طلوعاتها و معه ـ ه ـ و إذا كانت علـى ـ ل ـ كان ـ د ـ طالعاً و ـ ج ـ غارباً بالغدوات أول غروباتها و معه ـ ه ـ و كل واحد من قوسى ـ ط ج ك ـ ل ز ط ـ خمسة بروج و قوس ـ ك ح د ل ـ برجان ، فاذاصح ماادعينا و ذلك ماأردناه :



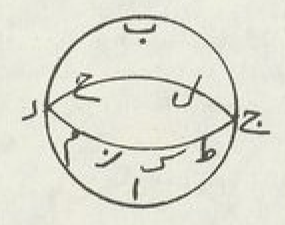
(يز) الكواكب الشمالية عن فلك البروج الغاربة التى بعد درجات طلوعها عن درجات غروبها برج واحد يكون الحكم فيها كما قدمنا فى الشمالية الطالعة ، فنعيد الافق و دائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الغارب مع ـ ج ـ لطالع مع ـ ز ـ و ليكن ـ ز ج ـ برجاً و ننصفه على ـ ط ـ و ليكـن ـ ز ـ مقاطراً ا ـ ح ـ و نفصل ـ ك ح ـ د ل ـ كل واحد نصف برج فلأن الشمس إذا كانت على ـ ط ـ كان ـ ز ـ طالعاً بالغدوات أولاً و كان ـ ه ـ معه و كان ـ ج ـ غارباً لعشيات أخيراً و معه ـ ه ـ كان ـ ه ـ ليلتئذ غارباً بالعشاء آخر غروباتها و طالعاً بالغداة أول طلوعاتها ، و إذا كانت على ـ ك ـ كان ـ ح ـ غارباً ـ و ـ ز ـ طالعاً بالعشيات آخر طلوعها ومعه ـ ه ـ وإذا كانت على ـ ل ـ كان ـ د ـ طالعاً و ـ ج ـ غارباً بالغدوات أول غروباتها ومعه ـ ه ـ و كل واحد من قوسى ـ

طجك - ل ز ط - خمسة بروج و قوس- ك ح دل - برجان فاذاصح ماادعيناوذلك ماأردناه :



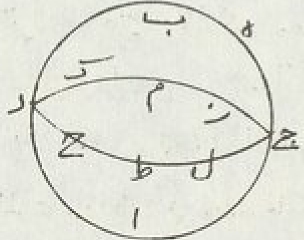
(يح) الكواكب الشمالية عن فلك البروج الغاربة التى درجات طلوعها عن درجات غروبها أكثرمن برج يكون الحكم فيها كما قدمنا فى الشمالية الطالعة ، فنعيد الافق ودائرة البروج و كوكب -ه- الغارب مع- ج- الطالع مع - ز- و- ح - المقاطر - لز- وليكن - زج- أكثرمن برج ونفصل كل واحد من- ز ك- طج -لح - دم- نصف برج فلأن الشمس إذاكانت فى -ك - طلع -ز- ومعه- ه- بالغدوات أول طلوعه وإذاكانت فى -ط- غاب -ج - ومعه- ه- آخر غروبه بالعشيات ، فيكون أول طلوع كوكب -ه- بالغدوات قبل آخر غروبه بالعشيات و يكون مادامت الشمس تمر بقوس - كط- غارباً بالعشيات طالعاً بالغدوات .

ثم إذا كانت فى -ل- غاب -ح - وطلع -ز- ومعه- ه - وهو آخر طلوعاته بالعشيات وإذاكانت فى-م- طلع -د- وغاب- ج- ومعه -ه- وهو أول غروباته بالغدوات ،وظاهران كل واحد من قوسى- مط- كح ل - خمسة بروج وان قوس- لدم- أعظم من برجين بقدر قوس- كط- فاذاثبت ماقدمناه وذلك ماأردناه :

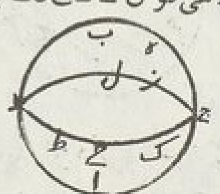


(يط) الكواكب الجنوبية من دائرة البروج الغاربة التى بعدد درجات طلوعها عن درجات غروبها أقل من برج يكون حكمها حكم الجنوبية الطالعة، فنعيد الافق

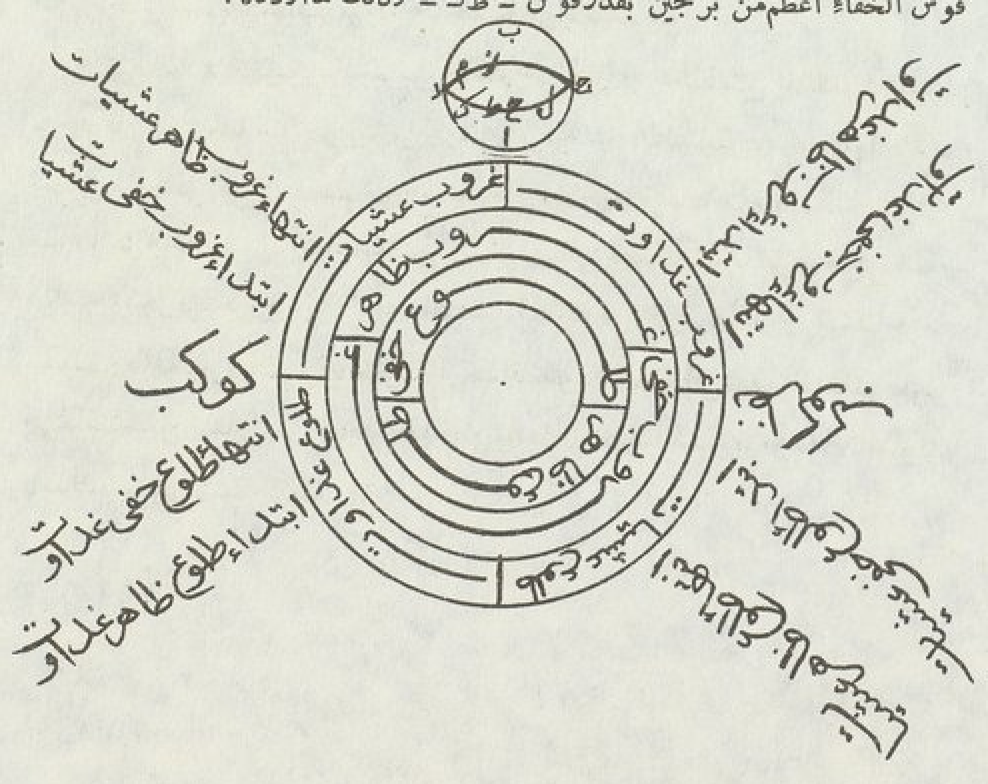
ودائرة البروج و كوكب -ه- فى الجنوب غارباً مع - ج- وطالعاً مع- ز -وليكن -ج ز- أولاً أقل من نصف برج، و- ح- مقاطراً ل- ز- ونفصل- د طح - دكج -ل ز م- كل واحد نصف برج فاذا كانت الشمس على-م- طلع- ز-ومعه - ه- أول طلوعه بالغدوات وإذا كانت على- ك- غاب - ح - وطلع - ز- ومعه - ه - آخر طلوعه بالعشيات ، وإذا كانت على -ك - طلع- د - وغاب - ج- ومعه- ه - أول غروبه بالغدوات، وإذا كانت على-ل - غاب - ج-ومعه- ه- آخر غروبه بالعشيات ويكون كل واحدة من قوسي - مك- طل- خمسة برج وقوس - ل جم- اعنى قوس الخفاء أعظم من برج وقوس - كدط - أقل منه وقس عليه إذا كان - ج ز - أكثر من نصف برج وذلك ما أردناه :



(ك) الكواكب الجنوبية من دائرة البروج الغاربة التى بعدد درجات طلوعها عن درجات غروبها فى برج فحكمها حكم الجنوبية الطالعة، فنعيد الافق و دائرة البروج و كوكب -ه- الغارب مع - ج- الطالع مع-ز - ونجعل- ج ز- برجاً وليكن -ح - مقاطراً -لز- وننصف -دح -على- ط- ونفصل - جك- نصف برج و كذلك -زل - فلأن الشمس إذا كانت على - ل- طلع-ز- بالغدوات و معه -ه- وإذا كانت عند- ط-طلع- د-وغاب- ج-ومعه -ه-و ليلتئذ غاب -ح- وطلع-ز- ومعه - ه- فيكون له طلوع بالعشاء و غروب بالغداة وإذا كانت عند- ك -غاب-ج- ومعه-ه -فيكون قوس الخفاء وهى قوس -كجل- برجين وذلك ما أردناه :



(كا) الكواكب الجنوبية من دائرة البروج الغاربة التى بعدد درجات طلوعها من درجات غروبها أكثر من برج فحكمها حكم الجنوبية الطالعة ، فنعيد الافق و دائرة البروج و كوكب ـ ه ـ الغارب مع ـ ج ـ الطالع مع ـ ز ـ وليقاطر ـ زح ـ وليكن ـ جز ـ أعنى ـ دح ـ أكثر من برج ونفصل كل واحد من ـ دك ـ حط ـ ل ج ـ زم ـ نصف برج فاذا كانت الشمس عند ـ م ـ طلع ـ ز ـ و معه ـ ه ـ أول طلوعه الصباحى ، وإذا كانت عند ـ ك ـ طلع ـ د ـ و غاب ـ ج ـ ومعه ـ ه ـ أول غروبه الصباحى وإذا كانت عند ـ ط ـ غاب ـ ح ـ وطلع ـ ز ـ ومعه ـ ه ـ آخر طلوعه المسائى و كان ـ ه ـ مدة كون الشمس فيما بين ـ ك ـ ط ـ طالعاً بالعشاء غارباً بالغداة وإذا كانت عند ـ ل ـ غاب ـ ج ـ ومعه ـ ه ـ آخر غروبه المسائى ويكون كل واحد من قوسى ـ م دط ـ ح ك ل ـ خمسة بروج وقوس ـ ل ج م ـ وهى قوس الخفاء أعظم من برجين بقدر قوس ـ طك ـ وذلك ما أردناه :



وقال العلامة السيدهبة الدين الشهرستاني : ان المراد من منازل الشمس و بروجها في الأخبار قطاع من الأرض من دائرة نصف النهار يقع عليها توجه الشمس في كل يوم، فتكون البروج والمنازل بناء على هذا مأخوذة من سطح الارض لا من سطح الفلك ، ومعلوم أن هذا القدر من خط نصف النهار الذى يواجه الشمس عند ميلها الجنوبي والشمالي قريب من ٤٧/ درجة إصطلاحية، والدرجة أكثر من عشرين فرسخاً عند القدماء ونحو من ثمانية عشر فرسخاً عند المتأخرين ، فمسافة مجموع مابين الميلين أعني الشمالي والجنوبي أكثر من ثمان مأة فرسخ على كل تقدير .

فاذا فرضنا منازل الشمس التي تواجه كل يوم واحداً منها على خط ما بين الميلين، وفرضنا عددها مأة وثمانين بمقتضى تصريح الحديث بكلا المفروضين لزمنا تقسيم عدد الثمان مأة فرسخ على مأة وثمانين قطعة، فيقع نصيب كل قطعة من الارض التي تنزل الشمس عليها في يوم واحد خمسة فراسخ تقريباً .

ثم قال : ويظهر من الخبر عن الامام علي عليه السلام: « ان للشمس ثلاثمأة و ستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ... » ان للشمس حال ميلها مأة و ثمانين منزلاً في الارض بحسب مواقع نورها و مواجهة قرصها من مدار الجدي إلى مدار السرطان ، فتنزل أشعة الشمس كل برج على قطعة خاصة تقرب من خمسة فراسخ كجزيرة من جزائر العرب السلف الكائنة في جزيرة العرب بمنظرهم و مسمعهم لا الجزيرة العربية العظيمة في هذا العصر، وهكذا إلى نصف السنة ثم تعود إلى ماقضته من المنازل واحداً واحداً حتى تكمل ثلاثمأة وستين يوماً و [٣٦٠ منزلاً وهذا المجموع سنة كاملة .

﴿ضياء الشمس و حرها﴾

قال الله تعالى :« والشمس وضحاها » الشمس: ١)

وقال :« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً» يونس: ٥)

وقال :« وجعل الشمس سراجاً » نوح: ١٦)

فى روضة الكافى: باسناده عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: جعلت فداك لأى شىء صارت الشمس أشد حرارة من القمر ؟ فقال: ان الله تبارك و تعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صار (كانت خ) سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثم صار (صارت خ) أشد حرارة من القمر قلت: جعلت فداك و القمر ؟ قال: ان الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس.

أقول: وفى الرواية دلالة على أن جرم الشمس مركب على طبقات ،و على كون الشمس بنفسها ذات حرارة و نارية، وعلى ان جرم القمر أيضاً ذو حرارة و لكنها خفيفة.

وفى البحار :دخل موسى بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متنكّراً هارباً ، فوقع فى غار و فيه راهب يعظ فى كل سنة يوماً ، فلما رآه الراهب دخله منه هيبة فقال : ياهذا أنت غريب ؟ قال: نعم قال : منّا؟ قال: لست منكم قال: أنت من الامة المرحومة ؟ قال: نعم قال : أفمن علمائهم أنت أم من جهّالهم ؟ قال: لست من جهالهم

، فقال : كيف طوبى أصلها فى دار عيسى وعندكم فى دار محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأغصانها فى كل دار ؟

فقال: الشمس فى وصل ضوئها إلى كل مكان و كل موضع و هى فى السماء قال: وفى الجنة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شىء ؟ قال: السراج فى الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شىء ، قال: وفى الجنة ظل ممدود ؟ فقال : الوقت الذى قبل طلوع الشمس كلها ظل ممدود قوله :« ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل» الفرقان : ٤٥)

تتمة الاية :« ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً »

قال: ما يؤكل ويشرب فى الجنة لا يكون بولاً و لا غائطاً ؟ قال عليه السلام : الجنين فى بطن امه قال: أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر ؟ فقال: إذا احتاج الانسان إلى شىء عرفت أعضاؤه ذلك ، ويفعلون بمراده من غير أمر ، قال: مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة ؟ قال: مفتاح الجنة لسان العبد : لا إله الا الله قال: صدقت و أسلم والجماعة معه .

أقول: و فى المقام كلام من الباحثين نشير إليه على طريق الاختصار :

ان نور الشمس المتفرّق نتيجة الانعكاس والانكسار بالشق، ولولا هذا التفرق لغاب عن النظر كل شىء إلاّ ما وقعت عليه تماماً أشعة الشمس ، ولكان خيال الغيوم وهى تمر فى سيرها مظلماً كالليل ولظهرت النجوم كل النهار و لما دخل النور إلى البيوت إلاّ من الشبابيك الواقعة إلى جهة الشمس فقط، ولالتزم الناس أن يحملوا السرج فى بيوتهم فى نصف النهار .

قال الله عزوجل :« تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » الفرقان: ٦١)

ان السراج هو الشمس التى ترسل نوراً و حرارة إلينا، فيستضيىء من نورها الانسان والحيوان والنبات والجماد ولضوئها إتصال وثيق بنموّ الانسان والحيوان

والنبات ، وتأثير شديد فى الجماد و إحتياجنا إلى الشمس ليس بأقل من حاجتنا إلى الماء الذى به حياة كل شىء حى ، ومن حاجتنا إلى الهواء التى فيها بقاء الحياة ، و إذا انطفأت الشمس إنطفأت مصابيح حياة كل شىء حى .

وإليه يشير قوله تعالى : « إذا الشمس كوّرت » التكوير : ١)

ان الشمس تبعث لنا مع الضوء حرارة محيية ضرورية لحفظ حياة جميع ما على سطح الكرة الأرضية ، وللحرارة الشمسية دخل كبير فى حفظ صحة الانسان وتنظيم حركات أجهزته فانها تؤثر على الدورة الدموية بتمديدها جدران الأوعية الشعرية و الشرايين ، فيسرى الدم فيها سرياناً تاماً . و يصل إلى أقصى جهة من جهات الجسم ، وتنفتح المسام الجسدية بواسطة الحرارة أيضا، فيسيل منها العرق وهو يحمل كثيراً من الجراثيم الضارة بالجسم ، ولذلك يحسن بالانسان أن يمشى تحت الشمس معرضاً جسمه ورأسه لحرارتها باعتدال لتفعل فعلها عليه ، و يعزى للحرارة الشمسية خاصية روحية جليلة، و هى انها تعطى العقل نشاطاً والمدارك سعة .

و قد تقرّر : ان الحجر لايصلح الجلوس و لا النوم عليه إن لم تكن الأشعة الشمسية تدخله ، و لو لم تكن الشمس تجود إلاّ بنصف اشعاعها القيّمة لتجمّدنا برداً ، ولو تلقينا من هذه الاشعاعات مقدار ما نلتقى مزاداً عليه نصف المقدار لا حرقنا .

وفى تفسير المراغى: عن بعض أساتيذ الرياضات التطبيقية فى جامعة (بنسلفانيا) فى آمريكا : « ان الشمس تفد كل يوم من المادة بسبب خروج الأشعة منها ما يساوى ٢٥٠/ ميليون طن فى الدقيقة ، ففى اليوم تفقد ٣٦٠/ ألف مليون طن ثم قال : يظن أن عمر الشمس الآن عشرة آلاف مليون سنة ، و يمكن أن تعيش ملايين ملايين السنين دون أن تنطفىء ثم قال : ان الشمس ستظلّ بعد ألف ألف مليون سنة كما هى الآن تقريباً ، و تدور الارض حولها كما هى

الآن .

ثم قال : ان الشمس أكبر من الارض حجماً بمليون و ثلاثمأة ألف مرة ، و ماهي إلا حبة رمل على شاطيء هذا الفضاء الكبرى وهي واحدة من اسرة من اسر الكائنات التي في الفضاء الكبرى التي قدرت بثلاثين ألف مليون مجموعة وشمسنا و توابعها حبة رمل في مجموعة واحدة من هذه الثلاثين ألف مليون مجموعة » وقد اختلفت كلمات الباحثين حول الشمس في وزن الأشعة و النور : هل لهما وزن أم لا ؟ وما في العلم الحديث : ان لهما وزناً كسائر الأشياء المادية بأن تدل أدق الأجهزة الضوئية على أن للنور والحرارة وزناً وثقلاً كبيراً ، و ان النور مادة ذات جرم ووزن ، ولكن لم يفهم مما تقدم ان الشمس آخذة في النقصان إلا أن يأتي وقت يدب إليها الفناء ، ولقد ثبتت على ما هي عليه منذ خلقها الله تعالى إلى يوم الساعة بلا نقص من وزنها ولا من حرارتها .

وقد قدّر بعض المحققين من الباحثين: ان قوة ضوء الشمس بهذا الرقم (٣٢٣) متبوعاً بخمسة وعشرين صفراً وهو هذا:

(٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٣٢٣٠) أو (٣٢٣٠ سيتليون شمعة ليس هذا إلا الخرص والتخمين ، وتشع الشمس الضوء باستمرار على صورة موجات أو أشعة ، و تختلف هذه الموجات في القدر فقد تسع البوصة الواحدة ٣٤٠٠٠/ موجة من الكبرى و ٦٤٠٠٠/ موجة من الصغرى ، و لما كانت هذه الموجات كلها تسير بسرعة ١٨٦٠٠٠/ ميل في الثانية فان أربعمأة بليون موجة من الطويلة تمر بنقطة ما معلومة في ثانية واحدة على حين يمر بها في الثانية الواحدة أيضاً سبعمأة وخمسون بليوناً من القصيرة والله تعالى هو أعلم .

ولا يخفى على المحقق الخبير ما بين النور والضياء من الفرق : ان الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك ، ولذلك يقال: ضياء النهار ولا يقال : نور النهار إلا أن يعني الشمس ، فالنور الجملة التي يتشعب منها ·

وعلى المحققين الخبراء من بيان الفرق بين النور والبرق، وإن لم يبيّنوا حق البيان بعد.

وقد اختلفت كلمات المحققين: ان ضياء الشمس هل هو فيها ذاتي لها أم حصل لها من غيرها كالعرش ولكل قول، ولعلّ في الأخبار دلالة على القولين:

في الكافي: باسناده عن عاصم بن حميم عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام -في حديث- فقال عليه السلام: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ... الحديث.

فكل فريق يستدل بهذه الرواية على مذهبهم، فقال الاولون: ان قوله عليه السلام: «جزء من سبعين جزءاً» يدل على المقابلة والمعادلة، وقال الآخرون: انه يدل على الاستفادة والاستفاضة منه.

وأما المتأخرون فيقولون: ان الشمس كرة نورانية بذاتها نارية بنفسها، ثابتة في وسط أفلاك السيارات كالمحة في البيضة وجميع السيارات كراة مستنيرة من الشمس، مجذوبة لها، دائرة حولها وحول نفسها كأرضنا في أكثر الجهات معلقات في الفضاء، ولكل منها جبال و بحار و هواء وأقرب هذه السيارات نجمة (فلكان) و بعدها عن الشمس /١٣ مليون ميلاً، ودورها المحوري /١٨ ساعة، ودورها حول الشمس عشرون يوماً، ولم تزل أحكامه مجهولة لصعوبة رصدها.

ثم نجمة عطارد وبعدها عن الشمس /٣٥ مليون ميلاً، ودورانها المحوري /٣٤ [س] ٥ [ق] وحول الشمس /٨٨ يوماً وحجمها أصغر من الارض /١٦ مرة، وفلكه مايل على دائرة البروج قليلاً، ثم نجمة زهرة وبعدها عن الشمس /٦٦ مليون ميلاً، و دورها المحوري /٢٣ ساعت و ٢٢ دقيقة وحول الشمس /٢٢٥ يوماً و حجمها قريب من الارض على نسبة /٩ و ١٠ و ميل فلكها خمسون درجة، ثم أرضنا و بعدها عن الشمس /٩٣ مليون ميلاً، و قطرها /٨٠٠٠ ميلاً و دورها

المحورى ٬ ٣٤ ساعة ، و دورها حول الشمس ٬ ٣٦٥ يوماً ، و ميل فلكها ٬ ٢٣ درجة ونصف .

ثم نجمة المريخ، وبعدها عن الشمس ٬ ١٤٠ مليون ميلاًو دورها المحورى ٬ ٢٤ [س] ٣٨ [ق] ودورها حول الشمس ٬ ٦٧٨ يوماً وحجمها أصغر من الارض ست مرات ولهاقمران، وميل فلكها ٬ ٢٩ درجة، ثم نجمة المشترى وبعدها عن الشمس ٬ ٤٧٦ مليون ميلاً ، وحجمها أكبر من الارض ٬ ٤٠٠ مرة ودورها المحورى ٬ ١٠ [س] ودورها حول الشمس ٬ ١٢ سنة ولها ثمانية أقمار، وميل فلكه أربع درجات، ثم نجمة زحل وبعدها عن الشمس ٬ ٨٧٦ مليون ميلاً، وحجمها أكبر من الارض ٬ ٧٦٠ مرة وميل فلكها ٬ ٢٨ درجة و دورها المحورى فى ٬ ١٠ [س] ١٥ [ق] و دورها حول الشمس فى ٬ ٢٩ سنة و نصف، ولها تسعة أقمار وحلقة نيرة عظيمة مؤلفة من ثلاث حلقات تحيط بها من بعيد كالنطاق .

ثم نجمة اورانوس وبعدها عن الشمس ٬ ١٧٥٣ مليون ميلاً وحجمها أكبر من الارض ٬ ٧٢ مرة ودورها المحورى نحو عشرة ساعات ، ودورها حول الشمس ٬ ٨٤ سنة و اسبوعاً، ولها ستة أقمار، وأول من عرف اورانوس هو الحكيم (هرشل فى سنة ٬ ١٧٨١ م) ثم نجمة نبتون وبعدها عن الشمس ٬ ٢٧٤٦٥ مليون ميلاً و حجمها أكبر من الارض ٬ ٤٨ مرة ودورها المحورى مجهول ودورها حول الشمس فى ٬ ١٤٦ سنة و ٬ ٢٨٥ يوماً ، وأكثر تلك التقادير تقريبى لاتحقيقى، ويسمى هذا المجموع نظاماً شمسياً خاضعاً لنواميس الجذب و مقتضيات الطبيعة بأمر الله عز و جل و تقديره .

ويقولون : ان حركات تلك الاجرام مطلقاً من المغرب إلى المشرق فى مداراة بيضية مفروضة فى الفضاء ، و ما بين مدار المريخ إلى مدار المشترى نجوم صغار سيارة ، وما بعد فلك نبتون فضاء مجهول قد نثر الله تعالى فيه شموساً ثوابت على أبعاد متشاسعة .

وقد تقرر في الهيئة القديمة: ان الشمس بذاتها منبع النور فقط، و ليست بذات حرارة ولا نار، ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة لان تلك الامور تخص بالعنصريات ، و الأجرام بأسرها مقدسة عن العوارض العنصرية ومنزهة من آثار العالم السفلى، فالحرارة والاحراق واليبوسة ليست من نفس الشمس، بل النور الشمسى ذو خصوصية فى الوجود، تقتضى بعد السطوع على سطوح الأرضيات، ثم الانعكاس عنها إحداث الحرارة ونحوها من الآثار...

فنسبة صدور الحرارة إلى المستنير أحق من نسبته إلى المنير، وإنما المنير سبب إعدادى يوجب ظهور الحرارة من الأرضيات، وليست الحرارة ثائرة من نفس النور أو الشمس بل المنير، منار النور فقط، والمستنير: مثار النار، فليست حرارة الشمس باعتبار جرمها بل باعتبار إنعكاس الأشعة عن الاجسام الكثيفة، و لذلك كلما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أضعف.

وأما الهيئة الجديدة: فتقول: ان الشمس بذاتها مصدر الحرارة والنور معاً، وان جرمها بنفسه مثار النور والنار، ومرسلهما بالاشعار إلى كل سيار وان كرتها مركبة من طبقات نارية وبخارية لاتبرح عن الثوران والاشتعال كالبحر العظيم من نار تلاطمت أمواجه وشعله، وقد يبلغ طول زبانيتها نحو خمسين ألف فرسخ، و ربما انحرقت عن حافته كانحراق شعلة الشمع إذا لاعبتها الريح، ولو ترى لهباتها الملونة فى المناظر الطيفية وما ترمى من الشرر باشتعال الاجزاء المغنيسيومية و غيرها، و لقد حققوا فيها حتى الآن أكثر من أربعة عشر مادة مما يوجد بأرضنا كالنحاس والرصاص والحديد...

وان الشمس شديدة الحرارة التى تبث النور و النار من نفسها بقضاء الله تعالى وقدره فى واسع الفضاء وتوصلهما إلى سياراتها الرابية فى حجر عطوفتها، و ان استلزم تلف آلاف اضعاف مايحتاج إليه كل سيار حتى قالوا: ان الذى يصل إلى أرضنا من حرارة الشمس هو جزء من ألفى مليون وثلاث مأة، و واحد و ثمانين مليوناً

و باقى ذراتها النارية يتلف أو يصل إلى بقية السيارات و الأقمار و الشهب و المذنبات . . .

وان قوله تعالى :« وجعل الشمس سراجاً » نوح ١٦) وقوله:« وجعلنا سراجاً وهاجاً » النباء: ١٣) يدل على أن الشمس كالسراج الذى يفيض النور و يثير النار بذاته.

وفى روضة الكافى: باسناده عن الأصبغ بن نباته عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى حديث - قال: «ان الشمس لو كان وجهها لأهل الارض لاحرقت الارض ومن عليها من شدة حرّها . . . » وفيه دلالة ظاهرة على كون الشمس بنفسها ذات حرارة شديدة فائقة النهاية ، وعلى أن بعض وجوهها أحر من بعض .

وذلك لعل صفاحها الاستوائية لو خلت عن كلف هى أحر من أطرافها التى بعد عرض ثلاثين درجة على نسبة ١٧/ مع ١٦ .

وقال بعض أصحاب النجوم المتأخرين : ان الصفحة الشمالية للشمس أحر من صفحتها الجنوبية ، وان صفحتها القطبية شمالية كانت أوجنوبية لاتواجه أرضنا أبداً حيث ان الارض تدور حوال الصفاح الاستوائية للشمس و قطباها بمعزل عن مواجهة الارض ، فمن كان على الارض وإن رآى قطبى الشمس بالفرض إلا انه لا يواجه القطب فى إستفادة الأشعة، فلاتتجه أشعة قطب الشمس نحو الارض مثل إتجاه أشعة أوساط الشمس ويظهر حق الامر بأدنى تعمق فى المسئلة .

ومن غير مراء ان الوجهة الشمالية للشمس ليست مواجهة لأرضنا، فلو كانت مواجهة لاحرقت حيث ان الوجهة الشمالية أحر وجوه الشمس بشهادة الراصدين، فلا يبعد أن تكون تلك الوجهة من الحرارة بمثابة لو كانت أشعتها مواجهة للأرض كمواجهة الأشعة الاستوائية لكانت محرقة لأرضنا ولمن عليها ومفسدة لمزاجها، ومن المحتمل أن يكون الوجه بمعنى التوجه فيكون معنى قول الامام عليه السلام :« لو

كان وجهها لأهل الارض » ، لو كان توجهها لأهل الارض خاصة لاحرقت الارض و من عليها .

وقال بعضهم: ان الحرارات التى تتلف من شمسنا فى يوم واحد لو اجتمعت فى أرضنا لكانت كافية لذوب مقدار من الجليد دفعة ، و الحالة انه يغطى كل وجه الارض وسمكه أحد عشر ميلاً .

ومنهم من قال: ان الحرارة التى تصل من الشمس إلى خصوص الارض فى السنة لو اعطيت إليها دفعة وقد اكتست بجليد قطره خمسون ذراعاً لذاب الجليد من حينه. فكيف إذا توجهت نحو الارض أعواماً فهلا تصهر أصلب معادنها وتجعلها مع مافيها و ماعليها بخاراً بل هباءاً فى الهواء كما اشعر به هذا الخبر .

وفى تفسير القمى : عن الامام الثامن على بن موسى الرضا عليه السلام - فى حديث - قال: « الشمس والقمر آيتان - إلى أن قال - وضوئهما من نور عرشه وحرّهما من نار جهنم فاذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما فلا يكون شمس ولاقمر ...» وفيه دلالة على أن جرم الشمس ذو حرارة و نارية، وعلى ان للقمر ضوءاً من نفسه لا من الشمس ، وعلى أن جرم القمر أيضاً ذو حرارية ونارية .

وفى الكافى: باسناده عن جابر عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام - فى حديث - قال: « ان للشمس ملكاً ينضحها بالماء ولولا ذلك لاشتعلت الارض ... » الحديث وفيه دلالة على كون الشمس بنفسها ذات حرارة و نارية .

وأما نضحها بالماء ففيه وجوه ثلاثة :

أحدها- ان إكتشاف الاسرار العظيمة من كلمات الشريعة الاسلامية القويمة يعدنا باتضاح هذه المشاكل ومهام الحقائق فى الأزمنة المستقبلة ...

ثانيها- أن يكون ظاهر الخبر تنبيهاً إلى بثّ الله عزوجل فى كل يوم ذرات مائية و رطوبات رشّية فى كرتها الهوائية لتنقيص حرّ الأشعة الشمسية الساطعة على أرضنا سواء كانت الرطوبات من تبخير البحار أم من غيره ، و لولا ذلك لأحترقت

الارض .

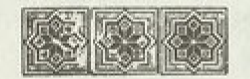
ثالثها - أن يكون ذلك إشارة إلى الأمطار الشمسية كما قال بعض أصحاب النجوم الجديدة : ان من الحوادث الشمسية أمطارها ، وقد وجدوا فى ناحية من الصوب الغربى للشمس فى سعة ثلاثين درجة زائدة سحابية الشكل متشعبة قد اختلط بعض أقواسها العالية ، والتى على ناحية الكر ومسفر منها كان على شكل السهام والشعل عليه بقع سحابية نيرة ، و على طرفها الشمالى شبه خيوط رقيقه و خطوط دقيقه أو كصيب من السماء تصوب نحو السفل ، وفى مركز القرص سحابة كثيفة ظريفة الشكل نيرة يمتد منها إلى السفل مثل العروق الكثيرة تشبه نزول الغيث ، وينزل عن يمينها إلى ناحية القرص مثل شدات الخيوط النيرة كالمطر المورب فى نزوله بسبب إختلاف الريح .

وقد حسبوا سرعة نزوله فى كل ثانية مأة و خمسين فرسخاً ، وظهر فى ذلك التاريخ حسب الاتفاق فى اوروبا شفق عظيم جداً ، وشاهدوا بعد ذلك أمطار أكثيرة شمسية ورأوا بعد شهرين سحاباً كثيفاً منيراً على الشمس ، ومن أسفله شبه خيوط وعروق كالخطوط المنحنية .

ولا يخفى ان الحكم منهم بكون ذلك مطراً فى الحقيقة حدسى ولم يبلغ بعد مبلغ الجزم به إلا انه لو صح وثبت إنطبق عليه فى الظاهر قول الامام عليه السلام : « ان للشمس ملكاً ينضحها بالماء » إذ المطر الحقيقى الحامل لرطوبة وماء كاسر قطعاً لسورة نيران الأشعة المنبعثة والحرارات المنبثة ، ولو كان ذلك المطر ناشئاً من نفس الشمس و أبخرتها التى ادعوا تصاعدها منها و الغازات المتفورة فى ذلك الجحيم .

و فى دعاء الصباح : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام انه قال : **اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه** و

سرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، و أتقن صنع الفلك الدوّار فى مقادير تبرّجه و شعشع ضياء الشمس بنور تأججه - و جعلت الشمس و القمر للبرية سراجاً و هنّاجاً من غير أن تمارس فيما ابتدأت به لغوباً و لاعلاجاً ..»
الدعاء



﴿ قطر الشمس وحجمها وارتفاعها وبعدها عنا ﴾

وقد اختلفت كلمات القدماء والمتأخرين في قطر الشمس وكمية جسامتها ، فمن القدماء : « هير قيلس » الفيلسوف إذ زعم : ان جرم الشمس لايزيد عما نشاهده بالابصار .

ومنهم من قال كـ « انكسفوراس » : ان جرمها أكبر من بلاد الموره ، ومنهم من زعم كـ «طاليس » الفيلسوف : ان جرمها مضيىء بنفسه وقدره كقدر جرم القمر مأة وعشرين مرة. وذهب بطلميوس وأتباعه إلى أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض بمأة وستين مأة، وزعم غياث الدين النجومي القاشاني : أن الشمس أكبر من أرضنا بثلاث مأة مرة .

وأما المتأخرون فاتفقوا على أن شمسنا هذه أكبر من أرضنا بأكثر من ألف ألف مرة حتى أن بعضهم قال: انها أكبر من أرضنا ١٤٠٤٠٩٠، مرة ومنهم من قال كـ« فانديك » و أتباعه ان محيطها : ٢،٧٨٤،٥٠٠، ميلاً أي ٩٢٨٤٧٠، فرسخاً تقريباً .

ومن المعلوم أن كل ذلك تقريبي على سبيل الخرص و التخمين .

وقد وردت في المقام روايات عديدة منها ما :

في عيون الاخبار: - في خبر الشامي عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه سئل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن مسائل ، فكان فيما سئله ان سئله عن أول ما خلق الله تعالى قال: خلق النور وسئله عن طول الشمس

والقمر وعرضهما ، قال: تسعمأة فرسخ فى تسعمأة فرسخ .

وذلك ان (٩٠٠) فى (٩٠٠) ميل أى : ٨١٠,٠٠٠ ميل، ومعلوم أن الميل : ٤٠٠٠/ ذراع لرجل متوسط القامة ، فلو حولنا الذراع إلى انجات فاقدام فياردات فأميال لحصلنا على عين ماعليه الفلك العالى اليوم من أن قطر الشمس ٨٦٥٣٨٠/ ميل، وان الميل = ١٧٦٠ يارده و ٢٢٤٠٠٠/ ١ كيلومتر .

ولايخفى ان الكرة لايفترق طولها عن عرضها التساوى أبعادها الثلاث فيكون الطول كالعرض كناية عن المحيط ، فمعنى الرواية : ان محيط الشمس تسعمأة فى تسعمأة ، وهذا الكلام يدل بدلالته المطابقية على مقدار محيط الشمس أى نتيجة ضرب تسعمأة فى تسعمأة و يدل أيضاً بدلالته الالتزامية على أن كرة الشمس مستديرة تامة على خلاف السيارات التى فى جانبى قطبيها شبه تسطيع و إنّما يستفاد هذا المعنى من الخبر من جهة انه لم يفرق بين الطول والعرض فى كرة الشمس أبداً بل ذكر قدراً واحداً لطول الشمس وعرضها .

فقدر محيط الشمس بنتيجة ضرب تسعمأة فرسخ فى تسعمأة فرسخ : ٨١٠,٠٠٠/ فرسخاً ، وقد أخبر مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بهذا التحديد قبل نحو ألف و أربعمأة سنة حيث لم يكن فى العالم طريق حسّى و لاحدسى يتوصل به إلى هذه الحقيقة غير الانتساب إلى الوحى و إرتباط نفسه القدسية بالمبادىء العلوية الذى لايتفق إلاّ لخاصة أولياء الله تعالى .

ان تسئل: ان السائل سئل فى هذا الخبر عن طول الشمس والقمر و عرضهما معاً فى سؤال واحد ، و أجاب الامام عليه السلام عن التحديدين معاً بقوله : « تسعمأة فى تسعمأة» ويتبادر من ذلك مساواة الشمس والقمر فى الطول و العرض و لوازمهما، و من البديهى ان الشمس أعظم من القمر ، فكيف يستقيم التحديد فيهما بضرب واحد ؟

تجيب عنه بأمرين :

أحدهما ـ انه لم تذكر فى بعض إلا الشمس .

ثانيهما ـ ان الطول والعرض فى الكرة كما مر كناية عن المحيط ، و ان لفظ المحيط ومعناه يعمان السطح المحيط بالكرة و الدائرة المحيطة بها ، فاذا كان المحيط معناً عاماً جامعاً لفردية جاز أن يطلق الامام عليه السلام لفظ المحيط و يريد معناه العام أعنى مايحيط بالجسم سواء كان سطحاً محيطاً بها أو خطاً محيطاً بها كالدائرة ، فيصح قول الامام عليه السلام : محيط الشمس و القمر تسعمأة فى تسعمأة بناء على كون المحيط فى الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها و فى القمر بمعنى السطح المحيط .

أما كون محيط الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها فقد تبين انه تسعمأة فرسخ فى تسعمأة فرسخ ، وأما كون محيط القمر بمعنى السطح المحيط به ، فيقرب أيضاً من ذلك حيث ان قطر القمر عندهم يقرب من ألفى ميل ، فتكون الدائرة المحيطة به ستة آلاف ، ومأتى ميل على قانون نسبة القطر إلى المحيط ، وانها كنسبة السبعة إلى اثنين وعشرين ، وإذا كانت المساحة على كل كرة هى مضروب ربع القطر فى الدائرة المحيطة يكون سطح القمر ٣,١٠٠,٠٠٠ ميلاً أى ألف ألف فرسخاً انجريزياً و شيئاً فينقص عنه مضروب تسعمأة فرسخ فى تسعمأة فرسخ أعنى : ٨١٠,٠٠٠ بثلاثمأة ألف فرسخ ، و بعد تتميم نقص الفراسخ الانجريزية حتى تطابق الفراسخ الاسلامية يتقارب العددان و ينطبق تحديد الهيئة الجديدة على تحديد الامام عليه السلام لسطح القمر .

من غير تعارض بين هذا الخبر و بين مافى تفسير القمى عن الامام على عليه السلام انه حينما سئلوه عن طول القمر و عرضه قال عليه السلام : أربعون فرسخاً فى أربعين فرسخاً .

وذلك ان الطول و العرض فى الكرة لما كانا كنايتين عن المحيط ، و كان المحيط عاماً للسطح المحيط و للدائرة المحيطة أخذنا محيط القمر فى الخبر

الاول بمعنى السطح المحيط فيكون تسعمأة في تسعمأة ، وأخذنا محيط القمر فى الخبر الثانى بمعنى الدائرة المحيطة فيكون أربعين فى أربعين، وتحديدات الهيئة الجديدة قريبةمن هذين التحديدين .

أما التحديد الاول فقد مرّ تطبيقه ، وأما التحديد الثانى فلان نتيجة ضرب الأربعين فى الأربعين / ١٦٠٠ ألفوستمأة فرسخ إسلامى، والدائرة المحيطةبالقمر عند هم تقرب من ألفى فرسخ انجريزى و بعد إعتبار فضل الفرسخ الاسلامى على الفرسخ الانجريزى يتقارب العددان . فتأمل جيداً .

وعن أفلاطون : انهقال : ان الدليل على عظممقدار الشمس، وإن كان الحسّ يرينا هاعلى هذا الصغر ، أن كل شيء يرد ضيائها ، و إن عظم ، يكون منقطع الظل .

وان إرتفاع الشمس و حضيضها قد جعلهما الله تعالى سببين لاقامة الفصول الأربعةففى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر والنبات.فيتولدمنهموادالثمار و يستكشف الهواء فيكثر السحابوينزل المطر وتقوى الأبدان بسبب إحتقان الحرارة الغريزية فى البواطن ، و فى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء و ينوّر الشجر و يهيج الحيوان للسفاد ، وفى الصيف يحتدم الهواء ، فتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجفّ وجهالأرض ويتهيأً للعمارة والزراعةو فى الخريف يظهر البرد و اليبس ، فتدرك الثمار و تستعد الأبدان قليلاً قليلاً للشتاء ، و لو كان بعد الشمس عن الأرض نصف ماعليه الآن لكانت درجة الحرارة على وجه الارض أربعة أضعاف ما عليه الآن و لاحترق كل شيء وتبخرت و استحالت الحياة على وجه البسيطة وقدقال الله عز و جل : « و كل شيء عنده بمقدار » الرعد: ٨) .

فلاترى فى شيء مماخلقه الله جل و علا ما يناقض سنة الكمال و ان نظرة واحدة إلى هذا الكون الواسع الأرجاء و مافيه من نظم و قوانين و علاقات تكاد

لاتتناهى توصل الانسان إلى هذا الحكم القطعى : ان سنة الكمال ضاربة باطنابها فى هذا الكون المادى الرحيب إلى أبعد الحدود ... فتكوّن الشمس و قطرها و حجمها و إرتفاعها و بعدها عنا . وهذه الارض التى نعيش على وجهها ، وهذا القمر المضيىء وتلك الكواكب وملايين النجوم والشموس التى هى أكبر من شمسنا هذه قدجرت تحت قوانين رياضية وطبيعية ثابتة أودعها الله تعالى فى هكذا الكون : « و الشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ـ و كل فى فلك يسبحون » يس : ٣٨ ـ ٤٠)

وهو مما يدل على أن الخالق لهذا الكون قد بلغ من القدرة والتدبير إلى حدٍّ لايتناهى ، وان ما وصل إليه هذا الانسان من معلومات ودساتير لايعادل شيئاً مما هو كائن أو يكون .

ان نسبة علم الله تعالى إلى علم الانسان المحدود هى نسبة المحدود إلى غير المحدود أو نسبة المتناهى إلى غير المتناهى أى كنسبة ب ، ومآل هذه النسبة لا محالة هو : الصفر .

غير ان النظام الشمسى بمفرده ليس مجهولاً تمام الجهل و الحقائق الكثيرة التى نعرفها عنه حدث بعدد غير قليل من العلماء إلى وضع بعض الآراء والنظرات عن كيفية حدوثه وتكوّنه :

منها ـ ان النظام الشمسى لم يتألف و لم يكتسب شكله الحالى بطريق الصدفة فأجزاء المادة التى تتصل كيفما اتفق بالشمس كالمذنبات و ماشابهها لا ـ يعقل أن تجتمع كلها فى مستو واحد على وجه التقريب ، وأن تكون مداراتها و أفلاكها قليلة التفلطح (على شكل قطع ناقص) و قريبة من الدائرة ، فلو كانت السيارات قد إلتحقت بالشمس عن طريق الصدفة لاقتضى أن تكون أفلاكها و مداراتها مختلفة التفلطح والميل بشتى الأشكال ... غير أنا نرى ان النظام الشمسى مرتبط بعلائق كثيرة منظمة ...

وهذه العلاقات المنظمة تلهمنا ان بدأ قديرة قد أنشأت هذه الأفلاك و الكواكب بحكمة فائقة و نظام بديع إلى أبعد الحدود ... قال الله تعالى : « و هو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » الانبياء: ٣٣)و قال: « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » الفرقان :٤٥)

وان مانقله الباحثون أن الأرض تبعد عن الشمس نحو: /٩٣ مليون ميلاً أو /٠٠٠/٠٠٠/٢٨ فرسخاً تقريباً يقطع ضوئها المسافة المذكورة فى ثمان دقائق و ١٨ ثانية والقطار السريع فى /٣٥٠ سنة تقريباً، وقلة المدفع فى /١٢ سنة تقريباً ، مع سرعة الضوء فى الثانية الواحدة فى الفضاء /١٨٣٠٠٠ ميلاً تقريباً أو /٠٠٠/٣٠٠٠ كيلومتراً .

و قيل : يقطع ضوئها فى الثانية الواحدة : /٧٥ ألف فرسخ أو/ ٤٥٠ ألف كيلومتراً .

وقالوا: ان الارض مع بقية الكواكب تدور حول الشمس على شكل أهليلجى أى على شكل القطع الناقص الذى معادلته كماجاء فى الهندسة التحليلية :

$$\frac{س^{٢}}{ب^{٢}} \times \frac{ص^{٢}}{ح^{٢}} = ١$$

ب = نصف القطر الكبير

ح = نصف القطر الصغير

ومعنى ذلك: ان الله تعالى قد حرّك الكواكب حسب قربها من الشمس : عطارد، والزهرة ، والارض ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل، واورانوس ، ونپتون ، وپلوتون حول الشمس على شكل اهليليجى .

والجدول الآتى يبين بعد كل من الكواكب عن الشمس :

البعد: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشترى، زحل، اورانوس، نبتون بملايين: ٣٦، ٦٧، ٩٣، ١٤٢، ٤٨٣، ٨٨٦، ١٧٨٣، ٢٧٩٤ بلوتو ٣٦٧٠، الأميال عن الشمس.

وقيل: وقد سميت الشمس شمساً لأن ثلاثة من الكواكب السبعة فوقها، وهى: زحل والمشترى والمريخ، وثلاثة تحتها وهى: الزهرة و عطارد و القمر، فهى بمنزلة الوسطة التى فى البخنقة التى تسمى شمس وشمسة.

وقالوا: ان شمسنا هذه ماهى إلا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرة: « درب التبانة » التى يبلغ عددها مأة ألف مليون نجماً تقريباً، وإن شمسنا هذه غير هذه فى منتصف المجرة وليست بمركز، ولكنها واقعة قرب الطرف فى موقع مدحور ليس من العظمة فى شيء، ويوجد فى هذا الكون الواسع الرحيب من المجرات بعدد النجوم الموجودة فى مجرتنا: « درب التبانة » فاذن ماهى قيمة هذا الانسان بالنسبة لما خلق الله تعالى من عوالم لاتتناهى ولاتحد؟ لاسيما بعد أن عرفنا ان أرضنا هى هباءة بسيطة فى حافة إحدى المجرات الكثيرة العدد التى لاتعدو ولاتحصى.

ماقيمة هذا الانسان أن يقسم الله جل وعلا بالشمس وضحاها والقمر و تلاها، و هذا السماء الواسعة، وأعلى من ذلك كله أن يقسم بخالق هذا الكون الرحيب لهذا الانسان انه تعالى خلقه مستعداً لكمال اللائق به، فله أن يتكامل ويرقى إلى أوج العظمة والجلال، والعزة و الفلاح، وله أن يتوجه إلى الله عز وجل بالعبادة والتقديس والتسبيح ...

ولعمرى! قد خاب من دسّ نفسه، وأحاط به الغرور فأنكر الخالق أو أعرض عنه بل هو إسودّ وجه الانسانية، وسقط عنها إلى حدّ أقل شأناً من الحيوانية وأضل سبيلاً.

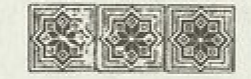
قال الله تعالى: « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون » الاعراف: ١٧٩)

وقال: « والذين كفروا يتمتعون ويأكل كما تأكل الأنعام » محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٢)

قال أحد الماديين: « اني طفت بالصاروخ حول الأرض سبع مرات فلم أر الله »

فأجابه الموحد قائلاً: « ليس الله من الصغر بحيث تراه أنت »

وان أعلم علماء القرن العشرين في الفيزياء وهو: « آينشتاين » يقول: يجب أن نتعرف إلى ألفباء عالم الوجود. ويقول في مقام آخر: ليس من المعقول أن يقال: يمكن التعرف إلى العالم كله.



«الشمس و وزنها»

فى مناجات سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام انه قال: «سبحانك تعلم وزن السموات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور، سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة...»

وقد صرّح الامام عليه السلام بأن للشمس وزناً، وقد نفت الهيئة القديمة الوزن عن الشمس حيث ان الوزن عند أصحابها ليس إلا ميلان الجسم نحو مركزه، فان كان مركزه علوياً كالنار و الهواء سمى ميلانه خفة، وإن كان مركزه سفلياً كالتراب والماء سمى ميلانه ثقلاً، ولذلك نفوا الوزن عن الفلكيات مطلقاً سواء كان حاملاً كأصل جوهر الفلك أو كان محمولاً كأجرام مركوزة فى الفلك كالشمس والقمر والنجوم لأن حقيقة الوزن عندهم ميل مستقيم، وليس فى الفلكيات مطلقاً مبدأ ميل مستقيم قطعاً.

و **فى الشفاء**: قال إبن سينا: «ان الفلك مطلقاً جسم كروى شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط ـ إلى أن قال ـ و المحمول يعنى الأجرام لا ثقل له ولا خفة و لاميل بوجه من الوجوه ولا ممانعة للتحريك»

و هذا فى الفلكيات، وأما العنصريات فتصوروا فيها حالتين:

احداهما ـ ميل كل جزء من أجزاء كرة الارض أو كرة الماء أو كرة

الهواء أو كرة النار إلى مركز كرة نفس ذلك الجزء كميل الحجارة إلى الأرض و ميل النفخة إلى الهواء، وميل الشعلة إلى كرة النار العليا، و في هذه الحالة يعقل الميل و الوزن عندهم و لا يذكرون الوزن إلاّ و يقصدون هذه الكيفية.

ثانيهما -ميل أصل كرة الارض بمجموع أجزائها أو كرة الهواء بجميع دقائقها صفقة واحدة، و هذه الكيفية أيضاً مستحيلة لديهم و ينكرون تحقق الوزن بهذا المعنى للارض و الهواء و غيرهما كانكارهم في الفلكيات، و برهان إنكارهم ان أصل كرة الارض مركز لأجزائها و كذلك أصل كرة الهواء مركز لأجزائها و الوزن ميل الشيء إلى مركزه، و نفس الكرة لامركز لها حتى تميل إليه و ميلها إلى نفسها أيضاً محال ظاهر، فلو كان لجرم الارض وزن و ميل فاما أن يكون ميلاً إلى نفسها و هو محال، و إما أن يكون ميلاً إلى كرة اخرى، والمفروض كمال التباين بينهما، فيستحيل ميل إحداهما إلى الاخرى.

فكرة الشمس كباقي الكرات لاخفيفة ولاثقيلة حيث لاوزن لها ولاميل كالفلكيات... نعم ان أجزاء هذه الكرات الاربع تقبل الخفة والثقل بالنسبة إلى ميلها إلى نحو مركزها، وأما أصل الكرة ومجموع أجزائها، فلاميل فيه فلاوزن له.

وأما الهيئة الجديدة بعد الألف من الهجرة النبوية فالوزن لدى أصحابها لايحدث إلاّ بالجذب، وان جميع الاجسام الكونية عندهم خاضعة لنواميس الجاذبية من الذرارى إلى الذرارى، فالثقل عندهم إنجذاب الجسم إلى ماهو تحته، و الخفة إنجذابه إلى مافوقه، فكما تختلف الفوقية و التحتية إختلاف الاعتبارات كذلك الخفة و الثقل يختلفان باختلافها، ويقولون: إن إنجذام كل جسم إلى الأعظم منه في الحجم أوفي الجوهر أوفي الكثافة مالم يمنعه جسم أقوى منه فالأرضيات بأسرها مجذوبة إلى كرة الارض، وهي المانعة من إنجذاب الغيوم إلى كرة القمر، والقمر ونحوه أيضاً منجذب للأرض، والارض مجذوبة للشمس وهكذا ...

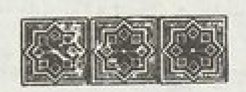
وهم يقولون: ان حصول الخفة والثقل بشدة الانجذاب وضعفه، فما قوى إنجذابه لجسم ثقل، وما ضعف خف فالحجر أكثف من الماء وأشبه بالارض من حيث الأجزاء ،فيكون جذب الارض للحجر أقوى وأشد فيكون الحجر أثقل من الماء والماء أشبه بالأرض من الهواء وأكثف، فيكون جذب الارض للماء أقوى و أشد فيصير الماء بذلك أثقل من الهواء، وهكذا يثقل كل جسم بشدة إنجذابه لجسم آخر ويخف بضعف إنجذابه.

فمنشأ الثقل قوة الانجذاب ومنشأ الخفة ضعفه، وأما منشأ الانجذاب بنفسه فقد يكون كبر الجسم الجاذب حجماً أو يكون تارة كثافة أو قوة في جوهره أو غير ذلك، وعلى هذا المبنى يثبتون لكرة الهواء ثقلاً ولكرة الماء ثقلاً ولكرة الأرض ثقلاً و لكل من الثوابت والاقمار والشمس والنجوم ثقلا و وزناً.

ومنهم من قال: ان جوهر الشمس تعادل جوهر الارض ٢٢٥٠٠٠/ مرة و إذا فرضنا كرة فحم حجرى يساوى حجمها حجم الشمس كانت أقل ثقلاً من الشمس بقليل، ولو قدرنا وزنها بالخروار الفارسى كانت الشمس :

٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٦٢٠٠ خرواراً.

ومنهم من قال: ان وزن الشمس ٣٥٤٩٣٦/١ ضعاف وزن الارض.



﴿ الشمس و كسوفها ﴾

فی تفسیر القمی : باسناده عن الحكم بن المستنير عن علی بن الحسین علیه السلام قال: ان من الآیات التی قدّرها الله للناس ممایحتاجون إلیه البحر الذی خلقه الله عز و جل بین السماء و الارض قال : وان الله قدقدّر فیها مجاری الشمس والقمر و النجوم والکواکب ، وقدّر ذلك کله علی الفلك ثم و کّل بالفلك ملکاً و معه سبعون ألف ملك، فهم یدیرون الفلك، فاذا أداروه دارت الشمس و القمر والنجوم والکواکب معه فنزلت فی منازلها التی قدّرها الله عز و جل فیها لیومها و لیلتها ، فاذا کثرت ذنوب العباد وأراد الله تبارك و تعالی أن یستعتبهم بآیة من آیاته أمر الملك الموکل بالفلك أن یزیل الفلك الذی علیه مجاری الشمس والقمر والنجوم و الکواکب .

فیأمر الملك اولئك السبعین ألف ملك أن یزیلوه عن مجاریه قال: فیزیلونه فتصیر الشمس فی ذلك البحر الذی یجری فی الفلك قال : فیطمس ضوءها ویتغیر لونها، فاذا أراد الله عزوجل أن یعظم الآیة طمست الشمس فی البحر علی مایحبّ الله أن یخوّف خلقه بالآیة قال: وذلك عند إنکساف الشمس .

قال: و کذلك یفعل بالقمر قال: فاذا أراد الله أن یجلّیها أو یردّها إلی مجراها أمر الملك الموکل بالفلك أن یردّ الفلك إلی مجراه ، فیردّ الفلك فترجع الشمس إلی مجراها قال: فتخرج من الماء وهی کدرة قال: والقمر مثل ذلك ، قال: ثم قال علی بن الحسین علیه السلام : أما انه لایفزع لهماولایرهب بهاتین الآیتین إلا من کان من

شيعتنا، فاذا كان كذلك فافزعوا إلى الله عزوجل ثم ارجعوا إليه ... الحديث .

أقول: رواه الكلينى فى روضة الكافى والشيخ فى الفقيه والمجلسى فى البحار وغيرهم إلاّ أن فى الروضة: «الاقوات» بدل «الآيات».

ولايخفى ان مما اتفق عليه أصحاب الهيئة القديمة و الجديدة ان الكسوف إنما يكون بحيلولة القمر بين الأرض والشمس والخسوف بحيلولة الارض بين القمر والشمس ولايختص الانكساف بهما بل يوجد فى سائر الكواكب التى تدور حول الشمس أيضاً، لكن كون تلك الحيلولة موجبة له لاينفى وجود سبب آخر له أيضاً خفى علينا كغيره من الأسباب الخفية علينا.

نعم! يعد غيره سبباً غير عادى فلاينقض قول الهيويين فى هذا الباب بالانكسافات والانخسافات الخارقة للعادة كما لاينقض قول الطبيعيين فى سببية النار للاحراق والحرارة بصيرورتها برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام فان الاسباب قد تمنع من التأثير لموانع خفية ولمعارضتها مع سبب أقوى منها.

وأما البحر المذكور فى الرواية فلتفسيره وجوه:

منها: ان المراد به ظل الشمس والقمر والسر فى عدم بيان حقيقة الحال و الاكتفاء بالبيان الاستعارى هو ان النفوس الضعيفة إنما تنقطع إلى الاسباب وأعينهم لاتنفذ منها إلى مسببها وقيومها، فكلما اسندت الافعال إلى أسبابها المادية العادية ازداد تعلقهم بها، وانتقص توجههم إلى قيومها.

فلابد للعلماء الروحانيين العاملين، للأطباء الالهيين وللمربين الربانيين من أن يسوقوا الناس إلى ربهم، وقطع توجههم عن أصنامهم من إسقاط الأسباب العادية، وحذف الوسائط المادية، وإسناد الافعال إلى الله تعالى بلا واسطة أو بالوسائط الغيبية حتى تنقطع قلوبهم إلى العالم الغيبى، وتتعلق نفوسهم بالجانب الربوبى.

نعم! لله عز و جل عباد لاتشغلهم حجب الوسائل و لايغرهم سراب الأسباب يخافون ربهم فى كل شدة ويفزعون إليه عند كل بلية يطمئنون بذكره وينقطعون

إليه في جميع الشؤون والأحوال وهو وليهم في الدنيا والآخرة، فاذا أحسّوا بحادثة تقبل أو بلية تنزل لا يرون لهم ملجأ إلاّ الله تعالى ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وهذا هو السرّ في قول الامام عليه السلام: «اما انه لا يفزع لهما ولا يرهب إلاّ من كان من شيعتنا» مع ما نرى من رهبة أكثر الناس منهما.

ولا يخفى على القارىء الخبير: انه ليس الكسوف والخسوف عند المنجمين أمرين ساذجين فاقدين للأهمية رأساً.

أما عند القدماء الاحكاميين فلانهم أثبتوا لها بحسب ما يدعون من التجارب تأثيرات في العالم الأرضي مذكورة في زبرهم وتقاويمهم، وأما عند المتأخرين من علماء الاوروبة فلما يرون لهما من الموقعية الهيوية الهامة لوقوع القمر و الارض عند الكسوف والخسوف في إمتداد جاذبي خطير.

وعلى أيّ تقدير فينبغي للمؤمن المستبصر عند وقوع هذه الحادثة الجوية و سائر الآيات الخطيرة الانقطاع التام إلى رب السموات والارض و الانابة إلى قيوم العوالم العلوية و السفلية، فهو الذي يدبر الامور و يقدرها و يحوّل الأحوال و يغيّرها وبيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وفي رواية: «انهما ـ الكسوف والخسوف ـ آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»

قيل: قد يكون التخويف بهما لفقد أولياء الله تعالى إذا كان فقدهم من ناحية الناس كقتل الامام علي والحسين بن علي عليهما السلام.

وقد يقع ذلك تعظيماً للفقيد كما قد يحدث لاشاعة بعض الفواحش و كبائر الاثم بين الناس... وبذلك يمكن الجمع بين الحديث وبين النصوص الدالة على الوقوع عند فقد بعض الأولياء...

وفي أجوبة المسائل المهنائية للعلامة الحلّي رحمة الله تعالى عليه: مسئلة ٩ـ مايقول سيدنا فيما يقال: ان كسوف الشمس بسبب حيلولة جرم القمر بينه و

بين الشمس لان القمر في سماء الدنيا ، وان سبب خسوف القمر حيلولة الارض بينه وبين الشمس لأن نوره مستفاد منها، ويدل على ذلك مايجربه أهل التقويم فيطابق أخبارهم، فاذا كان الامر على هذه الصورة لم أمرنا بالخوف عند ذلك، والفزع إلى الدعاء والصلاة في المساجد، مع أنه يجوز أن يكون الله سبحانه جعل حصول هذا الامر سبباً لوجوب صلاة مخصوصة، لكن ماوجه الخوف من ذلك والفزع منه ؟ بيّن لنا ذلك أدام الله سعدك وأعلا مجدك .

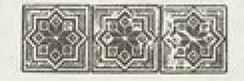
الجواب: إستناد الكسوف والخسوف إلى ما ذكره أدام الله أيامه مستند إلى الرصد وهو أمر ظنّي غير يقيني، ولو سلّم لم يضر في التكليف بالصلاة ، وسؤال الله تعالى ردّ النور، فان أمثال هذه الأفعال مستندة إلى الله تعالى بالاختيار، فحسن الدعاء والصلاة في طلب ردّ النور، ويجوز أن يكون هذا الحادث سبباً لتجدد حادث أرضي من خير أو شر، فجاز أن تكون العبادة دافعة لما انيط بذلك الحادث من الشر والخوف بسبب ذلك .

وقال بعض المحققين: إن تسئل: ان علماء الهيئة ذكروا: أن سبب الخسوف هو حيلولة الارض بين القمر و الشمس ، وسبب الكسوف هو حيلولة القمر بين الارض والشمس ، وبهذا يعلم المنجمون وقت الخسوف والكسوف فحينئذ أيّ ربط بين ما ذكروه وبين ما في بعض الاخبار بأن سببهما كثرة الذنوب وهاتان من علامة غضب الله، فكيف يعلم المنجمون وقت غضب الله، فلو فرضنا عدم وجود إنسان في الدنيا لا يكون خسوف ولا كسوف ؟

تجيب عنه : ان ما ذكره علماء الهيئة في سببهما كاد يكون محسوساً أو كا- لمحسوس أما ما ورد في الأخبار من أن سببهما كثرة الذنوب فهو مضافاً إلى ضعفها المانع عن جواز التعويل عليها، ومعارضة بعض الأحاديث النبوية لها الواردة في الخسوف المقارن لموت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإعتقاد الناس أن ذلك لموت إبراهيم، فردعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخطب قائلاً :

«ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياة أحد ... » الخطبة .

يمكن تأويلها وحملها على إرادة المعنى الكنائي و هي: أن كثرة الذنوب هي التي تطمس نور شمس الهداية و تذهب بنور أقمار العقول، فالذنوب هي التي ينخسف بها قمر العقل و ينكسف شمس المعرفة، فلا يبقى للعقل ولا للمعارف أثر كما ينكسف الشمس بحيلولة القمر، والقمر بحيلولة الأرض، و هذا معنى حسن ومقبول عند ذوي العقول .



﴿الكسوف و علم النجوم﴾

واعلم أن الكسوف في الأصل: التغيير والتغطية، يقال: كُسف وجهه: إذا تغيّر و كسفت الشيء: غطّيته ويصح إرادة كل واحد منهما، فعلى الأول ما أوردنا فيه الرواية سابقاً، وعلى الثاني عند أصحاب الهيئة فانهم يقولون: ان كسوف الشمس هو حيلولة القمر بينها وبين الارض، و الخسوف: ذهاب ضوء القمر أو نقصه ويطلق الكسوف عليه كما يطلع الخسوف عليهما أيضاً إلا ّ أن الأشهر في الاستعمال إطلاق الكسوف على الشمس والخسوف على القمر، وقيل: إذا ذهب بعض نور الشمس فهو كسوف، وإذا ذهب جميعه فهو خسوف .

ان أصحاب الهيئة يقولون: ان الشمس كرة مضيئة ثابتة في مركزها بالنسبة إلينا، والأرض سابحة حولها والقمر دائر حول الارض، فمتى توسط القمر بين الأرض والشمس حجب ضوئها عن الجهة المقابلة لها من سطح الأرض، فالكسوف عندهم حالة تعرض للشمس من عدم الانارة و الاستنارة بالنسبة إلى الأبصار بسبب توسط القمر بينها وبين الابصار .

وذلك إذا وقع القمر على الخط الخارج من البصر إلى الشمس، ويسمّون ذلك بالاجتماع المرئي، و يكون ذلك لامحالة على إحدى العقدتين : الرأس أو الذنب أو بقربهما بحيث لا يكون للقمر عرض مرئي بقدر مجموع نصف قطره وقطر الشمس، فيحول بين الشمس وبين البصر ويحجب بنصفه المظلم نورها من الناظرين تماماً ، و هو الكسوف الكلي أو البعض فهو الجزئي، ولكونه حالة تعرض للشمس لا في ذاتها

بل بالنسبة إلى الابصار جاز أن يتفق الكسوف بالنسبة إلى قوم دون قوم.

كما إذا سترت السراج بيدك بحيث يراه القوم وأنت لا تراه القوم ولا يراه القوم الآخرون، ويمكن أن يكون كلياً لقوم جزئياً للآخرين أو جزئياً للكل ولكن على التفاوت، وأما إذا كان عرض القمر المرئى بقدر نصف مجموع القطرين فيما بين جرم القمر و مخروط شعاع الشمس فلا يكون كسوفاً.

ويقولون: انه لو كان فلك القمر بدائرة فلك البروج لحدث كسوف كل شهر وقت القمر الجديد ولكن بسبب ميل الواحد عن الثانى لا يحدث إلا عند العقدة أو بقربها و كسوف الشمس يكون كلياً أو جزئياً وحلقياً على قدر جرم الشمس المختفى عن الناظر فيرى ظل القمر على الارض، فيحجب الشمس كلها عمن هم داخل حدوده فيكون الكسوف كلياً ومعدل عرضه: ١٤٠/ ميلاً و يكون خارج حدوده ظل أخف يسمى الظليل و يحجب بعض الشمس فقط داخل حدوده وهناك يكون الكسوف.

والناظر عن شمال خط الاستواء والظل يرى كسوف جانب الشمس الأسفل، و الناظر من الجنوب يرى كسوف الجانب الأعلى، و إذا حدث الكسوف عند العقدة تماماً فيكون مركزياً، وإذا حدث الكسوف والقمر فى الحضيض فبما ان قطر القمر الظاهر أقصر من قطر الشمس الظاهر، فجرم القمر لا يحجب عنا كل قرص الشمس بل تبقى حلقة منيرة على محيطها، ويظهر كسوف حلقى للأماكن الواقعة تحت الظل، و الذى ضبطه علماء الهيئة من أحوال الكسوف ما يأتى:

١ـ يحدث الكسوف عندما يكون القمر فى المحاق.

٢ـ لابد من أن يكون القمر فى العقدة أو بقربها.

٣ـ عند ما يكون بعد القمر عن الارض أقل من طول مخروط الظل يكون الكسوف كلياً أو جزئياً.

٤ـ لا يمكن حدوث كسوف فى الأمكنة التى لا تظهر فيها الشمس فى وقت الكسوف.

٥- لايشاهد الكسوف على كل الجزء المنور من وجه الأرض لأن قطر القمر أصغر من قطر الارض حتى أن مخروط الظل لايغطى كل الكرة والمساحة والنواحى التى يغطيها لاتزيد عن ١٨٠ ميلاً ولكن بما أن الأرض دائرة دائماً على محورها من الغرب إلى الشرق، فينتقل ظل القمر من الشرق إلى الغرب حتى انه يرى على مساحة عظيمة من الكرة.

٦- إذا وقع ظل القمر على الأرض وهو مقترب إلى العقدة يمس نواحى القطب الجنوبى، وبالعكس إذا وقع عليها، وهو قريب للعقدة النازلة فيمس نواحى القطب الشمالى، وكلما إقترب القمر إلى العقدة وقت الكسوف قرب الظل نحو خط الاستواء. لاتزيد مدة الكسوف الكلى فى خط الاستواء عن ثمان دقائق و لامدة الكسوف الحلقى عن اثنى عشرة دقيقة، وسبب زيادة مدة الثانى عن الأول هو كون القمر حينئذ فى الحضيض حيث تكون حركته إبطاء مماهى والقمر فى الأوج، وأطول مدة الظلام الكامل هى عند مايكون القمر فى الاوج والشمس فى نقطة الذنب لان جرم القمر الظاهر حيث تكون على معظمه وجرم الشمس على أصغره، ومن ذلك يستنتج ان نوع الكسوف ومدته يتوقفان على موقف القمر بالنسبة إلى الشمس.

٧- عدد الكسوفات كل سنة لايزيد عن خمسة، ولايكون أقل من كسوفين والكسوف الكلى أو الحلقى نادر فانه لم يشاهد كسوف كلى فى مدينة لو ندرة منذ سنة ١٧١٥م وذلك بعد مضى خمسة أجيال ونصف من ظهور مثله.

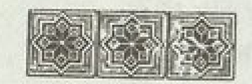
٨- الكسوف يبتدىء من طرف الشمس الغربى وينتهى إلى المشرق.

٩- ان وجه الشمس و وجه القمر ينقسمان إلى إثنى عشر قيراطاً، ومقدار الكسوف هو بالنسبة إلى عدد القراريط المحتجبة مثلاً كسوف ست قراريط هو الذى فيه يحتجب نصف قرص الشمس و هلم جراً.

ظواهر غريبة فى الكسوف قد ترافق الكسوف الكلى ظواهر غريبة مختلفة، فتظهر أحياناً حول الشمس هالة جميلة، وأحياناً اخرى لهب أحمر يلعب حول قرص

القمر وعند ما يبقى من الشمس هلال فقط يتقطع إلى نقط لامعة و مظلمة مثل خرز المسبحة تسمى خرزات بيلى .

وتحدث وقت الكسوف الكلى ظلمة كالليل حتى تظهر السيارات والنجوم و تذهب الطيور إلى أوكارها ، وتنقبض الزهور و يترطب الهواء ، وتخضل الأعشاب وتظهر جميع الأشياء بلون أصفر ، ويعتقد الهنودان ثعباناً كبيراً يبتلع الشمس فى وقت الكسوف فيطرقون الادوات النحاسية و غيرها لحمله على ترك فريسته .



﴿شموس غير شمسنا هذه﴾

في بصائر الدرجات للصفار رضوان الله تعالى عليه (المتوفى سنة ٢٩٠) باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «ان من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس أربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أولم يخلقه، وان من وراء قمركم هذا أربعين قمراً، ما بين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أولم يخلقه... الحديث.

أقول: رواه الكليني في روضة الكافي، والشيخ المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار والسيد الجزائري في الانوار النعمانية وغيرهم.

وفي رواية: «لا يدرون» بدل «ما يعلمون».

وفي البحار: - في حديث صحيح - عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في كلام له مع العالم اليمني - فقال عليه السلام في صفة الشمس: «انها إذا امرت تقطع اثني عشر شمساً واثني عشر قمراً واثني عشر مشرقاً واثني عشر مغرباً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً ...» الحديث.

وفي الدر المنثور: - في رواية - : «ان الله تعالى استوى على العرش في يوم الجمعة في ثلث ساعات فخلق في ساعة منها الشموس ...» الرواية.

وغيرها من الروايات التي تدل على وجود شموس حسية خارج عالمنا و من وراء نظام شمسنا، ومن الروايات ما يصرح بتعدد الشمس والقمر في عالم الوجود، و منها ما يقول به تلويحاً، وذلك قبل ألف سنة في زمن كان الفاضل و الجاهل متحدين

على وحدة الشمس، متفردة في عوالم الوجود حتى كانوا يضربون بها في أمر كلى ينحصر بفرده في الوجود. ويستدلون على وحدتها بأمرين:

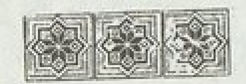
أحدهما- الحس بأنه كليل غير قابل، فان البصر لايبصر غير تلك النجوم و الكواكب من غير فرق بين مايكون نوره من ذاته و مايكون من غيره، ولا نحس كرات تدور حول الكواكب والنجوم ولا عوالم ونظامات غير نظام عالمنا هذا، فادراك عالم آخر أو شمس اخرى أمر تقوم به العقول، فتعجز عنه الابصار الحواس...

ثانيهما- العقل، وهو لايقتضى لوجود شمس اخرى و لالعالم آخر، بل هو يمنع عن إعتقاد عالم آخر بنظام آخر في دائرة الوجود الخارجي، فالعالم منحصر بفرده المشهود أعنى هذه الكرة، مركزها مقعر الأرض ومحيطها محدب فلك الافلاك، و كانت هذه الكرة تنقسم لديهم إلى ثلاث عشر كرة منضدة منظمة:

تسعة منها أفلاك، وأربعة منها كرات العناصر الأربع، و كل كرة من المجموع يحيط بالسفلى من كل جهة، ويقولون: ان الثوابت كلها داخل في نظام شمسنا، و انها تدور حول أرضنا في كل (٢٤) ساعة مرة واحدة كما يدور قمرنا حول الارض في كل شهر مرة واحدة، ويقولون: إن الفلك الأطلس يحيط بفلك الثوابت، وانه المدير للجميع في اليوم دورة يحصل منها الليل والنهار، وان ثخن الفلك الأطلس مستوعب لتمام عالم الوجود، و ليس مابعد الاطلس عالم و لذلك ما كان شمس و لاقمر و لا موجود وراء الأطلس، ويقولون: ان الثوابت و السيارات كلها تستضيء من نور شمسنا هذه وإلاّ فهي مظلمة بذواتها، وشمسنا وحدها تفيض إليها نورها.

حتى استكشف علماء الهيئة الجديدة شموساً متعددة بان الكواكب الثابتة كلها شموس منيرة بذاتها حامية بنفسها سابحة في جوّ السماء الواسع سبحاً لاندركه من كثرة البعد الشاسع، وليس شيء منها منوطاً بعالمنا ولا مربوطاً بنظام شمسنا ولكل واحدة منها نظام خاص وعالم مخصوص مؤلف من أراض سيارة وأقمار دوّارة وهي في مركز نظامها كشمسنا في عالمنا.

ومن غير بعيد أن تكون الشمس فى جوّ سماء الدنيا واحدة ، و كان تعددها بالنسبة إلى بقية السموات السبع كما يمكن أن نستفيد ذلك من قوله عليه السلام: « فيها خلق كثير » وأما لفظه « أربعين » فى رواية فيحتمل أن تكون المبالغة فى التعدد لا لتعيين المعدود أو كان تعددها فى سائر السموات باعتبار مزيد سعتها بالنسبة إلى سمائنا بمرات ... والله تعالى هو أعلم بحقائق الامور ...



﴿ النعم الشاملة والشمس المنسية ﴾

قال الله تعالى : « الشمس و القمر بحسبان ـ فبأى آلاء ربكما تكذبان »

الرحمن : ٥ـ ١٣)

ومن البيّن : انّ من أعظم نعم الله جل وعلا على عباده خلق الشمس ضياءاً لهم لنموّهم وللسعي إلى معايشهم . ولنموّ الحيوان و النبات ونضج الأثمار ، ومعرفة الأوقات وغير ذلك من المنافع الروحية والفوائد المادية، وأكثر الناس عنها غافلون ،فلابد لكل محقق خبير أن يتدبر فيها ويبينها لهم فى كل وقت ومكان ...

وفى الشمس منافع عظيمة ظاهرة على كرة أرضنا ناشئة من دوران الشمس على نفسها فان سطوح الكرة الشمسية مختلفة على ما تقرر به الهيئة الجديدة ، ففى بعضها كلف و شامات كبيرة يبلغ القطر من بعضها خمسين ألف فرسخ ، وفى بعضها مشاعل عظيمة و ملونة و لهبات شديدة الحر والشرر من إشتعال الاجزاء المغنيسيومة و غيرها، والمقصود انهم رأوا فى ظهور هذه الشامات والكلف ونحوها على وجه الشمس إذا قابل الارض فى دوره، بل أيقنوا من العلائم بأن ظهورها تيك الامور مؤثرة تأثيراً عظيماً فى الشفق .

وفى جوّنا و فى الظواهر الكهربائية والابر المغناطيسية، فتضطرب و تنحرف عن القطب إنحرافاً فاحشاً مختلفاً باختلاف الكلف حتى ان معظم المطر يوافق معظم الكلف والعكس بالعكس، وان مواجهة كلف الشمس للارض مؤثرة فى فصولها من جهة خصبها و قحطها ، وان مدة زيادة الكلف توافق زيادة وقوع الامطار فى الأقاليم

الاستوائية إلى غير ذلك من التأثيرات النافعة لنوع العباد فلا غرابة فى أن يكون تسخير الشمس فى سيرها المحورى من الله جل و علا لأجل حصول تلك الحالات فى الأرضين متاعاً لهم وإنتفاعاً، وللاستدلال بها على خالقها القادر العزيز المتعال كما فعل بذلك إبراهيم خليل الله عليه السلام: « قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر » البقرة: ٢٥٨)

قال الله تعالى: « ومن آياته الليل والنهار و الشمس والقمر » فصلت: ٣٧)

ان الارض أشرقت بنور ربها، وان هذه الدنيا مبادىء جنات الانسان ومسرات نعيمهم، وان الأرض التى هم عليها فى مثل هذا الموقف إن هى إلا ذرة من الوجود، وما الشمس وتوابعها التى لا تزيد فى المجموعات الكوكبية (المجرات و السدم) البالغات (٣٠) ألف مليوناً إلا كحبة رمل فى فلاة واسعة، وإذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبح الارض فيه جوهراً فرداً، فان جميع شموسه و مجراته و سدمه تبلغ ألف مليون أرض، وهنالك تذهلهم عظمة الكون وتدهشهم، وان علوم الانسان الآن نسبتها إلى حقائق هذا الكون كنسبة ضالة أجسامهم وحقارة أرضهم إلى سعة هذه العوالم ...

وإذن يحقرون أكثر ما يسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آبائهم مخازى من العلم و أضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولا يعقلونها.

وان الشمس لا تزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء من كوكب الجوزاء، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرة واحدة، والمجرة معها مجرات وسدم لا تنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرة وسديم، وان هذه العوالم كلها إذا جرى النور حولها لا يتم دورته أقل من مأة ألف مليون سنة، فهناك تبدل العقول غير العقول.

فاذا كانت هذه حال الكون فعلوم أهل الارض أكثر ضلالة وجهالة، فكيف وهم جاهلون عن أسرار عضو واحد من أجسامهم ؟؟؟

نعم: نسى الانسان منافع هذه الشمس المضيئة التي جرت بها الأنهار والرياح والحساب وأخضر الزرع، وعاش الحيوان والانسان، وجرت السفن و القطرات و الكهرباء و بها كانت الاضباع المخترعة الكثيرة التي تفتخر بها الغادات فهى كلها من القطران المستخرج من الفحم، نسوا منافعها لا حصر لها نسوا انها دخيل في المآكل والمشارب و الملابس. وفي شرههم ولذاتهم وإستشفائهم و فيها دخل في الصحة والقوة ...

نعم: ينسى هذا الانسان مما أنعمه الله تعالى عليه، و يعظم ما اخترعه إنسان من المخترعات بنور العقل الذى هو نعمة من نعم الله تعالى، فيعظم مثلاً (اديسون) المخترع الذى كشف أسرار في حدّ معين لا من جميع الجهات وصنع سراجاً، يحبه الانسان بقلبه وقد نسى صنعة ربه، وهي سراج الارض و أهلها قال الله تعالى: «وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً» نوح: ١٦)

هذه الشمس هي سراج الله جل وعلا يستضيىء منه الانسان والحيوان . و هذا النور هو المادة الخضراء في داخل الحجرات في أيام الحياة بهما يجذب الانسان مادة حامض الكربونيك المفسد للهواء و يهضم في جسمه ذلك الفاسد و يخرج ما يصلح الهواء.

وان الفحم الذى يفسد الهواء هو الذى يدخل في تركيب كل فاكهة و زهرة وورق وشجرة هذه الحقول، وهذه الخبات لا حياة لها إلاّ بما تستخرج من زبالة الهواء فأضواء الشمس واكسوجين الهواء والكربون المضر فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها و أثمارها . والماء و الارض و الرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة و هى حياة الانسان، فأىّ نسبة بين سراج (اديسون) ومعامله المشكورة، وبين سراج الله تعالى، وبين معامله في الكون و في الارض وأهلها .

وما علّة الغفلة والنسيان إلاّ ان صناعات (اديسون) و أمثاله أقرب لعقول الانسان الغافل، وصنع الله تعالى لشدة عظمته و قصور أفكار أكثر البشر، ولكن في الأرض اناس سمت عقولهم و ارتقت أفكارهم، فهم يهيمون بربهم لما بهرهم من عظمة

صنعه، وهم الذين يحبونه حباً جماً، وهم الارض يعيشون لايبتغون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لاممهم مقتدين بمايرون من أعمال ربهم لشدة حبهم إياه جل وعلا.

فبالجملة: ان الشمس تشع منها حرارة وضوء ، والحرارة تثير البخار والهواء والسحاب وهذه الاثارات يرادبها تنمية أغذية الانسان والحيوان وإراحتهما وإسعادهما، فهيهنا ساقت الشمس بأمر الله تعالى ماء وهو للعالم الحيوانى، فلم يكن الغذاء ولاالدواء ولاالروائح العطرية، ولالذائذ الذوق واللمس وجمال المبصرات آتيامن الشمس مباشرة بل اتخذالله عز و جل بالتدبير الالهى واسطة بين الشمس و بين الانسان والحيوان والنبات والجماد وماإليها ..

ولكن الشمس التى هى مصدرهذا كله لاتقف عندهذا الحد، فهى بحرارتها تحيط بجسم الحيوان كل يوم ، فتميت الأحياء الذرية و هى (الميكروبات) بنفسها لابواسطة ، وتفعل فى الجو مع المادة الملونة (كلوروفل) العائمة فى وسط السائل الداخل فى فتحات الاوراق اللاتى تعد بمئات ، والوف وملايين فى الورقة الواحدة من الاشجار وبهذا الاتحاد بين ضوء الشمس وبين تلك المادة تجتذب الورقة المادة الكربونية من الهواء وهذه المادة بهاحياة الشجر و قيام هيكلها وصلاح حالها وظهور أزهارها و أثمارها و جمالها وحسنها وبهائها ، فاذن الشمس نفعت الاحياء بواسطة الهواء و الماء تارة وبنفسها تارة اخرى .

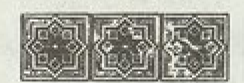
الله الله تبارك و تعالى هذه هى الشمس : شمس ربنا و ماتزال تطلع وتغرب، فكم نبعثر فى كل يوم من هذه الأشعة المحيية، ونحن نستحم فى الضوء والدفء و نسبح ونغرق فى نعمة الله عزوجل ، فكم نشكر هذا الفيض الغامر المتاح المباح العميم من غير ثمن و لا كدّ و لامعاناة و لامنّ ...

وحين نمضى نستعرض آلاء الله تعالى على هذا النحو فاننا تنفق العمر كله ، و نبذل الجهد كله، ولانبلغ من هذا شيئاً فنكتفى إذن بهذه الاشارة الموحية على طريقة القرآن الكريم فى الاشارة وايماء ليتدبرها كل قلب .

قال الله عز و جل :« الشمس والقمر بحسبان ـ فبأی آلاء ربكما تكذبان »
الرحمن: ٥ـ١٢)

فجعل الله تعالى لها نظاماً تاماً فی سيرها فننظم أعمالنا بنظام سيرها و تنوّع فی الانتفاع بذلك النور البديع ، فليس هذا النور قاصراً على هدايتنا بل هو مفيد لنفس حياتنا فهو حياة كما هو هداية .

ان النور يسطع على الأوراق فی الأشجار والحشائش و سائر النباتات فيمتزج بالعصارات الجاريات فی تلك النباتات ، فيكون التفاعل والامتزاج فيتمّ نمو النبات ،فيكون النور مساعداً على تغذية النبات وجلبه من الهواء موادّ الكربون السائحة فيه، فيقوى النبات و يعيش، وبه تكون حياة الانسان و النبات، فليتدبرها كل قلب و يمضی على أثرها قدر ما يوفقه الله تعالى لنعمة الشكر وهی إحدى آلائه جل وعلا يوفق إليها من يستحقها بالتوجه و التجرد و الاخلاص .



﴿ بحث فقهى فى تطهير الشمس ﴾

واعلم أن البحث فى المقام يدور على أربعة فصول :

الاول : فى تطهير الشمس ، وقد وردت روايات كثيرة تدل على مطهّرية الشمس للبول والماء النجس و الدم على الارض وما يتبعها من الأبنية و الحيطان وما يتعلق بها من الأبواب والأعتاب والأخشاب و الأوتاد المستدخلة ، والأشجار وما عليها من الأوراق والثمار و الخضراوات والنباتات مالم تقطع و إن بلغ أوان قطعها بل و إن صارت يابسة مادامت متصلة بالارض أو الاشجار ... و كذلك الحصر و البوارى ... إذا جفّت النجس باشراقها عليه بلا حجاب كالغيم و نحوه و أذهبت جرمه :

فى **وسائل الشيعة :** بالاسناد عن زرارة قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن البول يكون على السطح أو فى المكان الذى يصلّى فيه ، فقال: إذا جفّفته الشمس فصلّ عليه فهو طاهر .

وفيه: بالاسناد عن زرارة وحديد بن حكيم الأزدىّ جميعاً قالا: قلنا لأبى عبدالله عليه السلام : السطح يصيبه البول أو يبال عليه يصلّى فى ذلك المكان ؟ فقال : إن كان تصيبه الشمس و الريح و كان جافاً فلا بأس به إلا أن يكون يتخذ مبالاً .

وفيه: بالاسناد عن على بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام - فى حديث - قال: سألته عن البوارى يصيبها البول هل تصلح الصلاة عليها إذا حفت من غير ان تغسل؟ قال: نعم لا بأس .

وفيه: بالاسناد عن عمار الساباطى عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث - قال: سئل

عن الموضع القذر يكون في البيت أوغيره فلا تصيبه، ولكنه قديبس الموضع القذر قال: لا يصلّى عليه، وأعلم موضعه حتى تغسله. وعن الشمس هل تطهر الارض؟ قال: إذا كان الموضع قذراً من البول أوغير ذلك فأصابته الشمس، ثم يبس الموضع فالصلاة على الموضع جائزة، وإن أصابته الشمس ولم ييبس الموضع القذر وكان رطباً فلايجوز الصلاة حتى ييبس، وإن كانت رجلك رطبة وجبهتك رطبة أوغير ذلك منك مايصيب ذلك الموضع القذر فلاتصلّ على ذلك الموضع حتى ييبس، وإن كان غير الشمس أصابه حتى ييبس فانه لايجوز ذلك.

وفيه: بالاسناد عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ياأبابكر ما أشرقت عليه الشمس فقد طهر.

وفيه: بهذا الاسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: كل ما أشرقت عليه الشمس فهو طاهر

وفي دعائم الاسلام: وقالوا صلوات الله عليهم: في الارض تصيبها النجاسة لا يصلى عليها إلاّ أن تجففها الشمس وتذهب بريحها، فانها إذا صارت كذلك و لم توجد فيها عين النجاسة ولا ريحها طهرت.

وفي رواية: عن الامام السابع موسى بن جعفر عليه السلام قال: «حق على الله أن لا يعطي في دار إلاّ أضحاها الشمس ليطهرها»

وفي الجعفريات: باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه ان علياً عليه السلام سئل عن البقعة يصيبها البول والقذر؟ قال: الشمس طهور لها قال: ولابأس أن يصلّى في ذلك الموضع إذا أتت عليه الشمس.

وفيه: باسناده عنه عليه السلام قال: إذا يبست الارض طهرت.

و في فقه الرضا: عليه السلام «وماوقعت عليه الشمس من الأماكن التي أصابتها شيء من النجاسات مثل البول وغيره طهرتها وأما الثياب فلاتطهر إلاّ بالغسل.

الفصل الثاني: وفيه أمران:

أحدهما ـ أنه لا كلام في أن التجفيف بالشمس موجب لارتفاع حكم

المتنجس في الجملة، ولكنه وقع الخلاف في أنها كالماء من المطهرات أو انها لاتؤثر إلاّ في العفو عن النجاسة في بعض آثارها والعفو عن التيمم والسجود على الموضع الذي جفّفته الشمس من الارض والحصر والبوارى ... لا الطهارة، فلايترتب عليه سائر أحكام الطاهر:

فذهب المشهور إلى الاول، والمعروف بينهم: ان حصول الطهارة بالشمس كحصولها بالماء، وحكى عن بعض بالتزامه في الارض بطهارتها بـزوال عين النجاسة عنها كمافي بدن الحيوان بدعوى انه لادليل على بقاء أثر النجاسة بعد زوال عينهافي غير الموارد التي ورد فيها الدليل على بقائه.

وقال بعضهم: انّ من شأن الشمس الاسخان الملطف للأجزاء الرطبة والمصعد لها مع إحالة الأرض للأجزاء الباقية اليسيرة، فيطهر حينئذ خصوصاً لوقلنا: ان الطهارة هي النظافة والنزاهة الحاصلتان بمجرد زوال القذارة عن المحل.

وذهب جماعة من القدماء والمتأخرين إلى العفو، و المشهور عندي هو المتبع.

ثانيهما- في دلالة تلك الاخبار الواردة على جميع الفروض المذكورة في صدر العنوان وعلى المشهور المتبع، فنقول: ان الصحيح الاول نصّ في حصول الطهارة بالتجفيف بالشمس سواء كان في السطح أوغيره من المكان الذي يصلى فيه أرضاً كان أوبناء، وفيه تأييد للمشهور.

وان الصحيح الثاني أيضاً نصّ في الطهارة في السطح الذي هو من جملة الأبنية و مورد الصحيحين خصوص البول، فلا يعمّ سائر النجاسات المشابهة له إلاّ أن يستفاد الحكم بالتعميم لسائر النجاسات منه، ولو بقرينة غيره من الاخبار، ولايبعد ان يكون ذكر البول فيهما من باب المثال وما في الصحيح الثاني من عطف الريح على الشمس لايستفاد منه السببية المستقلة للحكم كما هو المحكي عن الشيخ في الخلاف فانه خلاف الاجماع إذ لم يقل به أحد سواه، ولذا حمل على إرادة ما كان لهبوب الريح

دخل في التجفيف بحيث لاينافيه نسبته إلى الشمس . ، وأما إستفادة طهارة الحصر و البوارى من الصحيحين على أن المكان الذى يصلّى فيه يطلق على المكان المفروش وغيره فغير بعيد ، ولكن ثبت بالاجماع و غيره: ان الفراش من غير هما لا يطهر إلاّ بالماء بخلافهما ، فلامانع من شمول الاطلاق لهما بدعوى إنصراف الاطلاق إلى الأ-مكنة الخالية عن الفراش خصوصاً بعد عدم مشاركة شيء من المنقولات لهما في الحكم.

ويدل على طهارة البوارى الصحيح الثالث ، والاستدلال به متوقف على أن يحمل على ما إذا حصل الجفاف بالشمس ، و ذلك لاشتراط طهارة موضع السجود في جواز الصلاة عليها، وفسادها مع نجاسته، ولو كان يابساً و جفافه الموجب لجواز السجود عليه ينحصر بما إذا صار بالشمس .

وأما موثق الساباطى فهو أيضاً كسابقه لا يستفاد منه أزيد من مسببية تجفيف الشمس لجواز الصلاة ، فلايدل على الطهارة ،بل ربما يستشعر من عدول الامام عليه السلام إلى الجواب في السؤال عن التطهير بجواز الصلاة عدمها ، فيكون شاهداً للقول بالعفو لكنهما لاتصلحان لمعارضة الصحيح الاول و غيره مما دل على أن الارض تطهر بجفافها بالشمس لصراحتها فيه ، نعم فيه ظهور كالرضوى في عموم الحكم لمطلق النجاسات و كذا الخبر بعده لمكان الاطلاق فيه ، لكن ما فيه من العموم لكل ما يقع عليه الشمس يتعيّن صرفه بشهادة الاجماع وغيره إلى ما من شأنه أن يشرق عليه الشمس من الارض و نحوه

وأما عمومه للحصر و البوارى مع عدم العلم بخروجهما عنه فلو قلنا بانصرافه في نفسه إلى الارض و مثله فاستفادة العموم منه إليهما مشكل .

ويستدل باطلاق خبرى أبى بكر الحضرمى على العموم : من الارض و الحصر و البوارى وعلى كل ثابت بالذات كالأشجار والثمار والخضروات والنباتات مالم تقطع وإن بلغ أو ان قطعها أو بالعارض كالأبواب والاخشاب والأوتاد و الظروف المثبتة في الارض والحيطان وما عليها ، وعلى الابنية من الجصّ والقير و نحوهما .

وأما خصوص الارض والأبنية فيدل عليه الاخبار المتقدمة المشتملة على لفظ السطح والمكان والارض والموضع كما تقدم، هذا بالنسبة إلى غير المنقول، وأما المنقول فالمشهور هو عدم طهر ماعدى الحصر و البوارى منه بالشمس ، فلا كلام فى عدم طهر الفرش المعمولة من الصوف والقطن والكتان ... بالشمس ، وإن كانت كبيرة على مثابة صارت غير قابلة للنقل .

ويستدل باطلاق خبرى الحضرمي والتعبير بالنجاسة فى خبر دعائم الاسلام، و بالقذر فى موثق عمار و بكلمة «مثل البول وغيره» فى الفقه الرضوى على عموم الحكم بالنسبة إلى كل نجاسة من البول ونحوه من النجاسات والمتنجسات التى لا يبقى عينها بعد الجفاف ، خلافاً لظاهر جماعة حيث خصّصوا البول بالذكر .

ويستدل بصحيح زرارة وموثق عمار وخبر الحضرمي وخبرى الجعفريات على حصول الطهارة بالجفاف المستند إلى الشمس باشراقها على النجاسة بلا حجاب ولا مانع.

الفصل الثالث: فى شرائط التطهير وهى امور :

الاول : يعتبر فى التطهير بالشمس رطوبة المحل ، فاذا تنجست الأرض بالبول، فأشرقت عليها الشمس حتى يبست طهرت من دون حاجة إلى صب الماء عليها واذا كانت الارض النجسة جافة . واريد تطهيرها صب عليها الماء الطاهر أو النجس ، فاذا يبس بالشمس طهرت .

إذا شك فى رطوبة الأرض حين الاشراق أو فى زوال العين بعد العلم بوجودها أو فى حصول الجفاف، أو فى كونه بالشمس أو بغيرها أو بمعونة الغير لا يحكم بالطهارة واذا شك فى حدوث المانع من الاشراق من ستر و نحوه فالأقوى عدم الطهارة .

الثانى: يشترط التجفيف باشراق الشمس على جرم النجاسة عرفاً بلا حجاب عليها كالغيم ونحوه، فلا يكفى تجفيف الحرارة لأنها لا تسمى شمساً، ولا الهواء المنفرد بطريق أولى، نعم لا يضر إنضمامه إليها، وأما الغيم الرقيق أو الريح اليسير على وجه يستند التجفيف إلى الشمس وإشراقها لا يضر، فلو جفت النجاسة بالشمس و لكن

بدون إشراقها ولو باشراقها على مايجاورها لماحصلت الطهارة .

الثالث: يعتبر زوال عين النجاسة إن كان لها عين، فاذا كان البول مثلاً غليظاً له جرم لم يطهر جرمه بالجفاف ، بل لايطهر سطح المتنجس الذى عليه الجرم كما أن الأمر كذلك فى التطهير بالماء و غيره بلا خلاف ظاهراً .

الفصل الرابع: فى المطهرات بالشمس و فيها مسائل :

مسئلة ١ ـ ان الشمس تطهر الأرض و كل مالاينقل عادة سواء شق نقله أم لا ، وأمكن أم لا من، الأبنية والحيطان ومايتصل بها من الأخشاب والأبواب المثبتة و الا-عتاب والاوتاد الداخلة، والأشجار وماعليها من الأوراق والثمار والنبات والخضروات مالم تقطع وإن بلغ أوان قطعها، بل وإن صارت يابسة مادامت متصلة بالأرض أو الأشجار...

و كذلك الأوانى المثبتة و نحوها فى الارض أو الحيطان وماطلى عليها من جص وقير و نحوهما، تطهرها الشمس كلها عن نجاسة البول بل سائر النجاسات والمتنجسات إذا زالت نجاستها و ذهب جرمها .

مسئلة ٢ ـ و كذلك تطهر الحصر والبوارى، على أن الحصير : البساط الصغير من النبات، والبوريا: المنسوج من القصب .

مسئلة ٣ ـ يطهر الحصير باشراق الشمس على أحد طرفيه طرفه الآخر ، وأما إذا كانت الارض التى تحته نجسة فلاتطهر بتبعيته، وإن جفّ بعد كونها رطبة ، و كذا إذا كان تحته حصير آخر إلاّ إذا خيط به على وجه يعدّان معاً شيئاً واحداً ، و كذلك الحكم فى البوريا .

مسئلة ٤ ـ ولاخلاف فى عدم طهر الفرش المعمولة من الصوف والقطن و الكتان بالشمس، ولو كانت كبيرة على مثابة صارت غير قابلة للنقل، فاستفادة حكم الحصر والبوارى منه بعيد جداً فضلاً عما عداهما .

مسئلة ٥ ـ ان الحصى والتراب والطين والأحجار مادامت واقعة على الأرض و تعدّ جزءاً منها عرفاً تكون بحكمها، وإن كانت فى نفسها منقولة، وإن اخذت منها أو

خرجت عن الجزئية الحقت بالمنقولات، وإن اعيدت عاد حكمها .

مسئلة ٦- لو لم تكن الحصى و التراب والطين و الأحجار ... معدودة من الارض كقطعة من اللبن فى أرض مفروشة بالزفت أو بالصخر أو نحوهما فثبوت الحكم حينئذ لهامحل إشكال .

مسئلة ٧- ان المسمار الثابت فى الأرض أو البناء بحكم الأرض، فاذا قطع لم يجر عليه الحكم، فاذا ارجع رجع حكمه وهكذا كل مايشبه ذلك .

مسئلة ٨- ان الحائط المتنجس إذا أشرقت الشمس على أحد جانبيه ، فالأقوى عدم كفاية طهارة أحد جانبه فى طهارة جانبه الآخر، وأما باطن ذاك الجدار تابع للظاهر المشرق عليه عرفاً، وأما إذا أشرقت على جانبه الآخر أيضاً فلا إشكال .

مسئلة ٩- يكفى فى طهر الباطن الاشراق على الظاهر تبعاً لطهارة الظاهر بالا-شراق مع جفاف الجميع بخلاف المتعدد المتلاصق إذا أشرقت على بعضه ، فتطهر باطن الارض المتصل بالظاهر النجس باشراقها عليه مع سراية النجاسة من الظاهر إليه، بخلاف ما إذا كان الباطن فقط نجساً أو لم يكن متصلاً بالظاهر بأن يكون بينهما فصل بهواء أو بمقدار طاهر أو لم يجف أو جف بغير الاشراق على الظاهر أو كان فصل بين تجفيفها للظاهر و تجفيفها للباطن كأن يكون أحدهما فى يوم، والآخر فى يوم آخر فانه لا يطهر فى هذه الصورة .

مسئلة ١٠- لو سرت النجاسة من الظاهر إلى الباطن، فان كان على نحو لا يعد مغايراً معه كما كان متصلاً به طهر الظاهر والباطن، وإلا - كما لو كان بينهما الفصل أو وصلت النجاسة إلى الجانب الآخر من السطح - فيختص التطهير حينئذ بالسطح الظاهر و مايتبعه فى النسبة دون الطرف الآخر و مايلحقه .

مسئلة ١١- وتطهر السفينة و الطرادة من غير المنقول على الاقوى ، وفى الكارى و نحوه على إشكال، وسهم الدالية والدياسة والجلابية والقفة و الطين على الأرض تطييناً أو على سطح، و كذا ما يصنع بازاء الحائط للحيوان و غيره و كذا المطين به ،

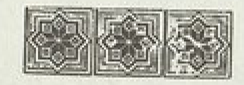
وكذا القير على الحوض والحائط و الأخشاب المستدخلة فى البناء والأجنحة و الرواش والابواب المغلقة و أغلاقها .

مسئلة١٢- لايكفى إشراق الشمس على النجاسة بالمرآت وإن جففتها .

مسئلة١٣- لوأشرقت على النجاسة فجففتها من وراء الزجاج الصافى الذى لم يلطخ بشىء مثل الطين الأبيض فالاقوى حصول الطهارة .

مسئلة١٤- لاتطهر الشمس الثياب النجس وماإليهمن الألبسة ...

مسئلة١٥- يجوز التيمم بما طهّرته الشمس والسجود عليه ، ولاينجس لو بوشر برطوبة .



«الشمس و التوحيد»

قال الله عز وجل: « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض و سخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنى يؤفكون » العنكبوت: ١٦)

وقال: « و من آياته الليل والنهار والشمس والقمر » فصلت: ٣٧)

وقال: « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » الفرقان: ٤٥)

و من البيّن ان بدء الخلق حقيقة واقعة يمتنع إنكارها ولا يمكن لأحد تعليلها بغير وجود الله جل وعلا ووحدانيته لان وجود هذا الكون المشاهد يلجىء الانسان للاقرار بوجود خالقه عز وجل، ولا يمكن على هذا النحو الذى يظهر فيه التدبير والقصد بغير الاقرار بوجود الخالق المتعال ووحدانيته، فان آثار صنعه تعالى ملجئة للاقرار بوحدانيته. إذ فيها آثار التقدير الواحد، و التدبير الواحد، والخالق الواحد، و التصميم الواحد. والوجود الواحد، وفيها من التناسق المطلق ما يجزم بالارادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد.

فى الاحتجاج: روى عن هشام بن الحكم انه قال: من سؤال الزنديق الذى أتى أباعبدالله عليه السلام ان قال: ما الدليل على صانع العالم؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: وجود الأفاعيل التى دلت على أن صانعها صنعها، ألاترى انك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنى علمت ان له بانياً وإن كنت لم تر البانى ولم تشاهده!... الحديث.

أولم تر أيها الناظر كيف إستقرت تلك الكواكب من المشاهد و غيرها فى

مدار هافي جو السماء؟ وكيف حفظت النسبة بين بعضها و بعض بسنة إلهية محكمة يعبرون عنها بالقوة الجاذبية، فلولا ذلك صدم بعضها بعضاً، فهلكت العوالم جميعاً؟ فمن أوجد هذه القوة الجاذبية ونظم بينها: «والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان» الرحمن: ٧ـ ٩)

أوليس كل ذلك يجري على سنن مطردة تدل على أنها صادرة عن قوة بديعة النظام، وهي قوة الاله الواحد العليم.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة -: «فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، وإختلاف الليل والنهار، وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفات، فالويل لمن أنكر المقدر و جحد المدبر! زعموا أنهم كالنبات مالهم زارع، ولالاختلاف صورهم صانع، و لم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا، ولاتحقيق لما دعوا، وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان!»

قوله عليه السلام: «فانظر إلى الشمس والقمر - إلى قوله - والألسن المختلفات» هذا هو الاستدلال بامكان الأعراض على ثبوت الصانع والطرق إليه أربعة:

أحدها ـ الاستدلال بحدوث الأجسام.

ثانيها ـ الاستدلال بامكان الأعراض والأجسام.

ثالثها ـ الاستدلال بحدوث الأعراض.

رابعها ـ الاستدلال بامكان الأعراض.

وصورة الاستدلال هو أن كل جسم يقبل ـ للجسمية المشتركة بينه وبين سائر الاجسام ـ مايقبله غيره من الأجسام فاذا اختلفت الأجسام في الأعراض، فلابد من مخصص خصص هذا الجسم بهذا العرض دون أن يكون هذا العرض لجسم آخر، و يكون لهذا الجسم عرض غير هذا العرض لان الممكنات لابد لها من مرجح يرجح

أحد طرفيها على الآخر فهذا هو معنى قوله: « فانظر إلى الشمس والقمر ـ إلى ـ والألسن المختلفات » أى أنه يمكن أن تكون هيئة الشمس و ضوءها و مقدارها حاصلاً لجرم القمر ويمكن أن يكون النبات الذى لاساق له شجراً، و الشجر ذو الساق نباتاً، ويمكن أن يكون الماء صلباً والحجر مائعاً، ويمكن أن يكون زمان الليل مضيئاً و زمان النهار مظلماً، ويمكن ألا تكون هذه البحار متفجّرة بل تكون جبالاً، و يمكن ألا تكون هذه الجبال الكبيرة كبيرة، ويمكن ألا تكون هذه القلال طويلة، و كذلك القول فى اللغات و إختلافها.

وإذا كان كل هذا ممكناً، فاختصاص الجسم المخصوص بالصفات والأعراض و الصور المخصوصة لايمكن أن يكون لمجرد الجسمية لتماثل الأجسام فيها، فلابد من أمر زائد، وذلك الأمر الزائد هو المعنى بقولنا: صانع العالم.

ثم سفّه آراء المعطلة، وقال: « ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما دعوا» أى لم يرتّبوا العلوم الضرورية ترتيباً صحيحاً يفضى بهم إلى النتيجة التى هى حق.

ثم أخذ فى الردّ عليهم من طرق آخر، وهو دعوى الضرورة، وقد اعتمد عليها كثير من المتكلمين، فقال: نعلم ضرورة أن البناء لابد له من بان.

ثم قال: « والجناية لابد لها من جان» وهذه كلمة ساقته إليها القرينة، والمراد عموم الفعلية لاخصوص الجناية، أى مستحيل أن يكون الفعل من غير فاعل، والذين ادّعوا الضرورة فى هذه المسئلة من المتكلمين إستغنوا عن الطرق الأربع التى ذكرناها، وأمير المؤمنين عليه السلام اعتمد أوّلاً على طريق واحد، ثم جنح ثانياً إلى دعوى الضرورة، و كلا الطريقين صحيح.

قال الامام على عليه السلام: « بالعلم يعرف الله و يوحد »

وذلك ان العلم خير وسيلة لمعرفة الخالق جل وعلا والتعرف على ما أودع الله تعالى من دقائق الصنع وخواص مرتبطة بعضها ببعض إرتباطاً وثيقاً لايجاد عوالم من الجماد و النبات و الحيوان والانسان... ولتسيير تلك الافلاك وهذه الكواكب

بهذا النظام الرائع البديع ، نظام يجعل عيني الفلكي الذى لم يقس قلبه بالموبقات، تفيضان بالدموع خشوعاً و تقديساً لله عزوجل لما يرى هنالك من دقيق المعادلات و بديع القوانين ...

نظام يجعل (هانرى بر گسون HenriBergson) مؤمناً بوحدانية الله تعالى معظماً إياه حين يتبع نظام الذرة ومافيها من معادلات وقوانين تبهر العقول . . هذه الذرة التى قد بلغت من الصغر بحيث لو وضعت ١٠/٠٠٠/٠٠٠ منها على شرط الكروية بعضها جنب بعض لكان طولها مليمترا واحداً .

نظام يجعل الطبيب الذى لم يلوث باطنه بسكر أوفسق يخر سجّداً أمام عظمة الله تعالى وجلاله حين يرى انه جل و علا قد رتب فى المخ البشرى ٢٠/٠٠٠/٠٠٠ عصب موضوعة بعضها جنب بعض بحساب دقيق بحيث لو جسّ أحد هذه الأعصاب لحدثت عوارض تخص هذا العصب المجسوس دون غيره .

نظام يخشع تجاهه العالم بالميكانيك السماوى و الفيزياء حين يرى: كيف رتب الله جل وعلا الأبعاد بين الأجرام السماوية ، ومنها بُعد أرضنا عن الشمس وبُعد القمر عن الارض، والنجوم بعضها عن بعض .. وهو القائل عزوجل :« وهو الذى خلق الليل والنهار و الشمس و القمر كل فى فلك يسبحون » الانبياء: ٣٣)

وقال:« فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم» الواقعة:٧٥-٧٦)

فلو كان بُعد الشمس عن الارض ضعف ماعليه الآن لنقصت الحرارة التى تأتينا من الشمس إلى ربع ماعليه الآن (حسب قانون فيزياوى : شدة الحرارة على سطح ما تتناسب تناسباً عكسياً مع مربع المسافة عن مصدر الحرارة) ولقلت سرعة حركة الارض حول مدارها إلى النصف (ذلك لانه يتناسب محيط الدائرة تناسباً طردياً مع نصف القطر: م = ٢ نق ط) ولطال فصل الشتاء إلى ضعف ماعليه الآن ولانجمد نتيجة لذلك جميع ماعلى الارض من كائنات حية ولاستحالت الحياة عليها .

ولو كان بُعد الشمس عن الأرض نصف ماعليها الآن لأصبحت حرارة الارض

أربعة أمثال ماعليه الآن بنفس السبب ، ولتضاعفت سرعة الحركة حول المدار و لنقص طول مدة كل فصل من الفصول الأربعة : (الربيع، الصيف، الخريف والشتاء) إلى النصف (وان حاصل ضرب السرعة الزاوية في المسافة عن المركز مقدار ثابت: لاهنق = ث ولتبخر ماعلى الارض من مياه و لما أمكن السكنى عليها من شدة الحرارة وذلك لقربها من الشمس .

أولا يدل هذا النظام والانسجام التام في الكون على خالقه وتوحيد ربوبيته ؟

وقد جاء جماعة من الدهريين فقال لهم بعض الموحدين: ماتقولون في خشب قطع من الأشجار بلانجار وتجمع، فكون سفينة جرت في البحر مشحونة بالأحمال وقد احتوشتها في لجّة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بين ذلك كله تجري على إستواء من غير ملاّح يجريها ولامتعهد يدفعها؟ أيجوز ذلك عندكم في العقل؟

قالوا: لاهذا شيء لايقبله العقل، فقال الموحد: سبحان الله تبارك وتعالى، فاذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير ملاّح ، فكيف يجوز في العقل قيام تلك السموات ، وهذه الارض ومافيهما على إختلاف أحوالها وسعة أطرافهامن غير حافظ ولاصانع ولامدبر حكيم ؟ فقالوا: صدقت .

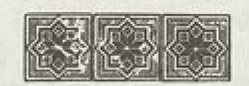
وقال العلماء الهيويون : ان النظام بين الكواكب يتصور في علم حساب على ضربين

أحدهما - متوالية هندسية كقولك : (١- ٢- ٤- ٨- ١٦- ٣٢- ٦٤) و هكذا... و(٣- ٦- ١٢- ٢٤- ٤٨- ٩٦) و هكذا ...

ثانيهما- متوالية عددية كقولك : (٢- ٤- ٦- ٨- ١٠- ١٢- ١٤- ١٦-) وهكذا...فانظر كيف وضع الله جل وعلا الكواكب وجعل نظامها بالنسبة إلى الشمس على الطريقة الاولى بحيث إذا فرضنا بعد الزهرة(٣) يكون بعد الارض (٦) و المريخ (١٢) و كوكب مهشم بقيت آثاره تجري كما كان يجري وقد كشفه العلماء (٢٤) و المشترى (٤٨) و زحل(٩٦) واورانوس (١٩٢) ونبتون (٢٨٤) .

هذاهو القانون الذي إستخرجه العلماء في العصر الحاضر لأبعاد الكواكب السيارة عن الشمس (وهذا القانون كالعمود التي تنصب في الطريق، وتجعل فيها الامات لاضائة الطريق) بحيث يكون بعد كل كوكب ضعف بعد الكوكب الذي قبله، فكان تلك الكواكب مصابيح وضعها صاحب البيت على أوضاع لاخلل فيها ناطقة بلسان الحال: «وما كنا عن الخلق غافلين» و«انا كل شيء خلقناه بقدر» و«كل شيء عنده بمقدار» و«إن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم»

ومن نظر في جوّ السماء متدبراً ليلاً ونهاراً يجد في كل واحد واحد مما فيه من الشمس والقمر والنجوم والكواكب ... جمالات ولكن الناس يرون الجمال في أربعة أشياء: من الخدين والعينين ، والأنف والفم، ولا يرون الجمال في ماسواها من الشمس والقمر والنجوم... التي يدل كل واحد منها على صانعه العليم، وخالقه الحكيم وعلى قدرته المطلقة وتوحيد ربوبيته فتدبر جيداً واغتنم جداً :



﴿سجدة الشمس و عبدتها﴾

قال الله عزوجل: «ألم تر ان الله يسجد له من فـي السموات ومن في الارض و الشمس والقمر» الحج : ١٨)

في الاختصاص : باسناده عن أبي الصباح الكناني قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «ألم تر أن الله يسجد له من فـي السموات والارض و الشمس و القمر والنجوم والجبال والشجر والدواب» الاية.

فقال: ان للشمس أربع سجدات كل يوم وليلة : سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر، قلت: بلى جعلت فداك ، قال: ذاك الفجر الكاذب لأن الشمس تخرج ساجدة و هي في طرف الارض ، فاذا ارتفعت من سجودهـا طلع الفجر ودخل وقت الصلاة، وأما السجدة الثانية فانها إذا صارت في وسط القبة و ارتفع النهار ركدت قبل الزوال ، فاذا صارت بحذاء العرش ركدت وسجدت ، فاذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فيدخل وقت صلاة الزوال ، وأما السجدة الثالثـة فانهـا اذا غـابت من الافق خرت ساجـدة فاذا ارتفعـت من سجودها زال الليل كما أنها حين زالت وسط السماء دخـل وقت الزوال زوال النهار .

أقول : ان السجود في الاية الكريمة بمعنى غايـة الخضوع والتذلل و الانقياد سواء كان بالارادة والاختيار أو بالقهر والاضطرار فالجمـادات لما لم يكن

لها إختيار و إرادة فهى كاملة فى الانقياد والخضوع لما أراد الرب تعالى منها، فهى على الدوام فى السجود والانقياد للمعبود والتسبيح و التقديس له سبحانه بلسان الذل والامكان والافتقار و كذا الحيوان العجم، وأماذو والعقول فلما كانوا ذوى إرادة و إختيار فهم من جهة الامكان والافتقار والانقياد للامور التكوينية كالجمادات فى السجود والتسبيح، ومن حين الامور الارادية والتكليفية منقسمون بقسمين: منهم الملائكة و هم جميعاً معصومون ساجدون منقادون من تلك الجهة أيضاً .

ولعل المراد بقوله : «من فى السموات والارض» هم ، نعم ظاهر الاية الكريمة سجود عامة من فى السموات و الارض لا خصوص الملائكة فقط و على هذا فحمل السجود فيها على السجود التكوينى الذى يعم جميع الخلائق أولى.

وأما الناس فهم قسمان: قسم مطيعون من تلك الجهة أيضاً، ومنهم عاصون من تلك الجهة وإن كانوا مطيعين من الجهة الاخرى فلم يتأتّ منهم غاية مايمكن منهم من الانقياد، فلذا قسّمهم سبحانه إلى قسمين فقال: «و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب».

فاذا حققت الاية هكذا لم تحتج إلى ما تكلفه المفسرون من التقديرات والتأويلات...

وأما الخبر فلعله كان ثلاث سجدات أو سقط الرابع من النساخ ولعله بعد زوال الليل إلى وقت الطلوع أو قبل زوال الليل كما فى النهار، وإنما خص الامام عليه السلام السجود بتلك الاوقات لانه عند هذه الاوقات تظهر للناس إنقيادها لله جل و علا ، لانها تتحول من حالة معروفة إلى حالة اخرى ، و يظهر تغير تام فى أوضاعها ، و أيضاً انها أوقات معيّنة يترصدها الناس لصلواتهم وصيامهم وسائر

عباداتهم و معاملاتهم ، و أيضاً لما كان هبوطها و انحدارها و افولهـا من علامات إمكانهـا و حدوثها كما قال إبراهيم خليل الرحمـن عليه‌السلام : « لا احب الآفلين » خص السجود بتلك الاحوال ، أو بما يشرف عليها ومن غير بعيد أن يكـون فى كل شـيء نوع إدراك و شعور فهو يسجد لله تعالى و يسجد طوعـاً كل على ما يناسبه .

قال الله تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين» (فصلت : ١١)

وقال: «تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» (الاسراء: ٤٤)

و قال : «إن كل من فـى السموات والارض إلا آتـى الرحمن عبـداً » مريم : ٩٣)

وفي رواية : عن الامام الثامن على بن موسى الرضا عليـه آلاف التحية و الثنـاء : « الشمس والقمر آيتـان من آيات الله يجريـان بامره مطيعـان لـه ، ضوء همـا من نور عرشـه و حرّ هما من جهنم ، فاذا كانت القيامـة عاد إلـى العرش نـور هما و عـاد إلى النار حرّ هما ، فـلا يكون شمس و لا قمر »

وفى أعمال مسجد الكوفـة : ـ « اللهم فانى أسئلك يا كنز الضعفـاء يا عظيـم الرجـاء يا منقذ الغرقى يا منجـى الهلكى يا مميت الاحيـاء يا محيى الموتى أنت الله لا إله إلا أنت الذى سجد لك شعاع الشمس ودوىّ الماء و حفيف الشجر و نور القمـر و ظلمـة اليـل و ضوء النهار وخفقان الطير . . . » الدعاء . . .

و فى دعاء الفرج : ـ : « يا مفضل أنت الذى سجـد لك سواد الليـل و

نور النهـار و ضوء القمر وشعاع الشمس و دوىّ المـاء و حفيف الشجر . . . »
الدعاء .

وأما عبدة الشمس فقد اشير إليهم فى قوله تعالى: «لا تسجدوا للشمس و لا للقمر» (فصلت: ٣٧) وقوله عز وجل حكاية عن الهدهد: «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله» (النمل: ٢٤)

ولعبدة الشمس نظرات وإعتقادات مختلفة...

فمنهم الذين زعموا أن الشمس ملك من الملائكة، ولها نفس وعقل، ومنها نـور الكواكب وضياء العالم، وتكون الموجـودات السفلية ، وهى ملك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء، وهؤلاء يسمون الـدينيكيتيـة أى عباد الشمس، ومن سنتهم أن اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النـار وله بيت خاص قد بنوه باسمه، ووقفوا عليه ضياعاً وقرباناً، وله سدنة وقوّام، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات، ويأتيه أصحاب العلل والأمراض، فيصومـون له ويصلون و يدعون ويستشفعون به.

و لم يكن المصريون القـدماء فى أول أمرهم يعبدون إلهـا واحداً ، بل كان لكل مدينـة إله يرعاها و يحميها، ثم ارتقت دياناتهـم ، فاشتركوا جميعاً فى تقـديس بعض المعبودات ، كاله الحرب ، و إلـه الخصب والنمـاء ، و إلـه الحب و الفرح ، و إله القمر و إله الشمس، و بعض هـذه الآلهـة ذكور و بعضها إناث ...

و اعتقـدوا أن الا له المحلى يظهر لعباده فى شكل واضح جلىّ ، فكمـا أن روح الانسان تأوى جسده الظاهر كذلك يتخـذ الاله له مأوى خاصاً يكـون فيـه مظهراً له ، و قد جرت العـادة أن يتخذ الاله سكنا له الأحجـار والعمد والحيوانات،وكان الأكثر شيوعاً أن يتصوروا الاله فى هيئة حيوان، فكان «سبك» إله الماء بجهة الفيوم يظهر فى شكل تمساح و «خنم» معبود الشلال فى شكل تيس،

و«آمون» إله طيبة فى شكل كبش بقرون ملتوية تغطى اذنيه وإله الشمس «حوريس» في شكل صقر.

ولما تقدمت ديانتهم إلى الأمام، أخذوا يمثلون آلهتهم فى شكل إنسان ، ورأسه رأس الحيوان الذى كان يظهر فى هيئته، وأما ملابسه فهى ملابس البحارة المصريين، قميص مدلّى، خلفه ذيل حيوان، وبيديه سيف وصولجان كدليل على القوة والمضاء، وجعلوا للاله زوجة وولداً، وعبدوا هذا الثالوث وأطلقوا على الحجرة التى يقيم بها تمثال الاله إسم «قدس الأقداس».

ولما صارت البلاد إقليمين عظيمين أصبح للوجه البحرى إله واحد إسمه «حوريس» وللوجه القبلى إله إسمه: «ست».

وقد كانت الفراعنة - وقد كانت فراعنة مصر ستة و عشرين نفراً ولم يكن كلهم من الجبابرة، و كان فى زمن طويل إسم من كان يحكم على مصر فيسمى فرعون - الجبابرة منهم يدعون أنهم خلفاء الآلهة على الارض ، وزعموا انهم تقمصوا أرواحهم، ولما توحدا لوجهان البحرى والقبلى وصارا دولة واحدة انتشرت بين المصريين عبادة الاله: «أزوريس» الذى كان فى مبدأ أمره إلهاً محلياً يعبد فى بعض نواحى الوجه البحرى.

وعبدوا النيل الذى يهب مصر الحياة، وكان يمثل عندهم فى شكل ذكر و انثى فى آن واحد ، فله من الانثى ثدياها و من الذكر لحية طويلة تكتنف وجهه، ولباسه لباس بحار مصرى كما عبدوا بعض الأجرام السماوية ، و بعضهم مثل إله الشمس فى شكل صقر وبعضهم مثله فى شكل جعران و كما ان الجعران يرى عادة فى النهار و هو يد حرج أمامه كرة صغيرة تحتوى على بويضا ته كذلك يرى إلى الشمس فى خلال النهار و هو يد حرج أمامه فى السماء كرة الشمس ، و هناك طائفة كانت تعتقد انه فى كل صباح تنبت فى وسط الماء زهرة زنبق تشتمل على طفل صغير ، هو إله الشمس ، جالساً فى

نورها.

و إله الشمس يقيمون له عموداً من الحجر داخل المعبد يصلون عنده ليوصل العبادة إلى الاله الأعظم ، و بمرور الزمن أخذ هذا العمود شكلا منتظماً مناسباً، وعرف باسم: «المسلة» وهى عمود مربع الشكل ينتهى بقمة على شكل هرم صغير وكان «رع» إله الشمس معتبراً فى وقت من الأوقات الاله الأعظم الذى يسيطر على بنى البشر جميعاً ، ولما انتقلت عاصمة الدولة إلى طيبة عبدالمصريون الاله : «آمون رع » و رفعوا منزلة فوق كل الآلهة ، وأقاموا له المعابد فى جميع أنحاء البلاد وبذلك صارهذا الاله معبوداً قومياً للمصريين أجمعين، و تركوا عبادة إله الشمس.

إلا أن كهنة عين شمس أخذوا ينشرون أفكاراً ضد الوهية : «آمون رع» و يدعون إلى عبادة « إله الشمس » فلما تولى « أمنحتب » الرابع عشر البلاد ، و كان فيما يبدو قد تلقى ثقافته على أيدى كهنة عين شمس ، عمل على نشر العقيدة الخاصة بتقديس إله الشمس ، فأمر بتشييد معبد فخم لهذا الاله ملاصق لمعبد آمون، و اتخذ له تمثالاً على شكل إنسان له رأس باز.ويتوّج رأس قرص الشمس . يحيط به ثعبان فاتك ، و أطلق عليه إسم «آتون » و معناه قرص الشمس.

ثم أمر : « أمنحتب » بأن تكون عبادة «آتون » الدين الرسمى للدولة ، وطلب من المصريين أن يعبدوا هذا الاله الأحد ويتركوا ما سواه من الآلهة، وعلى هذا أغلقت معابد الآلهة الاخرى و حطمت تماثيلها و محيت صورها و طمست أسماؤها ، و تعرّض أتباع « آمون » للاضطهاد الشديد ، و صودر إسمه ، و لم يسمح بذكره فى أىّ مكان حتى أن كل فرد دخل فى إسمه كان لزاماً عليه أن يتخذ لنفسه إسماً جديداً، وأول من فعل ذلك الملك نفسه فانه تبرأ من إسمه « أمنحتب » أى آمون راض، وتسمى باسم «أخناتون» أى روح ضوء

الشمس.

ومن التسبيحات التى وضعت للاله الجديد:

جميل نورك على افق السماء، أنت يا من هو الشمس الحية التى وجدت قبل كل شيء، حينما تشرف على الافق الشرقى تملأ كل الأرض بجمالك ، أنت جميل وعظيم، وساطع ومشرق على كل الارض، أشعتك تكتنف كل العالم، وكل ما هو من صنعك.

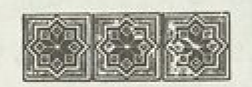
ثم تبين هذه التسبيحة كيف ان الناس حينما تختفى الشمس ليلا وتنزل تحت الافق الغربى يغشاهم النعاس، وان الحيوان المفترس عدو الانسان كالسباع والحشرات المؤذية كالثعابين تخرج من مخابئها، ولكن ما أبعد الفرق بين هذه الحالة التى تكون الشمس فيها غائبة عن الناس وبين حالة ظهورها تقول التسبيحة:

حينما تكون الارض مضيئة: عند ما تشرق أنت على الافق وترسل أشعتك، فعندئذ يشمل السرور العالم، ويستيقظ الناس ويقفون على أرجلهم لأنك أيقظتهم فيغسلون أبدانهم. وترتدون ملابسهم ويرفعون أيديهم تضرعاً وإبتهالاً حينما تشرق، ووقتئذ تكون كل الحيوانات آمنة مطمئنة فى مراعيها، وتخضر الأشجار والأعشاب وتطير العصافير من أوكارها وأجنحتها تثنى عليك، وتمرح الأغنام فى مراعيها، و كذلك تحيى كل الحشرات والطيور حينما تسطع بأشعتك عليها.

والعقيدة الجديدة فى هذا الدين هى أن «آتون» هو الخالق والمنظم والحاكم للعالم أجمع لامصر وحدها، وكان هذا الدين يرمى إلى القضاء على فكرة تعدد الآلهة قضاء مبرما، والاستعاضة عنها بمذهب توحيد ظاهر لايشوبه شيء سوى انه مادى.

ومن النقط الهامة فى الدين الجديد انه قضى على كل مظهر يمثل الاله فى شكل إنسان ومحا التماثيل والصور التى صنعت للاله ، وأصبحت العبادة مقصودة على الشمس الظاهرة المضيئة.

ولكن أخناتون لم يقف عند هذا الحد بل ادّعى الالوهية ، و بعد وفاة أخناتون قامت حركة ترمي إلى إعادة الديانة القديمة، ديانة آمون، فحال خلفه أن يقاوم تلك الحركة فكان نصيبه أن عزل، فجاء بعده حميه «توت عنخ آمون» فرآى بثاقب بصره أن خير وسيلة لتسكين الخواطر والمحافظة على عرشه أن يبادر بالغاء ديانة «آمون» كديانة رسمية للدولة كما أعلن حرية العبادة واعتنق ديانة «آمون» وغير إسمه، فبعد أن كان «توت عنخ آتون» تسمى باسم «توت عنخ آمون» ومعناه: تمثال آمون الحي، ثم انتقل إلى طيبة.



﴿الامام علي عليه السلام ورد الشمس﴾

وقد ردّت الشمس لمولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في موارد عديدة وقد وردت في المقام روايات كثيرة عن الطريقين نشير إلى نبذة منها ، وأما ما ورد عن طريق العامة بأسانيد عديدة في مآخذهم المعتبرة :

١- روى الشيخ عبيدالله الحنفي في (أرجح المطالب ص ٦٨٦ ط لاهور) عن أسماء بنت عميس وام سلمة و جابر بن عبدالله الانصاري وأبي سعيد الخدري و الحسين بن علي عليه السلام : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم في منزله وعليٌ بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله عز وجل ،فلما تغشى الوحي توسّد فخذ عليٍّ ولم يرفع حتى غابت الشمس ،فصلّى العصر جالساً ايماء فلما أفاق قال لعلي عليه السلام : فاتتك العصر؟ قال: صليتها قاعداً ايماءاً فقال: ادع الله يردّ عليك الشمس حتى تصليها قائماً في وقتها ، فانه يجيبك لطاعتك الله ولرسوله فسئل الله في ردّها ، فردّت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصليها ثم غربت والله لقد سمعنا بها عند غروبها كصرير المنشار .

٢- روى إبن المغازلي الشافعي في (مناقب أمير المؤمنين) باسناده عن أبي رافع قال: رقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذ علي عليه السلام وحضرت صلاة العصر ولم يك عليٌّ صلّى و كره أن يوقظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى غابت الشمس ، فلما استيقظ قال : ما صليت يا أبا الحسن العصر؟ قال: لا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردّت عليه الشمس بعد ما غابت حتى رجعت الصلاة العصر على الوقت، فقام علي فصلّى العصر فلما قضى صلاة العصر غابت الشمس، فاذا النجوم مشتبكة .

٣ـ روى السيوطي في (خصائص الكبرى ج٢ ص٨٢ ط حيدر آباد الدكن)
مالفظه: وأخرج إبن مردويه عن أبي هريرة قال : نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في حجر علي عليه السلام ولم يكن صلّى العصر حتى غربت الشمس ، فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له فردّت عليه الشمس حتى صلّى ثم غابت ثانية .

٤ـ روى الطحاوي في (مشكل الآثار ج ٢ ص٨ وج ٤ ص ٣٨٨ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن فاطمة إبنة الحسين عن أسماء إبنة عميس قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صليت يا علي ؟ قال: لا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت .

رواه بهذا السند جماعة من أعلام العامة :

١ـ إبن المغازلي الشافعي في (مناقب أمير المؤمنين)

٢ـ القاضي عياض اليحصبي في(الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ص ٢٤٠ ط العثمانية)

٣ـ الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤٢ ط تبريز)

٤ـ سبط إبن الجوزي في (التذكرة ص ٥٥ ط الغري)

٥ـ الشيخ عبدالوهاب النويري المصري في (نهاية الارب ج ١٨ ص ٣١٠ ط القاهرة) لما ذكر الحديث قال:« وكان أحمد بن صالح يقول: لاينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة »

٦ـ الذهبي في (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٥٤ ط القاهرة)

٧ـ إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ٤ ص٢٧٦ ط حيدر آباد الدكن)

٨ـ إبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٨٢ ط السعادة بمصر)

٩ـ إبن كثير أيضاً في (تفسيره ج ٥ ص ٧٥ ط بولاق بمصر)

١٠- السيوطي في(خصائص الكبرى ج ٢ ص ٨٢ ط حيدر آباد الدكن)

١١- السيوطي أيضاً في (الحاوي للفتاوى ص ٣٢٩ ط القاهرة)

١٢- السمهودي الشافعي في(وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٣ ط مصر)

١٣- القسطلاني في(المواهب اللدنية ج ٥ ص ١١٣)

١٤- إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٧٦ ط الميمنية بمصر)

١٥- الشوكاني في(الفوائد المجموعة ص ١١٨ ط مصطفى الباب الحلبي) و غيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

٥- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٩ ط محمد أمين الخانجي بمصر)عن الحسن بن علي عليه السلام قال: كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر علي وهو يوحى إليه، فلما سري عنه قال: ياعلي صلّيت العصر؟ قال : لا قال: اللهم انك تعلم ان كان في حاجتك وحاجة نبيك فردّ عليه الشمس، فردّها عليه فصلى وغابت الشمس.

رواه جماعة من أعلامهم :

منهم: إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ١ ص ٤٧ ط حيدر آباد الدكن)

ومنهم: أبو المحاسن القاوقجي في (اللؤلؤ المرصوع ص ٣٩ ط مصر) وغيرهما.

٦- روى القندوزي الحنفي في(ينابيع المودة ص ١٣٨ ط إسلامبول) مالفظه في كتاب الارشاد: ان ام سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبدالله وأباسعيد الخدري وغيرهم من جماعة الصحابة قالوا: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في منزل ، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ علي عليه السلام فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس وصلّى علي عليه السلام صلاة العصر بالايماء فلما أفاق صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم اردد الشمس لعلي عليه السلام فردّت عليه الشمس حتى صارت في السماء وقت العصر فصلّى علي عليه السلام العصر ثم غربت، فأنشأ حسان بن ثابت :

ياقوم من مثل عليّ و قد ... ردّت عليه الشمس من غائب

أخو رسول الله و صهره ... و الأخ لايعدل بالصاحب

٧- روى الشبلنجي في (نور الأبصار ص ٢٨) عن أسماء بنت عميس: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل علياً في حاجة فجاء وقد صلّى رسول الله العصر فوضع رأسه في حجر عليّ ولم يحرّكه حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم ان عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فردّ عليه شرقها، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال، فقال عليّ فتوضّأ و صلّى العصر ثم غابت الشمس.

٨- روى الخوارزمي في (المناقب ص ٢٦٠) عن مجاهد عن إبن عباس قال: قيل له: ماتقول في علي بن أبي طالب؟! فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى بالقبلتين، وبايع البيعتين، واعطى السبطين، وهو أبو السبطين الحسن و الحسين وردت عليه الشمس مرتين بعد ماغابت من الثقلين.

٩- في (اللئالي ج١ ص ١٧٦) عن أبي ذر انه قال: قال علي يوم الشورى انشدكم بالله هل فيكم من ردت له الشمس غيري حين نام رسول الله و جعل رأسه في حجري؟! الخ

١٠- روى الطحاوي في (مشكل الآثار ج٢ ص٩ وج ٤ ص٣٨٨ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن أسماء بنت عميس: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلّى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً عليه السلام في حاجة فرجع، وقد صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العصر فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه في حجر علي عليه السلام فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم ان عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيك، فرد عليه شرقها قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال و على الارض، ثم قال علي عليه السلام فتوضّاء وصلّى العصر ثم غابت وذلك في الصهباء.

وفي حديث: صهباء الخيبر.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- القاضي عياض اليحصبي في (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ص ٢٤٠ ط

العثمانية)

٢- الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص٢١٣ط تبريز)

٣- أبوبكر الهيتمي في (مجمع الزوائد ج٨ص ٢٩٦ط مكتبة القدسي بالقاهرة)

٤- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٣٨ط اسلامبول)

٥- البدخشي في (مفتاح النجاص ٣٦) وزاد: « ووقفت على الجبل والارض وذلك في الصهباء في خيبر »

٦- أحمد زيني دحلان الشافعي مفتي مكة المكرمة في (السيرة النبوية) المطبوع بهامش (السيرة الحلبية ج ٣ص ١٢٦ط مصر) وزاد :« ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر »

١١- روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص٢٤٠ط الغري) باسناده عن أسماء بنت عميس قال(قالت ظ) : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم خيبر أن يقسم الغنائم على الناس ، فشغل عن الصلاة حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: صليت العصر؟ قال: لا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شغلني ما أمرتني فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تردّ عليه الشمس حتى يصلّي علي عليه السلام فأقبلت الشمس ولها حفيف كحفيف المنشار إذا وقع في الخشب حتى توسطت مسجد خيبر فقام علي عليه السلام فصلى، فلما فرغ علي عليه السلام من صلاته غربت الشمس .

رواه أحمد زيني دحلان الشافعي مفتي مكة المكرمة في (السيرة النبوية) المطبوع بهامش (السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٧)

١٢- روى المحدث محمد بن أحمد الحنفي الموصلي في (درّ بحر المناقب ص ١١٧ و ١١٨) عن الحسين بن علي عليه السلام انه قال : لما رجع أبي علي بن أبي طالب عليه السلام عن قتال أهل النهروان وان وصل إلى ناحية العراق، ولم يكن يومئذ يبيت ببغداد، فلما وصل ناحية برشيا وما صلّى بالناس الظهر ورحل و دخل أوائل أرض بابل وقد وجبت صلاة الظهر والعصر فصاح المسلمون يا أمير المؤمنين وجبت صلاة العصر وقد دخل

وقتها، فعندذلك قال:

أيها الناس هذه أرض قد خسف الله بها ثلاث مرات ، وعليه تمام الرابعة ، فلا يحل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلّي فيها لأنها أرض مسخوطة عليها فمن أراد منكم الصلاة فليصلّ قال حوفرة بن مسهر العبدي (جويرة بن مسهر العبدي خ) فتبعته في مأة فارس وقلت : لاقلدنّ علياً صلاتي اليوم، قال: وسار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قطع أرض بابل ونزلت الشمس للغروب ، ثم غابت واحمر الافق قال : فاقبل إليّ وقال ياحوفرة (ياجويرة خ) هات الماء قال: فتقدّمت إليه فتوضّا ثم قال: أذّن للعصر فقلت:

يامولاي أذّن للعصر وقد وجبت العشاء وغربت الشمس، ولكن عليّ الطاعة ، فأذّنت، فقال لي: أقم الصلاة ففعلت فجعل عليه السلام يحرك شفتيه بكلام كأنه منطق الخطاف ولم يفهم، فاذاً بالشمس قد رجعت بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها في العصر فقام عليه السلام وكبّر وصلّى العصر وصليت ورائه فلما أدينا ها وسلّم وقعت إلى الأرض كأنها وقعت إلى الارض كأنها وقعت في طست وغابت واشتبكت النجوم، فالتفت إلي وقال أذّنوا الآن للمغرب ياضعفاء القلوب،قال: فأذنت وصلّينا المغرب فهو عليه السلام آية الله في أرضه وسمائه .

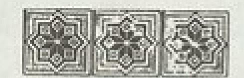
رواه القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص١٣٨ ط إسلامبول)

١٣- روى التميمي في كتابه: (صفين ص ١٥٢ط القاهرة) باسناده عن عبد خير قال: كنت مع عليّ أسير في أرض بابل قال: وحضرت الصلاة: صلاة العصر قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح من الآخر قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأيناه وقد كادت الشمس أن تغيب- قال فنزل علي عليه السلام ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر - قال: فصلينا العصر ثم غابت الشمس .

١٤- روى ابن المغازلي في (المناقب ص٩٨) عن أبي رافع قال: فردت الشمس على عليّ بعدما غابت حتى رجعت لصلاة العصر في الوقت، فقام علي عليه السلام فصلّى العصر ، فلما قضى صلاة العصر غابت الشمس، فاذا النجوم مشتبكة .

رواه الخوارزمي في (المناقب ص ٢١٧ ط النجف) و القندوزي في (ينابيع المودة ص ٢٨٧ ط النجف)

روى مسلم في (صحيحه ج ٣, ١٣٦٦) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقفها ولا أحد أشترى غنماً أو خلفات و هو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: انك مأمورة و أنا مأمور اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه.



﴿ رد الشمس لعلى عليه السلام عند العامة ﴾

واعلم أن حديث رد الشمس لمولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام أخرجه جمع من حفاظ العامة بأسانيد جمّة، وصحّح بعضها جمع من مهرة الفن وحكم آخرون بحسن آخر ، فوسوسة شرذمة قليلة كابن تيمية و ابن الجوزى و أذنابهما من بقية العامة قديماً و حديثاً مردودة لا تعتنى.

وقد أفرد كثير من أعاظم العامة قصة رد الشمس للامام على عليه السلام بالتأليف، و جمعوا فيه طرقها وأسانيدها فمنهم:

۱- السيوطى له رسالة فى القصة سماها : « كشف اللبس عن حديث رد الشمس »

۲- أبوالحسن شاذان الفضيلى له رسالة فى طرق الحديث ذكر شطراً منها الحافظ السيوطى فى (اللئالى المصنوعة ج ۲ ص ۱۷۵) وقال : أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصححه بما لامزيد عليه.

۳- الحافظ أبوالفتح محمدبن الحسين الأزدى الموصلى له كتاب مفرد فيه ذكره له الحافظ الكنجى فى «الكفاية»

۴- الحاكم الحسكانى النيسابورى الحنفى له رسالة فى القصة سماها : «مسئلة فى تصحيح رد الشمس و ترغيم النواصب الشمس» ذكر شطراً منها إبن

كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠) وذكره له الذهبي في (التذكرة ج ٣ ص ٣٦٨).

٥- أبو بكر الوراق له كتاب: «من روى ردّ الشمس» ذكره له إبن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه في (المناقب ج ١ ص ٤٥٨).

٦- أبو عبدالله الجعل الحسين بن علي البصري ثم البغدادي له كتاب: «جواز رد الشمس» ذكره له إبن شهر آشوب قدس سره.

٧- الخطيب الخوارزمي له كتاب سمّاه: «ردّ الشمس لأمير المؤمنين» ذكره له معاصره إبن شهر آشوب.

٨- أبو علي الشريف محمد بن أسعد بن علي بن المعمر الحسني النقيب النسابة له جزء في جمع طرق حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام أورد فيه أحاديث مستغربة: «لسان الميزان ج ٥ ص ٧٦)

٩- أبو عبدالله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي تلميذ إبن الجوزي له جزء «مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس» ذكره له برهان الدين الكوراني المدني في كتابه: (الامم لايقاظ الهمم ص ٦٣)

وغيرهم من اعلامهم الذين ذكروا القصة بطرق مختلفة باسانيد عديدة تركناها للاختصار.

وأما كلمات جماعة من أعلام العامة في صحة حديث ردّ الشمس للامام علي عليه السلام فكثيرة لا يسع مقام الاختصار بذكر جميعها فمنهم:

١- البخاري في صحيحه رواه بطريقين صحيحين عن أسماء بنت عميس و قال: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء الذي روى لنا عنه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه من أجلّ علامات النبوة.

٢- محمد بن الحسين الأزدي في (مناقب علي رضي الله عنه) ذكر الحديث و صحّحه كما ذكره إبن النديم والكوراني وغيرهما.

٣- الطحاوى فى (مشكل الآثار ج ٢ ص١١) أخرجه بلفظين، وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات.

٤- القاضى عياض أبوالفضل المالكى الاندلسى ذكره فى «الشفاء» و صححه.

٥- أبو المظفر يوسف قز أو غلى الحنفى رواه ذكره فى (التذكرة ص ٣٠).

ثم قال: و المراد - ردّ الشمس - حبسها و وقوفها عن سيرها المعتاد لا الردّ الحقيقى و لو ردّت على الحقيقة لم يكن عجباً لأن ذلك يكون معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كرامة لعلى عليه السلام و قد حبست ليو شع بالاجماع، و لا يخلو إما أن يكون ذلك معجزة لموسى أو كرامة ليوشع، فان كان لموسى، فنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل منه، و إن كان ليوشع فعلى عليه السلام أفضل من يوشع قال صلى الله عليه وآله وسلم: علماء امتى كانبياء بنى إسرائيل، وهذا فى حق الآحاد فما ظنك بعلى عليه السلام؟!

ثم استدلّ على فضل على عليه السلام على أنبياء بنى إسرائيل، وذكر شعر الصاحب بنى عبّاد فى ردّ الشمس:

لا تعجلى يا شمس حتى ينتهى	مدحى لفضل المرتضى ولنجله
يثنى عنانك أن غربت ثنائه	انسيت يوماً قدردت لا جله

٦- الحافظ أبو عبدالله محمدبن يوسف الگنجى الشافعى جعل فى كتابه: (كفاية الطالب ص ٢٣٧- ٢٤٤) فصلا فى حديث رد الشمس وتكلم فيه من حيث الامكان تارة ومن حيث صحة النقل اخرى، فلا يرى للمتشرع وسعاً فى إنكاره من ناحية الامكان لحديث ردّ الشمس ليوشع المتفق على صحته، و قال فى الكلام عن صحته ما ملخّصه: فقد عدّه جماعة من العلماء فى معجزاته

صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم: إبن سبع ذكره في «شفاء الصدور» وحكم بصحته، ومنهم: القاضي عياض في (الشفاء) وحكى عن الطحاوي من طريقين صحيحين ونقل كلام أحمد بن صالح المصري.

٧- السيوطي في (الخصائص الكبرى ج٢ ص ١٨٣) قال: اوتي يوشع حبس الشمس حين قاتل الجبارين، وقد حبست لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في الاسراء وأعجبا من ذلك ردّ الشمس حين فات عصر علي رضي الله عنه.

٨- السيوطي أيضاً روى الحديث في (اللئالي المصنوعة ج ٢ ص ١٧٤-١٧٧) عن أمير المومنين وأبي هريرة و جابر الأنصاري وأسماء بنت عميس من طريق إبن مندة و الطحاوي والطبراني و إبن أبي شيبة و العقيلي والخطيب والدولابي و إبن شاهين و إبن عقدة و ذكر شطراً من رسالة أبي الحسن الفضلي في الحديث، وقال في (ج١ ص ١٧٤): الحديث صرّح جماعة من الائمة والحفاظ بأنه صحيح.

٩- السيوطي في (نشر العلمين ص ١٣) قال بعد ذكر كلام القرطبي: قلت: وهو في غاية التحقيق وإستدلاله على تجدّد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، وهذا حكم بكون الصلاة أداء وإلاّ لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصحّ قضاء العصر بعد الغروب.

١٠- السمهودي الشافعي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٣) قال في ذكر مسجد الفضيخ المعروف بمسجد الشمس: قال المجد: لايظن ظان انه المكان الذي اعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعلي رضي الله عنه لان ذلك انما بالصهباء من خيبر.

ثم روى حديث القاضي عياض و كلمته و كلمة الطحاوي، فقال: قال المجد: فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ماسواه.

١١- إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٧٦) عدّ ردّ الشمس

لعلي عليه السلام كرامة باهرة لأمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام وقال: وحديث ردّها صحّحه الطحاوي والقاضي في «الشفاء» و حسّنه شيخ الاسلام ابو ذرعة و تبعه غيره.

وقال في شرح (همزية البوصيري ص ١٢١) في حديث شق القمر: ويناسب هذه المعجزة ردّ الشمس له صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال -: فردّت ليصلّي - علي - العصر أداء كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم.

١٢- الحلبي في (السيرة النبوية ج١ ص ٤١٣) قال: وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر وذكر الحديث عن أسماء بنت عميس... ثم قال: قال بعضهم: لاينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ هذا الحديث لأنه من أجلّ أعلام النبوة وهو حديث متصل.

١٣- الشيخ محمد الصبّان عدّ ردّ الشمس في كتابه (إسعاف الراغبين ص ٦٢) من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي (ص ١٦٢) من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام و ذكر الحديث.

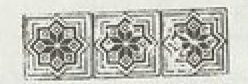
ثم قال: وصحّحه الطحاوي والقاضي في «الشفاء» وحسّنه شيخ الاسلام أبو- زرعة وتبعه غيره.

١٤- الشيخ محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفية في عصره المتوفى سنة ١٢٥٢ قال في حاشيته: «برد المختار على الدر المختار ج١ ص ٢٥٢) في شرح (تنوير الابصار في فقه الحنفية) عند قول المصنف: لو غربت الشمس ثم عادت هل يعود الوقت؟! الظاهر: نعم. بحث لصاحب النهر حيث قال: ذكر الشافعية ان الوقت يعود لأنه عليه الصلاة والسلام نام في حجر علي رضي الله عنه حتى غربت الشمس، فلما استيقظ ذكر له انه فاتته العصر. فقال: اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددها عليه، فردّت حتى صلى العصر و كان ذلك بخيبر والحديث صحّحه الطحاوي وعياض، وأخرجه جماعة منهم الطبراني

بسند صحيح.

ثم قال: قلت: على أن الشيخ إسمعيل ردّ ما بحثه فى النهر تبعاً للشافعية بأن صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء و رجوعها لا يعيدها أداء، و ما فى الحديث خصوصية لعلىّ كما يعطيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: انه كان فى طاعتك و طاعة رسولك.

١٥- الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل) قال: انه ردت الشمس لرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرتين: يوم الخندق، وصبيحة ليلة الاسراء.



﴿الامام على عليه السلام خير من طلعت ﴾

عليه الشمس وغربت

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة فنشير إلى ما يسعه مقام الاختصار :

١ـ روى الحافظ إبن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان ج ٦ ص ٧٨ ط حيدر آباد الدكن) عن أبى الأسود الدؤلى سمعت أبابكر يقول : أيها الناس ! عليكم بعلى بن أبيطالب فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: علىٌ خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدى .

٢ـ روى أبو بكر الشيرازى فى (رسالة الاعتقاد) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير هذه من بعدى: على و فاطمة والحسن و الحسين من قال : غير هذا فعليه لعنة الله .

٣ـ روى الحافظ إبن مردويه فى (المناقب) عن حذيفة قال: علىٌ خير هذه الامة بعد نبيها ، ولا يشك فى ذلك إلا منافق .

٤ـ روى أخطب خوارزم فى (المناقب ص ٦٦ ط تبريز) بالاسناد عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: علىٌ خير البرية ،

٥ـ روى البدخشى فى (مفتاح النجا ص٦٤) عن عطاء قال: سئلت عائشة عن على عليه السلام فقال: ذاك من خير البرية لا يشك.

٦- روى الحافظ البغدادى أبوبكر فى (تاريخ البغـداد ج ٧ ص ٤٢١ ط السعادة بمصر) باسناده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علىٌ خير الناس ، فمن إمترى فقد كفر .

وفى (ج ٣ ص ١٩٢ ط السعادة بمصر) باسناده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يقل : علىٌ خير الناس فقد كفر .

٧- روى الحموينى فى(فرائد السمطين ص ٤٤٩) باسناده عن عبدالله بن على بن ضيغم قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يقل : علىٌ خير البشر فقد كفر .

٨- روى إبن حجر العسقلانى فى(تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤١٩ط حيدر آبادالد كن)

٩- روى المتقى الحنفى فى (كنز العمال ج٦ ص ١٥٩ ط حيدر آبادالد كن) عن إبن عباس انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علىٌ خير البشر. وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: علىٌ خير البشر من شك فيه كفر .

١٠- روى المناوى فى (كنوز الحقائق ص ٩٨ ط بولاق بمصر) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علىٌ خير البشر فمن أبى فقد كفر .

١١- روى محـمد صالـح الكشفـى الترمـذى الحنفى فـى (المناقب المرتضوية ص ١١٧ ط بمبىء) عن إبن عمر قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : خير رجالكم على بن أبيطالب و خير شبابكم الحسن و الحسين و خـير نساء كـم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

١٢- روى البدخشى فـى (مفتاح النجا ص ١٦) الحديث عـن عبدالله بن مسعود .

١٣- روى النقشبندى فى (راموز الأحاديث ص٢٨١ ط قشلـة همايـون بآستانة)

١٤- روى المير محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية ص ١١٣ ط بمبىء) عن إبن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل رجال العالمين فى زمانى هذا على ؑ و أفضل العالمين من نساء الاولين و الآخرين فاطمة .

١٥- روى أبو المؤيد موفق بن أحمد أخطب خطباء الخوارزم فى (مقتل الحسين ص ٦٠ ط الغرى) بالاسناد عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن عوف : ياعبدالرحمن أنتم أصحابى وعلى بن أبيطالب منّى وأنا من على ، فمن قاسه بغيره فقد جفانى ، و من جفانى آذانى و من آذانى فعليه لعنة ربى يا عبدالرحمن ان الله انزل على كتاباً مبيناً ، و أمرنى ان ابيّن للناس ما نزل إليهم ماخلا على بن أبيطالب ، فانه لم يحتج إلى بيان لأن الله جعل فصاحته كفصاحتى ودرايته كدرايتى ، ولو كان الحلم رجلاً لكان علياً، ولو كان العقل رجلاً لكان حسناً ، و لو كان السخاء رجلاً لكان حسيناً ، و لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة ، بل هى أعظم ان فاطمة ابنتى خير أهل الارض عنصراً وشرفاً وكرماً .

رواه الحموينى فى (فرائد السمطين) إلا انه ذكر « فمن قاسه بغيره » بدل «فمن قاسه بغيرى » .

١٦- روى إبن المغازلى فى (مناقب أمير المؤمنين)عن الحسين بن على عليهما السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى على : محبّه محبّى ، و مبغضه مبغضى، و وليّه وليى ، و عدوّه عدوّى، وزوجته ابنتى، وولده ولدى ، وحزبه حزبى، وقوله قولى، وأمره أمرى، وهو سيد الوصيين وخير امتى .

١٧- روى الحافظ إبن شيرويه الديلمى فى (فردوس الاخبار) باسناده عن ام سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو لم يخلق الله علياً لما كان لفاطمة كفؤ .

رواه جماعة من أعلام العامة و حملة آثارهم فى أسفارهم :

منهم : المناوى القاهرى فى (كنوز الحقائق ص ١٣٣ ط بولاق بمصر)

ومنهم : محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية)

ومنهم : القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٣٧ و ١٧٧ و ٢٥٠ ط اسلامبول) و فى (ص ١٧٧ الطبع) عن عباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : جعل الله علياً كفواً لفاطمة ابنتى .

وغير هاتر كنا هم للاختصار

١٨- روى عطاء الله الهروى فى (روضة الاحباب ص ٢١٤) فى حديث تزويج الزهراء لعلى خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة : « بعلك لايقاس عليه أحد من الناس »

١٩- روى الگنجى الشافعى فى (كفاية الطالب) عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يقل على خير الناس فقد كفر .

وفيه: عن حذيفة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : على خير البشر من أبى فقد كفر .

وفيه: عن عطاء قال: سئلت عن عائشة فى على عليه السلام فقالت : ذاك خير البشر لا يشك فيه إلا كافر .

٢٠- روى البدخشى فى (مفتاح النجا) مالفظه : و اخرج الدار قطنى عن الشعبى مرسلاً قال: بينما أبو بكر جالس إذ طلع على كرم الله وجهه، فلما رآه قال: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلينظر إلى هذا الطالع .

رواه بعينه الكاظمى الهندى فى (الروض الأزهر ص ٣٦٢ ط حيدر آباد

الدكن)

٢١- روى إبن أبى الحديد فى ملحقات (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص٥٥٨ ط مصر) مالفظه قال على عليه السلام : أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالعضد من المنكب و كالذراع من العضد و كالكف من الذراع ربّانى صغيراً و آخانى كبيراً ، ولقد علمتم أنى كان لى منه مجلس سرّ لايطّلع عليه غيرى وانه اوصى إلى دون أصحابه و أهل بيته ولا أقولنّ مالم اقله لأحد قبل هذا اليوم سئلته مرة أن يدعولى بالمغفرة فقال : افعل ثم قال فصلّى فلما رفع يده للدعاء إستمعت عليه فاذا هو قائل اللهم بحق على عندك اغفر لعلى فقلت : يا رسول الله ما هذا فقال : أو أحد اكرم منك عليه فاستشفع به إليه .

٢٢- روى الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص٦٧٨ ط لاهور)عن أسماء بنت عميس قالت لى: فاطمة ليلة دخل بى علىّ سمعت الارض تحدثه و هو يحدثها و أصبحت، فاخبرت والدى فسجده سجدة طويلة ثم رفع رأسه، وقال : يافاطمة أبشرى بطيب النسل فان الله فضّل بعلك علىّ سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدثه باخبارها ، ومايجر على وجهها من شرق الارض إلى غربها :

٢٣- روى الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص٧٩ ط القاهرة) باسناده عن الحسين بن على عليه السلام عن على بن أبيطالب عليه السلام قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصاحت نخلة باخرى ! هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى- إلى أن قال- فقال صلى الله عليه وآله وسلم :ياعلى إنمّا سمى نخل المدينة صوحانياً لانه صاح بفضلى و فضلك .

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من أعلام العامة :

منهم: إبن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان ج ١ ص٣١٧ ط حيدر آباد الدكن)

و منهم: الخطيب الخوارزمى فى(المناقب ص ٢٤٦ ط تبريز)

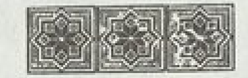
و منهم: ابن حسنويه الموصلى فى(دربحر المناقب ص ١٠٥) عن جابر عن

علىٰ عليه السلام الحديث .

و منهم: الحافظ محمد بن أبى الفوارس فى (الاربعين ص ١٢)

و منهم: الحلبى فى (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٥ ط القاهرة)

و منهم: الامر تسرى فى (ارجح المطالب ص ٣٦ط لاهور)



﴿ الامام علي عليه السلام ورد الشمس عند الشيعة ﴾

و قد أورد علماء الشيعة الامامية الاثنى عشرية روايات كثيرة عن طريق أئمتهم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى مايسعه المقام:

١- في تفسير العياشي عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عن أبيه عن آبائه قال: دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه وقد أغمي عليه ورأسه في حجر جبرئيل وجبرئيل في صورة دحية الكلبي، فلما دخل علي علي عليه السلام قال له جبرئيل: دونك رأس إبن عمك فأنت أحق به مني لأن الله يقول في كتابه: «واو لوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فجلس علي عليه السلام و أخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في حجره فلم يزل رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجره غابت الشمس، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفاق فرفع رأسه، فنظر إلى علي عليه السلام فقال: يا علي أين جبرئيل؟

فقال: يا رسول الله ما رأيت إلاّ دحية الكلبي دفع إلى رأسك قال: ياعلي دونك رأس ابن عمك فأنت أحق به مني لان الله يقول في كتابه: «واو لوا ارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فجلست وأخذت رأسك فلم تزل في حجري حتى غابت الشمس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفصليت العصر؟ فقال: لا قال: فما منعك أن تصلي؟ فقال: قد أغمي عليك وكان رأسك في حجري فكرهت ان

اشق عليك يا رسول الله وكرهت أن أقوم واصلى وأضع رأسك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إن كان فى طاعتك وطاعة رسولك حتى فاتته صلاة العصر اللهم فردّ عليه الشمس حتى يصلى العصر فى وقتها قال: فطلعت الشمس فصارت فى وقت العصر بيضاء نقية، ونظر إليها أهل المدينة، وان علياً قام وصلّى فلما انصرف غابت الشمس وصلّوا المغرب.

٢- فى قرب الاسناد عن أبى جميلة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العصر فجاء على عليه السلام ولم يكن صلاّها، فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك فوضع رأسه فى حجر على عليه السلام فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حجره حين قام وقد غربت الشمس، فقال: يا على ما صليت العصر؟ قال: لا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم ان علياً عليه السلام كان فى طاعتك فاردد عليه الشمس فردّت عليه الشمس عند ذلك.

رواه إبن فهد الحلى ورواية جويرية بن مسهر فى عدة الداعى.

٣- فى فروع الكافى باسناده عن عمار بن موسى قال: دخلت أنا وأبو عبدالله عليه السلام مسجد الفضيخ. الحديث وفيه قصّة ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام وانه كان فى مسجد الفضيخ.

٤- فى الخرائج والجرائح عن جويرة بن مسهر قال: اقبلت مع على عليه السلام من النهروان، فلما صرنا فى أرض بابل حضر وقت الصلاة، فقال: أيها الناس ان هذه ملعونة قد خسف بها مرّتين من الدهر وهى أحد المؤتفكات وهى أوّل أرض عبد فيها وثن ولا ينبغى لنبى ولا لوصىّ أن يصلى فيها وضرب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسار قال: فبعثه الله فاعبر سوار حتى غربت الشمس وظهر الليل، فالتفت إلىّ فقال: ياجويرية صلّيت؟ قلت: نعم فنزل واذن وتنحى عنّى فاحسبه توضّأ ثم دعا بكلام حسبته بالعبرانية أومن التوراة، فاذا الشمس قد بدت راجعة حتى استقرّت فى موضعها من الزوال، فقام يصلّى وصليت معه الظهر والعصر

باذان واقامتين، فلما قضينا صلاة العصر هوت الشمس، وصرنا فى الليل ثم قال: يا جويرية ان الله يقول: فسبّح باسم ربك العظيم واني دعوت الله باسمه العظيم فردّ إلىّ الشمس كما رأيت.

٥ـ فى الارشاد: «ممـا أظهره الله تعالى من الاعلام الباهرة على يد امير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ما استفاضت به الاخبـار و رواه علمـاء السير و الآثار و نظمت فيـه الشعراء الاشعار رجوع الشمس له عليه السلام مرّتين: فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرّة و بعد وفاته اخرى، وكان من حديث رجوعها عليه المرة الاولى ما روته أسماء بنت عميس وام سلمة زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجابر بن عبـدالله الانصارى وأبوسعيد الخدرى فى جماعة من الصحابة... وكان رجوعهـا بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل... الحديث.

٦ـ فى امالى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أسماء بنت عميس قالت: أوحى الله إلى نبيه محمـد صلى الله عليه وآله وسلم فيغشاه الوحـى فستره على بن أبيطالب عليه السلام بثوبـه حتى غابت الشمس فلمـا سرى عنه قال: يا على مـا صليت العصر؟ قال: لا يا رسول الله شغلت عنها بك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اردد الشمس على على بن أبيطالب عليه السلام وقد كانت غابت فرجعت حتى بلغت الشمس حجرتى و نصف المسجد.

٧ـ فى الزيارة المطلقة لمولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ: «السلام على من ردّت عليـه الشمس حين تواردت بالحجاب. السـلام على من ردت له الشمس فقضى مافاته من الصلاة ورحمـةالله وبركاته...» الزيارة.

٨ـ فى البحار عن كتاب (مناقب آل أبى طالب ج١ ص ٤٥٩ـ٤٦٤) وفيـه ان الشمس ردّت عليه مراراً: الذى رواه سلمان، ويوم البساط، ويوم الخندق، ويوم حنين، و يوم خيبر، و يوم قرقيسنا، ويوم براثا، ويوم الغـاضرية، ويوم

النهروان، ويوم بيعة الرضوان، ويوم صفين، وفى النجف، وفى بنى مازن، وبوادى العقيق وبعد احد.

وروى الكلينى فى الكافى: انها رجعت بمسجد الفضيخ من المدينة، وأما المعروف فمرتان فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكراع الغميم وبعد وفاته ببابل.



﴿رد الشمس ليوشع بن نون﴾
ولسليمان بن داود عليه السلام

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في ردّ الشمس ليوشع بن نون و لسليمان بن داود عليهما السلام فنشير إلى نبذة منها:

في بحار الانوار: عن إبن عباس بطرق كثيرة انه لم تردّ الشمس إلاّ لسليمان وصي داود، وليوشع وصي موسى ولعلي بن ابيطالب وصي محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي دعاء المشلول :- «يامن أعطى الخضر الحياة وردّ ليوشع بن نون الشمس بعد غروبها...» الدعاء.

وفي تفسير أبي الفتوح رضوان الله تعالى عليه: «لم ترد الشمس إلاّ لسليمان وصي داود وليوشع بن نون وصي موسى ولعلي عليه السلام وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي تفسير الفخر الرازي: كان يوشع بن نون إبن اخت موسى عليه السلام وهو الذي فتح الارض المقدسة.

وفي تفسير كشف الاسرار للميبدي: « جعل موسى عليه السلام يوشع خليفة على بني إسرائيل فمضى أربعون سنة فجمع يوشع جيوشاً من أولاد بني إسرائيل لم يعصوا فذهبوا إلى اريحا بمقاتلة الجبارين، ففتح الله تعالى لهم وظفرهم على الجبارين فقتلوا وأوشك ان تغرب الشمس، ولكن بقي من الجبارين قوم ليقتل وكان غد ذلك اليوم يوم السبت، وفي هذا اليوم كانوا ممنوعين من المقاتلة فخافوا أن يبقى

هؤلاء الباقون من الجبارين، وأخّر قتلهم للسبت فدعا يوشع: «اللهم ازددت الشمس عليّ إن الشمس في طاعتك وأنا أيضاً في طاعتك، فتوقفت الشمس ساعة حتى قاتل يوشع، ومن معه مع الجبارين وقاتلوهم، فجعلت أرض الشام كلها لبني إسرائيل».

ذكره الخازن البغدادي في تفسيره: (لباب التأويل) وأبو الفتوح الرازي في تفسيره: (روح الجنان)

وقال أكثر المفسرين: في قوله تعالى: «إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر بي حتى توارت بالحجاب ردّوها على فطفق مسحاً بالسوق والاعناق» ص:٣١-٣٣): غابت الشمس ثم ردت لسليمان بن داود فصلّى العصر، كما في تفسير (جامع البيان) و (مجمع البيان) و (الميزان) وغيرهم.

و لعل ردّ الشمس لسليمان بن داود عليه السلام كان من معجزاته...

وفي تفسير روح البيان: «وردّت الشمس لسليمان على ما قرّ وحبست أيضاً لخليفة موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون، فانه سار مع بني إسرائيل لقتال الجبارين وكان يوم الجمعة ولما كاد يفتحها كادت الشمس تغرب فقال للشمس: أيتها الشمس انك مأمورة وانا مأمور بحرمتي عليك إلا ركدت أي مكثت ساعة من النهار.

وفي رواية: اللهم احبسها عليّ فحبسها الله حتى افتتح المدينة، وإنما دعا بحبسها خوفاً من دخول البيت المحرم عليهم فيه المقاتلة، وردّت أيضاً لعليّ عليه السلام بدعاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على ماسبق وحبست أيضاً عن الغروب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انه اخبر في قصة المعراج ان عير قريش تقدم يوماً كذا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك، وقد ولى النهار حتى كادت الشمس تغرب، فدعا الله تعالى، فحبس الشمس عن الغروب حتى قدمت العير، وفي بعض الروايات حبست له صلى الله عليه وآله وسلم عن الطلوع لانه صلى الله عليه وآله وسلم قال: وتطلع العير عليكم من الثنيه عند طلوع الشمس فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى قدمت العير وحبست أيضاً له صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أيام الخندق إلى الاحمرار والاصفرار وصلّى حينئذ...»

وفى كشف اليقين للعلامة الحلى رحمة الله تعالى عليه: «كان بعض الزهاد يعظ الناس فوعظ فى بعض الأيام وأخذ يمدح علياً عليه السلام فقاربت الشمس الغروب و أظلم الافق، فقال مخاطباً للشمس:

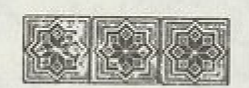
لا تغربى يا شمس حتى ينقضى	مدحى لصنو المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إذ عزمت ثنائه	أنسيت يومك إذ رددت لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لخيله و لرجله

فوقفت الشمس وأضاء الافق حتى انقضى المدح، وكان ذلك بمحضر جماعة كثيرة تبلغ حدّ التواتر، واشتهرت هذه القصة عند الخواص والعوام.

وفى تفسير روح البيان: «ذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد انه قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ فى ذكر فضائل آل البيت، فجائت سحابة غطت الشمس و ظنّ الناس الحاضرون عنده ان الشمس غابت فارادوا الانصراف، فأشار إليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب وقال:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى	مدحى لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لولده و لنسله

فطلعت الشمس، فلايحصى مارمى عليه من الحلىّ والثياب.



﴿ شبهات في ردّ الشمس ودفعها ﴾

وقد اعترت الشبهات على بعض الجاهلين بقدرة الله جل وعلا والغافلين عن عظمته وحكمته وتدبيره في نظام التكوين والتدوين، وعن واقع المعجزات التي يظهرها بأيدي أنبيائه وأوليائه عليهم السلام.

فقالوا: كيف يمكن أن تعاد الشمس، ويلزم ذلك تغييراً في الأفلاك وخروجها عن مدارها وفساد النظام الكوني، وتخليط الحساب النجومي، وكيف كان ردّها؟ مع الاشكال في تأخير سليمان بن داود وهو النبي عليه السلام وتأخير يوشع بن نون وعلي بن أبيطالب عليهما السلام وهما وصيان لنبي الله: موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الشبهات الواهية... كلها ناش عن قصر الفهم، وعدم التمييز بين الامور العادية وغيرها، وعن الجهل بحقيقة المعجزات، والغفلة عن شئون النبوة والولاية الالهية...

ومن قصر الفهم تطبيق الامور الخارقة للعادة على الامور المعتادة كما يسعى في ذلك بعض الشبان من الباحثين، ومن البديهي أن المعجزات ولاتقاس على غيرها من الامكانيات المعتادة من البشر العادي.

وقد كان ردّ الشمس معجزة إلهية خارقة عن العادة أظهرها الله عز وجل لبعض أنبيائه وأوصيائه كرامة له عنده، ولاظهار الفضل له على النـاس، وان البحث في إمكان وقوع المعجزة - كسائر إمكانيات معتادة من البشر العادي وإن كانت بعيدة بالنسبة إلى الآخرين - يخرجها من كونها معجزة خارقة للعادة إذ لو كان غير من أظهرها قادراً على إتيانها أوظهرت لكل أحد فلم تكن خارقة للعادة، فليس للعلم

العادى الاكتسابى سبيل إلى فهم ماهوغير عادى كما أن علم الطب متى تقدّم لن يقدرعلى إحياء الموتى وإبصار الأعمى، ولا على خلق بعوضة، فضلاً على خلق الطير والناقة واخراجها من الجبال بلاسبق وجود لها، وتكليم الحصاء...

ومتى تقدم علم السحر والكهانة لن يقدرعلى تقليب العصا بالثعبان والحية ومتى تقدم علم الفلك لن يقدر على العروج إلى السماء، ومتى كثرت الفصحاء و البلغاء والكتّاب لن يقدروا على إتيان أقصر سورة مثل القرآن الكريم، ومتى تقدّم العلم لن يقدر على سلب الحرارة من النار مع بقائها ناراً و عدم حيلة اخرى، وقس على ذلك سائر المعجزات التى أظهرها الله عزوجل بأيدى أنبيائه وأوليائه...

مع أن تأخير الصلاة كان تمهيداً لظهورهذه المعجزة كما كان لكل معجزة مقتض قبل ظهورها.

وفى الطرائف: قال السيدبن طاووس رضوان الله تعالى عليه: «وهذا- رد الشمس- ممكن من طرق كثيرة عندالله سبحانه وتعالى:

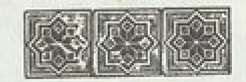
منها : أن يخلق مثل الشمس فى الموضع الذى أعادها إليه إبتداء، أويهبط بعض الارض فتظهر الشمس، أويخلق مثل الشمس فى صورتها ويجعل حكمها فى صلاة على كحكم تلك الشمس وغيرذلك من مقدوراته التى يعلمها سبحانه، وقدرووا أيضاً ان الشمس حبست لبعض الأنبياء فيماسلف.

ونختم البحث بكلمة قالها بعض العامة: عبدالكريم الخطيب فى كتابه: (إعجاز القرآن ص١٦٦ ط بيروت): «ونعود بعد هذا لنسئل لماذا عجز العرب عن معارضة القرآن والوقوف فى وجه هذا التحدى الذى دعاهم إليه فى إصرار وقوة وإثارة وسخرية؟ لماذا عجزوا وفى أيديهم كل مافى يده من أسلحة المعركة ... الحروف والكلمات والأساليب؟

والجواب على هذا هوعين الجواب على سؤال كهذا: لماذا كان على بن

ابيطالب لا يقف له فارس في ميدان الحرب ولا يصمد له بطل في معركة والسيف الذى في يده مما يباع ويشترى في سوق الأسلحة ومعدات القتال، وأمثاله كثير في يد منازليه ومحاربيه؟

ذلك ان السيف إنما تختلف أفعاله باختلاف الأيدى التى تحمله وتقاتل به، فهو في يد أشبه بالعصا، وفي يد اخرى أشبه بالشعلة من النار، وفي يد ثالثة أشبه بالقذيفة المدمرة، أو القدر الذى لا يردّ، والشأن كذلك في كل عمل يكون العنصر الانساني قائماً عليه ومكيّفا له ومؤثراً فيه».



الشمس فی آخر الزمان ویوم القیامة

قال الله تعالی:«فاذابرق البصر وخسف القمرو جمع الشمس والقمر »القیامة: ٧ـ ٩)

وقال:« إذاالشمس کوّرت وإذاالنجوم انکدرت» التکویر: ١ـ٢)

وقال:« لایرون فیهاشمساً ولازمهریراً » الانسان: ١٣)

فی الدرالمنثور: عن إبن مسعود فی قوله تعالی :« یوم یأتی بعض آیات ربك» قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنین کالبعیرین القرینین ثم قرأ :«وجمع الشمس والقمر »

وفیه: عن حذیفة قال : سئلت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقلت : یارسول الله ما آیة طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال: تطول تلك اللیلة حتی تکون قدرلیلتین، فیقوم الذین کانوا یصلّون فیها فیعملون کما کانوا یعملون و النجوم مکانها لاتسری ثم یأتون فرشهم ، فیرقدون حتی تکلّ جنوبهم ثم یقومون فیصلّون حتی یتطاول علیهم اللیل ، فیفزع الناس فبینماهم ینتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذاهی طلعت من مغربها ، فاذارآها الناس آمنوا ولاینفعهم ایمانهم .

وفیه: و عن أبی ذر رحمة الله تعالی علیه قال: کنت ردف رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی حمار علیه برذعة أوقطیفة ، و ذاك عند غروب الشمس فقال : یاباذر أتدری أین تغیب هذه ؟ قلت : الله و رسوله أعلم ، قال : فانها تغرب فی عین حمئة تنطلق حتی تخرّ لربها ساجدة تحت العرش ، فاذا حان خروجها أذن لهافتخرج

فتطلع فاذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها ، فتقول: يارب إن مسيرى بعيدفيقول لها : اطلعى من حيث غربت ، فذلك حين لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل .

وفيه: عن عبدالله بن أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ليأتين على الناس ليلة بقدر ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فاذا كان ذلك يعرفها المصلّون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فبينما هم كذلك إذماج الناس بعضهم فى بعض فقالوا : ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فاذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، فضجّ الناس ضجّة واحدة حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت و طلعت من مطلعها ، و حينئذ لاينفع نفساً ايمانها .

وفى رواية : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى علائم الظهور - : « إذا جمع الشمس والقمر واستدار بهما الفلك -إلى أن قال - أنى يكون ذلك ولم يستدر الفلك ؟ ! فقيل له : وما استدارة الفلك ؟ فقال: إختلاف الشيعة فيمابينهم »

أقول: ولعل جمع الشمس و القمر يكون إبّان الخسوف والكسوف ،وسيكون هذا الجمع الخاص حين تنكسف الشمس و ينخسف القمر فى غير موعدهما المعتاد و هو فى زمن ظهور الاختلاف بين الشيعة . وإستدارة الفلك: تحرّك النظام الشمسى بشكل يحقق جمع الشمس و القمر .

وفى رواية : قال الامام الباقر محمد بن على عليه السلام : « شارتان بين يدى هذا الامر: خسوف القمر بخمس ، و كسوف الشمس بخمسة عشر،لم يكن ذلك منذ هبط آدم إلى الأرض، فعند ذلك يسقط حساب المنجمين».

قوله عليه السلام : « بخمس » أى فستنخسف القمر فى الليلة الخامسة ، و «بخمسة عشر» أى وتنكسف الشمس يوم الخامس عشر من الشهر القمرى .

وفي رواية: قال الصادق عليه السلام - : وتنكسف الشمس بعدالصيحة في رمضان، و ينخسف القمر في آخره ، و هاتان آيتان لم يكونا منذهبط آدم إلى الارض .

وفي رواية: قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام - في حديث - : « علامة خروج المهدي كسوف الشمس في رمضان في ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة منه .

أي بين هاتين الليلتين : أي يوم الرابع عشر، والمألوف أن ينخسف القمر في هذاالوقت من الشهر القمري، وأن تنكسف الشمس في آخره .

وفي رواية: قال الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » : سيفعل الله ذلك بهم ركود الشمس من الزوال إلى وقت العصر حتى يلاحظ الناس ذلك ، وظهور رجل و وجه في عين الشمس - وجه إنسان وصدره - يعرف بحسبه ونسبه ، و ذلك في زمان السفياني ، وعندها يكون بواره و بوارقومه .

أقول: وهذه العلامة من أبرز العلائم دلالة على السفياني لأنها تقع في عهده و هي من أقربها إلى موعد ظهور المهدي: الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام، و لعل ركود الشمس بمقدار الوقت الكائن بين الظهر و العصر يكون وقوفاً للشمس محسوساً يساوي هذه الفترة، بحيث يلاحظ الناس هذا الركود كآية عجيبة من الله عز وجل .وهي فترة قليلة تقدر بساعات ولكن الناس يحسّون بها لزيادة طول النهار فجأة من جهة ، ولان حرارتها تنصب على الارض أكثر من المألوف ، فيشعرون بالفارق شعوراً ملموساً من جهة ثانية .

وأما الوجه والصدر اللذان يظهران في عين الشمس ، فلعلهما وجه المسيح عليه السلام و صدره حين ينزل من السماء فيعرف بحسبه و نسبه ، فلا يشك به شاك بعد ذلك لان التنويه بالحسب و النسب هنا بصورة خاصة ، وان المسيح عليه السلام هو إبن ام لأب له .

وفى انجيل متى: - (٢٤ : ٢٩ - ٣٠) : « للوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس و القمر لايعطى نوره ، والنجوم تسقط من السماء و قوّات السموات تتزعزع ، و حينئذ تظهر علامة إبن الانسان فى السماء و حينئذ تنوح جميع قبائل أهل الارض و يبصر ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوّة و مجد كثير ... »

قوله: « تظهر علامة ابن الانسان فى السماء » أى نزول المسيح عليه السلام سيكون نزوله بين غيمتين بمجد و عظمة بين صفوف الملائكة .

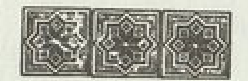
وقد اختلفت كلمات الحكماء والفلاسفة قديماً وحديثاً فى دوام كرة الشمس وزوالها ، والمعروف بين المتقدمين : ان الافلاك مع ماحوته من الأجرام و غيرها باقية سرمدية فعالة أبدية ومتحركة دواماً لايكاد يعتريها فتور ولا إختلال ولايقرب من حماها الفساد فضلاً عن الزوال .

وأما المتأخرون - بعد الألف من الهجرة النبوية - فرفضوا التقليد عن القدماء واجتهدوا فى إستكشاف الحقائق الكونية بالأدوات الدقيقة و البراهين و ذهبوا إلى أن الاجرام الكونية بأسرها شمساً كانت أو قمراً ، نجمة كانت أو أرضاً أو غيرها ، فهى حادثة بالذات والزمان كائنة وفاسدة أى كان زمان لم يكن فيه شمسنا ولاقمرنا ولاأرضنا، ولاالأنجم السيارة بل ولا الكواكب الثابتة ، ثم كانت وحدثت بعد أن لم تكن قبل اليوم ، وسيأتى عليها زمان الفناء فلاتكون شمسنا ولا أقمارها ولا انجمها بعد ان كانت .

فلا يبقى جرم الشمس و لاضيائها ، و لاالقمر و نوره و كذلك الارض و الكواكب ، وحين تنفطر و تنسف وتنطمس وتنكدر وتنتثر و يعتريها الزوال و الانتقال و الفساد و الاضمحلال كما كانت أول مرّة معدومة باطلة فاسدة متلاشية .

و قد وردت روايات متواترة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله

عليهم أجمعين: ان العالم بجميع أجزائه من شمس وقمر ونجم وأرض وحجر... كلها حادث بعد العدم أجنبى عن مقام القدم منعدم بعد الايجاد فاسد بعد الكون كما كان بعد الفساد، و ان الله جل و علا قد كان إذ لم يكن شيء ويكون كما كان حين لا كون لشيء.



﴿ عاقر الناقة أشقى الأولين ﴾

وقاتل علي عليه السلام أشقى الآخرين

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين نشير إلى ما يسعه المقام ، أما عن طريق العامة:

١ـ روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج١ ص ١٣٥ ط القاهرة) باسناده عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين ؟ فقال الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وآله وسلم : قاتلك .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة:

منهم: إبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٥ ط القاهرة).

ومنهم: إبن حجر العسقلاني في (فتح الباري ج ٢ ص٦٠ ط مصر).

ومنهم: البدخشي في (مفتاح النجا ص ٨٦) وغيرهم.

٢ـ روى إبن كثير الدمشقي في تفسيره بالاسناد عن عمار ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي ألا احدثك بأشقى الناس؟ قال: بلى قال: رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته.

رواه بعينه جماعة من أعلام العامة:

منهم : السيوطى فى (الجامع الصغيرج١ ص ٣٨٤).

ومنهم : المتقى الهندى فى (منتخب كنزالعمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٥٨ ط الميمنية بمصر).

ومنهم : السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ص ١٧٣ ط السعادة بمصر) و غيرهم.

٣- روى أبوبكر بن مردويه فى (فضائل امير المؤمنين عليه السلام) عن سعيد بن المسيب: كان على عليه السلام يقرأ «إذ انبعث أشقاها» قال: فوالذى نفسى بيده لتخضبن هذه من هذا- وأشار بيده إلى لحيته ورأسه -».

رواه أبوبكر الشيرازى فى نزول القرآن.

٤- روى الحاكم الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج٢ ص ٣٣٥ ط بيروت سنة ١٣٩٣ هـ ق) باسناده عن حجية بن عدى عن على عليه السلام قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على من أشقى الأولين؟ قلت: عاقر الناقة، قال: صدقت ، فمن أشقى الآخرين؟ قلت: لا أدرى قال: الذى يضربك على هذه كعاقر ناقة الله أشقى بنى فلان من ثمود.

٤- و فيه : باسناده عن نباتة بن أسد عن على بن ابى طالب عليه السلام قال: إن الصادق المصدّق عهد إلىّ لينبعثنّ أشقاها فليقتلك كما انبعث أشقى ثمود.

٥- وفيه باسناده عن عمر بن صهيب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لعلى: من أشقى الاولين؟ قال: الذى عقر الناقة، قال: صدقت، فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا أدرى قال: الذى يضربك على هذه، وأشار النبى بيده إلى يافوخه، قال: فكان علىّ يقول: يا أهل العراق أما والله لوددت أن لو انبعث أشقاكم فخضب هذه اللحية من هذه، ووضع يده على مقدم رأسه.

٦- وفيه : باسناده عن زيد بن أسلم ان أبا سنان الدؤلى حدثه انه عاد

علياً فی شکوة إشتکاهـا فقال له : لقـد تخوفنا عليك يا أبا حسن فی شکواك هذا، فقال : ولکنی والله ما تخوفت علی نفسی منه لأنی سمعت الصادق المصدوق صلی الله علیه و آله و سلم يقول: انك ستضرب ضربة هيهنـا و ضربة هيهنا ـ و أشار إلى صدغيـه ـ يسيل دمهـا حتى يخضب لحيتك و يكون صاحبها أشقاها كما كان عـاقر الناقة اشقى ثمود.

٧ـ و فيـه باسناده عن عمير بن عبـدالملك قال : خطب علی علیه السلام علی منبر الکوفـة فأخـذ بلحيته ثم قال : متى ينبعث أشقاهـا حتى يخضب هـذه من هذه.

٨ـ وفيه: عن أبی مطر قال: قال علی: متى ينبعث أشقاها! قيل: ومن أشقاها؟ قال: الذی يقتلنی .

٩ـ و فيـه : باسناده عن أبی الطفيل قال : دعا علی الناس إلى البيعـة ، فجـاء عبدالرحمن بن ملجم المرادی فرده مرتين ثم بايعـه ثم قال : ما يجلس كذا أشقاها ليخضبن هـذه من هـذه يعنی لحيته من رأسه ، ثم تمثّل بهـذين البيتين :

شد حيـازيمك للموت فـان المـوت يأ تيـك
و لا تجزع من القتـل إذا حـلّ بـواديـك

١٠ـ وفيـه: باسناده عن أبی هريرة يقول: كنت جـالساً مع النبی صلی الله علیه و آله و سلم فجاء علیّ، فسلم فأقعده رسول الله إلى جنبه فقال : يا علی من أشقـى الاولين ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال : عـاقر الناقة، فمن أشقـى الآخرين ؟ قال الله و رسوله أعلم قال: فأهوى بيده إلى لحية علیّ فقال: يا علی الذی يخضب هذا من هذا ووضع يده على قرنه قال أبوهريرة: فوالله ما أخطأ الموضع الذی وضع رسول الله يده عليه.

١١ـ روى النسائی فی (الخصائص ص ١٢٩) باسناده عن عمـار بن ياسر

قال: كنت أنا وعلي بن ابيطالب عليه السلام رفيقين في غزوة العسيرة (ذات العسيرة خ) فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون، فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا و علي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا، فو الله ما أيقظنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: قم يا أبا تراب - لما رآى عليه من التراب فقال: ألا احدثكم بأشقى الرجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: احيمر ثمود الذي عقر الناقة، و الذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى تبل من الدم هذه يعني لحيته.

رواه بأدنى تفاوت جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم:

فمنهم: احمد بن حنبل في (مسنده ج٤ ص٢٦٣)

ومنهم: الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص١٣٦) عن أحمد والطبراني والبزار - باختصار - وقال: ورجاله الجميع موثقون.

ومنهم: المتقي الهندي في (كنز العمال ج ١٥ ص ١٢٣) نقلا عن أحمد في مسنده و البغوي والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك وإبن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، وغيرهم.

١٢- في شواهد التنزيل باسناده عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ألا ان شفاعتي لأهل الكبائر من امتي إلاّ من قتل علي بن أبيطالب.

١٣- باسناده عن إبن عباس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشقى الخلق قدار بن قدير عاقر ناقة صالح وقاتل علي بن أبيطالب. ثم قال إبن عباس: ولقد امطرت السماء يوم قتل عليّ دماً يومين متتابعين.

١٤- وفيه: باسناده عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله: يا على تدرى من شرّ الاولين؟ - وقال وكيع مرّة: عن الضحاك عن على قال: قال رسول الله: يا على تدرى من أشقى الأولين؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة ثم قال: تدرى من أشقى الآخرين؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك.

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار.

وأما الرواية الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثيرة فنشير إلى نبذة منها:

١- روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى إكمال الدين باسناده عن إبراهيم بن أبى يحيى المدنى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لما بايع الناس عمر بعد موت أبى بكر أتاه رجل من شباب اليهود وهو فى المسجد الحرام، فسلّم عليه، والناس حوله فقال: يا أمير المؤمنين دلّنى على أعلمكم بالله وبرسوله وبكتابه وبسنته فأومأ بيده إلى على عليه السلام فقال: هذا فتحوّل الرجل إلى على عليه السلام فسئله: أنت كذلك؟ فقال: نعم فقال: انى أسئلك عن ثلاثة وثلاثة وواحدة، فقال أمير- المؤمنين عليه السلام: أفلا قلت عن سبعة؟ فقال اليهودى: لا، إنما أسئلك عن ثلاثة فان أصبت فيهن سئلتك عن ثلاثة بعد هن، وإن لم تصب لم أسئلك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرنى إن أجبتك بالصواب والحق تعرض ذلك؟ - وكان الفتى من علماء اليهود وأحبارها يروون انه من ولد هارون إبن عمران أخى موسى عليه السلام - قال: نعم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بالله الذى لا إله الاّ هو إن أجبتك بالحق والصواب لتسلمنّ ولتدعنّ اليهودية؟ فحلف اليهودى وقال له: ما جئتك إلاّ اريد الاسلام، فقال: يا هارونى سل عما بدالك تخبر.

قال: أخبرنى عن أول شجرة نبتت على الارض وعن أوّل عين نبعت على وجه الارض، وعن أوّل حجر وضع على وجه الارض؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أما سؤالك عن أوّل شجرة نبتت على وجه الارض، فان اليهود يزعمون انها الزيتون،

و كذبوا وإنما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنة فغرسها، و اصل النخل كله منها.

وأما قولك: أول عين نبعت على وجه الارض فان اليهود يزعمون انها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر و كذبوا هي عين الحيوان التي إنتهى موسى وفتاه إليها، فغسل فيها السمكة المالحة، فحييت وليس من ميت يصيب ذلك الماء الا حي وكان الخضر عليه السلام على مقدمة ذي القرنين عليه السلام يطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام وشرب منها، ولم يجدها ذو القرنين.

وأما قولك : أول حجر وضع على وجه الارض فان اليهود يزعمون أنه الحجر الذي في بيت المقدس و كذبوا إنما هو الحجر الأسود هبط به آدم معه من الجنة، فوضعه على الركن، والناس يستلمونه، و كان أشد بياضاً من الثلج فاسودّ من خطايا بني آدم، قال: فأخبرني كم لهذه الامة من إمام هدى هادين مهديين لا يضرهم خذلان من خذلهم وأخبرني أين منزل محمد في الجنة ؟ ومن معه من امته في الجنة ؟ قال:

أما قولك: كم لهذه الامة من إمام هادين مهديين لا يضرّهم خذلان من خذلهم فان لهذه الامة إثنى عشر إماماً هادين مهديين لا يضرّهم خذلهم، وأما قولك: أين منزل محمد في الجنة ففي أشرفها وأفضلها جنة عدن، وأما قولك: ومن معه صلى الله عليه وآله وسلم من امته في الجنة فهؤلاء الاثنى عشر أئمة الهدى، قال الفتى: صدقت فوالله الذي لا إله إلاّ هو انه لمكتوب عندي باملاء موسى وخط هارون عليهما السلام بيده قال: أخبرني كم يعيش وصيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعده وهل يموت موتاً أو يقتل قتلا ؟ فقال عليه السلام له : ويحك يا هاروني ! أنا وصي محمد أعيش بعده ثلاثين سنة لا أزيد يوماً و لا أنقص يوماً ، ثم ينبعث أشقاها : أشقى من عاقر ناقة ثمود فيضر بني ضربة هيهنا في مفرقي، فيخضب منه لحيتي ثم بكى عليه السلام بكاءاً شديداً قال: فصرخ الفتى وقطع كستيجه، وقال:

أشهد أن لا إله إلاّ الله، أوشهد أنمحمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبوجعفر العبدي - يرفعه - قال: هذا الرجل اليهودي اقرّ له من المدينة انه أعلمهم، وان أباه كان كذلك فيهم.

أقول: رواه المجلسي رحمة الله تعالى عليه في بحار الانوار.

إن تسئل: ان وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في صفر وكانت شهادة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في شهر رمضان، وقد كان بينهما ثلاثون سنة إلا خمسة أشهر وأياماً فكيف قال الامام عليه السلام: أعيش بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثين سنة لا ازيد يوماً ولا أنقص يوماً؟

تجيب عنه: ان المراد من قوله عليه السلام: «ثلاثين سنة» على سبيل التقريب، والمراد بقوله عليه السلام: «لا أزيد يوماً ولا أنقص يوماً» ان لشهادته كانت وقتاً معلوماً لايتقدم ولايتأخر.

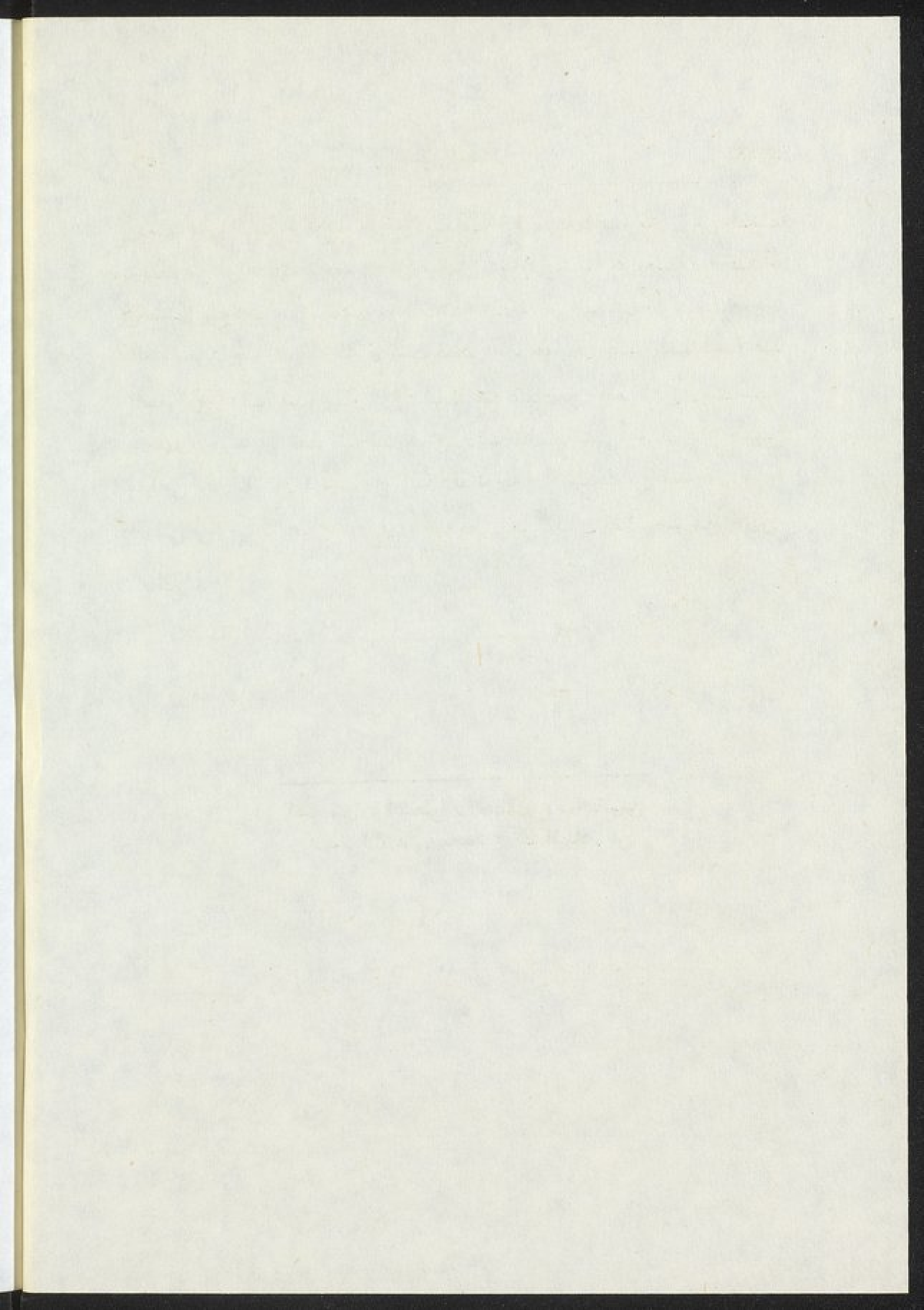
٢- روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في العلل باسناده عن الأصبغ بن نباته قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: انتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي بعد عهد معهود، أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

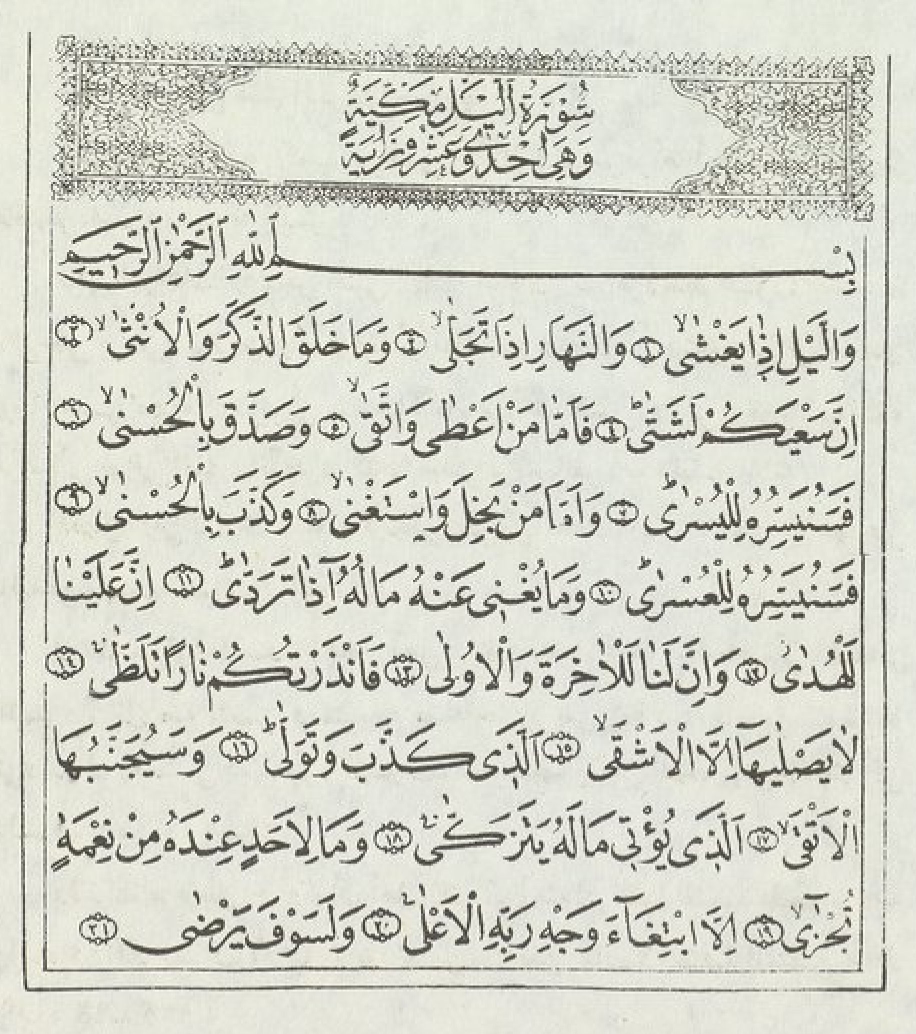
٣- روى المجلسي قدّس سرّه في البحار: سمع إبن ملجم وهو يقول: لأضربنّ علياً بسيفي هذا فذهبوا به إليه، فقال: ما إسمك؟ قال: عبدالرحمن بن ملجم قال: نشدتك بالله عن شيء تخبرني قال: نعم، قال: هل مرّ عليك شيخ يتوكّؤ على عصاه وأنت في الباب فمشقك بعصاه ثم قال، بؤساً لك أشقى من عاقر ناقة ثمود قال، نعم قال، هل كان الصبيان يسمّونك إبن راعية الكلاب، و أنت تلعب معهم؟ قال: نعم قال: هل أخبرتك امك انها حملت بك وهي طامث قال: نعم قال: فبايع، فبايع ثم قال: خلّوا سبيله.

٤- في الخرائج والجرائح لقطب الدين راوندي رحمة الله تعالى ما لفظه:

«ومنها ما تواترت به الروايات من نعيه نفسه قبل موته وانه يخرج من الدنيا شهيداً من قوله: والله ليخضبنها من فوقها وأومأ إلى شيبته ما يحبس أشقاها أن يخضبنها بدم وقوله: أتاكم شهر رمضان وفيه تدور رحى السلطان، ألا وانكم حاجوا العام صفاً واحداً وآية ذلك اني لست فيكم وكان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين عليه السلام وليلة عند عبدالله بن جعفر زوج زينب بنته لأجلها لا يزيد على ثلث لقم، فقيل له في ذلك فقال: يا بنيّ امر الله وأنا خميص إنما هي ليلة أو ليلتان، فاصيب من الليل وقد توجه إلى المسجد في الليلة التي ضربه الشقي في آخرها، فصاح الأوز في وجهه فطر دهنّ الناس فقال: دعوهنّ فانهنّ نوايح.

تمت سورة الشمس والحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين





سورة الليل مكية
وهى احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّٰى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى ﴿٣﴾
اِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى ﴿٤﴾ فَاَمَّا مَنْ اَعْطٰى وَاتَّقٰى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنٰى ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرٰى ﴿٧﴾ وَاَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنٰى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنٰى ﴿٩﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرٰى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ اِذَا تَرَدّٰى ﴿١١﴾ اِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدٰى ﴿١٢﴾ وَاِنَّ لَنَا لَلْاٰخِرَةَ وَالْاُولٰى ﴿١٣﴾ فَاَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّٰى ﴿١٤﴾
لَا يَصْلٰيهَا اِلَّا الْاَشْقَى ﴿١٥﴾ اَلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلّٰى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْاَتْقَى ﴿١٧﴾ اَلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكّٰى ﴿١٨﴾ وَمَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
تُجْزٰى ﴿١٩﴾ اِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضٰى ﴿٢١﴾

﴿فضلها و خواصها﴾

وقد سبق بعض فضل السورة وخواصها في فضل سورة الشمس فراجع .

وفي المجمع ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأها أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر و يسّر له اليسر .

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة أعطاه الله تعالى حتى يرضى و زال عنه العسر ويسّر له اليسر، وأغناه من فضله ومن قرأها قبل أن ينام خمس عشر مرة لم ير في منامه إلا ما يحبّ من الخير، ولا يرى في منامه سوء ومن صلّى بها في العشاء الآخرة كأنها صلّى بربع القرآن وقبلت صلاته .

أقول: وفي سند الرواية ما لا يخفى على من له الدراية ، و لكن دلالتها غير خالية عن مساسها بمضامين السورة ...

وذلك من قرأها متدبراً فيها وآمن واتقى وعمل عملاً صالحاً فيسّر الله تعالى له اليسر و يزيل عنه العسر ويغنيه من فضله حتى يرضى إذ قال :« فأما من اعطى و اتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى- وسيجنبها الاتقى الذى يؤتي ماله يتزكى -ولسوف يرضى » : ٥ _٢١)

وقال الله عز وجل :« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض- ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين » الا- عراف : ٩٦- ١٢٨)

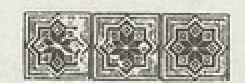
وقال:« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب- ومن يتق

الله يجعل له من أمره يسراً ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجراً » الطلاق : ٢ و ٣ و ٤ و ٥)

وفي البرهان: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أدمن قرائتها أعطاه الله مناه حتى يرضى وزال عنه العسر وسهل الله له اليسر، ومن قرأها عند النوم عشرين مرة لم ير في منامه إلا خيراً ولم ير سوءاً أبداً، ومن صلى بها العشاء الآخرة فكأنما قرأ القرآن كله و تقبل صلاته.

وفيه: وقال الصادق عليه السلام: من قرأها خمس عشرة مرة لم ير ما يكره ونام كذا وامنه الله تعالى، ومن قرأها في اذن مغشي عليه أو مصروع أفاق من ساعته.

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء في تلك الروايات و لكن بشرط الايمان و التقوى و صالح الاعمال ...



﴿الغرض﴾

غرض السورة بيان لاختلاف مساعى الناس و تصنيفهم حسب العقيدة و العمل على طريق الاقسام الربانية باظهر مشاهد الكون و نواميسه من الليل و النهار ، و بذات الخالق المتعال .

وفيها تنويه بصالح العقيدة والعمل وأصحابهما، وتنديد بسيئهما وأصحابهما وإنذارهم، وترتب الجزاء على ماسلكوه فيهما خيراً فخير، وشراً فشر .

ولما كانت العقائد والأعمال فى الحياة الدنيا مختلفة ذكر الجزاء على وفقهما فى الدار الآخرة متنوعة ... وذلك لاختلاف البواعث والاتجاه و الطبائع والمشارب و التصورات والاهتمام ، فيعيش كل واحد فى موكب خاص .

وأما الاسلام فيضمّ الجميع تحت حقيقة واحدة ولم يطلق العنان و تحت راية واحدة، فيقود الكل إلى الكمال فى مسير واحد لا كل واحد فى طريق غير طريق آخر .

وفيها تنويه بمن يتزكى بماله وتنديد بالبخل و المنع، واسلوبها كسابقتها من حيث دلالته على إحتوائها عرضاً عاماً للدعوة، وعلى تبكير نزولهما مما لا يخفى

﴿النزول﴾

سورة «الليل» مكية نزلت بعدسورة «الاعلى» و قبل سورة «الفجر» و هى السورة التاسعة نزولاًو الثانية والتسعون مصحفاً.

وتشتمل على إحدى وعشرين آية، سبقت عليها/ ٢٠٧ آيةنزولاً، و/ ٦٠٥٨ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملةعلى / ٧١ كلمة، و/ ٣١٠ حرفاً، وقيل: / ٣٠٢ حرفاًعلى مافى بعض التفاسير.

فى تفسير القمى: فى قوله تعالى:«فأمامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسّره لليسرى» نزلت فى رجل من الأنصار كانت له نخلة فى دار رجل من الأنصار فكان يدخل عليه بغير إذن، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب النحلة: بعنى نخلتك هذه بنخلة فى الجنة، فقال: لاأفعل، فقال: بعينها بحديقة فى الجنة، فقال: لاأفعل، وانصرف فمضى إليه أبوالدحداح و اشتراها منه و أتى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذها واجعل لى فى الجنة التى قلت لهذا فلم يقبلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لك فى الجنة حدائق و حدائق فأنزل الله فى ذلك: «فأمامن اعطى واتقى وصدّق بالحسنى» يعنى بأبى الدحداح «فسنيسّره لليسرى»

وفى قرب الاسناد: عن البزنطى قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول فى تفسير «و الليل إذا يغشى» قال: كان لرجل من الانصار فى حائط نخلة و كان يضر به فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعاه فقال: اعطنى نخلتك بنخلة فى الجنة، فأبى فبلغ ذلك

رجلاً من الأنصار يكنّى أباالدحداح فجاء إلى صاحب النخلة، فقال : بعني نخلتك بحائطي فباعه فجاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يارسول الله! قد اشتريت نخلة فلان بحائطي قال: فقال رسول الله: فلك بدلها نخلة في الجنة، فأنزل الله تبارك و تعالى على نبيه:

«وما خلق الذكر و الانثى ان سعيكم لشتّى فأما من اعطى» يعني النخلة« و اتقى وصدّق بالحسنى » بوعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «فسنيسّره لليسرى و أما من بخل و استغنى و كذّب بالحسنى فسنيسره لليسرى و مايغني عنه ماله إذا تردّى ان علينا للهدى »

وفي الكافي :باسناده عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم برجل يغرس غرساً في حائط له فوقف له : وقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً و أسرع ايناعاً وأطيب ثمراً وأبقى (أبقى إنفاقاً خ) ؟

قال: بلى فدلّني يارسول الله فقال: إذا أصبحت و أمسيت فقل : سبحان الله و الحمدلله ولا إله إلاّ الله والله أكبر .

فان لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة و هنّ من الباقيات الصالحات، قال: فقال الرجل : فاني اشهدك يارسول الله ان حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة، فأنزل الله عزوجل آيات من القرآن :« فأما من اعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى ».

أقول: رواه الصدوق في الامالي، والمجلسي في البحار، والحويزي في نور الثقلين

وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري باسناده عن ابن عباس : ان رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال ، وكان الرجل إذا جاء ودخل الدار فصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ التمرة من فمهم، فان وجدها في فم أحدهم أدخل اصبعه حتى يخرج التمرة من فيه، فشكا الرجل ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : إذهب ولقي صاحب النخلة وقال: تعطيني نخلتك

المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة ؟

فقال له الرجل : ان لي نخلاً كثيراً ومافيها نخلة أعجب إليّ ثمرة منها ، ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو إبن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال: يارسول الله أتعطيني ما اعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها ؟ قال: نعم فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له : أشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة ؟ فقلت: يعجبني ثمرها ، فقال له الآخر: أتريد بيعها ؟ قال: لا إلاّ أن اعطى بها مالا أظنه اعطى قال: فمامناك؟ قال: أربعون نخلة .

قال له الرجل: لقد جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة ثم سكت عنه فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة، فقال له : أشهد لي إن كنت صادقاً ، فمرّ ناس فدعاهم فاشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك. فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب الدار فقال: ان النخلة لك ولعيالك فأنزل الله تبارك وتعالى :« والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والانثى إن سعيكم لشتى »

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والحويزي في نور الثقلين، والسيوطي في أسباب النزول ، والمجلسي في البحار ، وإبن كثير الدمشقي في تفسيره .

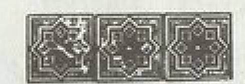
وأما مدنية بعض آيات السورة فلا تخرجها من كونها مكية ، ولا غرو في اختلاف الروايات في النزول لامكان أسباب عديدة لنزول آية من الآيات القرآنية .

وفي تفسير جامع البيان: عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مامن يوم غربت فيه شمسه إلاّ و بجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم إلاّ الثقلين: «اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً » فأنزل الله في ذلك القرآن :« فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى- إلى قوله- للعسرى» رواه القرطبي في (الجامع لاحكام القرآن)

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن جابر قال: دخل

رسول الله على فاطمة وعليها كساء من جلد الابل، فلما رآها بكى وقال: يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة (الجنة خ) غداً فأنزل الله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»

وفيه: باسناده عن جابر أيضاً قال: دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وعليها كساء من جلد الابل وهي تطحن، فدمعت عيناه فقال: يا فاطمة تعجّلي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة قال: فأنزل الله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»



﴿ القراءة ﴾

قرء شاذاً «وخلق الذكر والانثى» بدون «ما» على جرّ «خلق» بناء على كونه إسماً.

وفي المجمع: في الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام و ابن مسعود وأبي الدرداء وإبن عباس: «والنهار إذا تجلى و خلق الذكر و الانثى» بغير ما و روى ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال إبن جني: في هذه القراءة شاهد لما أخبرنا به أبو بكر عن أبي العباس أحمد بن يحيى قراءة بعضهم «وما خلق الذكر و الانثى» بالجر وذلك انه جرّه لكونه بدلاً من ما فقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهد بصحة ذلك.

وقرأ «ناراً تلظى» بكسر التنوين وتشديد التاء شاذاً والجمهور على التخفيف.



﴿الوقف والوصل﴾

«يغشى لا» للعطف التالي، و«تجلى لا» لماتقدم، و«الانثى لا » لجواب القسم، و«لشتى ط »لتمام الكلام القسمي، و«اتقى لا » للعطف ، و «الحسنى لا» لمكان الفاء جواباً«أما» و « لليسرى ط » لتمام الكلام الشرطي ، و « استغنى لا » للعطف ، و «بالحسنى لا» لمكان الفاء ،و«للعسرى ط » لتمام الكلام وإستئناف التالي، و«تردى ط» لابتداء الكلام التالي .

«للهدى ز »للعطف مع رعاية جانب« ان» فيجوز فيه الوقف والوصل و لكن الوصل أولى لاتمام الكلام ، و« تلظى ج » لان مابعده صفة أو إستيناف ، و«الأشقى لا» لذكر الوصف بالموصول وصلته بعد ذلك، و«تولى ط » لتمام الكلام ، و«الأتقى لا » كماتقدم، و«يتزكى ج » لان مابعده يحتمل الحال و الاستيناف ، و«تجزى لا »للاستثناء التالية ، و«الأعلى ج » لاختلاف الجملتين .



﴿ اللغة ﴾

٦٠ - الليل - ١٣٩٧

لال يليل ليلاً - من باب ضرب نحو باع - : أخذ بالظلمة .

الليل: ظلامه و إشتداد ظلمته، وليل أليل: شديد الظلمة، وألال القوم و أليلوا: دخلوا في الليل. ولايله و يلاليه ملايلة: إستأجره لليلة . وألبس ليل ليلاً: ركب بعضه بعضاً . وليل لائل : مثل شعر شاعر في التوكيد .

ليل وليلة جمعهاليال ليائل و ليلات. الليل: يأتي مذكر ومؤمناً ، وجمعه: الليالي بزيادة الياء على غير قياس ، وقيل: الليل واحد بمعنى جمع واحدته: «ليلة» مثل تمرة وتمر، وقيل: الليل مثل الليلة كمايقال : « العشي و العشية » والليل : إسم لكل ليلة .

الليل: مايعقب النهار و يمتد من غروب الشمس إلى طلوعها ، و في عرف الشرع: هو من ذهاب الحمرة المشرقية من فوق الرؤس بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق فالليل ضد النهار .

قال الله تعالى: « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى » الليل : ١ - ٢)

وقيل: يستعمل الليل إزاء النهار و الليلة إزاء اليوم، و قيل : أصل الليلة : ليلاة فحذفت الألف لان تصغيرها لييلة. والتصغير يردّ الاشياء إلى أصلها .

وليلة ليلاء : طويلة شديدة صعبة أوهي أشد ليالي الشهر ظلمة وبه سميت

المرأة ليلى.

ليلى: إسم إمرأة جمعها: ليال كقوله: « شبهاً لليلى خيرة الليالى » و« ليلى الخمر»: نشوتها وإبتداء سكرها، و« ام ليلى»: الخمر السوداء. وليلى الاخيلية: الشاعرة المشهورة كانت فى زمن مروان بن الحكم.

والليل أيضاً: الحبارى أو فرخها وفرخ الكروان والنهار ولد الحبارى.

١٧ - الغشى - ١٠٨٦

غشيه يغشاه غشياً و غشاوة وغشاءاً - يائى من باب علم نحو رضى -: غطّاه وستره وأظلم، وغشى عليه: أغمى عليه.

وغشى الليل: أظلم وستر ضياء النهار و غطّاه قال الله تعالى:« والليل إذا يغشى» الليل: ١) وقال:« يغشى الليل النهار » الرعد: ٣)

وغشيه: أتاه إتيان ماقدستره، وغشى المرأة: دخل عليها وجامعها، والاسم منه:« الغشيان » بالكسر و منه الحديث:« الغشيان على الامتلاء يهدم البدن »قال الله تعالى:« فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً » الاعراف: ١٧٩)

ويقال: غشيت موضع كذا: أتيته و كنى بذلك عن الجماع. وغشى المكان: أتاه. والغشيان: الاتيان، واستغشى ثوبه: تغطّى به قال الله تعالى:« واستغشوا ثيابهم» نوح: ٧) أى جعلوها غشاوة على أسماعهم وذلك عبارة عن الامتناع من الاصغاء. وفى الحديث: « وهو متغش بثوبه» وفى الحديث: «تغشى أنامله »: تسترها.

الغشواء من المعز التى يغشى وجهها بياض، وعنز غشواء: بينة الغشا، وفرس أغشى ما أبيض رأسه من بين جسده مثل الأرخم.

وغشى الشيء: إذا لابسه ومنه فى وصفه عز و جل: « لاتغشاه الأوهام » أى لا تباشره ولاتلابسه.

ومن المادى: الغشاء و الغاشية والغشاية والغشاوة - مثلثة - : الغطاء و تقال:

الغاشية والغشاوة لغطاءخاص و هوجلدة تغشّي القلب فاذا انخلع منها القلب مات صاحبه، والغاشية: قميص القلب ومنه الغاشية : داءيأخذ في الجوف أوورم يكون في البطن .

و قال قائلهم : في بطنه غاشية تتمّمه أي تهلكه ، و من هذا الهلاك تفسّر الغاشية في إستعمال القرآن الكريم : « هل أتاك حديث الغاشية» الغاشية: ١) و « غاشية من عذاب الله » يوسف : ١٠٧) أي الجائحة المهلكة في الدنيا أو في الآخرة .

و من هذا غشية الموت ، و قولهم : غشي عليه - مبنياً للمفعول - : أغمي عليه و من ذلك غواش جمعاً لغاشية في إستعمال القرآن الكريم قال الله تعالى : « و من فوقهم غواش » الاعراف : ٤١) أي مايغشاهم فيغطيهم من أنواع العذاب .

والغاشية : القيامة سميت بها لانها تغشى المجرمين بافزاعها ، ونار جهنم تغشى وجوه الكافرين .

وقد يلحظ في الغشي معنى الاتصال في قولهم: مثل غاشية الرجل لمن ينتابه من زوّاره وأصدقائه أومعنى الاتصال القوي الذي تفهمه التغطية في قولهم : غشي الرجل زوجته وتغشاها أي أتاها، وإذاك يكون في الخير مثل : «يغشيكم النعاس أمنة منه» الانفال: ١١)

الغاشي: جلد يلبس به جفن السيف من أسفل شار به إلى نعله أو مايتغشى قوآئمه من الأسفار، والغاشي: داء في الجوف ، والسُّوال- جمع السائل- يأتونك يرجون فضلك ومعروفك ، والخدم يغشونك والزوار و الاصدقاء ينتابونك ، يقال : كثرت غاشية زيد .

والغاشية : حديدة فوق مؤخرة الرحل، والغاشية: الداهية من خير أو شر أو مكروه، غشاء القلب والسرج والسيف... : مايغشاه جمعه : أغشية .

ومن المعنوى: مايقال : غشى على فلان: إذانابه ما غشى فهمه و منه الغشى ـ بالفتح والضم ـ : تعطّل أكثر القوى المحركة والحساسة لضعف القلب من الجوع أوالوجع أوالبرد أوغيرها وإجتماع الروح الحيوانى كله إليه .

و منه قوله تعالى : « و على أبصارهم غشاوة » البقرة : ٧) و قوله : «يغشى عليه من الموت » الاحزاب : ١٩) وقوله: « فأغشينا هم فهم لايبصرون » يس: ٩)

وفى الحديث :« غشيتهم الرحمة » : شملتهم ومنه : « غشنى برحمتك » أى غطنى بها .

أغشى الله على بصره : غطّاه ، تغشاه الأمر: تغطّاه ، ويقال :« إستغش ثوبك كى لاتسمع ولاترى » كناية عن الامتناع من الاصغاء و عن عدم ترتيب الأثر على ماسمعه .

٩٦ ـ النهار ـ ١٥٧١

نهره ينهره نهراً ـ من باب منع ـ : حفره و أجراه ، ونهر فلاناً : زجره فى غلظة واستقبله بما يكره و يسوئه، ونهر الدم: سال بقوة ، ونهر الماء: جرى فى الارض وجعل لنفسه نهراً و كل كثير جرى فقد نهر، ونهر السائل : زجره قال الله تعالى «و أما السائل فلا تنهر» الضحى: ١٠)

إنتهر السائل : زجره و انتهره: إستقبله بكلام يزجره به . وفى الحديث :«من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً و ايماناً و آمنه الله من الفزع الأكبر »

والنهر و الانتهار : الزجر بمغالظة وقال الشاعر :

لاتنهرن غريباً طال غربته فالدهر يضربه بالذل و المحن

حسب الغريب من البلوى ندامته فى فرقة الأهل والأحباب والوطن

النهار :الوقت الذى ينتشر فيه الضوء و هو فى عرف الناس : من طلوع الشمس إلى غروبها، وفى عرف الشرع: مابين طلوع الفجر الصادق إلى ذهاب الحمرة المشرقية

من فوق الرؤوس بعدغروب الشمس .

والنهار: ضدالليل ، وجمعهأنهر ونهر، ووردالنهارفى القرآنالكريم فى أغلبموارده مقابلاً لليل.

قالالله تعالى :«و الليلإذا يغشىو النهارإذا تجلى» الليل: ١ـ٢)

وقيل: النهار : إنتشار ضوءالبصرو إجتماعه، ولايجمع كمالا يجمعالعذاب والسراب ، فانجمعت قلتفى قليله: أنهر،وفى كثيره : نهرمثل سحاب و سحب .

وورد مرة مقابلاً للبيات عزوجل :« إن أتاكم عذابه بياتاً أونهاراً » و ورد أيضاًمفرداً كقوله تعالى :« آمنواوجه النهارو اكفروا آخره » آل‌عمران : ٧٢)

نهارأنهر مبالغة كليلأليل . النهارى : الطعام الذىيؤكل فىأوّل النهار و الأنهران من منازل القمر : العوّاء والسماك، والنهار: فرخ الحبارى .

النهر ـ بفتح الهاء و سكونها ـ : الاخدود الواسع المستطيل فى الارض يجرى فيه الماء و هو أيضاً : الماء الجارى فيه و هما مقترنان فأحدهما يذكّر بالآخر .

وقديقال لمايجرى فيالاخدود منغير الماء : نهرعلى التشبيه بنهر الماء ، فيقال: نهرمن لبنونهرمن خمر .

قالالله تعالى:« مثلالجنة التىوعد المتقون فيهاأنهار منماءٍ غير آسن و أنهارمن لبنلميتغيّر طعمه وأنهارمن خمرلذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى» محمدﷺ : ١٥) وهذا لايكون إلاّحيث يقيّد النهر كما رأيت ، وأماعند الاـ طلاقفهو للماء .

والمنهر: موضعفى النهريحتفره الماءو النهر: مجرىالماء الفائض، جمعه: أنهارقال اللهتعالى :« وألقىفى الارض رواسى أنتميدبكم و أنهاراً وسبلاً »

وجمع النهرـبفتحالهاء :ـ أنهار كسبب وأسباب ، وجمعالنهر ـ بسكون الهاء ـ : أنهر ككلب وأكلب . قال الله تعالى : « انالمتقين فى جنات و نهر »

القمر: ٥٤)

والمراد بالنهر الأنهار فهومن وضع الواحد موضع الجمع . و قيل : اريد بالنهر : السعةوالضياء لأن الجنة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلألأ .

و النهر - ككتف - : العنب الأبيض ، والنهر : الكثير و النهيرة : الناقة الغزيرة، والمنهرة: فضاءبين البيوت كالموضع الذى تلقى فيه الكناسة، والناهور: السحاب، والنهرة: الدعرة ، وهى : الخلسة .

وفى الحديث:« لاتتزوجن نهرة ولاشهرة» النهرةمن النساء : الطويلةالمهزولة أوهى المشرفةعلى الهلاك، من النهابر: المهالكو أصلها جبال من رمل صعبة المرتقى .

وفى الحديث :« نهران مؤمنان و نهران كافران فالمؤمنان : النيل و الفرات والكافران: الدجلةو نهر بلخ »

والنهروان: كورة واسعةمن الجانب الشرقى ، حدّها الاعلى متصلة ببغداد و فيهاعدة بلادمتوسطة منها: إسكافوجرجرايا والصافية و ديرقنى ، و كان بها وقعة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام مع الخوارج مشهورة وقال ياقوت: نهروان هو خراب الآن مدنه وقراه تلال يراها الناس بها، والحيطان قائمة لاختلاف السلاطين وقتالهم فى الايام السلجوقية ، وكان فى ممر العساكر فجلا عنه أهلهو استمر خرابه .

وفى مجمع البحرين: نهروان- بفتح النون والراء - : بلدمعروف عن بغداد أربعة فراسخ .

٤٥ - الجلاء و التجلى - ٢٦١

واعلم أن الجلاء واوى، والتجلى يائى ، ولقرب معناهما أوردناهما ههنامعاً . جلا الأمر يجلوه جلواً و جلاءاً - واوى من باب نصر نحو دعا - : كشفه و

أظهره، وجلاالسيف والمرأة يجلوهما : صقلهما ، ومنه الحديث :« القرآن جلاء للقلب » أي يذهب الشكوك والاحزان من جلوت السيف، ومنه : « تحدّ ثوافان الحديث جلاء للقلوب ان القلوب لتربن كمايربن السيف جلائه الحديث » و فى حديث:« فجلارسول الله ﷺ للناس أمرهم ليتأهّبوا » أى كشف وأوضح .

وجلا الرجل عن بلده: خرج، لازم ومتعد ، وجلاالأمر عن فلان : كشفه، و جلاالخبر : وضح، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه مكشوفة ، أصلُ الجلو : الكشف الظاهر، يقال: أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنهاأى أبرزتهم عنها، وجلا القوم عن المكان : خرجوا عنه إلى غيره، والمصدر : الجلاء بمعنى الخروج .

قال الله تعالى:« ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا » الحشر: ٣) وهى فى شأن اليهود الذين جلوا عن المدينة على عهد رسول الله ﷺ بعد حصارهم، وجلا القوم: تفرّقوا ، وفى حديث الحوض: فيجلون عنه: ينفون ويطردن عنه: وجلوة النحل : طردها بالدخان .

جلاء يوم : بياضه، والجلاء: هو إبتداء الصلع إذا ذهب شعر رأسه إلى نصفه ، وإبن الجلاء : مشهور وقيل: الواضح الأمر، وقيل : الصبح ، وقيل: القمر ، ويقال: أقمت جلاء يومى: بياضه، والجلاء - بالكسر - مصدر: الكحل ، والجلاء : الاثمد وهو حجر يكتحل به، والجلاء : حكاكة حجر على حجر يكتحل بها سميت بذلك لانها تجلو البصر، وفى الحديث : « السواك مجلاة للبصر » أى آلة لتقوية البصر و كشف لما يغطيه . و يقال للرجل إذا كان على الشرف لايخفى مكانه : هو إبن جلا .

الجلى والتجلى : جلى يجلى جلى - يائى من باب علم نحو رضى -: إنحسر مقدّم شعره فهو أجلى، وجلى الفضة يجليها جلياً يائياً بمعنى جلاها الواوى، وجلّى الأمر: كشفه وأظهره قال الله تعالى: « والنهار إذاجلاّها » الشمس: ٢) أى أظهرها .

و تجلّى الشيء: تكشّف وبان و ظهر قال تعالى: « و النهار إذاتجلـى »

الليل : ٢)

أی ظهر بزوال الظلمة، و فی حديث الكسوف: «حتی تجلّت الشمس» أی إنكشفت وخرجت من الكسوف.

وقيل : ان التجلی قد يكون بالذات نحو: «والنهار إذا تجلی» و قد يكون بالامر و الفعل كقوله عزوجل: «فلما تجلی ربه للجبل» أی ظهر بآياته التی أحدثها فی الجبل. وفی الحديث: «انه برز من نور العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل» و فی حديث رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: «فجلی الله لی بيت المقدس» أی كشفه.

جلّی الأمر: أظهره يقال: «ان الله يجلی الساعة» أی يظهرها، والجلیّ: نقيض الخفی، والجليلة: الخبر اليقين، جلاّه الامر وجلاّ عنه الأمر تجلية: كشفه عنه، وجلّی الزوج عروسه: أعطاها فی وقت الزفاف، واستجلّت العروس: ظهرت لزوجها مكشوفة، والجلوة - بكسر الجيم -: مايعطی الزوج عروسه وقت تعرض عليه، يقال: ماجلوتها؟ يقال: كذا و كذا. ويقال: أخبرنی عن جليّة الامر: حقيقته، و هو يجلّی عن نفسه: يعبّر عن ضميره.

التجلی: النظر بالاشراف، والجلية: البصيرة يقال: عين جلية، وأجلی يعدو: أسرع بعض الاسراع، وفی وصف رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: «انه أجلی الجبهة» و هكذا ورد فی وصف المهدی الامام الثانی عشر عليه السلام وجبهة جلواء: واسعة، والأجلی: الحسن الوجه الأنزع و رجل أجلی: إنكشف بعض رأسه عن الشعر. الجلواء: مؤنث الأجلی، و المجالس: مقادم الرأس و هی مواضع الصلع واحده مجلی.

جالاه بالأمر: جاهره به، وأجلی الرجل عن بلده: خرج، و أجلی منزله: تركه من خوف، و أجلی الجدب القوم عن بلدهم: فرّقهم، و هذا أيضاً لازم و متعد.

وتجلّی الشیء تجلّياً: إنفرج و تكشف و ظهر، و تجلّی مكان كذا: علاه و

الشيء: نظر إليه مشرفاً، وتجالى القوم : إنكشف كل واحد منهم لصاحبه ، وانجلى الأمر إنكشف : يقال: « إنجلى عن قلبه الهم» : إنكشف، وانجلى الليل: إنسلخ ، و اجلولى الرجل : خرج من بلد إلى بلد .

الجالية الغرباء الذين هاجروا من أوطانهم ، والجالية : الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة، يقال: استعمل فلان على الجالية أى اقيم على جباية الجزية ثم استعمل فى كل جزية جمعها: جوال .

الجلى- بكسر الجيم -: الكوّة من السطح لاغير ، و المجلّى: السابق فى الحلبة، والمصلى الذى يأتى ورائه .

٤٧ - السعى - ٧٠٦

سعى الرجل يسعى سعياً وسعاية - يائى من باب منع - : قصد و مشى مشياً سريعاً دون العدو كالسعى بين الصفا و المروة . سعى الرجل: سار مطلق سير ، و سعى: عمل خيراً كان أو شراً ، و السعى : القصد و الجد فى الأمر خيراً كان أو شراً .

قال الله تعالى :«وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » القصص: ٢٠) أى يمشى ويسير ، وقال :« إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» الجمعة:٩) أى فامشوا وسيروا، وقال :« ان سعيكم لشتى» الليل: ٤) أى عملكم خيراً كان أو شراً ، و قال: « فلما بلغ معه السعى » الصافات : ١٠٢) أى أدرك ماسعى فى طلبه .

وقال:« والذين سعوا فى آياتنا» الحج: ٥١) أى عملوا فى آياتنا عمل شر بأن بذلوا الجهد فى إبطالها بادعاء انها سحر أو شعر أو أساطير الاولين .

قيل: ان السعى إذا كان بمعنى المضىّ و الجرى يتعدى بـ« إلى » نحو: «فاسعوا إلى ذكر الله» وإذا كان بمعنى العمل يتعدى باللام نحو: «من أراد الآخرة

و سعى لها سعيها » و سعى إلى الصلاة: ذهب إليها على أيّ وجه كان مع قصد وجدّ.

وقيل: السعي موضوع للمشي السريع و بقية المعاني متفرّعة منه.

الساعي: الوالي على أيّ أمر وقوم كان، وأكثر مايقال ذلك في ولاة الصدقة وجباتها، ساعي اليهود و النصارى: رئيسهم جمعه: سعاة.

والسعاية ـ بكسر السين ـ : النميمة و الوشاية، سعى به: نمّ به و وشى إلى الوالي، والسعاة: التصرف والتقلب يقال: « ماتجدي فيه سعاته » : تصرفه و تقلبه و في الحديث: « الساعي مثلث » أي انه يهلك بسعايته ثلاثة نفر: السلطان و المسعيّ به ونفسه.

والمسعى: السعي والمسلك والتصرف جمعه: مساع، والمسعاة: المكرمة و المعلاة في أنواع المجد جمعها: مساع.

سعى المتصدق: باشر عمل الصدقات، وسعى في حاجة السائل: تسبّب له في قضائها، وسعى الرجل: كسب لعياله ولعتق رقبته، وسعت الأمة: زنت، يقال في الأمة خاصة، ولا يقال في الحرة.

ساعاني فلان فسعيته: غلبته في المشي، و في حديث الامام علي عليه السلام في ذم الدنيا: « من ساعاها فاتته » أي سابقها وهي مفاعلة من السعي كأنها تسعى ذاهبة عنه، وهو يسعى مجداً في طلبها فكل منها يطلب الغلبة في السعي.

ومن أمثال العرب: « رب ساع لقاعد » قيل: أوّل من قال ذلك نابغة الذبياني الشاعر الجاهلي، ومن قصته: انه وفد إلى النعمان ابن المنذر وفد من العرب فيهم رجل من عبس، فمات عنده فلماحبا النعمان الوفد بعث إلى أهل الميت بمثل حباء الوفود فبلغ النابغة ذلك فقال: « رب ساع لقاعد ».

استسعى العبد: كلّفه من العمل مايؤدّي به عن نفسه إذا اعتق بعضه يعتق ما بقي منه. وخصّ السعي فيما بين الصفا والمروة من المشي.

والمساعاة : الفجور و الزنا، يقال: ساعت الأمة : إذا فجرت و ساعاها فلان . إذافجربها كان كل واحدمنهما يسعى لصاحبه فى حصول غرضه و فى الحديث: « لا مساعاة فى الاسلام ومن ساعى فى الجاهلية فقدلحق بعصبته » فأبطل الاسلام ذلك و لم يلحق النسب بها وعفى عما كان منهافى الجاهلية ممن الحق بها .

السعوة- بكسر السين- : المرأة البذية الخالعة - وبفتحها - : السمعة ، و السعاة- بالفتح- : التصرف فى المعاش والكسب، و السعاوىّ - بالضم- : الصبور على السهر والسفرأى هو كثير السعى و الحركة و الاضطراب والاجتهادفى المعاش. وسعية : علم للعنز وتدعى للحلب، فيقال: سعى سعيه. وأكثرما يستعمل السعى فى الأفعال المحمودة . والساعى : البريد .

٤-التشتت و الشتات-٧٧٢

شتّ الجمع يشتّ شتاًوشتاتاً وشتيتاً - مضاعف من باب ضرب نحو فرّ - : تفرّق فهو شتيت وهم شتى أى متفرقون ، وشتّوا أمرهم: فرّقوا . و شتّ الأشياء فشتّت : فرّقهـا فتفرقت لازم ومتعد، و أشتّ بى قومى : فرّقوا أمرى ، وشتّ شعبهم: إفترقوا، و يقال: أخاف عليكم الشتات : الفرقة ، وفى الدعاء :« الحمد لله الذى جمعنا من شتّ » أى تفرقة .

وأمر شتّ أى متفرق جمعه: أشتات ...

قال الله تعالى:« ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً » النور : ٦١) أى متفرقين و قال:« يومئذ يصدر الناس أشتاتاً» الزلزلة: ٦) أى متفرقى النظام ، و يقال: أمر شتّ وشتّى، وجمع شتيت : شتى كمريض ومرضى .

قال الله عزوجل :« ان سعيكم لشتى» الليل: ٤) أى سعى مختلف السبل متنوع الوجهات. فان سعى المؤمنين والابرار يخالف سعى الكافرين والفجار .

وقال: « تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتى » الحشر: ١٤) أى متفرقة .

وقال: « وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى » طه: ٥٣)
أى مختلفة الأنواع و الألوان والطعوم و الروائح ...

الشتوت من الناس : الذين ليسوا من قبيلة واحدة ، بل من قبائل مختلفة ،
يقال: ان المجلس ليجمع شتوتاً من الناس ، و قوم شتى : هم قبائل متفرقة، وأشياء
شتى: مختلفة ... وفى الحديث :« يهلكون مهلكاً واحداً و يصدرون مصادر شتى »
أى مختلفة، و منه الحديث فى الانبياء عليهم السلام: « وامهاتهم شتى » أى دينهم واحد و
شرائعهم مختلفة على الاختلاف طاقة الناس فى التكاليف، وقيل: أراد اختلاف أزمانهم...

شتان: بالبناء على الفتح إسم فعل بمعنى بعد، نحو: وشكان و سرعان. وتقول:
شتان ما بين زيد وعمر وإذا أخبرت عن إرتفاع الالتئام بينهما، فان نوّنته فهو نكرة
وإن لم تنوّنه فهو معرفة ، فان نقلت شتان عن أن يكون إسماً للفعل فجعلته إسماً
للشتيت معرفة صار بمنزلة سبحان .

وقال الشاعر:

شتان بينهما فى كل منزلة　　　هذا يخاف و هذا يرتجى أبداً

وفى اللسان : شتان: مصروفة عن شتت مثل ـ كرم ـ فالفتحة التى فى النون
هى الفتحة التى كانت فى التاء ، وتلك الفتحة تدل على أنه مصروف عن الفعل الماضى،
ومن العرب من ينصب بينهما فى مثل هذا الموضع، و يقول: شتان بينهما و يضمر
ما كأنه يقول: شتّ الذى بينهما كقوله تعالى: « لقد تقطع بينكم »

وفى المجمع: شتى: أى متفرق على تباعد ما بين الشيئين جداً ومنه شتان أى
بعد ما بينهما كبعد ما بين الثرى و الثريا .

١٣ - البخل - ٩٧

بخل يبخل بخلاً ـ من بابى علم و كرم ـ : منع وأمسك فهو باخل .

والبخل: ضدّ الجود والكرم ، وهو إمساك المال عما لا يصحّ حبسه عنه .

قال الله تعالى :« وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى فسنيسّره للعسرى» الليل: ٨ - ١٠)

جمع الباخل : بخّل- بفتح الباء وضم الخاء وتشديدها، وجمع البخيل: بخلاء ،والبخول: مبالغة في البخل، وبخّله: رماه بالبخل ، و أبخله: وجده بخيلاً ، و رجل بخل- كجبل- : وصف بالمصدر ، والبخال - بتخفيف الخاء و تثقيلها و المبخّل : الشديد الامساك ، والبخل- ككتف-: لغة في البخل بالضم و كذلك البخل بالكسر، والبخلة: المرة الواحدة من البخل .

المبخلة- مفعلة من البخل ومظنة له -: مايحملك على البخل و يدعوك إليه و منه:« الولد مبخلة مجبنة» فالولد يحمل أبويه على البخل، ويدعوهما إليه، فيبخلان بالمال لأجله، ومنه الحديث الآخر:« انكم لتبخّلون وتجبّنون »

في المفردات: البخل : إمساك المقتنيات عمالايحقّ حبسها عنه ، و يقابله الجود، يقال: بخل فهو باخل ، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم .

وفي المجمع: البخل: الشح في الشيء ، وفي الشرع : هو منع الواجب ، و عند العرب : منع السائل ممايفضل عنده .

٣٠ - الردى- ٥٥٨

ردى في الهوّة يردى ردى - يائي من باب علم نحو رضي - : تهوّر فيها و انقلب، وتردّى: تهوّر فانقلب في مهواة. الهوّة - كقوة- : ماانهبط من الارض و الحفرة البعيدة القعر من البئر المغطاة وغيرها يقع فيها الانسان فجأة وإغترارفيهلك

قال الله تعالى:« ومايغني عنه ماله إذا تردى» الليل: ١١)

و المتردية : هي ماتقع من جبل أو تطيح في بئر أو تسقط من موضع مشرف

فتموت وما تدرك ذكاتها. وفي الحديث: « نهى عن الشاة المردية » لانها ماتت من غير ذكاة.

قال الله عزوجل: « والموقوذة والمتردية والنطيحة » المائدة: ٣)

وردّاه في البئر تردية: أسقطه فيها.

ردى يردى من هذا الباب - : هلك. قال الله جل وعلا: « واتبع هواه فتردى » طه: ١٦) أي فتهلك. والردى: الهلاك، والتردى: التعرض للهلاك.

يقال: فلان تردى من رأس الجبل: إذا سقط، ويقال: تردّى: إذا مات فسقط في قبره، وردى فلاناً: صدمه كما يصدم المعول الحجر.

وأرداه: أهلكه قال الله تعالى: « و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم » فصلت: ٢٣)

وقال: « ليردوهم » الانعام: ١٣٧) أي ليهلكوهم بالاغواء.

وفي الدعاء: « أعوذبك من الهوى المردى » أي المهلك، وفيه: « أعوذبك من مرديات سخطك » أي مايوجب الردى أي الهلاك من سخطك. وفي الحديث: «من تكلم بكلمة من سخط الله ترديه بعد مابين السماء والارض» أي توقعه في مهلكة.

وفي حديث إبن مسعود: « من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى فهو ينزع بذنبه »: أراد انه وقع في الاثم وهلك كالبعير إذا تردى في البئر و اريد أن ينزع بذنبه فلا يقدر على خلاصه.

وردى الفرس يردى ردياً و ردياناً - بالتحريك يائي أيضاً من باب ضرب نحو رمى - : إذا أسرع بين العدو و المشي الشديد، وردى زيد: ذهب وردى الفرس: رجم الارض بحوافره في سيره وعدوه، وردت الجارية رديانا: رفعت رجلاً ومشت على اخرى تلعب. وردى: ذهب يقال: ماأدرى أين ردى: أين ذهب.

الرداة: الصخرة جمعها: ردى، والمردى: الحجر الذى تكسر به الصخور، و يفضخ به النوى، ومنه قيل للشجاع: انه مرادى الحروب أو الخصوم، و هم مرادى الحروب أو الخصوم أي يرمون بهم فيكسرونهم. وترادوا بالحجارة: تراموا بها.

وفي حديث احد: قال أبو سفيان : من رداه أي من رماه .

المرادي: قوائم الابل والفيل والخيل تضرب الارض بمراديها . والمردي - بضم الميم - : خشبة تدفع بها السفينة تكون في يد الملاّح ، جمعها : مرادي . و الرادي: الأسد. والرداء : مايلبس فوق الثياب كالجبّة والعباءة ، والرداء : ملحفة معروفة، والجمع: الاردية ، والرداء : السيف والقوس وفي الحديث :« نعم الرداء القوس» لانها تحمل موضع الرداء من العاتق .

يقال: فلان خفيف الرداء : قليل العيال و الدين أي القرض، والرداء: الشباب ورداء الشباب : حسنه وعضارته و نعمته، ورداء الشمس : حسنها ونورها، والرداء : الغطاء الكبير، والرداء : العقل ، والرداء : الجهل ، والرداء : كل مازيّن به الا- نسان من داره و إبنه و جماله .

والرداء: الدين سمي رداء لأن الرداء يقع على المنكبين والكتفين و مجتمع العنق و الدين أمانة، والعرب تقول في ضمان الدين: هذالك في عنقي ولازم رقبتي فقيل للدين: رداء لانه لازم عنق الذي هو كالرداء الذي يلزم المنكبين إذا تردى به، ومنه قيل للسيف: رداء لان متقلده بحمائله متردية به .

وفي حديث قال الامام على عليه السلام:« من أراد البقاء ولا بقاء فليبا كر الغداء و ليبكر العشاء و ليخفف الرداء وليجد الخذاء وليقل غشيان النساء» قيل: أراد الامام عليه السلام هنا بالرداء: قلة الدين .

٢٦ - اللظى - ١٣٦٣

لظيت النار تلظى لظى - يائي من باب علم نحو رضى - : تلهّبت .

تلظت النار: إشتدّ لهيبها ، لظّى النار تلظية: ألهبها .

قال الله عزوجل :« فأنذرتكم ناراً تلظى» الليل: ١٤) أي تتوهّج و تتوقد عليكم من شدة الغضب . وإلتظاء النار: إلتهابها، و تلظيها: تلهبها .

اللظى: اللهب الخالص الشديد، ولظى: إسم من أسماء جهنم .

قال الله تعالى: « كلا انها لظى نزاعة للشوى » المعارج: ١٥ ـ ١٦)

لظى معرفة ممنوعة من الصرف للعلمية و التأنيث ، و سميت بذلك لأنها أشد النيران .

تلظّى فلان على فلان : إلتهب و اغتاظ عليه من شدة الغضب، وتلظت المفازة: إشتدّ لهبها، وتلظّت الحيّة من السّمّ: تحرّكت .

ذات اللظى: موضع من حرّة النار بين خيبر و تيماء .



﴿النحو﴾

١- (والليل اذا يغشى)

الواو للقسم، و«الليل» مجرور بها ، متعلق بفعل محذوف على تقدير: اقسم بالليل.

الليلة هي: الليل التى تقابل اليوم، وأما الليل فيقابل النهار ، وتستعمل «ليلة» تمييزاً للعدد، وجمعه: الليالى بزيادة الياء على غير قياس ،وجمعه القياسى :«ليلات» وقد ذكرت هذه الكلمة فى القرآن الكريم :

١- فى صورة المفرد المنكر كقوله تعالى :« و واعدنا موسى ثلاثين ليلة » الاعراف: ١٤٢)

٢- فى صورة الاضافة إلى إسم الظاهر فى قوله عزوجل :« إنا أنزلناه فى ليلة القدر» القدر : ١)

٣- فى صورة الاضافة إلى ضمير المفردة الغائبة فى قوله سبحانه : « و أغطش ليلها» النازعات : ٢٩)

٤- فى صورة الجمع المنكر المجرور فى قوله جل وعلا :« سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام» الحاقة : ٧)

٥- فى صورة الجمع المنكر المنصوب فى قوله تعالى : « سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين» سبأ: ١٨)

وقد ذكر الليل فى القرآن المجيد مفرداً معرفاً كقوله تعالى :« و الليل

إذايغشى » الليل :١) وظرف زمان مفرداً منكراًفي قوله عز و جل :« قال رب اني دعوت قومي ليلاًو نهاراً » نوح: ٥)

و«إذا» ظرف زمان، و«يغشى» فعل مضارع ، فاعله ضمير مستترفيه راجع إلى «الليل» على حذف المفعول وفيه وجوه : أحدها- ان المفعول هو الشمس كقوله تعالى:« والليل إذايغشاها » الشمس: ٤)

ثانيها- هو النهار لقوله عز و جل:« يغشى الليل النهار» الاعراف : ٥٤) ثالثها- هو الارض. رابعها- هو الخلائق. خامسها- أي يغشى الليل كل شيء بظلمته. سادسها- على تقدير: يغشى الليل بظلمته كل ما بين السماء والارض . سابعها- هو كل شيء يمكن تواريه بالظلام في الآفاق ... وعلى أيّ تقدير لم يذكر المفعول للعلم به مع رعاية الفواصل ...

٢- (والنهار اذاتجلى)

الواو للعطف ، و«النهار » مجرور بالعطف على «الليل» و«إذا» في الموضعين لمجرد الظرفية، والعامل فيهما فعل القسم، و«تجلّى » فعل ماض من باب التفعل، يستعمل لازماً. وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى « النهار »

٣- (وماخلق الذكر و الانثى)

الواو للعطف، و في« ما » وجوه : **أحدها-** مصدرية . والمعنى : و اقسم بخلق الذكر و الانثى . اقسم الله تعالى بهما لما أودع الله عز و جل فيهما مالم يودعه في غيرهما من خلقه . ويحتمل أن يكون القسم بخلقه تعالى ، فالذكر و الانثى بدلان من خلقه .

ثانيها - بمعنى- «من » التي لمن يعقل، تقول العرب : سبحان ما سبح الرعد بحمده . ف« ما » كناية عن الله تعالى ، فاقسم الله تعالى بنفسه ، والمعنى : واقسم بمن هو القادر العظيم المتعال خلق الذكر و الانثى المختلفين مع كونهما من نوع واحد .

ثالثها- موصولة بمعنى «الذى» و قال الزجاج: يجوز خفض « الذكر و الانثى » على البدل من «ما» بمعنى «الذى» و المعنى: واقسم بالذى خلق الذكر و الانثى. و قيل: «ما» كناية عن المخلوق، فالذكر بدل من « من » على حذف العائد.

رابعها - على تقدير «من» الجارة والمعنى: واقسم بما خلق من الذكر والانثى، فيكون القسم منه تعالى بأهل طاعته من أنبيائه واوليائه عليهم السلام تكرمة وتشريفاً لهم.

وعلى أىّ تقدير ف«ما» فى موضع جر، عطفاً على «الليل» و«خلق» فعل ماض ،فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ما» و« الذكر » مفعول به، و«الانثى » عطف على «الذكر » منصوب المحل على المفعولية.

٤- (ان سعيكم لشتى)

«إن» حرف تأكيد، و«سعيكم» منصوب بحرف التأكيد، و«لشتى» اللام للتوكيد، و«شتى» جمع شتيت كمريض ومرضى، فى موضع رفع على الخبرية لحرف التأكيد، والجملة جواب للقسم المتقدم.

٥- (فأمامن اعطى واتقى)

الفاء للتفريع، و«أما» بفتح الألف تفصيلية للاخبار على تشتت السعى وتصنيف الساعين، و«من» حرف شرط على المشهور، وإسم موصول على قول، وإسم شرط على التحقيق، مرفوع المحل بالابتداء، و«اعطى» فعل ماض، من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» على حذف المفعولين أى من اعطى حقوق ماله ذوى الحاجة، و«اتقى» فعل ماض من باب الافتعال، أصله: إوتقى، فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها، فابدلت منها التاء وادغمت، عطف على «اعطى» على حذف المفعول أى واتقى المحارم... أواتقى الله تعالى.

٦- (و صدق بالحسنى)

الواو للعطف ، و«صدّق» فعل ماض من باب التفعيل، عطف على «اعطى» والباء في «بالحسنى» للتأكيد، و«الحسنى» صفة قائمة مقام الموصوف أي بالخصلة الحسنى أو بالملة الحسنى أو بالمثوبة الحسنى أو بالعدة الحسنى. وقيل: الحسنى: الجنة أي وصدق بالجنة .

٧- (فسنيسره لليسرى)

الفاء جواب الشرط، والسين للتسويف، و«نيسّره» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل، وضمير المتصل الغائب في موضع نصب، مفعول به ، راجع إلى «من» و«لليسرى» صفة قائمة لموصوف محذوف أي للطريقة اليسرى وان «يسر» يتعدى إلى مفعولين أحدهما باللام. وقيل: اللام في «للسيرى» زائدة بمعنى اليسر فزيدت الألف لتوافق رؤس الايات الكريمة. . . و الجملة جزاء للشرط مع كونه خبراً له .

٨- ١٠- (وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

عطف على ماسبق، وإعراب الآيات الثلاث واضح مما تقدم .

١١- (وما يغنى عنه ماله اذا تردى)

في الواو وجهان: أحدهما- انها حالية و ثانيهما - انها إستئنافية . وفي «ما» أيضاً وجهان: أحدهما- إستفهامية في موضع نصب، عمل فيها ما بعده: «يغنى» ثانيهما -نافية . والمعنى : وليس يغنى عنه ماله شيئاً . فحذف المفعول .

و«يغنى» فعل مضارع من باب الافعال . و«عنه» متعلق بـ«يغنى» والضمير راجع إلى البخيل المكذّب ، و«ماله» فاعل الفعل، والضمير راجع إلى «من» و«إذا» ظرف زمان ، و عامله : «تردى» وهو فعل ماض من باب التفعل على تقدير : تردى في النار .

١٢- (ان علينا للهدى)

«إن» حرف ناصب ، و«علينا» متعلق بمحذوف ، وهو خبر لحرف التأكيد،

واللام في «للهدى» للتأكيد، ومدخولها في موضع نصب، إسم ا «ان» كما تقول: إن على زيد لثوباً.

ولا يخفى على الأديب الأريب: ان لام التأكيد تدخل على الابتداء وعلى إسم «إن» إذا تأخر، وعلى خبر «إن» إلا أن يكون ماضياً أو يكون ظرفاً يلي« إن » و على الظرف إذا وقع موقع الخبر وإن لم يكن خبراً، وكان الخبر بعده نحو: لزيد قائم، وإن في الدار لزيداً، وإن زيداً لقائم، وإن زيداً ليقوم، و لفي الدار و لابوه منطلق وإن زيداً لفي الدار قائم ولقائم، فان قدّمت «لقائم» على «في الدار» لم تدخل اللام في الظرف، لمجيئك باللام في الخبر و إذا تأخر الخبر جاز دخول اللام فيهما لان الظرف ملغىً.

١٣- (وان لنا للاخرة والاولى)

عطف على ما تقدم، و«الاولى» عطف على «الآخرة»، و إعراب الاية الكريمة ظاهر مما سبق.

١٤- (فأنذرتكم ناراً تلظى)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض للتكلم وحده من باب الافعال، وضمير الوصل لجمع الخطاب في موضع نصب، مفعول أوّل، و « ناراً » مفعول ثان، و « تلظى » فعل مضارع على حذف إحدى التائين من باب التفعيل في موضع نصب، صفة ا «ناراً» والاصل: تتلظى وتأنيثه باعتبار تأنيث «ناراً» مجازاً، ولو كان «تلظى» ماضياً لقيل: تلظت لمكان تأنيث النار.

١٥- (لا يصليها الا الأشقى)

«لا» حرف نفي، و«يصلى» فعل مضارع، و«ها» في موضع نصب، مفعول بها، راجع إلى « ناراً » و « إلا » حرف إستثناء، و«الاشقى » أفعل تفضيل، فاعل ا « يصلى» و الجملة في موضع نصب، صفة ثانية ا « ناراً » و تحتمل الجملة

إستئنافاً .

١٦- (الذى كذب وتولى)

«الذى» موصولة ، و « كذّب» فعل ماض من باب التفعيل صلة الموصول و «تولى» فعل ماض من باب التفعل ، عطف على « كذّب » و الجملة صفة ا «الاشقى» .

١٧- (وسيجنبها الأتقى)

الواو للاستئناف، والسين للتسويف، و«يجنّب» فعل مضارع من باب التفعيل مبنىّ للمفعول، و«ها» فى موضع نصب ، مفعول ثان قام مقام المفعول الأول، راجع إلى «ناراً» و«الاتقى» ناب مناب الفاعل .

١٨- (الذى يؤتى ماله يتزكى)

«الذى» موصولة، و«يؤتى» فعل مضارع من باب الافعال ، صلة الموصول ، و «ماله» مفعول به، والضمير راجع إلى الموصول ، و«يتزكّى» فعل مضارع من باب التفعل ، وفى موضعه وجوه :

أحدها- لامحل له لأنه بدل من « يؤتى» و الصلة لامحل لها لأنها كبعض الكلمة .

ثانيها - فى موضع نصب على الحال من فاعل «يؤتى» أو الموصول .

ثالثها- فى موضع رفع، صفة ثانية ا «الاتقى»

رابعها- فى موضع تعليل على تقدير لان يتزكى .

١٩- (وما لأحد عنده من نعمة تجزى)

فى الواو وجوه : أحدها - للحال . ثانيها - للاستئناف ، ثالثها - للعطف . و « ما » حرف نفى ، و «لأحد » متعلق بمحذوف ، و كذا « عنده » و «من نعمة » فى موضع رفع على زيادة « من » فجيئت لتاكيد النفى و إفادة

العموم.

و قيل: «من» بيانية، فمتعلقة مع مجرورها بمحذوف. و «تجزى» فعل مضارع، مبنى للمفعول، و فاعله النيابى ضمير مستتر فيه، راجع إلى «نعمة» و الجملة فى موضع جرّ، صفة ل«من نعمة» على تقدير: من نعمة مجزية.

أو فى موضع رفع، صفة لمحل «من نعمة» على زيادة «من» و المعنى: و ما لأحد عنده نعمة مجزية بها، و إنما حذف «بها» لانه معلوم.

٢٠- (الاابتغاء وجه ربه الاعلى)

«إلاّ» حرف إستثناء و هيهنا للا نقطاع لان الابتغاء ليس من جنس النعمة و لذلك نصب «إبتغاء» كما تقول العرب: إرتحل القوم إلاّ الخيام، و ما فى الدار أحد إلاّ حماراً. و المعنى: و لكنّه يؤتى ماله طلباً لوجه ربه الاعلى.

و عن بعض الكوفيين انه زعم: ان الاستثناء فى موضع رفع على البدل من موضع «نعمة» وقيل: يجوز الرفع لجواز الرفع فى المستثنى كقوله تعالى: «ما فعلوه إلاّ قليل منهم» النساء: ٦٦)

و قال الفراء: يجوز رفع «ابتغاء» على البدل من موضع «من نعمة» و هذا بعيد.

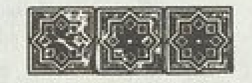
وفى نصب «إبتغاء» و جهان: أحدهما- منصوب على المصدرية على تقدير: لكن يبتغى إبتغاء وجه الله. ثانيهما- منصوب لأنه مفعول له، والعامل فيه «يؤتى» أى ومايؤتى ماله إلاّ ابتغاء وجه ربه أى لطلب ثواب ربه، ولم يفعل ذلك مجازاة ليدقد اسديت إليه.

اضيف «إبتغاء» مصدر من باب الافتعال، إلى «وجه» وهو اضيف إلى «رب» و

هو اضيف إلى ضمير المفرد الغائب الراجع إلى « الأتقى » و « الاعلى » صفة ا ربه » .

٢١- (ولسوف يرضى)

الواو للعطف، واللام في «لسوف » للتأكيد، و«سوف» حرف تسويف يؤكد الاستقبال، و «يرضى » فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى المبتغي لوجه لله تعالى .



﴿البيان﴾

١- (والليل اذا يغشى)

قسم ربانى بالليل حين يغطى ظلامه الآفاق ، ويوارى الأشياء فى ظلامه ، و سواده وجه الارض ...

وفى التعبير بفعل الاستقبال: «يغشى» عن ظلام الليل- إشارة إلى أن الظلام عارض دخيل يعرض للنور الذى هو أصل الوجود كما يعرض الضلال للفطرة الانسانية التى خلقها الله عزوجل صافية لاشية فيها .

وقيل: فى تعبير الغشيان بالمضارع والتجلى بالماضى لسبق عرض الظلمة لأ- صل النور الذى هو أكمل مظاهر الوجود، فعبّر به عن الوجود نفسه ، وأما التجلى فى النهار فهو لازم له، ولهذا عبّر عنه بالماضى كما يعرض الضلال للفطرة الانسانية التى خلقها الله تعالى صافية لاشية فيها، وفى التعبير بالغشيان دلالة على الهول المحرك للنفس بالاستعظام .

٢- (والنهار اذا تجلى)

قسم ثان ربانى بالنهار حين ظهر بزوال ظلمة الليل، وتبيّن بطلوع الشمس و تجلّى على الآفاق ضوئه، وانكشف بظهوره الناس ليتحر كوا فيه لمعاشهم، وتعدو الطير من أوكارها، وتخرج الهوامّ من أجحارها ...

وفيه للانسان نعم عظيمة إلهية إذ لو كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلب معايشهم، كما انه لو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم، فلذلك أعاد

تعالى ذكر الليل والنهار فى هذه السورة مع ذكرهما فى السورة السابقة، و ذلك لعظم قدرهما فى باب الدلالة على مواقع حكمته ورحمته، وتدبيره و قدرته، وعلمه وعظمته . .

فبتعاقبهما أمر المعاش و الراحة مع أنهما آيتان فى أنفسهما إذا تدبّر فيهما الانسان يتم أمر المعاد و الآخرة .

وقيل: ان فى تقديم الليل على النهار إشارة إلى هذا الظلام الذى كان منعقداً فى افق الحياة الانسانية حين كانت ثمود تتحرك بطغيانها على الارض. فلما دمدم الله عز وجل عليهم الارض، ورمى فى أحشائها بهذا الظلام - عاد إلى الحياة صفاؤها و طلع نهارها !! .

٣- (وماخلق الذكر و الانثى)

قسم ثالث ربانى بذات الخالق المتعال، حيث ان لفظة «ما» كناية عن الله جل و علا، وعبّر بها دون «من» ايثاراً للابهام المشعر بالتعظيم والتفخيم، مع ان فى كلمة «ما» من الدلالة على الوصف ماليس فى «من» عليه. والمعنى: واقسم بالقادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر و الانثى مع كونهما من نوع واحد، من أصل واحد ، وفى محل واحد تكوّنا فيه .

وفى الاية الكريمة ايماء إلى شمول الهداية الالهية للذكر والانثى ، و عدم خروج المرأة من التكليف بكل مايتصل بشئون الدين والدنيا، ولمبدإ ترتيب نتائج سعى كل منهما وفقاً لما يكون من نوع هذا السعى من خير و شر، من نفع و ضرّ و من هدى وضلال، فلكل واحد قابلية للتكليف يختار كل منهما طريقة وعمله بها كل بحسبها لما أودع الله عز و جل فيهما ماليس فى غيرهما ...

ان الله تعالى اقسم بذاته بهذه العناوين لما فيه من الاشعار بصفة العلم المحيط بدقائق المادة و مافيها ، ومن الاشارة إلى الابداع فى الصنع إذ لا يعقل هذا الغشيان و ذاك التجلى ، وهذا التخالف بين الذكر والانثى فى الاشياء عامة وفى الانسان خاصة

يحصل بالمصادفة والاتفاق ، من طبيعة لاشعور لها بما تفعل كما يزعمه الماديون الحمقاء و أذنابهم العمياء ... فان الاجزاء الاصلية في المادة متساوية النسبة إلى كون الذكر أو كون الانثى، فتكوين الولد من عناصر واحدة و طبيعة واحدة، والمحل الذى تكونا فيه واحد، تارة ذكراً واخرى انثى دليل على أن واضع هذا النظام ، و مدبّر هذا الكون عالم بما يفعل ، محكم فيما يصنع ويضع ، و مدبر عليهم يخطط لبقاء النوع بالتناسل والتوالد ...

مع أن في كل منهما آيات علمه جل وعلا وغاية حكمته و كمال رحمته ، و بهما تتم دورة الحياة و تعاقب الأجيال كما أن بالليل و النهار يتوالد الزمن و يتكاثر نسله من الليالي و الأيام ...

٣- (ان سعيكم لشتى)

هذا جواب القسم و هو المحلوف عليه الذى تدور عليه السورة في الغرض بتأكيدات ثلاث من حرف التأكيد، ولام التأكيد، وايثار الجملة الاسمية للاستمرار والثبوت .

وفي الالتفات ما لا يخفى على القارىء الخبير .

وفي الاية الكريمة ايماء إلى إختلاف الجزاء حسب إختلاف العقائد و الاقوال والأعمال... إن خيراً فخير و إن شر فشر حيث لا يستقيم في عدل الله عز وجل أن يستوى المتقي و الفاجر، المؤمن والكافر، المصلح والمفسد، والمحسن والمسيىء ... كيف لا و كل واحد متباعد عن الآخر في عقيدته و قوله و عمله ...

فلكل إنسان وجهته التي هو موليها و طريقه الذى يسلكه، وهيهات أن يتطابق إنسان و انسان تطابقاً تاماً في العقيدة و العمل، حتى ولو أخذا وجهاً واحداً ودانا بدين واحد، ففي الناس مؤمن و كافر ، وفيهم منافق يجمع بين الكفر والايمان ، يظهر الاسلام و يبطن الكفر، والمؤمنون على درجات ومنازل، والكافرون على أنماط و صور، والمنافقون على وجوه و أشكال ...

ان تسئل: ان اختلاف سعي الناس أمر بديهي يراه كل إنسان : المؤمنون و

الكافرون، المصلحون والمفسدون، المفلحون والخاسرون ، المتقون والفاجرون، والمحسنون والمسيئون ... جمعياً فكل ذى عينين يشهدان الناس طرائق قدد ، و إلاّ لاجتمعوا على عقيدة واحدة، ومذهب واحد، و اتجاه واحد ، فيما يأخذون أو يدعون من امور... هذه بديهة لا تحتاج إلى توكيد- فلم جاءت الآيات القرآنية مؤكدة لها بهذا القسم ؟

تجيب عنه : ان التوكيد بالقسم وان وقع على المقسم عليه وهو إختلاف سعى الناس - إلاّ أن المنظور إليه هوما وراء هذا الاختلاف فى المسعى ، وهو ان هناك محسنين ومسيئين ... وهذا أمر يدعو العاقل إلى أن ينظر إلى نفسه ، وأن يفتش عن مكانه فى المحسنين أو المسيئين ، إذ كل إنسان عند نفسه انه محسن، وحتى المحسن حقيقة، يقدر أن إحسانه مطلق لا تقع منه إساءة، وهذا غير واقع فالمحسن ليس سعيه كله قائماً على ميزان الاحسان، بل ان سعيه مختلف ، فيه الحسن وفيه القبيح ، فلا ينبغى أن يسوّى حساب أعماله بينه وبين نفسه على ميزان الاحسان ... بل يجب أن ينظر فى كل عمل ، ويعرضه على ميزان الحق والعدل والخير ... فان اطمأنّ إليه، ورضى عنه أمضاه وإلاّ عدل عنه .

٥- (فأمامن اعطى واتقى)

تفصيل لاختلاف مساعى الناس فى العقائد و الاعمال ، وتبيين لاحكامها ، و إختلاف آثارها فى النفوس والمجتمع البشرى، وفى تقديم أهل الايمان و التقوى وصالح الاعمال على أصحاب الكفر والفجور والفساد دلالة على تقدمها عليها بالذات ، وتوافق الفطرة عليها، وغيرها ممايطرأ على الانسان مع تحريض الناس و دعوتهم إليها .

وفى إطلاق الفعل : « أعطى » من قيد الشىء المعطى إشارة إلى أمرين : أحدهما -أن ما يعطى لابد أن يكون شيئاً طيباً نافعاً لأن الاعطاء يقابله الأخذ، والاعطاء والأخذ لا يتمّان إلاّ برغبة متبادلة بين المعطى والآخذ... والآخذ لا يأخذ إلاّ ما ينفعه ويرضاه...

ثانيهما - ان الذى يشير إليه إطلاق الفعل ، هوأنه لاحدود للاعطاء ، قلّة أو كثرة .

وفى تقديم الاعطاء الذى هو من آثار التقوى عليها، و تقديم التقوى التى هى من علائم الايمان والتصديق ، وفى حذف مفعول التقوى مالايخفى على القارىء الأريب.

وقيل : « اتقى » كالمفسّر للاعطاء يفيد أن المراد هو الاعطاء على سبيل التقوى الدينية .

٦- (و صدق بالحسنى)

فى تأخير التصديق من آثاره دلالة على أهمية التقوى و الاعطاء ، وعلى أن مجرد التصديق من غير تقوى تتعلق بنفس المصدق، ولاإعطاء فى وجوه البر ، و هو الذى يتعلق بما لهلا يعتنى به .

وفى التعبير بالتصديق عن الايمان، وحذف الموصوف و قيام الصفة مقام موصو- فها، وإيثارها بكلمة « الحسنى » دون غيرها، ودون «الأحسن» مالايخفى على المتأمل الخبير .

٧- (فسنيسره لليسرى)

تقرير لما يتعقب على التصديق و التقوى و الاعطاء من اليسرى فى الحياة الدنيا، فيسهل عليه أسباب الخير و الصلاح ، وفعل الخيرات والطاعات ... وفى الدار الآخرة ،فيسهل عليه النيل بالجنات و نعيمها ...

وذلك انمن أخذسبيل الحق والهدى ، وطريق الصواب والرشاد، وشدّ عزمه عليه وصرف همه نحوه يسّره الله عز و جل له طريقه ، وأعانه على المضىّ فيه لأنه طريق الله جل و علا، ومن كان على سواء السبيل لم يحرم عونه و توفيقه لصالح، ولا- لنيله بنعيم الجنة .

٨- (وأما من بخل و استغنى)

تفصيل لأحوال الآخرين ومايتصف به الكفرة الفجرة على طريق التقابل حيث ان البخل مقابل الاعطاء، ومن لوازم التقوى مايقابل الاستغناء أو المعنى : إستغنى

عن الاتقاء، فأخذ حريته في حيونة الحياة فأطلق عنانه .

٩- (و كذب بالحسنى)

عكس من صدّق بكل شيء حسن مما يتعلق بالاعتقاد و الاقوال و الاعمال ، فهو يكذّب بها كلها ، وفي الاية الكريمة دلالة على خروج المكذب عما تقتضيه طبيعة الانسان ، حيث ان الحسن حسن بذاته و عند الفطرة، وهو يكذّب به ، وعلى سلوكه على خلاف الكمال الانساني .

١٠- (فسنيسره للعسرى)

بيان لما يتعقب على التكذيب و الاستغناء و البخل من العسرى في الحياة الدنيا ، و من المعشية ضنكاً ، فيصعب عليه أسباب الخير و الصلاح و فعل الخيرات والطاعات وتثقيلها عليه ، و في الدار الآخرة من أهوالها و شدائدها و عذابها .

١١- (وما يغني عنه ماله اذا تردى)

مستأنف بياني لتقرير الردّ على البخيل المستغني المكذب الذي كان يبالي من ماله الذي جمعه بالبخل، ويزعم أن ماله ينجيه من عذاب أليم، فردّ الله جل وعلا عليه بأن المال ليس له أثر وقت الهلاك و الموت ولا في الاخرة و عذابها إلّا المال الذي ينفقه صاحبه إبتغاء لوجه الله تعالى، و في الآية الكريمة توبيخ و تهديد على المكذب البخيل المستغني ، وإدعواء عما عليه .

١٢- (ان علينا للهدى)

تقرير رباني على طريق الاستئناف البياني تعليلاً لماقبلها من تيسير اليسرى والعسرى بأن ما للناس على الله تعالى بموجب قضائه المبنيّ على الحكم البالغة حيث خلقهم للعبادة والسعادة هو أن يبيّن لهم طريق الحق و الهدى ، طريق الخير والرشاد . طريق الكمال والفلاح، وطريق الصواب والصلاح ، و يدلّهم عليه ، و أن يحذّرهم سبيل الباطل والضلال، سبيل الشر والغوى، سبيل الانحطاط والخسران وسبيل الحيرة والفساد ...

ولقدفعل ذلك بمالامزيد عليه حيث بيّن حال من سلك كلا الطريقين ترغيباً وترهيباً، وأما الاهتداء والضلالة فالى الناس .

قال الله عز و جل : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الا-نسان : ٣)

وقال: « ان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الانعام : ١٥٣)

وفى الاية الكريمة دلالة على حرية الانسان فى العقيدة والعمل، حيث لادين مع الاكراه ولاطاعة بلاحرية، فله أن يختار الطريق الذى يسلكه، فأزاح الله تعالى الأعذار ...

ولايخفى على القارىء الأريب مابين الهدى والبيان من الفرق : ان البيان فى الحقيقة هو إظهار المعنى للنفس كائناً ما كان ، فهو فى الحقيقة من قبيل القول إذ قال تعالى : « ان علينا بيانه » القيامة: ١٩) وأما الهدى فهو بيان طريق الرشد ليسلك دون طريق الغى، وهذا إذا اطلق ، وأما إذا قيّد فيستعمل فى غيره، فيقال: هدى إلى النار و غيرها .

وفى الجملة تأكيدات ثلاث: حرف التأكيد، ولام التأكيد، والجملة الاسمية، كلها يدل على الاستمرار والثبوت، وفى ايثار ضمير التكلم مع الغير و المتكلم هو الله تعالى وحده من التعظيم والايماء إلى أن لابد للهادى من العظمة والقدرة والهيبة ما لايخفى .

١٣- (وان لنا للاخرة والاولى)

تأكيد لماتقدّم وبيان لعظيم قدرته جل وعلا عليه، وعلى مايتعقب على تلك المساعى المتشتتة من الآثار يسراً وعسراً ، نعمة و نقمة، جنة وناراً ، ودنياً و آخرة، كيف لاو بيده جل و علا أمر الدنيا و الآخرة ، و هو المتصرف تصرفاً مطلقاً ، و هو الذى ينفذ إرادته فيما يشاء ، و هو المالك لكل ما فى الدنيا و الآخرة ،

عالم البدء و عالم العود ، فلا ينفعه إهتداء من اهتدى ، و لايضرّه ضلال من استضلّ ، وفى تقديم الآخرة على الدنيا من تعظيم أمر الآخرة مع رعاية الفواصل ما لايخفى .

١٤- (فأنذرتكم ناراً تلظى)

تفريع على ماتقدم ، وإنذار للسامعين الذين وجّهت إليهم الدعوة باسلوب تقريرى بالنار المتوهجة لمن كذّب بالدعوة وأعرض عنها .

وفى الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب، و كذلك عن التكلم مع الغير إلى التكلم وحده مالايخفى. والمعنى: إذا كان الهدى مقضية محتومة فأنذرتكم أيها السامعون نارجهنم ، فالمنذر بالأصالة هو الله عز وجل و إن كان بلسان نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٥- (لايصليها الا الأشقى)

بيان تلويحى لتصنيف الناس على صنفين تجاه الانذار: طائفة الشقى المكذب بالدعوة المحمدية المعرض عنها. وفى تعليق حكم دخول النار والخلود فيها على وصف الشقاء يشعر بسببية الوصف للحكم، والمراد بالأشقى على مايدل عليه الوصف التالى هو الكافر المكذب بالدعوة الحقة والمعرض عنها .

ان تسئل: ان النار يدخلها كل كافر، فلم خصّ الاشقى هيهنا ؟

تجيب عنه : ان النار طبقات و دركات ، وان المنافقين فى الدرك الاسفل منها، وسائر الكفار والعصاة على مقاديرهم كما أن أهل الجنة فى درجات على مقادير طاعاتهم، ويقال يوم القيامة لصاحب القرآن : إقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها، فيراد بالنار نار مخصوصة بدلالة التنكير .

و من المحتمل أن يكون مجيىء الأشقى لرعاية الفواصل كما فى «الأتقى» .

١٦- (الذى كذب وتولى)

وصف للاشقى بوصفي التكذيب والاعراض، وقدحذف متعلق التكذيب والا عراض للتعميم والشمول .

١٧- (وسيجنبها الأتقى)

تقرير للصنف الآخر تجاه الدعوة والانذار، وهم أهل التقوى واليقين، وفي تعليق التجنب عن النار على وصف التقوى مالايخفى. قيل: إن الكلام وارد على سبيل المبالغة، فجعل الاشقى مختصاً بالصلى كأن النار لم تخلق إلاّ له، وجعل الأتقى مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلاّ له .

وقيل : ان في لفظ «الأشقى» و« الأتقى» مايفيد المبالغة في كل من الشقوة و التقوى، وفي هذا مايدعو الشقي إلى التخفف ممايزيد في شقوته ، حتى لايزداد بذلك عذابه، كمايدعو التقيّ أن يزداد في تقواه مااستطاع ، حتى يزداد بذلك بعداً عن النار وقرباً من الجنة .

١٨- (الذي يؤتي ماله يتزكى)

صفة للأتقى بأفضل مزاياه ، وفي توصيف المتقي بالايتاء على طريق الموصول و ايثار صيغة المضارع دلالة على أن من مقتضى التقوى إعطاء الحقوق المالية، وبه ينمو المال نماءاً صالحاً، وعلى ان لابد من الاستمرار .

١٩- (ومالأحد عنده من نعمة تجزى)

مستأنف بياني سيق لتقرير مضمون الاية السابقة أي ليس لأحد عنده من نعمة تجزى تلك النعمة بما يؤتيه من المال وتكافأ، وإنمايؤتيه لوجه الله عز و جل على تقدير : من نعمة تجزى به ، وانما حذف الظرف رعاية للفواصل .

ان تسئل: ان النعمة لاتجزى، وإنما يجزى عليها !

تجيب عنه : قد يحذف الفاعل و ينوب عنه المفعول لرعاية الفو اصل .

٢٠- (الاابتغاء وجه ربه الاعلى)

دفع لتوهم نفى الجزاء كلياً عن ايتاء المال للتزكية، وحصره فيما يكون ايتاء المال خالصاً لوجه الله جل و علا ، و فى ذكر صفتى الرب والاعلى إشعار بأن ما يؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء ، و أعلاه و هو المناسب لربوبيته عز و جل و علوه ، ومن هنا يظهر وجه الالتفات فى الآية السابقة فى قوله : « وجه ربه الاعلى» ومن هنا يظهر وجه الالتفات فى الآية السابقة فى قوله :« وجه ربه الاعلى» من سياق التكلم وحده إلى الغيبة بالاشارة إلى الوصفين ربه الاعلى .

٢١- (و لسوف يرضى)

وعد كريم للاتقى بنيل جميع مايبتغيه على أكمل الوجوه و أجملها رضا الله تعالى عنه لقوله عز و جل : « و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة : ٧٢) و فى قوله تعالى : « لسوف » ايماء إلى أن الرضا يحتاج إلى بذل كثير، ولايكفى القليل من المال لان يبلغ العبد منزلة الرضا الالهى .

وفى الايات الأخيرة إنذار للسامعين الذين وجّهت إليهم الدعوة الاسلامية باسلوب تقريرى بالنار المتوهجة المعدة للأشقياء الذين يكذبون بالدعوة المحمدية ويعرضون عنها ، وتنديد بالبخل والغرور بالغنى والمال والتمسك بأعراض الدنيا و شهواتها و الاعراض عن وجوه البر ...

وفيها طمأنينة وبشارة الرضا عن المتقين الذين يلبّونها بالايمان و صالح الاعمال و يعطون الحقوق المالية إبتغاء لوجه الله جلا و علا و رضائه، وفيها حث على الايمان و الانفاق فى وجوه البر دون غاية من غايات الدنيا المألوفة، و فيها تنويه بجلال هذا العمل، وتلقين بأن المال إنما يفيد صاحبه إذا هو اتجه فى طريق الحق و الصواب ، فى طريق الخير والرشاد، وفى طريق الفلاح والصلاح ، وأنفقه بسخاء فى وجوه البر إبتغاء وجه الله تعالى .

وان المال شرّ على صاحبه إذا أثار فيه الغرور والاعتداء، وبخل به ، ولم ينتفع

بهغيره، وفيهادعوة إلى إعطاء المال زكاة بصراحة، وذلك من أهم أهداف و مبادىء الدعوة بعدالايمان والتقوى ، و فى هذا مافيه من بالغ الروعة و الجلال ، فالمال من أعز الأشياء على أصحابه ، و المعوزون أكثر من الميسورين غالباً ، كما ان كل مشروع خيرى و إصلاحي عام يحتاج إلى المال فى أول ما يحتاج .



﴿الاعجاز﴾

وقد سبق منّا مراراً : ان إعجاز القرآن الكريم لا يقصر فى ألفاظه واسلوبه وتنسيقه ونظمه ولافى معانيه ومبانيه ومعارفه وحكمه... بل من وجوه إعجاز تأثيره العجيب فى النفس البشرية، وإن لم تعرف معانيه، وذلك ان لهذا الوحى السماوى سلطاناً عجيباً على القلوب والضمائر ما ليس للأداء البشرى وإن بلغ ما بلغ من الفصاحة والبلاغة واللطافة والأدب حتى يبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً .

فليس تأثير القرآن الكريم على القلوب منحصراً بمن كان يعرف العربية ، وإنما له أثر عميق يجلب توجه الانسان بأىّ لسان كان، ووقع ذلك كثيراً من بزوغ الاسلام ونزول الوحى إلى اليوم.

وقال بعض المفسرين: كنا ستة نفر من المسلمين على سفينة مصرية ذاهبين من البحر المحيط الأطلس إلى «نيويورك» وكان فيها عشرون ومأة راكب من الرجال والنساء من غير أهل الاسلام ، فصادف يوم الجمعة، فأردنا أن نقيم صلاة الجمعة فى السفينة فاستجزنا من قائدها وكان «إنجليزيا» وكانت خدمة السفينة كلهم مسلمين من أهل النوبة، فقد فرحوا بذلك فرحاً شديداً اذ كانت المرة الاولى قامت فيها صلاة الجمعة فوا فقونا، فقمت بخطبة الجمعة، وإمامة الصلاة والركاب الأجانب معظمهم متحلقون يرقبون صلاتنا، ولما تمت الصلاة جاء نا كثير منهم يهنئوننا على نجاح «القدّاس» إذ كان هذا أقصى ما فهموه من صلاتنا.

ولكن إمرأة من هذا الحشد عرفنا بعد ذلك انها «يوغسلافية» مسيحية هاربة من جحيم «تيتو» وشيوعيته كانت شديد التأثر والانفعال تفيض عيناها بالدمع ولا تتما لك مشاعرها جائت تشد على أيدينا بحرارة وتقول: ان اللغة التى تتحدث بها الصلاة كانت ذات ايقاع عجيب، وان كنت لم افهم منها حرفاً وكانت هذه الفقرات تحدث فىّ رعشة وقشعريرة مما قرأت من آيات القرآن الكريم فى أثناء خطبة الجمعة، وفى أثناء الصلاة، وليس هذا إلاّ أن فى القرآن الكريم سرّاً آخر غير ناحيتى اللفظ والاسلوب والمعنى يلتقطه بعض القلوب بمجرد تلاوته، سواء كانت فى الصلاة أو غيرها وإن كان أثر التلاوة فى غير الصلاة أعمق وأكثر.

إذا تفكر فى هذا الوحى السماوى وتدبّر فى معانيه ومبانيه، فى اسلوبه ونظمه فى تنسيقه وأدبه، فى أسراره وحكمه، وفى معارفه وتأثيره يحصل للنفوس جذبة جذب المغناطيس، ولذة دونها كل لذة، ذات بهجة للنفوس، وليست جذبته لنفس دون نفس، للغة دون لغة، ولطائفة دون طائفة...

وإنما هذا القرآن المجيد ذو مجد وعظمة وجلال جذّاب الطبائع: يجذب البليغ ببلاغته، والفصيح بفصاحته، والأديب بأدبه، والحكيم بحكمته، والعالم المتبحر ببحار علمه، والاجتماعى باجتماعياته، والمقنّن بتقنينه، والسياسى بلطائف سياساته، والحكّام بحكمه، والعامى بهبوب روح رحمته. والطغاة بحسن مواعظه و لين عباراته ... ولعمرى انه هو الجذّاب الوحيد للألباب وانه المثل الأعلى فى كل وقت ومكان، بلا إنحصار بزمان دون زمان، ولا محدود فى قبيلة و لسان دون قبيلة ولسان ...

وهذا معلوم بالتعقل والبداهة كما وردت فى ذلك روايات كثيرة:

منها: عن إبراهيم بن العباس عن الامام الثامن على بن موسى الرضا صلوات الله وآلاف التحية والثناء عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام: «ان رجلا سئل أبا عبدالله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: ان

الله تعالى لم يجعل (لم يجعله خ) لزمان دون زمان، ولالناس دون ناس فهو في كل زمان جديدٌ وَعند كل قوم غض ».

فهو معجزة في اسلوبه وتنسيقه ونظمه وعلومه وحكمه ، وتأثير هدايته و كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة... معجزة في معارفه السامية وتعاليمه العالية ، معجزة في عقائده الحقة وعباداته على مقتضى الفطرة البشرية ، معجزة في تشريعاته المدنية و الجنائية والحربية و المالية و الاقتصادية العامة و الحقوق الشخصية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية ومايحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة ...

وهو معجزة للخلائق كلهم، وقانون عام للبشرية ونبراس مضيء للامم به تهتدى إلى توحيد الله جل و علا وبه تنتهى إلى رقى البشرية من الرق والعبودية والاغلال ، وفي تلاوته لذة و متعة ، وفي دراسته علم وعمل، وفي حفظه شفاء للقلوب من الزيغ والضلال، وفي قرائته آناء الليل والنهار يسمو بالروح إلى مواقع العز والشرف، والسعادة والكمال والصلاح والفلاح ... و تفهمه محك العقول و الأفهام وتعهده والمداومة عليه يوسع دائرة الفكر والاستشهاد به في العلوم والفنون والآداب يعطى ملكة التضلع والبحث والدرس، فهو كلام من ليس كمثله شيء ، وصفة من ليس له شبيه.

وان هذا الكتاب السماوى الذى من قال به صدق ، ومن عمل به اجر، ومن حكم به عدل، ومن جعله إماماً قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الذى أنزله الله جل وعلا بدين الفطرة ليغزو بأوامره القدسية النفوس المغلولة، ولينجى من معاشر الجهل العقول الضلالة، ثم سار بالفكر البشرى في سبيل الحرية ، وحلّ بالعقل حيث المنازل العلية، فهو بداهة النهاية وغاية كل مقصد.

وان هذا الوحى السماوى جاء بدين الفطرة في كل شيء فطابقت قواعده و أحكامه واصوله وفروعه وآدابه وشرايعه مقتضيات الفطرة البشرية حتى لقد كان

من امهات اصوله فيها هوخاضع لتأثير المؤثرات ، وعرضه لتعاقب التطورات أن يكون العرف فى كل امة مقياس تقديرها للقرآن الكريم، وبذلك طالب القرآن المجيد مطالب العقل غير متنكر لما فطرت عليه طبيعته ولا متجاهل مبلغ سلطانه وآثاره فى الحياة الاجتماعية بجميع شعبها ...

كيف يمكن إنحصار إعجاز القرآن الكريم في الفصاحة والبلاغة، وقداخبر فى زمن ركود العلم والفكر بناموس الجاذبية العامة للارض بقوله تعالى: «أولم يروا فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير» الملك: ١٩)

وبقوله عزوجل: «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» الرعد: ٢)

فهى تشعر بارتفاع أجرام السماء والسموات بنسب من التباعد بعواميد غير مرئية من خطوط الجاذبية العامة قبل أن يفوه بذلك «إسحق نيوتون».

فمن تفكر فى القرآن المجيد تحصل لنفسه جذبة جذب المغناطيس ، فانه كهرباء القلوب وجذاب الارواح والنفوس والسلام.

فلا مراء فى جذبته لكل إنسان حسب الاستعداد، فكانت جذبته فى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثلا إذ سمع وحياً يدهش وينقلب حاله، ولذلك كانت العرب تجعل فى آذانهم قطناً لئلاينجذبوا باستماع القرآن المجيد إليه ، ومن هنا يعلم حكمة ما ورد من الايات الكريمة والروايات الكثيرة في فضل تلاوة القرآن المجيد فى البيوت وخواصها وتأثيرها فى النفوس ...

ولقدكانت التلاوة أحسن الطريق وأقربه من إذاعة نشر الاسلام و معارف القرآن ومن أعظم الأسباب فى إقامة الشعار الالهى وتبليغ الدين، وفى دعوة الناس إلى حقائقه وحكمه، فاذا قرأ الرجل المسلم فى بيته القرآن الكريم قرأته إمرأته وقرأه صبيانه، هذا فى داخل البيت ، وإذا ارتفعت الاصوات بالقراءة فى البيوت بكرة وعشياً فيعظم أمر الاسلام فى نفوس السامعين لما يعروهم من الدهشة عند

إرتفاع اصوات القرآن الكريم فى مختلف نواحى البيت هذا فى خارج البيت، ولعمرى ان لى فى ذلك تجربات...

فعليكم أيها المسلمون عامة، وأصحاب العلم خاصة بتلاوة القرآن المجيد بصوت حسن، متدبرين فيها، إبتغاء لوجه الله جل وعلا، إذ لها تأثيرات فى أنفس أهل بيوتكم وفى أنفس جيرانكم وغيرهم ماليس للدعوة والموعظة من هذا التأثير فان هذا الوحى السماوى هو أحسن موعظة وبلاغ.

ولنا فى هذا التفسير بحث علمى جيّد فى تأثير هذا الكتاب المجيد فى النفوس حتى فى غير المسلمين فراجع واغتنم جداً.



﴿التكرار﴾

و اعلم أن السورتين من السور القرآنية اختتم تمام آيها بحرف الياء :

إحداهما ـ سورة الليل ، ثانيهما. ـ سورة الاعلى.

و نحن نشير فى المقام إلى صيغ تسع لغات ـ أو ردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ التى جاءت فى هذه السورة وفي غيرها من السورة القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الليل) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ٩٢ مرة :

٢ـ » » (الغشى) » » » : ٢٩ » :

٣ـ » » (النهار) » » » : ١١٣ » :

٤ـ » » (الجلاء والتجلى) » » » : خمس مرات:

١ـ سورة الليل: ٢) ٢ـ سورة الشمس: ٣) ٣ـ سورة الحشر: ٣) ٤ و٥ سورة الاعراف: ١٤٣ ١٨٧).

٥ـ » » (السعى) » » » : ٣٠ مره :

٦ـ » » (الشتت والشتات) » » » : خمس مرات:

١ـ سورة الليل: ٤) ٢ـ سورة الزلزلة: ٦) ٣ـ سورة الحشر: ١٤) ٤ـ سورة النور: ٦١) ٥ـ سورة طه: ٥٣)

٧ـ » » (البخل) » » » : ١٢ مره :

٨- « « (الردى) « « « : ست مرات :

١- سورة الليل: ١١) ٢- سورة طه: ١٦) ٣- سورة فصلت: ٢٣) ٤- سورة الصافات: ٥٦) ٥- سورة الأنعام: ١٣٧) ٦- سورة المائدة: ٣)

٩- « « (اللظى) « « « : مرتين :

إحداهما- سوره الليل: ١٤) ثانيهما - سورة المعارج :١٥)



﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا.

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفساها.

أما الاولى: فان هذه السورة نزلت بعد سورة «الاعلى» فمن تدبّر فيهما يجد التوافق بينهما في المبنى والاسلوب والجرس والاجمال والتفصيل، وتصنيف الناس تجاه الهدى و الدعوة و العمل بصنفين، ومآلهما إلى اليسر والعسر و إلى الجنة ونعيمها، والنار وعذابها مايلهم انهما نزلتا متنا بعتين أحدهما تفصيل و تبيين لبعض الآخر.

وأما الثانية: فالتناسب بينهما فبامور:

أحدها ـ ان الله عزّ وجل لما أشار في سورة «الشمس» إلى تقوى النفس الملهمة وفجورها، وانها مختارة فيهما، و إلى ما فيه تزكيتها وتدسيتها، وإلى ما يؤول إليه أمرها: إما الفلاح إذا تزكى، و إما الخيبة إذا تدسّى، هذا في إتصاف النفس الانسانية أشار في سورة «الليل» إلى مساعيها المتشتتة في الحياة الدنيا: إما الاعطاء والتقوى وتصديق كل شيء حسن، وإما البخل والاستغناء و تكذيب كل شيء حسن، مع الاشارة إلى مآل أمر طريقين متخالفين.

ثانيها : لما ختمت سورة «الشمس» بالعذاب الذى أوقعه الله عز وجل بثمود فغشيهم العذاب واشتمل عليهم، ولفّهم برداء أسود كئيب...

بدئت سورة «الليل» بالقسم «بالليل» إذا يغشى، فكان ظلام هذا الليل كفناً آخر لثمود، يصحبهم فى قبورهم التى إبتلعتهم، ويقيم عليهم راية سوداء، تحوّم عليهم كما تحوّم الغربان على الجيف والرمم ...

ثم انه من جهة اخرى يمثل الجانب الاعظم من جانبى الانسانية: جانبى الكفر والايمان، جانبى الحق و الباطل، جانبى الضلال و الهدى، و جانبى الظلام والنار فأغلب الناس على ضلال، وقليل منهم المهتدون كما يقول تعالى: «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف: ١٠٣)

ثالثها : لما قدّم فى سورة « الشمس» بيان حال أهل التقوى و أصحاب الفجور، عقّبه نظير ذلك فى سورة «الليل» فاتصلت بها إتصال النظير بالنظير.

رابعها ـ لما ذكر فى سورة «الشمس» فلاح المطهرين لانفسهم و خيبة المدسّين لها أشار فى سورة «الليل» إلى ذكر ما يحصل به الفلاح، وما تحصل فيه الخيبة فهى كالتفصيل لسابقتها.

وأما الثالثة ـ فان الله عز وجل لما بدء السورة بالاقسام بالليل حين غشيانه وإحاطة ظلمته الافاق، وبالنهار وقت تجليه وظهوره، وبذاته المقدسة الذى خلق الذكر والانثى لبيان تشتت مساعى الناس فصّل بأنهم سلكوا طريقين متخالفين: طريق الاعطاء والانفاق والتقوى والتصديق، وطريق البخل والامساك والاستغناء والتكذيب، ثم ذكر مآل الطريقين من الجنة و نعيمها للأولين، والنار وعذابها للاخرين.

ثم ذكر بأن المال ما لم ينتفع به ذو و الحاجة ، لا ينتفع به صاحبه ثم بيّن بأنا نهديهم إلى الحق والرشاد ، و نبيّن لهم طريق الصلاح والفساد،

و أما الاهتـداء فبـاختيارهم ، و ان اليسر و العسر و إن كانا بأ يدينا ولكنهما يتعقبـان على مساعى الناس ، فنتيجة التصديق هى اليسرى ، و وليدة التكذيب هى العسرى.

ثم أنذر الأشقياء مع ذكر بعض أوصافهم بالنار ، وبشّر الأتقيـاء بالرضاء والرضوان.



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد كلاماً من الباحثين يدل على ان فى هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أومتشابهاً فظاهر آياتها محكمات والله عزوجل هوأعلم.



﴿تحقيق فی الأقوال﴾

١- (والليل اذا يغشى)

فی الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أی اقسم بالليل حين يغطّی بظلمته النهار. ٢- قيل: أی يغطی الأرض. ٣- قيل: أی يغطی بظلامه الخلائق والكائنات و يغطّی بسواده وجه الارض. ٤- قيل: أی يغشى كل شیء فيواريه بظلامه. ٥- قيل: أی إذا يغشى بظلمته الافق و جميع ما بين السماء والأرض. والمعنى: إذا أظلم وادلهم و اغشى الانام بالظلام لما فی ذلك من الهول المحرك النفس بالاستعظام.

٦- قيل أی اقسم بالليل حين يخيم. ٧- قيل: أی حين ينتشر. ٨- قيل: أی إذا يغشى بظلامه الشمس ويخفيها فیسواده ٩- قيل: ان الله تعالى اقسم بالليل فیظرف غشيانه وإحاطة ظلمته بلاصدد بيان ملازماته.

أقول : والاول هوالانسب بظاهر التقابل بين الليل والنهار مع شموله لغيره من الاقوال على سبيل التلازم.

٢- (والنهار اذاتجلى)

فی تجلّی النهار أقوال : قيل : ان الله تعالى أقسم بالنهار إذا ظهر ضوئه وجه الارض. ٢- قيل: أی إذا ظهر ضوئه الشمس . ٣- قيل: أیإذا ظهر ضوئه وجه

الدنيا والكائنات. ٤ـ قيل: أي إذا انكشف بظهوره كل شيء و وضح وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل، فيتحرك فيه الناس لمعاشهم، وتغدو فيه الطير من أوكارها وتخرج الهوام من أجحارها.

٥ـ قيل: أي إذا ظهر على الوجود ضوئه و ذلك ان هذا الظلام الذي كان منعقداً في افق الحياة الانسانية حين كانت ثمود تتحرك بطغيانها على الارض فلما دمدم الله عزوجل عليهم الارض، ورمى في أحشائها بهذا الظلام عاد إلى الحياة صفائها وطلع نهارها.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٣ـ (وماخلق الذكر و الانثى)

وفي الآيـة الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عباس والحسن والكلبي ومقاتل: اريد بالذكر آدم عليه السلام وبالانثى حواء عليها السلام. فاقسم الله تعالى بذاته الذي خلق آدم و حواء. ٢ـ قيل: اريد بهما أهل طاعة الله تعالى من أنبيائه و أوليائه. والمعنى: و اقسم بخلق الذكر و الانثى على أن «ما» مصدرية. ويكون قسمه تعالى بهم تكرمة وتشريفاً.

٣ـ قيل: اريد بهما مطلق الذكر و الانثى أينما تحققا، فيشمل لجميع الذكور والاناث من بني آدم والبهائم لأن الله عز وجل خلق جميعهم من ذكر و انثى من نوعهم.

فقسم بكل شيء ذي روح لان الروح إما ذكر و إما انثى، و أما الخنثى المشكل فمعين عند الله عزوجل، وإن كان مبهماً عندنا. ٤ـ قيل: اريد بهما كل ذكر وانثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته واختلاف سعيهم.

٥ـ قيل: اريد بهما مطلق كل ذكر و كل انثى في عالم مخلوقات لأن

الله عزوجل خلق الأشياء أزواجاً لقوله تعالى : «ومن كل شيء خلقنا زوجين» الـذاريات : ٤٩) و قوله : « و من كل الثمـرات جعل فيهـا زوجين اثنين » الرعد: ٣)

أقـول : و الرابع هـو الأنسب بظاهر السياق حين ان ذكر صنفـي الذكر و الانثى في مقـام التشريع و الانذار و العمـل و الجزاء لا يشمل لغير الانسان .

٤- (ان سعيكم لشتى)

في الآية الكريمـة أقوال : ١- عن إبن عباس : أي ان عملـكم لمختلف. السعي: العمل، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها، وساع للدنيا وساع للعقبى. والمعنى: ان أعمالكم لمختلفة، فعمل للجنة وعمل للنار. ٢- قيل: أي ان عملكم لتباعد بعضه عن بعض لأن بعضه ضلالة، وبعضه هدى فمنـكم مؤمن وبر و كافر و فاجر ، ومطيع و عاص. ٣- قيل: لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ، ومنكم معاقب بالنار، فشتان بين الجزائين.

٤- قيل : أي لمختلف الأخلاق ، فمنكم راحم و قاس وحليم و طائش و جواد و بخيل . ٥- قيل : أي لشتى باعتبار نفس الأعمـال بلا نظر إلى الجزاء قـال الله عزوجل : « ليس للانسان إلا ما سعى» كفر وايمان ، معصية وطاعة ، خير وشر ، صلاح و فساد ... ٦- قيل : أي لشتى باعتبار العمل والجزاء معاً قال الله تعـالى : «فأما من اعطى و اتقى- فسنيسره للعسرى» فيسعى الانسان فيوجب سعيه فلاحـه ونجاته و سعادته ، ويسعى فيوجب سعيه ذلتـه و شقاؤه و هلاكـه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « النـاس رجلان : فمبتاع نفسه فمعتقها ، و بايع نفسه فموبقها».

٧- قيل: أي ان مساعيكم لمختلفة في نفسها و آثارها وجزائها،فمنها إعطاء

و تقوى وتصديق، ولكل أثر خاص به ، ومنها بخل وإستغناء و تكذيب ولكل أثر خاص به .

أقــول : والتعميم هوالأ نسب بسياق الاطلاق وظاهر السياق.

٥- (فأمامن اعطى واتقى)

فى قوله عزوجل : « من أعطى» أقوال : ١- عن إبن عباس : أى من بذل ماله فىوجوه البر، وأنفق فىسبيل الله تعالى، وأدّى حقوق ماله، سواء كان واجباً عليه أم لا كالصدقات والنوافل كفك الاسارى وتقوية المسلمين على عدوّهم. ٢-قيل: أى من أعطى حق الله من ماله وما أمره باخراجه. ٣- قيل: أى من اعطى مما آتاه الله عزوجل من المال والعلم والجاه والقدرة.

٤- عن الضحاك: أى من ذكر الله تعالى. ٥- قيل: أى من اعطى نفسه و نفيسه فى سبيل الله عزوجل. ٦- قيل : أى من جاهد أعداء الحق. ٧- عن الحسن: أى من أعطى الصدق من قلبه.

أقـول : والأول هوالأنسب بظاهر السياق للمقابلة بين الاعطاء وبين البخل الظاهر فى الامساك عن بذل المال والاحسان فى سبيل الله تعالى وقوله عزوجل بعد: «وما يغنى عنه ماله إذا تردّى»

وفى قوله جل وعلا: «واتقى» أقوال: ١- عن إبن عباس والضحاك: أى اتقى ربه فى اموده، وخاف عذابه فى نواهيه، وطمع فى ثوابه. ٢- قيل: أى اتقى محارم الله التى نهى عنها واجتنب عنها فلم يعص الله تعالى. ٣- قيل: أى واتقى فى هذا العطاء مايجب إنسانياً أن يتقى، على أن التقوى هيهنا كالمفسر للا عطاء، فيفيد ان المراد هو الاعطاء على سبيل التقوى الدينية.

أقــول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

٦- (و صدق بالحسنى)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس و الضحاك : أى و صدّق بأن الله تعالى و احد لا شريك له و قال : «لا إله إلاّ الله» ٢- عن مجاهد والجبائي: أى وصدّق بالجنة، التى هي ثواب المحسنين لقوله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ٣- عن إبن عباس أيضاً وعكرمة : أى وصدق بموعود الله الذى وعده أن يثيبه .

٤- عن زيد بن أسلم : أى وصدق بالصلاة والزكاة والصوم. ٥- قيل: أى و صدق بالزكاة الفطرة. ٦- عن إبن عباس وعكرمة أيضاً والحسن : أى و صدّق بالخلف من الله تعالى على إعطائه ما اعطى من ماله فيما اعطى فيه مما أمره الله تعالى باعطائه فيه و زيادة الاخلاف على المنفقين ، فأيقن بالخلف . قال الله تعالى: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» و قال : «ومن يقترف حسنة نزد له فيهاحسنا» .

٦- قيل: أى وصدق بالخصلة الحسنى التى هى أفضل من غيرها. ٧- قيل : أى و صدّق بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام التى بنت على أصل الفطرة البشرية التى تتحقق بالشهادة و النصر لقوله تعالى : «قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين».

٨- عن عكرمة أيضاً: أى وصدّق بما أنعم الله تعالى عليه. ٩- عن قتادة : أى وصدق بالمجازاة على ذلك. ١٠- قيل: أى وصدّق بالعقيدة والحياة أحسن مراحل الحياة وهى الاخرى.

١١- قيل: أى وصدق بثبوت الفضيلة والعمل الطيب و نحو ذلك مما هو مركوز فى طبيعة الانسان، و هو مصدر الصالحات وأفعال البر والخير، ولا يكون تصديقاً ولا ينظر الله عزوجل إليه إلاّ إذا صدر عنه الأثر الذى لا ينفك عنه و هو بذل المال واتقاء مفاسد الاعمال ... و كثيرمن الناس يظن نفسه مصدقاً بفضل

لخير على الشر، ولكن هذا التصديق يكون سراباً فى النفس، خيّله الوهم لانه لا يصدرعنه مايليق به من الأثر فتراه قاسى القلب بعيداً عن الحق، بخيلا فى الخير مسرفاً فى الشر.

١٢ـ قيل: أى آمن بالجنة والنار والحلال والحرام وعمل بموجب ايمانه.

١٣ـ قيل: أى وصدق بكل شىء حسن عند الفطرة البشرية و عند الشرع. ١٤ـ قيل: أى وآمن بما للعمل الطيب من قدر، معتقداً أنه العمل الأفضل والأحسن، لا أن يكون ما يصدر منه من أعمال الخير تلقائياً و عفواً لا تشده إليه إرادة صادقة أو قصد محسوب حسابه، مقدرة آثاره... و هذا يعنى ان الاعمال إنما تحكمها النيات الباعثة لها الداعية إليها... أما العمل الّذي لا تنعقد عليه نية، و لا ينطلق من إرادة فانه سهم طائش و رمية من غير رام وهذا مايشير إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إنما الاعمال بالنيات و إنما لكل امرىء مانوى».

أقول: والثالث عشرغير بعيد من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر.

٧ـ (فسنيسره لليسرى)

فى الاية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عباس: أى نرشده لأسباب الخير و الصلاح حتى يسهل عليه فعلها. ٢ـ عن زيد بن أسلم: أى فسنيسره للجنة. بأن يجعله مستعداً للحياة السعيدة عند ربه و دخول الجنة بسبب صالح الاعمال التى يأتى بها.

٣ـ قيل: أى فسنهون عليه الطاعة مرّة بعد اخرى. ٤ـ قيل: أى سنهينه و نوفقه للطريقة اليسرى أى سنسهل عليه فعل الطاعات والخيرات حتى يقوم إليها بجدّ وطيب نفس.

٥ـ قيل: أى سنيسّره للخصلة التى تؤدى إلى يسر و راحة بتمتعه بالنعيم، و ان الحالة اليسرى هى دخول الجنة و إستقبال الملائكة إياه بالتحية والبشرى.

وقيل : اليسرى: هى الخصلة التى فيها يسر من غيرعسر و توصيفها باليسر نوع تجوز ، فالمراد من تيسيره لليسرى توفيقه لصالح الاعمال بتسهيلها عليه من غير تعسير.

٦- قيل : أى فسنهينه لأيسر الخطتين وأسهلهما فى أصل الفطرة و هو تكميل النفس إلى أن تبلغ المقام الذى تجد فيه سعادتها فالانسان إنما يمتازعن غيره من الحيوان بالتفكير في الاعمال و وزنها بنتائجها ، فاذا حصل ذلك ، و ظهرت آثاره فيها سهل الله تعالى له ما هو مسوق إليه بأصل فطرته ، و فاعل الخير للخير يجد اريحية فى نفسه ، و يذوق لذة لا تعدلها لذة ، فنزيد فى رغبته وتشتد لفعله عزيمته و هذا هو التيسير الالهى الذى يوفق الله تعالى له الصالحين من عباده.

٧- قيل : أى فسنهينه للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه و يبتغيه منه فى الحياة الدنيا ليوجب له به الجنة فى الآخرة. ٨- قيل : أى فسنيسّره ذاته و كيانه بايمانه وتقواه وصالح أعماله وحسن أحواله للحياة الطيبة و هى اليسرى من غير إختصاص اليسرى بالحياة الآخرة، بل تشمل الآخرة والاولى لقوله عزوجل: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل: ٩٧).

و مهما كانت الحياة فى الدنيا مشوبة فهى فى الآخرة خالصة قال الله تعالى : «قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» الاعراف: ٣٢)

٩- قيل: اليسرى: هى العود إلى الطاعة التى أتى بها أولاً، فالمعنى: فستهون عليه الطاعة مرة بعد مرة.

أقول : والمعانى متقارب والمآل واحد.

٨- (وأما من بخل و استغنى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس وقتادة وعكرمة: أى وأما من أمسك بما عنده وبخل بماله، فلم يبذله فى وجوه البر، ولم ينفقه فى سبيل الله تعالى ولم يؤدّ حقوقه، واستغنى عن ربه فى نفسه، كأنه مستغن عن الله تعالى بما عنده من الأموال...

٢- قيل: أى من بخل بماله الذى لا يبقى له بحقوق ذويها، و التمس الغنى بذلك المنع لنفسه. و قيل: معنى «استغنى»: انه عمل عمل من هو مستغن عن الله تعالى و رحمته. ٣- قيل: أى عدّ نفسه غنيا عما عند الناس بما لديه من مال، فلا يجد فى قلبه راحة لضعفائهم ببذل المال و المؤنة لهم، فأمسك ماله فى وجوه البر ولا ينفقه فيما يقرب من ربه، و إن كان ينفقه فى شهواته ونزواته، وفى سبيل الشر والفساد وإشاعة الفحشاء وخدعته ثروته وجاهه و إشتهاره ومقامه، فظن انه بذلك لايحتاج إلى أحد ولايحسّ بأنه واحد من الناس يصيبه ما أصابهم من السوء.

٤- قيل: أى من بخل بالنفقة فى سبيل الله تعالى ومنع ما وهب الله تعالى له من فضله من صرفه فى الوجوه التى أمرالله عزوجل بصرفه فيها واستغنى عن ربه، فلم يرغب إليه له بطاعته بالزيادة فيما خوّله من ذلك. وقيل: أى زهد فى الأجر والثواب، فلم يتقه وأنكر ما وعده الانبياء من البعث و الجزاء. وقيل: أى إستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة لانه فى مقابلة «واتقى» وقيل، أى و طغى لقوله عزوجل: «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» على أن المراد من الاستغناء نتيجة الغنا وهى الطغيان.

٥- قيل: أى من بخل العطاء واستغنى عن الاتقاء وأخذ حريته فى حيونة الحياة، فيأكل ويتمتع وينزو، ولا حياة له إلا كحياة الأنعام.

٦- قيل: أى أمسك عن كل خير وإحسان واكتفى بطعامه وشرابه عن كل شىء تماماً كالبهيمية، وشعر بالغنى عن غيره أوعن الله بماصار عنده من مال ٧- قيل:

أى من بخل بحق الله عز وجل واستغنى عن ثوابه.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٩- (و كذب بالحسنى)

فى التكذيب بالحسنى أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد والضحاك: أى و كذّب بالشهادة وهى : «لا إله الاّ الله» ٢- عن إبن عباس أيضاً وقتادة : أى و كذّب بالخلف من الله تعالى على المنفقين فى سبيله ، فبخل بماله و لم ينفق الاّ فيما يلذله و يمتّعه فى حاضره و لا يبالى بما عدا ذلك ، ويدخل فى المكذبين بالحسنى اولئك الذين يتكلمون بها تقليداً عن غيرهم و لا يظهر أثرها فى أعمالهم . ٣- قيل : أى و كذّب بالجزاء فقال : لا جنة و لا نار و لاجرام و لا آثام ...

٤- عن مجاهد أيضاً : أى و كذّب بالبعث و الجنة. ٥- قيل أى و كذّب بالجنة والثواب والوعد و بالخلف ، فالمراد بالتكذيب بالحسنى : الكفر بالعدة الحسنى و ثواب الله تعالى الذى بلّغه الانبياء و الرسل عليهم السلام ويرجع إلى إنكار البعث. ٦- أى و كذّب بالفضيلة و بأنها ركن من أركان الاجتماع. ٧- قيل : أى و كذّب بالحياة و العقيدة و الاحسان ، و يعتقد بعدم جدواه - من يفعل هذا فهو على طريق الضلال يرصده عليه شيطان يغويه و يدفع هذا فهو على طريق الضلال . ٨- قيل: أى و كذّب بكل شىء حسن عند الفطرة والشريعة.

أقول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

١٠- (فسنيسره للعسرى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس: أى نسهل طريقه للشر. فتطغى عليه الشهوات والملذات وتعميه عن كل خير» وتقوده إلى كل شر.

وسميت طريق الخير باليسرى، وطريق الشر بالعسرى ليسر عاقبتها وعسرها.

٢- عن إبن مسعود: أى فسنسهل طريقه للنار، ونهيّىء ذاته و كيانه لها. ٣- قيل: أى فسنعسّر عليه أسباب الخير و الصلاح حتى يصعب عليه فعلها. ٤- قيل: أى نخلّى بينه و بين الأعمال الموجبة للعذاب والعقوبة.

٥- قيل: أى فسنهينه للخصلة التى تؤديه إلى العسر. وذلك من مرنت نفسه على الشر و الفساد وتعودت الفجور و الخبث، فيسهل الله عز وجل له الخطة العسرى، وهى الخطة التى يحط بها قدر نفسه، وينزل بها إلى حضيض الآثام ويغمسها فى أو- حال الخطيئة.

٦- قيل: أى فسنيسّر ذاته بماله حياة قصيرة عسرة ضنك هنا ثم حياة دائبة عسيرة ضنك هناك.

٧- قيل: اريد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه لصالح بتثقيلها عليه، وعدم شرح صدره للايمان أو إعداده للعذاب و للهلاك والخسران. ٨- قيل: العسرى: العود إلى كل ما أتاه من قبل. ٩- قيل: كل عمل أدت عاقبته إلى عسره وتعب و مشقة وعذاب فهو العسرى.

١٠- قيل: أى فسنيسّره لطريقة الضلال، وان العسرى: ضد اليسرى، و هى من العسر و التعقيد بخلاف اليسرى فانها من اليسر و السهولة، و سميت طريق الضلال «عسرى» لانها طريق مظلم لا معلم من معالم الهدى فيه، وإن صاحبه ليظل يخبط فى ظلام ويتردى فى معاثر حتى يرد مورد الهالكين، وأما طريق الهدى فهى طريق واضحة المعالم لا يضل سالكها أبداً.

أقول: والمعانى متقارب، والمآل واحد.

١١- (وما يغنى عنه ماله اذا تردى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد: أى ولا يغنى عنه ماله إذا مات. وقيل للحسن: ان فلاناً جمع مالاً فقال: هل جمع لذلك عمراً؟ قالوا: لا قال: فما تصنع الموتى بالأموال.

٢- عن أبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم: أي إذا سقط في نار جهنم ووقع في الهاوية، فلا مال حينئذ ينفعه، ولا ناصر يسعفه. ويقال: تردى فلان من الجبل إذا هوى من أعلاه إلى أسفله.

٣- قيل: أي أيّ شيء يغني عنه ماله الذي بخل به على الناس، ولم ينفقه في المصالح العامة، وفيما يعود نفعه على الجماعة، ولم يصحب منه شيئاً إلى آخرته التي هي موضع حاجته وفقره كما قال الله تعالى: «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرّة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم»

٤- قيل: أي أيّ شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله و استغنى عن ربه ماله يوم القيامة إذا هو تردى. على أن «ما» في هذين القولين إستفهامية.

٥- قيل: أي ولا يغني عنه ماله في تحسين الحياة هنا و هناك إذا سقط من عل في شيطنة الحياة هنا وعند العرض و الحساب، هناك، فليس المال بمنجيه من تبعات الأحوال و الأعمال... ٦- قيل: أي وما يغني عنه ماله إذا سقط في حفرة القبر. ٧- قيل: أي ولا يغني عنه ماله إذا هلك.

أقول: إن الاول والثاني و الخامس و السادس والسابع هي الانسب بظاهر الاطلاق.

١٢- (ان علينا للهدى)

في الاية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة والزجاج: أي علينا أن نبيّن للانسان طريق الهدى من طريق الضلالة ليمتثل أمرنا بسلوك الاول، ونهينا عن إرتكاب الثاني.

فالهدى بمعنى بيان الأحكام. والمعنى: على الله البيان: بيان حلاله و حرامه، وطاعته ومعصيته، وبهذا البيان تنكشف أعمال الخير والشر، وصالح الاعمال وفسادها و وضح السبيل أمام كل سالك، فان شاء سلك سبيل الخير فسلم وسعد وإن أراد ذهب

في طريق الشر فتردى في نار جهنم .

٢ـ عن الفراء: أي من سلك الهدى فعلى الله تعالى سبيله لقوله عز وجل: «وعلى الله قصد السبيل» فمن يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد. والمعنى: ان علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه، فأما الاهتداء فاليكم، فأخبر الله عز وجل: ان الهدى واجب عليه، ولو جاز الاضلال عليه لما وجب الهداية .

وذلك ان هدى الناس مما قضى الله تعالى به، و أوجبه على نفسه بمقتضى الحكمة حيث خلقهم ليعبدوه إذ قال: « وما خلقت الجن و الانس إلاّ ليعبدون » الذاريات: ٥٦) فجعل عبادته غاية لخلقهم، وجعلها صراطاً مستقيماً إليه لقوله تعالى: « ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » آل عمران: ٥١)

فقضى على نفسه أن يبيّن للانسان سبيله و يهديه إليه بمعنى إراءة الطريق سواء سلكه أم لا كما قال: « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر» النحل: ٩) ولا ينافي ذلك قيام غيره تعالى بأمر هذا المعنى من الهدى باذنه كالانبياء عليهم السلام كما قال: « وانك لتهدي إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢) وقال: « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » يوسف: ١٠٨)

وهذا على أن الهداية ههنا بمعنى إراءة الطريق ، وأما الهداية بمعنى الايصال إلى المطلوب ، والمطلوب في المقام: الآثار الحسنة التي تترتب على الاهتداء بهدى الله عز و جل، والتلبس بالعبودية كالحياة المعجّلة في الدنيا، و الحياة السعيدة الأ. بدية في الآخرة، ومن البين ان الايصال إلى المطلوب هو من قبيل الصنع و الايجاد الذي يختصّ به تعالى لقوله عز وجل: « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» القصص: ٥٦) فهو مما قضى به الله تعالى وأوجبه على نفسه وسجّله بوعده الحق إذ قال: « فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى» طه: ١٢٣) وقال: « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل: ٩٧) وقال. « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سند خلهم جنات

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعدالله حقاًو من أصدق من الله قيلاً » النساء: ١٢٢)

ولاينافى إنتساب هذاالمعنى من الهداية إلى الله جل وعلا بنحو الأصالة إنتسابه إلى غيره تعالى بنحو التبع بتخلّل الأسباب بينه عز وجل وبين ماينسب إليه من الأثر باذنه سبحانه.

ومعنى الاية الكريمة ـ إن كان المراد بالهدى إراءة الطريق ـ أنا إنما نبيّن لكم ما نبيّن لانه من إرائة طريق العبودية ، وإرائة الطريق علينا، وإن كان المراد به الايصال إلى المطلوب ، أنا إنما نيسّر هؤلاء لليسرى من الأعمال الصالحة أو من الحياة السهلة الأبدية و دخول الجنة لأنه من ايصال الأشياء إلى غاياتها و علينا ذلك، و أما التيسير للعسرى فهو ممايتوقّف عليه التيسير لليسرى: « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فير كمه جميعاً فيجعله فى جهنم» الانفال : ٣٧) وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم الذى هو هدى للعالمين :« و ننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمومنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً» الاسراء: ٨٢)

ويمكن أن يكون المراد بالهدى مطلق الهداية أعم من الهداية التكوينية الحقيقية و التشريعية الاعتبارية ـ على ما هو ظاهر إطلاق اللفظ ـ فله عز و جل الهداية الحقيقية كما قال :« الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠) و الهداية الاعتبارية كما قال :« إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الا- نسان: ٣)

٣ـ عن الفراء أيضاً: أى ان علينا للهدى و الا ضلال ، فترك الاضلال كقوله تعالى: « بيدك الخير » و« بيده ملكوت كل شيء» و كقوله : « سرابيل تقيكم الحر» وهى تقى البرد.

٤ـ قيل: أى ان علينا ثواب من اهتدى وعمل صالحاً وجزاء من كفر وعصى، حيث ان الانسان خلق نوعاً ممتازاً عن سائر الحيوان بما اوتيه من العقل ، وبما وضع

له من الشرائع التى تهديه إلى سبيل الرشاد .

٥- قيل: أى ان الله تعالى كتب على نفسه أن يبلغ شريعته لعباده بلسان العقل أو الرسول ويترك الطاعة والمعصية لمشيئتهم حيث لادين مع الاكراه و لاطاعة بلا حرية «كتب على نفسه الرحمة» الانعام : ١٢)

الرحمة والهدى بوجهما النجدين: «وهديناه النجدين» : هدى في العقول و الفطر، و هدى بكائنات العالم، وهدى بالنبيين و الكتب، وهى كلها هدى الدلالة ثم هدى التوفيق لمن آمن و اهتدى : «انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى» الكهف: ١٣)

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

١٣- (وان لنا للاخرة والاولى)

فى «الاخرة والاولى» أقوال: ١- عن إبن عباس: «الاخرة» هى الدار الآخرة وهى عالم العود، و«الاولى» هى الحياة الدنيا وهى عالم البدء. ٢- قيل: «للآخرة» :الجنة، و«الاولى» : الدنيا .

٣- عن إبن عباس أيضاً: أى ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله عزوجل: «من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة» فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق .

٤- قيل: معنى الاية الكريمة: وان لنا ملك الآخرة و ملك الدنيا، فلا يزيد فى ملكنا إهتداء من اهتدى، ايمان من آمن، طاعة من أطاع، وعمل صالح من عمل صالحاً... ولا ينقص منه سبحانه ضلالة من ضل، و كفر من كفر، وعصيان من عصى، وعمل فاسد من عمل فاسداً . . . و لو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسراً وجبراً، ولكن التكليف اقتضى أن نمنعهم بياناً و أمراً وزجراً .

فاذا كان ملك الحياتين لله تعالى كان هداه هو الذى يجب اتباعه فيهما لان المالك لأمر عالم بوجوه التصرف فيه، فكل ما يصدق عليه انه شىء فهو مملوك له جل وعلا

بحقيقة الملك الذى هو قيام وجوده بربه القيوم و يتفرّع عليه الملك الاعتبارى الذى من آثاره جواز التصرفات ...

٦- قيل: أى ان الله تعالى يوفق لطاعته من أحب من خلقه، فيكرمه بها فى الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب فى الآخرة ويخذل من شاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهينه بمعصيته فى الدنيا ويخزيه بعقوبته عليها فى الآخرة.

٧- قيل: «الآخرة» هى العسرى، و«الاولى» هى اليسرى اللتان أشار تعالى إليهما فى الآيات السابقة ... على أن فى ذلك إشارة إلى أن إختيار الانسان لليسرى أو العسرى، وإن بدا أنه إختيار مطلق، هو مقيد بمشيئة الله محكوم بارادته إذ كل مردّه إلى الله فى واقع الامر و كل صائر إلى حكمه.

أقول: وعلى الرابع جمهور المفسرين وفى معناه بعض الاقوال الآخر فتأمل جيداً.

١٤- (فأنذرتكم ناراً تلظى)

فى الخطاب أقوال: ١- قيل: خطاب لأهل مكة أى فأنذرتكم يا أهل مكة.

٢- قيل: خطاب لمشركى العرب والمعنى: فأنذرتكم أيها المشركون. ٣- قيل: خطاب للمؤمنين. ٤- قيل: خطاب للناس أجمعين أى فأنذرتكم أيها السامعون.

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق.

١٥- (لا يصليها الا الأشقى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن الفراء: أى لا يجد حرّ نار جهنم إلاّ الشقى. وقيل: أى لا يوقدها إلاّ الشقى. ٢- عن إبن عباس: الأشقى: امية بن خلف و نظراؤه الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- قيل: الأشقى هو أبو سفيان. ٤- قيل: الأشقى، هو المشرك. ٥- قيل: أى

لايحترق بنار جهنم إلاّ من كذب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء به من الآيات القرآنية و المعجزات و السنة ، و أعرض عن اتباع شرائعه و انصرف عن وجهة الحق .

٦- قيل- أى لايدخل تلك النار ولايلزمها و لايخلد فيها إلاّ الكافر بالله عز و جل و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء به. فالمراد بالأشقى مطلق الكافر الذى يكفر بالتكذيب والتولى فانه أشقى من سائر من شقى فى دنياه، فمن ابتلى فى بدنه شقى ومن اصيب فى ماله أو ولده مثلاً شقى ومن خسر فى أمر آخرته شقى ، والشقى فى أمر آخرته أشقى من غيره لكون شقوته أبدية لامطمع فى التخلص منها بخلاف الشقوة فى شأن من شئون الدنيا ، فانها مقطوعة لامحالة مرجوّة الزوال عاجلاً، فالمراد بالأشقى هو الكافر المكذب بالدعوة الحقة المعرض عنها على ما يدل عليه توصيفه بقوله : «الذى كذّب وتولى» ويؤيّده إطلاق الانذار وأما الاشقى بمعنى أشقى الناس كلهم فممالايساعد عليه السياق ألبتة .

أقول: وعلى الأخير أكثر المحققين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٦ -(الذى كذب وتولى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- قيل: أى هو الذى كذّب نبى الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأعرض عن الايمان بماجاء به. وهذا الحصر مؤول لقوله عز و جل :« ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » .

٢- عن قتادة : أى كذّب بكتاب الله تعالى وتولى عن طاعته . ٣- قيل : أى الذى كذب بآيات الله ورسله ولم يصدق بها وأعرض عن الايمان بها . وقيل: آمن و لم يعمل بموجبه . ٤- قيل : الذى كذب بقلبه و أعرض عن العمل بجوارحه و أركانه .

أقول : والاول هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين الأقوال

الاخر .

١٧- (وسيجنبها الأتقى)

في «الأتقى» أقوال: ١- قيل: اريد بالأتقى المؤمن حقاً، وهو الذي يبتعد بعد الايمان عن الاسباب المؤدية إلى النار كلها وهي محارم الله تعالى. ٢- قيل: الأتقى هنا بمعنى التقي ، فليس بمعناه التفضيلي . والمعنى : سيزحزح عن النار التقي النقي.

٣- قيل: ان الأتقى غير التقي حيث ان الاتقى هو الذي كانت حياته كلها ايمان وإلتزام بموجباب الايمان وايتاء واعطاء في سبيل الله تعالى، فحق له أن يبتعد عن نار جهنم في كل حال، وهو الذي لايمسّه عذاب لافي الدنيا ولا في البرزخ و لاهول في العرض والحساب ولا نار جهنم، وأما التقي فهو قد تقترف ماينافي التقوى، وقد يمسّه عذاب الدنيا تخليصاً له عن الدرن، ثم البرزخ ثم القيامة ثم مصيره إلى الجنة، فعذاب غير الاتقى بقدر ما خالف التقوى .

فالآيات الكريمة هنا تقسيم ثنائي إلى من محّض الايمان محضاً فهو «الأتقى» و من محّض الكفر محضاً فهو «الأشقى» وبينهما درجات بين الجنة و النار ومصيرهم إلى الجنة في المآل على حدّ قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :« كلكم يدخل الجنة إلاّ من شرد على الله شرد البعير على أهله »

فالمراد بالأتقى من هو أتقى من غيره ممن يتقي المخاطر فهناك من يتقي ضيعة النفوس كالموت والقتل، ومن يتقي فساد الأموال ، ومن يتقي العدم والفقر فيمسك عن بذل المال وهكذا ، ومنهم من يتقي الله جل و علا فيبذل المال، وأتقى هؤ لاء الطوائف من يتقي الله عز وجل فيبذل المال لوجهه و إن شئت فقل يتقي خسران الآ- خرة، فيتزكّى بالاعطاء ، فالمفضّل عليه للأتقى هو من لايتقي باعطاء المال وإن اتقى سائر المخاطر الدنيوية أو اتقى الله تعالى بسائر الأعمال الصالح .

فالآية الكريمة عامة بحسب مدلولها غير خاصة و يدل عليه توصيف الأتقى بقوله:« الذي يؤتي ماله... » وهو وصف عام و كذا مايتلوه ولاينافي ذلك كون الآ-

يات أو جميع السورة نازلة لسبب خاص كما ورد فى أسباب النزول .

وأما إطلاق المفضل عليه بحيث يشمل جميع الناس من طالح أو صالح ولازمه إنحصار المفضّل فى واحد مطلقاً أو واحد فى كل عصر ويكون المعنى : وسيجنبها من هو أتقى الناس كلهم، وكذا المعنى فى نظيره : لا يصلاها إلاّ أشقى الناس كلهم فلا يساعد عليه سياق آيات صدر السورة، وكذا الانذار العام الذى فى قوله :« فأنذرتكم ناراً تلظى » فلا معنى لأن يقال : أنذرتكم جميعاً ناراً لا يخلد فيها إلاّ واحد منكم جميعاً ولا ينجو منها إلاّ واحد منكم جميعاً .

أقول: وعلى الثالث جمهور المحققين .

١٨- (الذى يؤتى ماله يتزكى)

فى «يتزكى» أقوال: ١- قيل: أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زكياً، ولا يطلب بذلك رئاء ولا سمعة ولا مناً على المحتاجين ، بل يتصدّق به مبتغياً به وجه الله تعالى .

والمعنى: الأتقى هو الذى ينفق ماله فى سبيل الله عز وجل طالباً أن يكون عند الله عز وجل زكياً ، غير طالب بذلك رئاء ولا سمعة، و لا يطلب ممن آتاه جزاء ولا شكوراً و لا يمنّ عليه .

٢- قيل: أى يتطهر بالانفاق نفسه، ويطلب به زكاة نفسه ، وتكفير ذنوبه . ٣- قيل: أى ينفق ماله طالباً بذلك أن ينمو ماله نماءاً صالحاً، فقصد بالتزكى زكاة المال وإنمائه. ٤- قيل: أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله عز و جل من دين و دنيا .

أقول: والتعميم غير بعيد .

١٩- (وما لأحد عنده من نعمة تجزى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى ليس عند أحد من الخلق من نعمة يجازى بها هذا الأتقى المتزكى فيما أنفق ماله. ٢- قيل: وليس له عند أحد فيما أنفق

من نعمة يلتمس ثوابها .

٣- قيل: أي وليس لأحد من الناس عندما هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى من نعمة تجزى هذه النعمة بما يؤتيه من المال، فلا يبذل ماله مجازاة إنسان، يجازيه على يد له عنده ولا مكافأة له على نعمة ، سلفت منه إليه أنعمها عليه، فلم يرد بما أنفق مكافأة من أحد، فلا يكون الابتاء مقابلة لأحد له عليه من نعمة سابقة أو يد سالفة فيجبرها ، فليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً .

٤- قيل: أي وليس لأحد عند هذا المعطى من يد أو نعمة يجزى بها، ولا عطاؤه لابتغاء شيء من مال الدنيا ومنالها، فلا يكون ايتائه لجلب نعمة أو يد ممن عنده نعمة أو يد. ٤- قيل: أي وليس لأحد من الناس عند الله تعالى من نعمة تجزى بها في الحياة الدنيا أو في الآخرة أو هما معاً إلاّ من أنفق ماله إبتغاء لوجه الله تعالى فحسب .

أقول: والأول هو الانسب بظاهر السياق، وتؤيده الآية التالية ، و في معناه الثاني من الاقوال فتامل جيداً .

٢١- (و لسوف يرضى)

في الآية الكريمة أقوال :١- قيل : أي و لسوف يرضى هذا الأتقى عن الله تعالى في الآخرة بما يعطيه الله عز و جل من نعيم الجنة أضعاف ما أنفقه في الحياة الدنيا في وجوه الخير .

٢- قيل: أي ولسوف يرضى الله عز و جل عن الأتقى بالايمان المحض والا-نفاق وصالح الاعمال خالصاً لوجه الله تعالى. ٣- قيل: أي ولسوف يرضى هذا الأتقى عن الله عز و جل بما يعطيه من الجنة و نعيمها ، ويرضى الله تعالى عنه بما فعله إبتغاء لوجه الله جل وعلا ، فيكون راضياً مرضياً، فيكون له من الله تعالى ما فيه رضاؤه و طمأنينته في الحياة الدنيا و الآخرة ، كما يكون منه ما فيه رضاء الله عز و جل .

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر الاطلاق، وهو المؤيد بظاهر سياق السورة

التالية نزولاً ، وهي سورة الفجر إذ قال: «ياأيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي » : ٢٧_ ٣٠)

ومصحفاً إذ قال: « ولسوف يعطيك ربك فترضى_ وأما بنعمة ربك فحدث» الضحى : ٥_ ١١)فتأمل جيداً واغتنم جداً .



﴿التفسير والتاويل﴾

١-(والليل اذا يغشى)

اقسم بالليل حين يغشى النهار، فيذهب ضوئه، ويوارى الأشياء بظلامه . . .

قال الله عزوجل :« يغشى الليل النهار» الاعراف : ٥٤)

وقدأقسم الله جل وعلابالليل حين يغشى النهار بظلامه إذفيه يسكن الانسان ويستريح من سعيه بمايشمله من النوم والهدؤ .

قال الله تعالى :« أولم يروا أناجعلنا الليل ليسكنوا فيه» النمل : ٨٦)

وقال :« ومن رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيهو لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » القصص : ٧٣)

وقال :« وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً » الفرقان: ٤٧)

وقد أقسم بالليل حين يغطى الأشياء بظلمته لانه آية من آيات الله عز وجل تدل على توحيد الربوبية ، و القدرة المطلقة و غاية الحكمة و تمام التدبير فى نظام الوجود .

قال الله تعالى :« وجعلنا الليل والنهار آيتين » الاسراء : ١٢)

وقال:« ومن آياته الليل والنهار» فصلت : ٣٧)

وقال:« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون » يس: ٣٧)

وقال:« يقلّب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الأبصار »النور:٤٤)

وقال:« ان فى خلق السموات والارض وإختلاف الليل والنهار لآيات لاولى

الألباب » آل عمران : ١٩٠)

وقال: « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » الروم : ٢٣)

و قال : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » القصص : ٧٢)

وان الانسان أكثر إرتباطاً بالله جل وعلا بالعبادة و الدعاء و المناجات فى الليل من النهار .

قال الله عزوجل : « ان ناشئة الليل هى أشدو طأ وأقوم قيلاً » المزمل: ٦)

وقال: « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً » الزمر : ٩)

وقال: « ومن الليل فسبحه وادبار السجود » ق : ٤٠)

و قال : « ومن الليل فسبحه و إدبار النجوم » الطور : ٤٩)

وقال : « قم الليل إلاقليلاً » المزمل : ٢)

وقال: « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون» الذاريات: ١٧-١٨)

وقال : « و من آناء الليل فسبح » طه : ١٣٠)

وقال : « ومن الليل فاسجدله و سبحه ليلاً طويلاً » الانسان : ٢٦)

ان الله تعالى كما أقسم بالليل حين غشيانه كذلك اقسم به وقت إدباره إذ قال : « و الليل إذ أدبر » المدثر : ٣٣ »

وقال: « و الليل إذا عسعس » التكوير : ١٧)

٢- (والنهار اذا تجلى)

واقسم بالنهار حين بان بضوئه عن ظلمة الليل، وانكشف بظهوره وجه الأرض.

وقد أقسم الله عزوجل بالنهار لأنه من أعظم نعمه على الانسان ، إذلو كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلب معاشهم ، كماأن لو كان ذلك كله ضياء

لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم.

قال الله تعالى: «هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه و النهار مبصراً» يونس: ٦٧)

وقال: «وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً» الفرقان: ٤٧)

وقال: «ان لك فى النهار سبحاً طويلاً» المزمل: ٧)

وقال: «وجعلنا النهار معاشاً» النبأ: ١١)

وقال: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون» القصص: ٧١ - ٧٢)

وفى النهار دلالة واضحة وبرهان قاطع على توحيد الصانع المتعال و قدرته و حكمته، وعلمه وتدبيره فى نظام الوجود، وبهذا يظهر وجه الحكمة والمصلحة فى إختلاف الليل و النهار.

قال الله عز وجل: «ان فى إختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات و الارض لآيات لقوم يتقون» يونس: ٦)

وقال: «ان فى خلق السموات والارض و اختلاف الليل والنهار - لآيات لقوم يعقلون» البقرة: ١٦٤)

وما ورد من الروايات من أن المراد بغشيان الليل هو الثانى، و بتجلى النهار هو ظهور الامام الثانى عشر الحجة بن العسكرى صلوات الله و سلامه عليه فمن باب التأويل.

٣- (وما خلق الذكر و الانثى)

واقسم بالقادر العظيم الذى خلق الانسان ذكراً و انثى مختلفين من منى يمنى مع كونهما من نوع واحد، و ميّز بين الجنسين، مع أن المحل الذى تكونا فيه واحد

وان المني ما يكون سبباً للحمل ، ومنه ذكر تارة و انثى تارة اخرى ، ومنه مالا يستعد للحمل كما أن المرأة قد لاتستعد له .

قال الله تعالى: « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة» النحل: ٧٢)

وقال: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و انثى » الحجرات : ١٣)

وقال : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر و الانثى» القيامة: ٣٦_ ٣٩)

وقال: « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير » الشورى : ٤٩_ ٥٠)

وفي خلق الانسان ذكراً و انثى، و فيما أودعه الله تعالى في كل منهما دلالة قاطعة وحجة واضحة على كمال علم الخالق ، وعظيم قدرة الصانع ، و غاية حكمة البارىء المتعال .

قال الله عزوجل: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة و رحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الروم : ٢١)

وما ورد في المقام فمن قبيل بيان أظهر المصاديق . وذكر النموذج الكامل في الذكورية والانوثية .

٤- (ان سعيكم لشتى)

ان أعمالكم أيها الناس لمختلفة في ذاتها: من الحق و الباطل، من الخير والشر ،من الاحسان والاسائة ، من النور والظلمة، من الصواب و الخطأ، و من الهدى و الضلالة، متباعدة في آثارها في النفوس والمجتمع البشري : من التوفيق والخذلان... ومتغايرة الوجوه والألوان في الجزاء : من الثواب والعقاب ، ومن الجنة و نعيمها، ومن الجحيم وعذابها .

قال الله تعالى :« ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً » الاسراء: ١٩)

وقال:« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » الحديد: ١٢)

وقال:« ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » الجمعة : ٩)

وقال : « ان هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكوراً » الانسان : ٢٢)

وقال:« فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه و إنا له كاتبون » الانبياء : ٩٤)

وقال:« وأن ليس للانسان إلا ّ ماسعى و ان سعيه سوف يرى» النجم: ٣٩-٤٠)

وقال:« وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية » الغاشية : ٨-٩)

هذا بالنسبة إلى أهل التقوى واليقين وصالح الأعمال فى سعيهم و آثارها و جزاءها . .

وأما بالنسبة إلى أصحاب الفجور والكفر و الفساد فى سعيهم و آثارها وجزاءها فقال الله عز و جل: « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها إسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان لهم أن يدخلوا إلا ّ خائفين لهم فى الدنيا خزى و لهم فى الآخرة عذاب عظيم » البقرة : ١١٤)

وقال:« و إذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل و الله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » البقرة : ٢٠٥ - ٢٠٦)

وقال:« والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم» سبأ:٥)

وقال:« إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله ويسعون فى الارض فساداً أن

يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» المائدة: ٣٣)

وقال: « الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً» الكهف: ١٠٤_١٠٦)

وقال: « يوم يتذكر الانسان ماسعى وبرّزت الجحيم لمن يرى فأمّا من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » النازعات : ٣٥_ ٤١)

وقال: « ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » طه: ١٥)

٥- (فأمامن اعطى واتقى)

فأمامن اعطى منكم أيها الناس بطيب نفسه ما آتاه الله عز وجل، وبذل من ماله فى وجوه البر والخير ، فأعطى حقوق الله تعالى فى سبيله إبتغاء لوجهه ، واعطى حق نفسه وعياله بالانتفاع عنه فى شؤون حياته، واعطى حق الناس بالاحسان والانفاق و والاعانة ...

واتقى الله عز وجل واجتنب عن محارمه ، وخاف عذابه، وابتعد عن البخل، الرياء والسمعة والمنّ والأذى ...

قال الله تعالى: « وما تنفقوا من خير فلا نفسكم وما تنفقون إلاّ إبتغاء وجه الله و ماتنفقوا من خير يوفّ إليكم وأنتم لاتظلمون » البقرة : ٢٧٢)

وقال: « ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن و الأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس» البقرة: ٢٦٤)

وقال: « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولاأذى لهم أجرهم عند ربهم» البقرة : ٢٦٢)

وقال: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن

كماأحسن الله إليك » القصص : ٧٧)

وقال:« ومن يتق الله يجعل لهمخرجاً » الطلاق : ٢)

وقال:« ومن يوق شح نفسهفاولئك هم المفلحون » الحشر: ٩)

وقال:« أفمن يتقي بوجههسوء العذاب يوم القيامة » الزمر: ٢٤)

وقال:« فأنذرتكم ناراًتلظى ـ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى » الليل: ١٤ ـ ١٨)

٦ـ (و صدق بالحسنى)

وصدّق بكل شيء حسن عندالعقل السليم، وعندالشرع من الايمان وصالح الاعمال وجزائها، ومن الأوامر والنواهي التي فيها اصلاح الفرد والمجتمع البشري .

قال الله تعالى: « والذي جاء بالصدق وصدّق بهاولئك هم المتقون»الزمر:٣٣)

وقال« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

وقال : « ومالي لاأعبدالذي فطرني وإليه ترجعون » يس : ٢٢)

وقال:« والذين يصدّقون بيوم الدين » المعارج : ٢٦)

وقال:«ولو أنهم آمنوا واتقوا المثوبةمن عندالله خير لو كانوا يعلمون»البقرة:١٠٣)

وقال:« مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار اكلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار» الرعد: ٣٥)

وقال:« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » يونس: ٢٦)

وقال:« ولله مافي السموات ومافي الارض ليجزي الذين أساؤا بماعملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»النجم : ٣١)

وقال :« ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى » فصلت: ٥٠)

وقال:« فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاًوعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراًعظيماً»النساء: ٩٥)

وقال:« وأمامن آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول لهمن أمرنا يسراً» الكهف: ٨٨)

وماورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمّل جيداً واغتنم جداً .

٧ـ (فسنيسره لليسرى)

فسنسهل لمن اعطى حقوقذويها، واتقى ربه ومحارمه وعذابه، وصدّق بكل شيءحسن مافيه سعادتهو فلاحه، مافيه كماله و صلاحه ، ومافيه نجاته وتنعمه من النعم الالهية : من الطاعة وصالح الاعمال، وترك المحارم ، فلاتثقل عليه الطاعات و فعل الخيرات ، ولاترك المعاصي ...

قال الله تعالى:« ومن يتق الله يجعل لهمن أمره يسراً » الطلاق : ٤)

وقال :« وأمامن آمن و عمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً » الكهف : ٨٨)

ومن المعلوم أن الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والائتمار بأوامر الله جل وعلا والانتهاءعن نواهيه إذاواظب عليها الانسان حصلت في نفسه ملكة نورانية تسهل عليه سلوك سبيل الخيرات ... حتى تصير تلك الأخلاقُ و التكاليف وصالح الأ- عمال طبعاً، والتعب راحة ، والتكلف عادة ... قال رسول الله ﷺ :« ينبغي إعتياد الخيرفان الخيرفي العادة» ولما كانت هذه الملكة تحصل تدريجاً دخلت الفاء في « فسنيسّره لليسرى »

كماأن الأعمال الفاسدة والاخلاق الرذيلة وإرتكاب المعاصي ... إذاأصرّ عليهاالانسان تصير النفس من الكسل بحيث لاتواتي صاحبها إلاّ في مواجب الكسل وجذب الراحات العاجلة ، وقدأشارجل وعلاإلى كلاالقسمين بقوله:« وانهالكبيرة إلاّ على الخاشعين » البقرة :٤٥) وقوله:« ان المنافقين يخادعون الله وهوخادعهم و إذاقاموا إلى الصلاةقاموا كسالى» النساء: ١٤٢) وقوله :« ولايأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى ولاينفقون إلاّ وهم كارهون» التوبة: ٥٤)

وقوله: « وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون» الزمر : ٤٥)

فكل ماتؤدّي عاقبته إلى يسر وراحة وامور محمودة فان ذلك من اليسرى، و ذلك وصف كل الطاعات والخيرات والأخلاق الفاضلة ، و كل ماتؤدّي عاقبته إلى عسر وتعب وشقاء وعذاب فهو من العسرى ، وذلك وصف كل المعاصي والفجور و الرذائل، فمن جملة اليسرى الجنة ونعيمها ، ومن جملة العسرى النار وعذابها .

فالاعطاء والتقوى والايمان كلها تمهيدات لتوفيق الانسان للطاعة وصالح الا-عمال وفعل الخيرات ، وتسهل له أمرها، فتكون الطاعة ... أيسر الامور عليه وأهونها ولنيله بسعادة الدارين .

٨- (وأما من بخل و استغنى)

وأما من أمسك بما عنده، وبخل بما له الذى لايبقى، فلم يبذل منه فى وجوه البر ولم يؤدّ حقوق ذويها من الله تعالى وحق المحتاجين وحق نفسه وعياله ، و استغنى عن ربه فى نفسه بما عنده من الأموال والثروة، فطغى.

قال الله تعالى: « الذى جمع مالاً وعدّده يحسب ان ماله أخلده» الهمزة : ٢-٣) .

وقال: «وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلاّ فى ضلال مبين» يس: ٤٧)

وقال: « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق: ٦-٧)

٩- (و كذب بالحسنى)

و كذّب هذا البخيل المستغنى الطاغى بكل شيء لا يراه موافقاً لهوى نفسه وبماهو حسن عند العقل السليم والشريعة وماوعده الله جل وعلا بلسان أنبياءه من الخلف والزيادة لمن أنفق فى سبيل الله تعالى، ومن الجزاء والحياة الطيبة فى الدار الآخرة كما كذّب بآيات الله جل وعلا.

قال الله تعالى: «فمن أظلم ممن كذّب على الله و كذّب بالصدق إذجاءه» الزمر: ٣٢)

وقال: «و من أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحق لما جاءه» العنكبوت: ٦٨)

وقال: «في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين و كنا نكذب بيوم الدين» المدثر: ٤٠-٤٦)

١٠- (فسنيسره للعسرى)

فسنيسّر طريق هذا البخيل المستغني المكذّب للشر ، ونخلّي بينه وبين الاعمال الموجبة للذلة و العذاب ، و نعسّر عليه أسباب الخير و الصلاح حتى يصعب عليه فعلها ، فتثقل عليه الطاعة و صالح الاعمال ، و يسهل له إتيان المحارم وإرتكاب المعاصي... ونهيّيء ذاته و كيانه بماله حياة قصيرة عسرة ضنك هنا ، ثم حياة دائبة عسيرة ضنك هناك ، و تعود عاقبته إلى عسر وتعب و عذاب و نار .

قال الله تعالى : «قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً» الكهف: ٧٣)

وقال: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون» الانعام: ١٢٥)

و قال : «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين» الزخرف: ٣٦)

وقال: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة أعمى» طه: ١٢٤).

وقال : « فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون » النحل: ٢٢)

وقال: «فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير» المدثر: ٨-١٠)

ومن غير مراء ان الله عز وجل يجازى من قصد الخير والاهتداء بالتوفيق له، و أراد الشر والضلال بالدعة والخذلان.

قال الله تعالى: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» البقرة : ٢٢٥)

و قال : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم و الله لايهدى القوم الفاسقين » الصف: ٥)

وقال: « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» المطففين: ١٤)

وقال: «فنذر الذين لا يرجون لقائنا فى طغيانهم يعمهون - كذلك نطبع على قلوب المعتدين» يونس: ١١-٧٤)

وقال: «وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت - ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون» الانعام: ٧٠-١١٠)

١١- (وما يغنى عنه ماله اذا تردى)

ولا يغنى عن هذا البخيل المستغنى المكذب ماله عند الهلاك والاحتضار، ولا حين سقوطه فى حفرة القبر ولا زمن العرض و الحساب، ولا وقت وقوعه فى نار جهنم والهاوية، فلا مال له فى تلك الأحيان ينفعه.

قال الله عز وجل: «فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» الحجر: ٨٣-٨٤)

وقال : «ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النار» آل عمران: ١٠)

وقال: «وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه» الحاقة: ٢٥-٢٨)

١٢- (ان علينا للهدى)

انا خلقنا الانسان وهديناه النجدين: إذ ألهمناه تقواه وفجوره، والتمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ثم بعثنا له الكملة من أفراده و هم الانبياء عليهم آلاف التحية والثناء و أنزلنا من كتب .... فهذه كلها نور كاشف يكشف للانسان عن وجه الحق و الخير والهدى و الصلاح و الكمال و الفلاح ويدلّه عليها ، و عن وجوه الباطل و الشر و الضلالة والفساد و الانحطاط والخسران ويحذّره عنها، وشرعنا له الأحكام: حلالها وحرامها، وبيّنا له العقائد صحيحها وفاسدها...

فللانسان أن يختار الطريق الذى يسلكه بارادته من غير إكراه، فهو مختار فى سلوك أحد الطريقين: طريق الخير والهدى وطريق الشر والضلالة، وبهذه الارادة يمتاز وجوده من غيره، ويثبت ذاتيته ويليق للخلافة الالهية على وجه الارض ، و يستأهل للثواب والعقاب، فعليه مافيه سعادته و كماله ونجاته، والابتعاد عما فيه شقاؤه و انحطاطه وعذابه.

قال الله عزوجل: «إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الانسان: ٢-٣)

وقال: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها» الشمس: ٧-١٠)

وقال: «وعلى الله قصد السبيل» النحل: ٩)

وقال: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» فصلت: ١٧)

وقال: «ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم» الاسراء: ٩)

وقال: «والله يقول الحق وهو يهدى السبيل» الاحزاب: ٤)

وقال: «يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم» النساء: ٢٦).

وقال: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» النحل: ٨٩)

١٣- (وان لنا للآخرة والاولى)

وان لنا لأمر الآخرة: عالم العود، ولأمر الدنيا: عالم البدء.

فكل ما يصدق عليه انه شيء سواء كان من الامور الدنيوية أم من الامور الاخروية فهو مملوك لله جل وعلا بحقيقة الملك الذى هو قيام وجوده بربه القيوم ويتفرّع عليك الملك الاعتبارى الذى من آثاره جواز التصرفات فيهما تصرفاً مطلقاً.

قال الله تعالى: «وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون» الزخرف: ٨٥)

وقال: «ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير» فاطر: ١٣)

وقال: «الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم» الحج: ٥٦)

وقال: «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً يومئذ لله» الانفطار: ١٩)

وقال: «ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين» الاعراف: ٥٤)

وقال: «له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور» الحديد: ٥)

١٤- (فأنذرتكم ناراً تلظى)

إذا علمتم أيها السامعون ما سبق من البيانات الوافية والتقريرات الشافية، و عرفتم مراتب النفوس الانسانية و درجاتها و هداها و ضلالها و دركاتها، فأنذرتكم أيها الناس برسولى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ناراً وهى نار جهنم التى تتلهب وتتو

فدو تتوهج يعذب فيها من كذب برسولي ﷺ وماجاء كم به عن ربه من الآيات وأعرض عن اتباع شريعته، وانصرف عن وجهة الحق ولم يعد إليها تائباً نادماً إلى أن مات.

قال الله تعالى: «قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي إلي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ـ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي و لا شفيع لعلهم يتقون» الانعام: ١٩-٥١)

وقال: «وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ـ هذا بلاغ للناس و لينذروا به» إبراهيم: ٤٤-٥٢)

و قال: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان:١)

وقال: «إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ـ ان هو الا ذكر و قرآن مبين لينذر من كان حياً» يس: ١١-٧٠)

وقال: «وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا» الاحقاف: ١٢).

وقال: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً» النساء:١٨)

١٥- (لا يصليها الا الأشقى)

لا يدخل نار جهنم دخولا تحيط به من جميع جوانبه، ولا يلزمها ولا يخلد فيها إلا الكافر بالله تعالى، المكذب بالدعوة المحمدية، المعرض عنها، الضال الذي غلبت عليه شقوته.

قال الله عزوجل: «والذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» البقرة: ٣٩)

وقال: «والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها

خالدون» الاعراف: ٣٦)

وقال: «ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون» المؤمنون: ١٠٥-١٠٨)

١٦ -(الذى كذب و تولى)

هذا الذى غلبت عليه شقوته هو الذى كذّب بالحق وأعرض عن آيات الله جل وعلا، وعن الدعوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وصرف نفسه عن الهدى، ورآى الضلال وسلك مسالكه وراى الصدق فحاد عنه.

قال الله تعالى: «قل إنى على بينة من ربى و كذّبتم به» الانعام: ٥٧)

وقال: « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء: ٤٦)

وقال: «وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه و قراً» لقمان: ٧)

وقال: « فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا » النجم: ٢٩)

١٧- (وسيجنبها الاتقى)

وسيجنب نارجهنم ويبعّد عنها، ويجعل منها على جانب، من تلبس بالتقوى و يبالغ فيها بالايمان حقاً ، والالتزام بموجباته كلها ويبالغ فى إتقاء الكفر و المعاصى، الشديد التحرز منهما، وهو الذى يعطى ماله فى سبيل الله تعالى ويبذله فى وجوه البر إبتغاء لوجه الله عزوجل، ويوق شحّ نفسه، ويتقى محارم الله جل و علا وسوء العذاب، ويصدّق بما وعده الله عزوجل بلسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الفلاح والسعادة، من الكمال والعزة، ومن السيادة والعيش الهنيىء فى الحياة الدنيا ، و من النجاة والجنة ونعيمها فى الدار الآخرة، فيقيه عزوجل من الدمار والنار كما و

فى هو نفسه عن محارم الله جل وعلا، فمن اجتمع فيه تلك الخصال فهو أتقى الناس الذى هو أكرمهم عندالله تعالى.

قال الله تعالى: «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عندالله واولئك هم الفائزون» التوبة: ٢٠)

وقال: «ومن يطع الله و رسوله و يخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور:٥٢)

و قال: «و من يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ذلك جزاء من تزكى» طه:٧٥_٧٦)

وقال: «والذى جاء بالصدق وصدّق به اولئك هم المتقون» الزمر: ٣٣)

وقال: «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة» الزمر: ٢٤)

وقال: «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» الحشر: ٩)

وقال: «ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة» التحريم: ٦)

وقال: «إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ـ قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا و وقانا عذاب السموم» الطور:١٧_٢٧)

وقال: «وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر: ٩)

وقال: «ولكل درجات مما عملوا» الانعام: ١٣٢)

وقال: «إن أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣)

١٨- (الذى يؤتى ماله يتزكى)

هذا الأتقى هو الذى يؤتى حقوق ماله: فيعطى منه حق الله جل و علا فى

وجوه البر و سبيل الخيرات، و يبذل منه حق نفسه و عياله، و ينفق حق المحتاجين كل ذلك لتزكية النفس و طهارتها وقربها من الله جل و علا، و تكفير الذنوب، وبذلك ينمو ماله نماءاً صالحاً وينال بما يخلفه الله عزوجل في الدنيا والآخرة.

قال الله عزوجل: «ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب و لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب و النبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل و السائلين وفي الرقاب و أقام الصلاة و آتى الزكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين في البأساء و الضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون» البقرة: ١٧٧)

وقال: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك» القصص: ٧٧)

وقال: «ورحمتي وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة و الذين لهم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ١٥٦)

وقال: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخاف يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» النور: ٣٧-٣٨)

و قال: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الروم: ٣٩)

وقال: «ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه - ان الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» فاطر: ١٨-٣٠)

وقال: «قد أفلح من تزكى» الاعلى: ١٤)

وقال: «خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها» التوبة: ١٠٣)

١٩- (وما لأحد عنده من نعمة تجزى)

وليس لأحد من الناس عند هذا الأتقى المعطى المتزكى من نعمة يجازى بها يوم القيامة فيما أنفقه فى سبيل الله تعالى وبذل فى وجوه البر فى الحياة الدنيا، وما كان إنفاقه لذلك.

قال الله تعالى: «ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» النجم: ٣١)

وقال: «يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً» لقمان: ٣٣)

٢٠- (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى)

ما أنفق هذا الاتقى ماله فى سبيل الله تعالى لمكافاة نعمته عز وجل، ولم يبذله فى وجوه البر ليجازى على نعمة من غير الله جل وعلا، ولا ملتمساً من أحد ثوابه، ولا بدافع الظهور وحب الشهرة، ولا بقصد الربح والتجارة، ولا للهتافات والغوغاء، ولا لكسب الاصوات والتصفيق...

إنما أنفق من ماله طلباً لوجه ربه الاعلى المالك كل شيء، والقائم على كل شيء، طلباً لمثوبته وحده، فلم يحمله على البذل و الانفاق إلاّ إجلاله عز و جل و قصد مرضاته و خيفة الوقوع فيما يغضبه، و إمتثالاً لأمره جل و علا.

قال الله تعالى: «وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون إلاّ إبتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم» البقرة: ٢٧٢)

وقال: «لا خير فى كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً» النساء: ١١٤)

وقال: « و الذين صبروا إبتغاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية و يدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار » الرعد: ٢٢).

٢١- (و لسوف يرضى)

ولسوف يرضى هذا الأتقى عن الله جل وعلا بما يعطيه الله تعالى فى الحياة الدنيا أضعاف ما أنفقه في سبيل الله عزوجل إبتغاء لوجهه الكريم ، و من العيش الهنيىء والطمأنينة ، و بما يثيبه من الأجر الجميل و الجزاء الجزيل وما تمنّى و مالم يخطر بباله فى الآخرة، فيرضى به لامحالة لما بذل من ماله في وجوه البر والخيرات في الحياة الدنيا.

فمن أنفق ماله فى سبيل الله تعالى طلباً لمرضات الله عزوجل أرضاه الله جل و علا وأقرّ عينه بما عمل انه أرضى ربه، فكان حقاً على الله تعالى أن يرضاه.

فيكون كيان هذا الاتقى المعطى وأفعاله مرضياً عندالله تعالى . وهو راض عن الله تعالى، فيكون هذا الاتقى راضياً ومرضياً عندالله عزوجل.

قال الله عزوجل: «وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقرّبكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون- و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» سبأ: ٣٧-٣٩)

وقال: «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون» البقرة: ٢٦١-٢٦٢)

وقال: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من

تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧١-٧٢)

وقال: «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» الفجر: ٢٧-٣٠)

وقال: «قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد» آل عمران: ١٥).



﴿ جملة المعانى ﴾

٦٠٥٩- (والليل اذا يغشى)

اقسم بالليل حين يغشى النهار، فيذهب ضوئه، ويوارى الاشياء بظلامه . . .

٦٠٦٠- (والنهار اذا تجلى)

واقسم بالنهار حين بان بضوئه عن ظلمة الليل، وانكشف بظهوره وجه الأرض.

٦٠٦١- (وما خلق الذكر والانثى)

واقسم بالله القادر العظيم المتعال الذى خلق الانسان من نوع واحد مختلفين: ذكراً وانثى.

٦٠٦٢- (ان سعيكم لشتى)

ان أعمالكم أيها الناس لمختلفة فى الصلاح والفساد وفى الصواب والخطأ.

٦٠٦٣- (فأمامن اعطى واتقى)

فأمامن اعطى منكم أيها الناس بطيب نفسه بعض آتاه الله تعالى من الاموال، و بذل منه فى وجوه البر واتقى ربه واجتنب من محارمه ...

٦٠٦٤- (و صدق بالحسنى)

وصدّق بكل شىء حسن عند العقل والشرع من إعتقاد الحق وصالح الأعمال...

٦٠٦٥- (فسنيسره لليسرى)

فسنسهل كيانه لصالح الأعمال، و نوفقه لفعل الخيرات من غير تعب فى نفسه.

٦٠٦٦ـ (وأمامن بخل واستغنى)

وأما من أمسك بما عنده، ولم يبذل منه في وجوه البر ، واستغنى عن ربه بما عنده.

٦٠٦٧ـ (وكذب بالحسنى)

وكذّب شيء لا يراه موافقاً لهوى نفسه، وهو حسن عند العقل والشرع.

٦٠٦٨ـ (فسنيسره للعسرى)

فسنسهل كيانه لارتكاب المحارم، إذ نخلّي بينه وبين الاعمال الموجبة للذلة والعذاب لبخله وإستغنائه وتكذيبه بكل شيء حسن ذاتياً.

٦٠٦٩ـ (وما يغني عنه ماله اذا تردى)

ولا يغني عن هذا المكذب ماله عند الهلاك والاحتضار، عند سقوطه في حفرة القبر ولا حين العرض و الحساب، و وقوعه في نار جهنم.

٦٠٧٠ـ (ان علينا للهدى)

ان علينا أن نهدي الانسان ونستعده تكويناً للتمييز بين الحق والباطل، ونبيّن له بلسان الانبياء طريق الصلاح والفساد، فله أن يختار بارادته ما فيه سعادته و كماله.

٦٠٧١ـ (وان لنا للاخرة والاولى)

وان لنا لأمر الآخرة: عالم العود ، ولأمر الدنيا: عالم البدء.

٦٠٧٢ـ (فأنذرتكم ناراً تلظى)

فأنذرتكم أيها الناس بلسان رسولي نار جهنم تتوهّج ، يعذّب بها البخيل المستغني المكذّب.

٦٠٧٣ـ (لا يصليها الا الأشقى)

لا يدخل نار جهنم هذه إلا من غلبت عليه شقوته.

٦٠٧٤ -(الذى كذب و تولى)

هذا الذى كذّب بالدعوة المحمدية ﷺ و أعرض عنها.

٦٠٧٥- (وسيجنبها الاتقى)

وسيجنّب نارجهنم من تلبّس بالتقوى وبالغ فيها بالايمان وصالح الاعمال...

٦٠٧٦- (الذى يؤتى ماله يتزكى)

هذا الأتقى هوالذى يؤتى حقوق ماله تزكيةلنفسه، وتطهيراً لها من أدران ما يوجب الشقاء، ولقربهامن الله عزوجل.

٦٠٧٧- (ومالأحد عنده من نعمة تجزى)

وليس لأحد من الناس عند هذا الأتقى من نعمة يجـازى بها فيـما أنفقه فى وجوه البر.

٦٠٧٨- (الاابتغاء وجه ربه الاعلى)

ما بذل هذا الاتقى ماله فى سبيل الله تعالى إلا طلباً لمرضات الله جل وعلا.

٦٠٧٩- (ولسوف يرضى)

ولسوف يرضى هذا الأتقى عن الله تعالى بما يعطيه فى الدنيـا، وفى الآخرة مما لايخطر بباله ولم تره عينه، لما فعل فى الحياة الدنيا طلباً لرضا الله عزوجل، وهو جل وعلا يرضى عنه بمافعله طلباً لمرضاته، فهوراض ومرضى.



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: «والليل إذا يغشى» قال: الليل في هذا الموضع الثاني غشى أمير المؤمنين عليه السلام في دولته التي جرت له عليه السلام وأمير المومنين يصبر في دولتهم حتى تنقضي، قال: «والنهار إذا تجلى» قال: النهار هو القائم منا أهل البيت إذا قام غلبت دولة الباطل، والقرآن ضرب فيه الامثال للناس وخاطب نبيه ونحن، فليس يعلمه غيرنا.

وفيه: في قوله تعالى: «والليل إذا يغشى» قال: حين يغشى النهار و هو قسم.

وفي الكافي: باسناده عن محمد مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عزوجل: «والليل إذا يغشى» و«والنجم إذا هوى» وما أشبه ذلك قال: ان الله عزوجل أن يقسم من خلقه بماشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به.

وفي الفقيه: وروى علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام قوله عزوجل: «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى» وقوله عزوجل: «والنجم إذا هوى» و ما أشبه هذا فقال: إن الله عزوجل أن يقسم من خلقه بماشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به.

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن الامام الباقر

محمد بن علي عليه السلام في قوله: «وما خلق الذكر والانثى» فالذكر أمير المؤمنين عليه السلام والانثى فاطمة عليها السلام «ان سعيكم لشتى»: لمختلف «فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى» بقوته وصام حتى وفى بنذر و تصدق بخاتمه و هو راكع وآثر المقداد بالدينار على نفسه، قال: «و صدق بالحسنى» و هي الجنة و الثواب من الله بنفسه «فسنيسره» لذلك بأن جعله إماماً في الخير، و قدوة و أباً للائمة يسره الله لليسرى.

وفي المجمع: قال: والاولى أن تكون الآيات محمولة على عمومها في كل مايعطي حق الله من ماله و كل من يمنع حقه سبحانه وروى العياشي ذلك باسناده عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فأما من اعطى» مما اتاه الله «و اتقى وصدق بالحسنى» أي بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى كثير من ذلك. وفي رواية اخرى: إلى مأة الف فمازاد فسنيسره لليسرى قال: لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله له وأما من بخل بما أتاه الله واستغنى و كذب بالحسنى بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى أكثر من ذلك.

وفي رواية اخرى: إلى مأة ألف فما زاد فسنيسر لليسرى قال: لا يريد شيئاً من الشر إلا يسره الله له ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «وما يغني عنه ماله إذا تردى» أما والله ما تردى من جبل ولا تردى من حائط ولا تردى في بئر ولكن تردى في نار جهنم.

و في صحيح البخاري: باسناده عن علي بن أبيطالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وفيه: باسناده عن علي بن أبيطالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغر قد فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد و قعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس،

فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : «ما منكم من أحد ـ أوما من نفس منفوسة ـ الاّ كتب مكانها من الجنة و النار و الاّ قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل ؟ فمن كان منامن أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منامن أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء، فقال : «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة و أما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء ثم قرأه : «فأما من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسنيسّره لليسرى وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى».

و **في تفسير القمي** : باسناده عن أبي الخطاب عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : «فأما من اعطى و اتقى وصدق بالحسنى» قال : بالولاية «فسنيسّره لليسرى» «وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى» قال : بالولاية «فسنيسّره للعسرى»

وفي رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها و بائع نفسه فموبقها»

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ و ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً و يقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً».

وفي رواية : قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «لو أن السموات و الارضين كان على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً»

و **في كنز الفوائد** : عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «والليل إذا يغشى» قال: دولة إبليس إلى يوم القيامة وهو يوم قيام القائم «والنهار إذا تجلى» وهو قائم إذا قام، وقوله: «فأما من اعطى واتقى» : اعطى نفسه الحق و اتقى الباطل، «فسنيسره لليسرى» أي الجنة «وأما من بخل واستغنى» يعني بنفسه عن

الحق واستغنى بالباطل عن الحق «وكذب بالحسنى» بولاية على بن أبيطالب عليه السلام والأئمة من بعده «فسنيسره للعسرى» يعنى النار وأما قوله: «وان علينا للهدى» يعنى ان علياً هوالهدى «وان لنا» له «للاخرة والاولى فأنذرتكم ناراً تلظى» قال: هوالقائم إذا قام بالغضب، فيقتل من ألف تسعمأة وتسعة وتسعين «لا يصلاها إلاّ الاشقى» قال: هوعدوّ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم «وسيجنبها الاتقى» قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته.

وفى قرب الاسناد: باسناده عن أحمدبن محمدبن أبى نصرعن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: قول الله تبارك وتعالى: «ان علينا للهدى» قال: ان الله يهدى من يشاء ويضلّ ما يشاء فقال له: أصلحك الله ان قوماً من أصحابنا يزعمون ان المعرفة مكتسبة، وانهم أن ينظروا من وجه النظر أدركوه فانكر ذلك وقال: ما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم؟ ليس أحد من الناس إلا ويجب أن يكون خيراً ممن هوخيرمنه هؤلاء بنوهاشم، موضعهم موضعهم، وقرابتهم قرابتهم وهم أحق بهذا الأمر منكم افترى انهم لاينظرون لانفسهم؟ وقد عرفتم ولم يعرفوا قال أبوجعفر: لواستطاع الناس لاحبونا.

ولا يخفى على القارىء الخبيران الهداية ـ والمراد بها الايصال إلى المطلوب ـ هى لله عزوجل، فانها من شئون الربوبية وأما الاضلال، والمراد به الاضلال على سبيل المجازاة دون الاضلال الابتدائى الذى لايضاف إلى الله سبحانه فهولله تعالى أيضاً لكونه إمساكاً عن إنزال الرحمة وعدماً للهداية، وإذاكانت الهداية له جل وعلا فالامساك عنه أيضاً منسوب إليه تعالى.

و فى تفسيرالقمى: فى قوله تعالى: «ان علينا للهدى» قال: علينا ان نبين لهم قوله: «فانذرتكم ناراً تلظى» أى تتلهب عليهم.

وفيه: عن عبدالرحمن بن كثيرعن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله: «فأنذرتكم ناراً تلظى لايصليها إلاّ الأشقى الذى كذب وتولى» قال: فى جهنم واد فيه نار

لا يصليها إلاّ الأشقى الذى كذب وتولى » قال: فى جهنم واد فيه نار لايصليها إلاّ الأشقى فلان الذى كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى على وتولّى عن ولايته ثم قال: النيران بعضها دون بعض، فما كان من نار لهـذا الوادى فللنصاب.

أقول : ولعمرى من تدبّر بدون غرض و لا مرض فى تكذيب من كذّب رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر الولاية وفيمن أخذ باشتعال نائرة الاختلاف بين الامة الاسلامية قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و غـدره على مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بعد وفاة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتفكر فى آثار هذا الاشتعال و ذاك الغدر إلى اليوم من الصدّ عن إعلاء كلمة الله جل و علا وتوحيد الكلمة وإنحطاط المسلمين واستثمارهم واستغلالهم بأيدى أعداءهم يجد الرواية صحيحة،ويجد هذا المشتعل وذاك الغدّار مستحقاً ان يدخل الوادى من النيران ويجلد فيه.

وفى تفسير ابن كثير الـدمشقى: عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقوله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يقول: أنذرتكم النار حتى لوأن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامى هذا قال: حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه.

وفيه : من أبى اسحق قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **إن أهون** أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه.

وفيه : عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أهون أهل النار** عذاباً من له نعلان و شراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى ان أحداً أشد منه عذاباً وانه لأهونهم عذاباً».

وفى صحيح البخارى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل امتى تدخل الجنة يوم القيامة إلاّ من أبى، قالوا: من يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى.

وفي رواية : «إرحموا أنفسكم فان الأبدان ضعيفة، والسفر بعيد، والحمل ثقيل، والصراط دقيق، والنار لظى».

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: «لا يصليها إلاّ الأشقى» يعني هذا الذي بخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وسيجنبها الأتقى الذى» قال: أبو الدحداح.

وفيه : وقال الله: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى» قال ليس لاحد عند الله يدعى ربه بما فعله لنفسه وإن جازاه فبفضله يفعل وهو قوله : «إلاّ ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى» أى يرضى عن أمير المؤمنين عليه السلام ويرضى عنه.



﴿ بحث فقهي ﴾

وقداستدل بعض الفقهاء بقوله عز وجل: «وماخلق الذكر و الانثى» الليل: ٣) على حنث من حلف بأنه لم ير اليوم ذكراً ولا انثى، مع أنه رأى خنثى مشكلاً لان الخنثى المشكل و إن كان غير معلوم عنده، ولكنه معلوم عندالله تعالى، فهو إما ذكر وإما انثى عنده جل وعلا.

أقول: وقدثبت عندالمحققين من فقهاء المفسرين، وحكماء المحدثين: ان الأحكام والتكاليف تدور حول ظواهر الامور والأشياء لاعلى واقعها من غير علم به، و سيأتي بعض البيان في ذلك عن قريب.

ومن الآيات التي يستدل بها على الحكم بإباحة مالم توجد حجة عليه بعدالفحص في الشبهة الوجوبية والتحريمية قوله تعالى: «ان علينا للهدى» الليل: ١٢)

ويدل عليها روايات كثيرة واردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين:

منها: مافي الخصال باسناده عن حريز بن عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع عن امتي تسعة: الخطاء و النسيان و ما اكرهوا عليه و مالا يعلمون ومالا يطيقون وما اضطروا إليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق مالم ينطق بشفة.

ومنها: مافي عوالي اللئالي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الناس في سعة مالم يعلموا.

ومنها: مافي الكافي باسناده عن أبي الحسن زكريا بن يحيى عن أبي عبدالله

عليه السلام قال: ماحجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم .

ومنها: مافيه باسناده عن عبدالأعلى بن أعين قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء ؟ قال: لا.

وغيرها من الروايات الواردة في أبوابها .

وقد وردت روايات كثيرة أيضاً على أن الله جل وعلا لايعاقب إلاّ بعد إقامة الحجة كما يدل عليه كثير من الآيات القرآنية .



﴿ بحث مذهبى ﴾

فى تفسير النيسابورى: « إستدل بعض الأشاعرة بقوله:« فسنيسّره للعسرى» على أنه تعالى قد يخلق القبائح فى المكلف، ويقوى دواعيه على فعلها . والمعتزلة عبّروا عن هذا التيسير بالخذلان وعن الأول بمنح الألطاف والتوفيق »

أقول: وقد سبق منا كلام فى معنى الاية الكريمة فى التفسير والتأويل آنفاً مايدفع به زعم الأشاعرة المجبرة من العامة فراجع ، ويدفع أيضاً بنفس الكتاب و السنة كيف لاوقد قال الله عز وجل :« إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧) وقال :« وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون » الاعراف : ٢٨) وغيرهما من الايات الكريمة والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين لسنا بصدد ذكرها فى المقام .

ويستدل بقوله عز وجل: « ان علينا للهدى » الليل: ١٢) على الهداية العامة الالهية الشاملة للخلق كلهم، وعلى أن الله تعالى تكفّل لهذا الانسان هدايته إلى طرق الصلاح والفلاح، والفساد والخسران، وإن كان قد أمره باتباع طرق الخير و النجاح، والحق و الهدى، فعليه جل وعلا أن يهدى قاصد السبيل إطلاقاً غير أن منها جائر نهى عن إتباعها و إن كان قد، أقدر على الاختيار لحكمة التكليف والاختبار رداً على الأشاعرة المجبرة من العامة . فلولا الاختيار لكان الانذار لغواً وهو جل و علا يقول : « فأنذرتكم ناراً تلظى » الليل: ١٤)

وقد استدلت الأشاعرة المجبرة من العامة بقوله سبحانه :« لا يصليها إلاّ الأشقى » الليل : ١٥)

على مذهبهم السخيف في الجبر: بأن الشقي من كتب له الشقاء فلا يستطيع غيره ، كما أن السعيد من كتب له السعادة فلا يستطيع غيرها، ومن ثم أخبر تعالى: ان الأشقى من يدخل النار، وان الأتقى من يجنب عنها .

وقد قال الرازي إمام المشككين ، متفلسف الأشاعرة ، ومتفسّرهم في قوله تعالى:« يوم يأت لا تكلم نفس إلاّ باذنه فمنهم شقي وسعيد» هود: ١٠٥) :

« إعلم أنه تعالى حكم الآن على بعض أهل القيامة بانه سعيد ، و على بعضهم بأنه شقي، ومن حكم الله عليه بحكم و علم منه ذلك الأمر إمتنع كونه بخلافه و إلاّ لزم أن يصير خبر الله تعالى كذباً وعلمه جهلاً وذلك محال فثبت ان السعيد لا ينقلب شقياً وإن الشقي لا ينقلب سعيداً »

وهكذا توهمت الأشاعرة المجبرة: ان العباد مضطرون فيما يزاولون لا رأى لهم، و لا إرادة و لا إختيار، وإنما هم مسيرون وفق ما فرض عليهم وقدر لهم في الأزل .

أقول: وقد جهلت هؤلاء الجهلة : ان الله تعالى يعلم الغيب ـ وعلمه بأن زيداً يدخل الجنة أو النار ـ ليس معناه انه يدخلها بغير عمل يستحقها به بحسب وعده و حكمته، ولا انه لا فرق فيما يعمله في الجزاء، وإنما يعلم الله عز وجل المستقبل كله بجميع أجزائه وأطرافه، ومنه عمل العاملين وما يترتب على كل عمل من الجزاء بحسب وعده ووعيده في كتابه المنزل و كتابته للمقادير ولا تناقض و لا تعارض بينهما ، و نحن لا نعلم الغيب ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علّمنا ما نعلم به ما سيكون في الجملة ، وهو «ان الجزاء بالعمل» وان كل إنسان ميسّر له ومسهل عليه ما خلقه الله تعالى لأجله من سعادة الجنة وشقاوة النار، وان ما وهبه للانسان من العزم والارادة يكون له من التأثير في تربية النفس ما يوجهها به إلى ما يعتقد ان فيه سعادته . مضافاً إلى أن العلم بموت زيد عند التردّي عن الشاهق لا يكون علة لموته ، وان معنى القضاء والقدر هو

علمه جل وعلا بمقادير الاشياء وإمضائه الوجود وفقها من غير أن يكون علمه تعالى علة في التأثير .

فالسعادة والشقاء من عمل العباد أنفسهم ، وانهم بالعمل يسعدون أو يشقون ، فراجع إلى بحث السعادة والشقاء في هذا التفسير واغتنم .

ومعنى قوله تعالى: « لا يصلاها إلاّ الأشقى » الليل: ١٥) أي إلاّ الخبيث المحروم الممنوع من فيض رحمة الله عز و جل بسبب خطيئاته المتراكمة المحيطة به كل جانب بسوء إختياره .

وفي المجمع: « قال القاضي : قوله: « لا يصلاها إلاّ الأشقى الذى كذب وتولى » لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار إلاّ الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لأنه نكّر النار المذكورة ولم يعرفها، فالمراد بذلك ان ناراً من جملة النيران لا يصلاها إلاّ من هذه حاله و النيران دركات على بيّنه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين ، فمن أين عرف ان غير هذه النار لا يصلاها قوم آخرون وبعد فان الظاهر من الآية يوجب أن لا يدخل النار إلاّ من كذب وتولى، وجمع بين الأمرين فلابد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات وإن لم يكذب » إنتهى كلامه .

أقول: إن في الآيات: « فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلاّ الأشقى الذى كذّب وتولى و سيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى » الليل : ١٤- ١٨) رداً على منكري الحسن و القبح العقليين من العامة الذين زعموا : ان لا حسن و لا قبح عقليين ، وأن يجوز لله سبحانه أن يدخل الانبياء والمرسلين والأوصياء والمؤمنين في نار الجحيم ، وأن يدخل فراعنة الأزمان وطواغيت الأعصار في جنات النعيم .

وتشبثت المشبهة و من على شاكلتهم من حشوية و أشاعرة من العامة بقوله جل وعلا: « إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى » الليل: ٢٠) على مذهبهم السخيف بأن لله سبحانه يداً ورجلاً وساقاً ووجهاً وعيناً وغيرها من أعضاء و جوارح ...

أقول: و هذا مردود بنفس القرآن الكريم و الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين و العقل السليم إذ تثبت غنى الله جل و علا الذاتى فى جميع شؤونه. و إستغنائه عن الاستعانة بشىء على الاطلاق، و ان الجوارح و الأعضاء تثبت الحاجة لذويها، و الحاجة مطلقاً صفة الممكن بالذات، والله عز جل واجب الوجود بالذات.

و لقد سبق منا البحث مستقصى، حول معانى الوجه فى هذا التفسير فراجع، و أما الوجه هيهنا فبمعنى التقرب والزلفى عند الله جل وعلا.



﴿ حول خلق الليل والنهار ﴾

قال الله عزوجل: «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى» الليل: ١-٢)

وقال: «وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون» الانبياء : ٣٣)

فى العلل : - فى خبر يزيد بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مسائل منها - : فقال : « فأخبرنى ! لم سمى الليل ليلا ؟ قال : لأنه يلايل الرجال من النساء ، جعله الله عزوجل الفة و لباساً ، و ذلك قول الله عزوجل : «وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً» قال : صدقت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : ان الليل هو من ذهاب الحمرة المشرقية من فوق الرؤوس إلى طلوع الفجر الصادق، والنهار هو العكس، وأما سبب تعاقب الليل والنهار فهو دوران الأرض حول الشمس ، فبسبب كرويتها لا تضيىء الشمس سائر جهاتها فى آن واحد، بل تضيىء نصفها فقط ، و يبقى النصف الآخر مظلماً حتى يحاذى الشمس بدوران الأرض، فيأخذ حظه من الاستنارة، وتتم الارض هذه الدورة فى اربعة و عشرين ساعة تقريباً.

وذلك ان من الحركات المختلفة للأرض حركة محورية على منطقة الاستواء وهى فى حيزها وموضعها، ولذلك تسمى بالحركة الوضعية والاستوائية ، و يتم

دورها فى (٢٣) ساعة و (٥٨) دقيقة و (٤٩) ثانية يحصل منها الليل والنهار وتتولد من تركب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية، الحركة اليومية، فيتمّ الدور فى (٢٤) ساعة.

و هذا بتقدير الله عز وجل إذ قال : « و الله يقدّر الليل و النهار » المزمل:٢٠)

فى الصحيفة السجادية : قال الامام الرابع سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليه‌السلام - فى دعائه صباحاً ومساء -: « الحمد لله الذى خلق الليل والنهار بقوّته ، وميّز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً ، و أمداً ممدوداً، يولج كل واحد منهما فى صاحبه ، و يولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به و ينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب، و جعله لباساً ليلبسوا من راحته و منامه، فيكون ذلك لهم جماماً و قوّة ، و لينالوا به لذّة و شهوة ، و خلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله ، و ليتسبّبوا إلى رزقه ، و يسرحوا فى أرضه ، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم و درك الآجل فى اخراهم ، بكل ذلك يصلح شأنهم و يبلو أخبارهم ، و ينظر كيف هم فى أوقات طاعته و منازل فروضه و مواقع أحكامه ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى...» الدعاء.

قوله عليه‌السلام : «خلق الليل والنهار بقوته» الخلق بمعنى التقدير والايجاد ، وخلقه تعالى الليل والنهار ، خلقه جل وعلا الشمس مضيئة غاية الاضاءة بحيث يغلب نورها نور سائر الكواكب، وخلق الهواء مظلماً فى نفسه قابلاً للاضاءة ، و خلق الأرض كثيفة قابلة للاضاءة بحيث تنعكس منها الأشعة، وجعل الشمس متحركة حول الارض باعتبار، والارض متحركة حولها تارة، فبطلوع الشمس أو ظهور علامتها البينة يحصل النهار وبغروبها و ذهاب حمرتها المشرقية يحصل الليل.

وتقديم الليل على النهار إما لتقدمه عليه شرعاً وعرفاً.

وإما لتقدم الظلمة على النور لكونها عدمية أوشبيهة بالعدم: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» البقرة: ٢٥٧) «الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور» الانعام: ١) و «هل تستوي الظلمات و النور» الرعد: ١٦) وغيرها من الايات الكريمة في ذكر الظلمات و النور، و إما للتأسي بالقرآن الكريم في أكثر مواضعه في ذكر الليل والنهار.

وفي الكافي: باسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ان المغيرة يزعمون ان هذا اليوم لهذه الليلة المستقبلة؟ فقال: «كذبوا هذا اليوم لليلة الماضية إن أهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قال: قد دخل الشهر الحرام».

أقول: ان المغيرية هم أتباع المغيرة بن البجلي وهو من المذمومين و المطعونين والكذابين على أبي جعفر عليه السلام وقوله عليه السلام: «أهل بطن نخلة» النخلة بين مكة والطائف.

وفي دعاء السمات: - «وبحكمتك التي صنعت بها العجائب وخلقت بها الظلمة وجعلتها ليلاً وجعلت الليل سكناً وخلقت بها النور وجعلته نهاراً وجعلت النهار نشوراً مبصراً...» الدعاء.

و قوله عليه السلام: «و ميز بينهما بقدرته» أي جعل كل واحد منهما ممتازاً عن الآخر من حيث الصورة و من حيث الخواص و الآثار... أو لان الله تعالى لما قدّر لكل يوم و ليلة من أيام السنة و لياليها في كل بقعة من بقاع الارض زماناً معيناً لا يزيد ولا ينقص أبداً، فلايدخل أحدهما في الآخر بأن يدخل الليل في النهار قبل تمامه، وبالعكس فيمتاز كل واحد منهما عن الآخر أي لايختلط أحدهما بالآخر.

كما قال الله عزوجل: «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق

النهار و كل في فلك يسبحون» يس: ٤٠)

و قوله عليه السلام: «وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً وأمداً ممدوداً»

حدّ الشيء: منقطعه ومنتهاه، والحدّ: الحاجز بين الشيئين، والمحدود: المعين أوالمميز عن غيره، والأمد يطلق على الغاية وعلى الزمان الممتد، والممدود: المبسوط الممتدّ.

وقوله عليه السلام: «يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه» مأخوذ من قوله تعالى: «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» الحديد: ٦)

الايلاج هو: زيادة كل واحد منهما ونقصان الآخر، وذلك ان الله عزوجل يزيد من جزء من الليل على النهار، ويزيد من جزء من النهار على الليل، فيدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس إذ يدخل نهار النصف الاول من السنة في لياليها، ويدخل ليالي النصف الثاني في نهارها مع إدخال ليالي النصف الاول في نهارها، و إدخال نهار النصف الثاني في لياليها...

و ذلك في الافق المقابلة لانه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار وبالعكس، و لهذا تكرر الايلاج، فالليل الذي يلج عندنا في النهار هو بعينه نهار ثمة يلج في الليل، وان البقاع الجنوبية أمرها على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير إعتبار كل يوم وليلة بعينه، وبعبارة اخرى ان كل ساعة عيّنتها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي افق ثالث عصر، وفي رابع مغرب، وفي خامس عشاء، وان كل بلد تكون عرضه الشمالي أكثر كانت أيامه الصيفية أطول، ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالعكس، فهذه الاحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب إختلاف أطوال البلدان و عروضها أمر مختلف عجيب.

و قوله عليه السلام: «بتقدير منه للعباد» الباء سببية، و التنكير للتفخيم، قال الله تعالى: «والله يقدّر الليل والنهار» المزمل: ٢٠)

وقال: «وسخر لكم الليل والنهار» إبراهيم: ٣٣)

وقال: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غيرالله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غيرالله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» القصص: ٧١ـ٧٣)

و قوله عليه السلام: «فيما يغذوهم به» الظرف متعلق بـ «تقدير» والمعنى: ان الله تعالى جعل الخلق و التميز والايلاج لتقدير عظيم فى الشيء الذى يغذوهم به، وذلك لان تعاقب الليل والنهار وإختلاف الفصول مماله دخل عظيم فى حصول الأغذية للعباد.

قال الله عزوجل: «يقلّب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لاولى الابصار» النور: ٤٤)

و قـوله عليه السلام: «وينشئهم عليه» عطف على «يغذوهم» أى له دخل فى نشئوهم ونموّهم، و «فخلق لهم الليل» الفاء للترتيب الذكرى على سبيل عطف المفصل على المجمل.

و قـوله عليه السلام: «ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب» الاضافتان من إضافة السبب إلى المسبب أى من فوائد الليل أن يسكنوا أى يستقرّوا و يستريحوا من الحركات الواقعة فى النهار لتحصيل المعاش و غيره الموجبة للتعجب و النهضات ـ بالتحريك ـ جمع نهضة ـ بسكون الهاء ـ و هى المرّة من نهض: قام أى القيامات للامور الشاقة و الترددات البدنية و الأشغال القلبية الواقعة فى النهار التى هى سبب النصب ـ بالتحريك ـ أى الاعباء و العجز، وقوله عليه السلام هذا إشارة إلى قوله عزوجل: «وجعل الليل سكناً» الانعام: ٩٦) و قوله: «ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ان فى ذلك لآيات لقوم

يؤمنون» النمل: ٨٦)

و قوله عليه السلام: «وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه» وهذا إشارة الى قوله عزوجل: «وجعلنا الليل لباساً» النباء: ١٠) و ذلك ان الله تعالى لما جعل الليل سبباً لان يلبس العباد لباس الراحة والنوم، فكأنه لباس وشبّه الراحة و المنام - وهو مصدر ميمى بمعنى النوم - باللباس من حيث ان كل واحد منهما يغشاهم ويشتمل عليهم كاللباس كقوله تعالى: «فأذا قها الله لباس الجوع والخوف» النحل: ١١٢) و إضافة الراحة و المنام إلى ضمير الليل للاختصاص بمعنى اللام أى الراحة و المنام المختصين بالليل، و الظاهر ان «من» فى قوله عليه السلام: «من راحته» للتبعيض لبيان انه عزوجل لم يخلق الليل ليصرفوا جميعه فى الاستراحة و المنام بل ليستريحوا فى بعضه، و يعبدوا الله عزوجل فى بعضه: «و من آياته منامكم بالليل والنهار و ابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون» الروم: ٢٣)

و قوله عليه السلام: «فيكون ذلك لهم جماماً وقوة» عطف على «يلبسوا» والتفريع بالفاء لبيان ان لبس الراحة والمنام سبب للجمام والقوة و الجمام - بالفتح -: الراحة بعد التعب، وقوله عليه السلام: «ولينالوا به» أى يصيبوا بلبس لباس الراحة و «لذة» وهى إدراك الملائم من حيث انه ملائم، و «شهوة» مما يشتهون أى ليصيبوا بسبب ذلك مايلتذّون به، ويشتهون إليه أوليصيبوا بذلك لذة النوم وشهوة الجماع، وإن كان التعميم غير بعيد.

و قوله عليه السلام «وليتسببوا إلى رزقه» أى ليتوصلوا ويطلبوا سبباً من الاسباب المعهودة المشروعة إلى تحصيل رزقه أوليصيروا سبباً وواسطة فى تحصيل الرزق كما قال فى مقام آخر: «تسبّبت بلطفك الاسباب».

وقوله عليه السلام: «وينظر كيف هم فى أوقات طاعته» أى كيف يصنعون فى أوقات العبادات هل يطيعون أويعصون «ومنازل فروضه» أى أوقات الفرائض و

الطاعات...

وفي توحيد المفضل : قال الامام الصادق عليه السلام للمفضل ـ: « فكّر يامفضّل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ـ يعني في معظم المعمورة وإلاّ ففي البلاد القطبية يطول النهار إلى ستة أشهر ـ أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مأة ساعة أو مأتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات ؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذا المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤدّيها إلى التلف ، وأما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار و وهج الشمس حتى يجفّ و يحترق ، و كذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة و التصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً ، و تخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن و يفسد كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس .

إعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم ، ويتصرّف فان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح، ثم هما بعد دبّاغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها، فانه لو لا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت، فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل، فانك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء ، و الآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجاة لاضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها كما أن أحد كم لو خرج من حمّام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك وأسقم بدنه، فلم جعل الله عزوجل هذا الترسّل في الحر والبرد إلاّ للسلامة من ضرر المفاجأة ؟ ولم جرى

الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لو لا التدبير فى ذلك ؟ فان زعم زاعم ان هذا الترسّل فى دخول الحر و البرد إنما يكون لابطاء مسيرة الشمس فى الارتفاع و الانحطاط سئل عن العلة فى إبطاء مسير الشمس فى إرتفاعها و إنحطاطها ، ان اعتلّ فى الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة فى ذلك، فلاتزال هذه المسئلة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول، حتى استقر على العمد والتدبير .

لو لا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكّه بها رطبة ويابسة، ولو لا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذى يتّسع للقوت وما يرد فى الأرض للبذر ، أفلا ترى ما فى الحر و البرد من عظيم الغناء و المنفعة ، و كلاهما مع غنائه و المنفعة فيه يؤلم الأبدان و يمضّها وفى ذلك عبرة لمن فكّر ودلالة على أنه من تدبير الحكيم فى مصلحة العالم وما فيه».

قوله عليه السلام : «أخوت» من خوّت الابل تخوية: خمصت بطونها وخلت، و «انتكثت»: أى هزلت، و «الترسل» : الرفق والتؤدة ، و «ببعد ما بين المشرقين» كناية عن عظم الدائرة التى يقطع عليها البروج أومشرق الصيف و الشتاء ، و «الجاسية» : الصلبة، و «حتى يتفكه بها» أى يتمتع بها، و«الريع» : النماء والزيادة، و «يمضّها»: يوجعها.

وفى الدر المنثور : عن عبدالله بن مغفّل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«ان عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا معشر الحواريين الصلاة جامعة، فخرج الحواريون فى هيئة العبادة قد تضمّرت البطون و غارت العيون واصفرّت الألوان، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الارض، فقام على رأس جرثومة فحمد الله وأثنى عليه، ثم أنشأ يتلو عليهم من آيات الله و حكمته، فقال: يا معشر الحواريين إسمعوا ما أقول لكم :

إني لأجد في كتاب الله المنزل الذى أنزله الله في الانجيل أشياء معلومة فاعملوا بها قالوا: يا روح الله وما هى ؟ قال : خلق الليل لثلاث خصال وخلق النهار لسبع خصال، فمن مضى عليه الليل والنهار وهوفى غيرهذه الخصال خاصمه الليل والنهاريوم القيامة فخصماه: خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التى أتعبتها في نهارك ، وتستغفر لذنبك الذى كسبته في النهارثم لا تعود فيه، وتقنت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام وثلث تقوم وثلث تضرع إلى ربك ، فهذا ما خلق له الليل.

وخلق النهار لتؤدّى فيه الصلاة المفروضة التى عنها تسئل و بها تخاطب (تحاسب خ) و تبرّ والديك ، وأن تضرب في الارض تبتغى المعيشة : معيشة يومك ، و أن تعودوا فيه و لياً لله كيما يتغمّدكم الله برحمته ، و أن تشيّعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفوراً لكم ، و أن تأمروا بمعروف و أن تنهوا عن منكر ، فهو ذروة الايمان و قوام الدين ، و أن تجاهدوا في سبيل الله تزاحموا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في قبّته ، و من مضى عليه الليل و النهار و هو في غير هذه الخصال خاصمه الليل و النهار يوم القيامة، فخصماه عند مليك مقتدر ».

و ما يناسب المقام كلمات قصارعن مولى الموحدين إمام المتقين أمير- المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشيرإلى نبذة منها:

١- قال الامام على بن أبيطالب عليه السلام : « إن الليل و النهار مسرعان في هدم الأعمار ».

٢- وقال عليه السلام : «إن غائباً يحدوه الجديد ان الليل و النهارلحرىّ بسرعة الأوبة ».

٣- وقال عليه السلام : «ان من كان مطيّته الليل والنهارفانه يسار به و إن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً ».

٤ـ وقال عليه السلام: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ويأخذ ان منك فخذ منهما».

٥ـ وقال عليه السلام: «كرور الليل والنهار مكمن الآفات ودواعي الشتات».

٦ـ وقال عليه السلام: «من عطف عليه الليل والنهار أبلياه».

٧ـ وقال عليه السلام: «من عكف عليه الليل والنهار فقد أدّباه وأبلياه وإلى المنايا أدنياه».

٨ـ وقال عليه السلام: «من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد».

وأما الروايات الواردة حول الليل والنهار في شئوون حياة الانسان فكثيرة لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

١ـ في روايـة: جاء جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد! عش ماشئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه، و اعمل ماشئت فانك مجزيّ به، واعلم: ان شرف المؤمن قيامه بالليل وعزّه استغناؤه عن الناس.

٢ـ في رواية: ان الله تعالى يرسل ملكاً ينزل في كل ليلة ينادي! يا أبناء العشرين جدّوا واجتهدوا، ويا أبناء الثلاثين لا تغرّنّكم الحياة الدنيا ويا أبناء الأربعين ما أعددتم للقاء ربكم، ويا أبناء الخمسين أتاكم النذير، ويا أبناء الستين زرع آن حصاده، ويا أبناء السبعين نودي لكم فاجيبوه، ويا أبنا الثمانين أتتكم الساعة وأنتم غافلون، لولا عباد ركّع، ورجال خشع، وصبيان رضّع، وأنعام رتّع لصبّب عليكم العذاب صباً.

٣ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالله بن الحسين بن زيد عن أبيه عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله كره لكم أربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها، فقال: و كره النوم قبل العشاء الآخرة و كره الحديث بعد العشاء الآخرة، و كره النوم فوق سطح ليس بمحجّر و قال: من نام على سطح غير محجّر فبرئت منه الذمة، و كره أن ينام الرجل في بيت وحده.

٤- في الخصال باسناده عن السكوني عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا سهر إلاّ في ثلاث: متهجّد بالقرآن، وفي طلب العلم أو عروس تهدى إلى زوجها.

٥- وفيه باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خمسة لا ينامون: الهام بدم يسفكه، وذو المال الكثير لا أمين له، والقائل في الناس الزور والبهتان عن غرض من الدنيا يناله، والمأخوذ بالمال الكثير ولا مال له، والمحبّ حبيباً يتوقّع فراقه.

٦- وفيه باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا سهر بعد العشاء الآخرة إلا لأحد رجلين: مصلّ أو مسافر.



﴿شبهات حول حدوث الليل و النهار و دفعها﴾

واعلم أن للماديين الجهلة، و أذنابهم السفلة في المقام شبهات نشير إلى أهمها ودفعها على طريق السؤال و الجواب :

١- يسئل المادّي : ان التغيّر هو الظاهرة الاولى من آيات حدوث المادة فأين دلالة الزمان ، فان لنا أن نفرض اللانهاية و اللابداية في الزمان ! ؟ .

تجيب عنه : ومن الضرورة التي لا يستطيع أحد إنكارها : ان فرض اللانهاية في الزمان يناقض، حيث ان آناته محدودة حادثة، وان حدوث الافراد و حدودها تجري في المجموع لانه يزيد و لا ينقص عن الافراد حدوداً وحدوثاً .

٢- يسئل المادّي: ان الزمان - الليل و النهار - حدث في الكون منذ حركة الارض، و كلّنا نعلم: أن الحركة حدثت في الأرض ، فقد كانت الارض و السماء و كانت المادة إطلاقاً، دون الحركات المنتزع عنها الليل و النهار فلم يكن من قبل ليل، ولا نهار إذاً فحدوث الزمان لا يستدعي حدوث الكون المعروض للزمان؟ .

تجيب عنه :ومن البديهي ان الزمان ليس إلاّ إنتزاعاً عن فواصل الأكوان، وظاهرة من تغيّر و حراك المادة إذاً فلا يخص الارض لحراكها الخاص - ولا يخص الليل و النهار - وإن كان من أظهر مصاديقه التي يعرفها العرف البسيط ، فلولا التغير والحراك في المادة لم يكن هناك زمان حيث لا تصرم و لا انقضاء و ليس الزمان مما يستقلّ دون المادة ولا المادة مما تتخلص عن الزمان لانها متحركة متغيّرة دون أية وقفة فيهما .

وهذا هو السّر في مقالتنا الالهيين: ان الاله السجرد ليس له عمر و لازمان إلاّ السرمدية اللازمانية حيث لاحراك ولاتغيّر ولاتصرّم في ذاته.

فكل حركة مصدر لزمان يناسبها: إن كانت حركة الارض فزمان الليل و النهار أو حركات الجزئيات والذرات و أجزائها الداخلية التي يعبّر عنها بالحركة الجوهرية الماهوية، و إن اختلفت المقادير حسب مختلف المقائيس، فالسنة الالكترونية تعال $\frac{١}{٥٠/٠٠٠}$ ثانية من الثواني الأرضية، حيث يدور الالكترون حول مركزه البروتوني ٥٠/٠٠٠ مرة في كل ثانية أرضية.

٣- يقول المادي: لو سلم: ان الزمان من لوازم المادة - مهما كانت - فما هي الملازمة بين حدوث الزمان و حدوث المادة؟

تقول: أوليس الزمان آنات متلاحقة دون ثبات على أيّة حال؟ إذاً فهو بكافة أجزائه حادث - فان كيانه الوجود بعد الانعدام - وجود الآن اللاحق بعد السابق.

إذ ذاك فملازمة المادة للزمان دون تحلل عنها هذه تحكم بحدوث المادة قضية انهما توأمان: يرتضعان من ثدى واحد كالتالي:

« المادة = الزمان = الحدوث »

فالمساوات الثلاثية - هكذا - لامحيد عنها.

فلنفرض: ان الزمان حدث في المادة بعد الأزل - رغم إستحالته - لما سلف من إستحالة عروض الحوادث على ذات الأزلي نفرض: انه حدث بعد الأزل، فقد صارت زمانية فمحدودة في العمر بالبيان التالي:

نفرض: ان الزمان حدث في المادة قبل مليارد سنة - أوليس عمر المادة إذاً الأزلية مضافاً إلى المليارد؟

إذ ذاك فهل ان عمر المادة قبل المليارد يساوى عمرها الحالي؟ أم ينقص عنه بمليارد؟

ولنا بحث طويل جيد في الزمان في هذا التفسير فراجع واغتنم جداً.

٤- يقول المادى: ان من البديهى انه ينقص مليارداً واحداً، وقد زاد المليارد على عمرها الأزلى- وستزيدها الأزمنة المستقبلة؟

تقول: إذاً فلا أزلية للمادة، وإن كان قبل المليارد حالة الأزلية المقترحة المزعومة، لان الأزلية لاتقبل الزيادة والنقصان، وكيف تقبلهما وهى اللامحدودية المطلقة: اللاأولية واللاآخرية واللاحركة و اللاتغيّر فاللازمان.

ومن البديهى: انه لايحكم بالزيادة والنقصان فى شىء إلا أن يزاد عليه أو ينقص عنه ماهو من سنخه وجنسه، فالازلية المزعومة فى المادة قبل حدوث المادة هى مثل ما اضيف إليها من الزمان، وإن اختلق لها إسم يختلف عن الزمان فعمر المادة زمان إطلاقاً سواء أكان فى الازلية المزعومة أو بعدها.

مثالاً على ذلك: اننا نستطيع أن نضيف الثوانى إلى السنين و القرون أو أن ننقصها عنها قضية المشاركة فى ماهية الزمان بينهما رغم إختلاف الاسم، ولكننا لا نستطيع أن نضيف درجات الحرارة أو الأمتار و الكيلومترات على القرون والسنين كأن يقال: قد مضى من عمر العالم (٥) بليارد سنة و كيلومتر أو إلاّ كيلومتر أو ماة درجة سانتيغراد أو إلاّ الماة، والسّر فى ذلك كله وجود السنخية هناك وعدمها هنا

٥- يسئل المادى: ماهى دلالة الحركة على حدوث المادة حال أن المادة قد تسكن دون حراك، وإن كانت دائمة التغير و الزمان؟

تجيب عنه: ان الحركة فى المادة هى الاصل المنتزع منه الزمان والحادث عنه مختلف الاشكال والتغيرات، فالحركة مع وليديها توأمات ثلاث مندغمة فى جوهر ذات المادة و كيانها، ولا نعنى من الحركة: الطولية المحسوسة فحسب فانها أبسط مراتب الحركة وأظهرها، بل والحركة الجوهرية الشاملة لحركات الجزئيات فى مختلف العناصر و حركات الذرات بمجموعاتها فى الجزئيات و بأجزائها الداخلية كحركة الالكترون الدورانية حول شمسه البروتونى ٥٠,٠٠٠ مرة كل ثانية.

فقد تتحلل المادة عن الحركات الطولية أو الجزئية المولّدة للحرارة بأن يبرد الجسم في ٤٧٠/ درجة تحت الصفر برودة مطلقة و لكنها لن تسكن عن الحركات الداخلية الذرية ، و لا عن حركات الذرات أنفسها و لا الحركة الجوهرية المغيرة للمادة و السائرة بها نحو الكمال أو النقص ، فلا تجد مادة ما تسكن عن الحركة الجوهرية أو و بالأحرى عن الحركة الذرية الداخلية .

و بالجملة : ان الحركة كيان المادة و ماهيتها دون أن تستطيع التحلل عنها على أيّة حال ، و هذا إجماع من علماء الطبيعة حتى اليوم : ان وقفة المادة عن الحراك إطلاقاً إنما هي وقفتها عن الوجود و إنعدامها إطلاقاً .

قال الله عز و جل : « إذا الشمس كوّرت و إذا النجوم انكدرت و إذا الجبال سيّرت و إذا العشار عطلت و إذا الوحوش حشرت و إذا البحار سجّرت و إذا النفوس زوّجت ـ و إذا السماء كشطت » التكوير : ١ ـ ١١)

و قد يقال : ان المادة ملازمة للحركة دون فكاك .

و قد يقال : انها نفس الحركة لا حقيقة لها إلا الحركة الداخلية الذرية كما يقول انيشتاين : « المادة هي الحركة و الحركة هي المادة بعينها » لا يعني الحركة المصدرية ـ بل حقيقة الحركة و واقعها في داخل الذرات المتحصلة عنها الطاقات ..

فنرجع إلى ما كنا فيه فنقول : ان الليل و النهار نتيجتا حركات الارض : الوضعية و الانتقالية بشروق الشمس عليها و غروبها ، و اننا و إن لم نشاهد حدوثهما إن حدثا إلا أن حاضرهما يخبرنا عن غابرهما : بالحدوث إطلاقاً ، فان أحدهما يأتي تلو صاحبه بعد إنعدامه ثم صاحبه بعده و هكذا دون أن يجتمعا معاً في افق واحد و لا في حالة واحدة ، و الحدوث بعد العدم ، و الانعدام آية الحدوث بل نفسه .

كما اننا لا نتمكن من العلم بحدوث المادة أو أزليتها ـ بادراك أحدهما ذاتياً ـ إذ لم نكن من الأزل لكي ندرك أزليتها ، و لا حين الحدوث لكي ندرك حدوثها ، إذاً فلا سبيل لنا إلى إستنباط أحد الأمرين في المادة إلا من آثارها و خواصها ـ و كافة

الخواص والآثار المادية تصبح عسكراً عظيماً تقذف خرافة أزلية المادة بالمد - فعيات الجبابرة إذ نجد كافة آثار الحدوث والفقر و الحاجة والمحدودية في المادة مهماكانت إذاً. فليكن الليل و النهار حادثين في غابر الزمان كمافي حاضره - دون أزلية على أيّة حال، واللانهاية المزعومة في سلسلة الليل و النهار محكومة بحدوث أفراد السلسلة، وإلاّ أصبح اجتماع المحدود واللامحدود هنا: «إجتماع النقيضين» فرضاً لزاماً. وللبحث ذيل طويل، فراجع إلى بحث أزلية المادة و حدوثها في هذا التفسير .



« اختلاف الليل و النهار »

قال الله تعالى: « وهو الذي يحيي و يميت وله اختلاف الليل و النهار أفلا تعقلون» المؤمنون: ٨٠)

وقال: « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و سخّر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى » لقمان : ٢٩)

واعلم أن إختلاف الليل و النهار هو النقيصة والزيادة والطول والقصر العار- ضين لهما من إجتماع عاملين من العوامل الطبيعية، وهي الحركة اليومية التي للأرض على مركزها ، وهي ترسم الليل والنهار بمواجهة نصف الكرة و أزيد بقليل دائماً مع الشمس، فتكتسب النور و تمصّ الحرارة ، ويسمى النهار و إستتار الشمس عن النصف الآخر وأنقص بقليل ، فيدخل تحت الظل المخروطي و تبقى مظلماً و تسمى الليل، ولايزالان يدوران حول الأرض .

و العامل الآخر ميل سطح الدائرة الاستوائية أو المعدّل عن سطح المدار الأرضي في الحركة الانتقالية إلى الشمال والجنوب، وهو الذي يوجب ميل الشمس والنهار في منطقة خط الاستواء وفي القطبين .

أما القطبان فلهمافي كل سنة شمسية تامة يوم و ليلة واحدة كل منهما يعدل نصف السنة والليل في قطب الشمال نهار في قطب الجنوب و بالعكس ، وأما النقطة الاستوائية فلهافي كل سنة شمسية ثلاثمأة وخمس وستون ليلاً ونهاراً تقريباً. وان

الليل والنهار فيها متساويان. وأمابقية المناطق فيختلف النهار والليل فيها عدداً ، وفي الطول والقصر بحسب القرب من النقطة الاستوائية ، ومن القطبين و هذا الا-ختلاف لحكمته و مصلحته عز وجل هو الموجب لاختلاف ورود الضوء والحرارة وحدوث التراكيب الأرضية و التحولات في كينونتها ممايتنفع باختلافها الانسان إنتفاعات متنوعة ...

قال الله عز وجل :« ان في اختلاف الليل و النهار و ماخلق الله في السموات و الارض لآيات لقوم يتقون » يونس : ٦)

وقد ثبت عندالهيويين : ان بعض الكرات يدور على حوله كالارض ، وبعضها لايدور على حول نفسه ، بل يدور على حول كرة اخرى كالقمر فلو دارت الأرض كالقمر لم يقع تمام وجهها مقابلاً للشمس وكان أحدطرفها مواجهاً للشمس ،وكان هذا الطرف دائماً حاراً ويحترق كل مافي هذا الوجه و كان طرفها الآخر ظلمانياً و بارداً لايكون فيه حيوان ولانبات ولاإنسان .

فسبحان الذي أدار الارض بحولها نشأ بهذا الدور الليل و النهار وجعل الليل «خلفة» متعاقباً للنهار و العكس ليعيش في جميع الارض مخلوقاته ...

قال الله عز و جل : « و هو الذي جعل الليل و النهار خلفة » الفر-قان : ٦٢)

وقد ثبت عندأصحاب الهيئة: ان إختلاف الليل و النهار ظاهر خفي : ظاهر للعقلاء، خفيّ عن أنظار الغافلين ، يختلف الليل والنهار باختلاف الطول و العرض ،وذلك ان الشمس في شروقها وغروبها تأتي على الأماكن الشرقية قبل الغربية و هناك يكون الاختلاف العجيب، فاذا أشرقت أوغربت على الأقطار المصرية أو لأمثلاً، فانها تفعل ذلك بعدها ببلاد مراكش ، فبحر الظلمات فآمريكا ، فالأقطار الشرقية كالهند و الصين و هكذا، ولكل دائرة(٣٦٠) درجة تقسم باعتبارها و للأرض درجات طول و درجات عرض، فدرجات الطول هي المشرقة المغربة ، و درجات العرض

تعتبر من خط الاستواء إلى القطبين .

ثم ان خط الاستواء الذى يقسم الكرة بقسمين متساويين جنوبى و شمالى تقطعه دائرة وسط فلك البروج وهى دائرة عظمى سائلة على خط الاستواء بثلاث و عشرين درجة و نصف، و هذه الدائرة تمتد إلى دائرتين متوازيتين موضوع كل منهما على البعد بثلاث وعشرين درجة و نصف عن دائرة الاستواء و تسميان المدارين ،وهناك دائرتان قطبيتان تبعدان عن القطبين بثلاث و عشرين درجة ونصف ، و بهذه الدوائر تنقسم الارض إلى خمس مناطق :

منطقة شديدة الحرارة ، و منطقتان معتدلتان ، و منطقتان شديدتا البرودة فالحارة هى التى بين المدارين : مدار السرطان ومدار الجدى ، و هؤلاء يسمون أرباب الظلين لان الشمس تارة تكون شمالهم كاولئك الذين فى السودان المصرى، فيكون ظلهم إذذاك جنوبياً، وتارة تكون جنوبهم وراء خط الاستواء. فيكون ظلهم شمالياً، والمنطقتان المعتدلتان هما مابين الدائرة القطبية الجنوبية ، ومدار الجدى جنوباً و مابين دائرة القطب الشمالى، و مابين دائرة السرطان شمالاً ، وهؤلاء لا تكون الشمس فوق رؤوسهم ألبتة فيسمّى هؤلاء أرباب إختلاف الظل لأن أرباب المنطقة المعتدلة الشمالية يرون الشمس فى الجنوب كأهل مصر وتونس ومراكش وأهل أوروبا وأرباب المنطقة المعتدلة الجنوبية كبلاد الرأس التابعة للانجليز وما والاها من البلدان يرون الشمس فى الشمال أبداً .

فأما أرباب المنطقتين فيسميان أرباب الظل الدوّار و حركة الشمس عندهم كدوران الرحا و الظلّ فى زمن صيفهم يدور حولهم.

والمهمّ فى هذا المقام أن نشير الى مافى اختلاف الليل والنهار من قدرة الخالق المتعال و عظمته وعلمه و تدبيره و حكمته : انك إذا نظرت إلى حركة الشمس الظاهرية من المشرق إلى المغرب ألفيت ماكان صبحاً عند قوم هو نفسه ظهراً عند قوم آخرين ، وعصراً عند قوم ومغرباً عند قوم وعشاء عند قوم ، ونصف ليل عند أقوام

آخرين، فالشمس فى كل لحظة فى غروب وشروق وزوال وضحى ، ونصف ليل، فاليوم بأكمله موجود أبداً، وهذا يعرف بأدنى تأمل عند من درس قليلاً من مبادىء علم الجغرافيا أوعلم الهيئة .

وإذا نظرنا إلى حركة الشمس السنوية بحسب الظاهر و هى تنقلها فى البروج وأنها تبعد تارة وتقرب اخرى منا، فانها تعطى أياماً على طول السنة مختلفة باختلاف الاقطار فأقصر الأيام قد يكون ساعة أوأقل، وأطول الأيام يكون نصف سنة، وأعدل الأيام ١٢ ساعة، فالاعتدال فى الأيام خط الاستواء وأطول الأيام فى المنطقتين القطبيتين ،فالليل عند هولاء ستة أشهر والنهار ستة أشهر، وبعبارة اخرى : السنة يوم وليلة ، فهى ستة أشهر مظلمة، وستة أشهر مضيئة ، فأما الأيام فيما بين خط الاستواء وما بين الدائرتين القطبيتين ، فانها تختلف من ١٢ ساعة إلى ٢٤ ساعة ، فتكون ١٢ ساعة عند خط الاستواء و٢٤ ساعة عند الدائرة القطبية ، ثم تأخذ الزيادة فى الدائرة القطبية من ٢٤ ساعة إلى شهر فشهرين إلى ستة أشهر عند القطبين أنفسهما .

أوليس من العجب العجاب أن الشمس إذا جرت الارض حولها تنظم حركاتها بنظام يتبعه هذه الحكم العجيبة ، فترى الصيف عند أهل الشمال كأهل مصر واوروبا يكون شتاء عند أهل الجنوب كبلاد (الناتال) فترى السنة كلها فى وقت واحد حاضرة الصيف والشتاء والربيع والخريف كما كان فى ملاحظة الأيام فجر ومغرب وعشاء، ثم يترتب على هذا الاختلاف فى الحر و البرد من النبات والحيوان والسحب والأمطار والرياح ...

ومن الحكم والأسرار والمنافع والعجائب ماتخر له العقلاء سجداً ، و انظر نظر إعتبار: لو أن الشمس بقيت فى مكان واحد لاحترق ولم يعش فيه حى وتأمل فى ذلك وقد أشار إليها القرآن الكريم بقوله جل و علا: « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون

فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » القصص : ٧١- ٧٣)

وانظر إلى الجدول التالية لتعرف منها كل نهار و كل ليل من خط الاستواء إلى القطبين مع ملاحظة أن أقصر و أقل مدة للنهار هي بعينها تكون لليل في ذلك المكان و كذلك في الاطول .



«أقاليم يقع فيها التفاضل بنصف ساعة»

أقاليم	ساعات	دقائق	عرض أرفع المتوازيات: درج	عرض أرفع المتوازيات: دقائق
١	١٢	٣٠	٨	٣٤
٢	١٣	٠	١٦	٤٤
٣	١٣	٣٠	٢٤	١٢
٤	١٤	٠	٣٠	٤٨
٥	١٤	٣٠	٣٦	٣١
٦	١٥	٠	٤١	٢٣
٧	١٥	٣٠	٤٥	٣٢
٨	١٦	٠	٤٩	٢
٩	١٦	٣٠	٥٢	٠
١٠	١٧	٠	٥٤	٣٠
١١	١٧	٣٠	٥٦	٣٨
١٢	١٨	٠	٥٨	٢٧
١٣	١٨	٣٠	٦٠	٠
١٤	١٩	٠	٦١	١٩
١٥	١٩	٣٠	٦٢	٢٦
١٦	٢٠	٠	٦٣	٢٣
١٧	٢٠	٣٠	٦٤	١٠
١٨	٢١	٠	٦٤	٥٠
١٩	٢١	٣٠	٦٥	٢٢
٢٠	٢٢	٠	٦٥	٤٨
٢١	٢٢	٣٠	٦٦	٧
٢٢	٢٣	٠	٦٦	٢١
٢٣	٢٣	٣٠	٦٦	٢٩
٢٤	٢٤	٠	٦٦	٣٢

أقاليم يقع فيها التفاضل بشهر

أقاليم	أشهر	درج	دقائق
١	١	٦٧	٢٣
٢	٢	٦٩	٥٠
٣	٣	٧٣	٣٩
٤	٤	٧٨	٣١
٥	٥	٨٤	٥
٦	٦	٩٠	٠

إذا تأملت فى هذه الجدول تعرف إختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان فى الربع الشمالى من المسكونة، فاذا كان الليل يساوى النهار وكل منهما ١٢ ساعة عند خط الاستواء فى نحو الكنغو وسوء مطره وغينا الجديدة فان كلاً منهما يزيد وينقص ساعة واحدة تقريباً فى أطراف الهند والصين وساعتين فى القاهرة وبعض البلاد الفارسية وبلاد السند وثلاث ساعات فى البحر الأسود وقرب القسطنطينية والبلاد المحاذية لها و ٤ ساعات تقريباً فيما يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك و ٥ ساعات فى بحر الشمال وما والاه و ٦ ساعات فيما وراء ذلك و ٧ و ٨ و ٩ ساعات شمالى بحر البلطيق وفيما بينه وبين رأس الشمال تصل زيادة كل منهما إلى ١٠ و ١١ و ١٢ ساعة.

ثم يكون كل منهما شهراً فشهرين فى جنوب جزائر جرونلنده و ٣ و ٤ أشهر فى شمالها، ثم فى القطب يكون كل منهما ٦ أشهر فيكون ليل القطب الجنوبى نهار القطب الشمالى، ونهار القطب الجنوبى ليل القطب الشمالى وكل منهما ستة أشهر ثم اذا كان النهار فى مصر مثلا ١٤ ساعة فى زيادته كان فى نقصه ١٠ ساعات وهكذا الليل فهناك عدل تام فى الاضاءة والاظلام وعلى هذا فقس... ألا تعجب من هذا النظام الجميل وكيف ازدانت الارض بهذه الأنوار المتلألئة المتالقة لبهجة المناظر أفلا ينظر الناس لهذا الجمال البارع والعدل والقسط والحكمة الباهرة إختلاف عظيم وعدل تام يكون الليل ١٣ ساعة عند زيادته فى البلاد التى حول البحر الأسود مثلا وشهراً فى أطراف جزيرة جزونلنده.

ثم يجيىء النهار فى نوبته فيصل إلى تلك الزيادة عينها أى ١٣ ساعة فى الاول وشهراً فى الثانى فيكون فى السنة ليلة هى شهر تام ونهار هو شهر تام وهذا هو العدل الحقيقى العملى: «الشمس والقمر بحسبان ـ والسماء رفعها ووضع الميزان» الرحمن: ٥ـ٧) و «إنا كل شيء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩) و «وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وماننزّله إلاّ بقدر معلوم» الحجر: ٢١) و «والله يقدّر الليل والنهار» المزمل: ٢٠) هذا الاختلاف باعتبار العرض وأما الاختلاف باعتبار الطول:

فاعلم أن الشمس إذا طلعت على آفاق مصر مثلا كان بعد طلوعها بالخليج الفارسي وما حوله ساعة وفي بلاد فارس ساعتان وفي السند ثلاث ساعات.وفي غرب بلاد الصين أربع ساعات و في أواسط بلاد الصين /٥ ساعات وفي شرق بلاد الصين والبحر الأصفر /٦ ساعات، وفي بلاد اليابان /٧ ساعات وفي شرق إسترالیا /٨ ساعات، وفي كاليدونيا الجديدة بالمحيط الهادى /٩ ساعات ، وفي جزائر الملاحين بالمحيط الهادى /١٠ ساعات، وفي جزائر سندويش بالمحيط الأكبر/١١ ساعة، وفيما بين جزائر سندويش و كاليفورنيا من المحيط الأكبر١٢ ساعة.

وعلى هذا إذا طلعت الشمس بمصر أول فصل الربيع أوالخريف كانت غاربة بين هاتين الجزيرتين بالمحيط الأكبر، ويكون قد مضى بعد غروبها ساعتان في كاليفورنيا و غرب الولايات المتحدة و /٤ ساعات بالبلاد الواقعة حول خليج المكسيك وشرقي الولايات المتحدة و /٥ساعات عند نيويورك بالولايات المتحدة، وست ساعات بناحية الارض الجديدة شرقي آمريكا الشمالية و /٨ ساعات بالمحيط الاطلانطيقي غربي أوروبا وعشر ساعات بباريس وجبال أطلس بالغرب و/١١ ساعة في طربلس والصحراء الكبرى.

هذه هي الصورة التي المفكر المتدبر في إختلاف الليل والنهار فبينما المصرى ينظر الشمس مشرقة في افقه يكون السندى والصيني في وقت الضحى ومن في كاليدونيا الجديدة وقت العصر، ومن في كاليفورنيا ساهراً مع صحبه ، و من في نيويورك قد نام نوماً عميقاً، ومن في طربلس قام لصلاة الصبح.

ولا يخفى على القارىء الخبير: ان ما أوردنا من تلك الساعات المختلفة في الآفاق لايكون تاماً من كل وجه إلاّ في أول الربيع وأول الخريف من كل سنة وهذا ن اليومان هما اللذان يعتدل فيهما الليل والنهار، ثم ان أول الصيف يكون أطول أيام السنة وأقصر لياليها كما ان أول الشتاء يكون أقصر الايام، وأطول لياليها، فالليل في الوقتين على عكس النهار.

قال الله عزوجل: «يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار» النور: ٤٤).

فالشمس تطلع على أهل الشرق سائرة إلى أهل الغرب، جارية إلى المحيط الاطلانطيقي ساعية إلى آمريكا، فالبحر الأعظم هناك، فبلاد الشرق ثانياً، وأنه إذا نام قوم باظلامها إستيقظ آخرون باضائتها.



﴿ كلام نجومى فى الليل والنهار ﴾

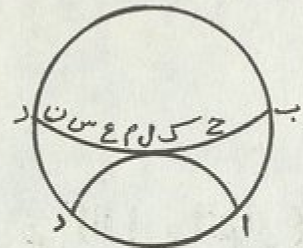
واعلم أن للشيخ الطوسى قدّس سره كتاب فى «الايام و الليالى» و لايخفى على القارىء الخبير ان براهينه رحمة الله تعالى عليه فى هذا الكتاب على أن الشمس تتحرك حركة معتدلة من غير تناف بين حركتها وبين أن يكون للارض أيضاً حركة، كمالاينافى ماقلنا فى تعريف الليل والنهار شرعاً، ومايقول الشيخ رضوان الله تعالى عليه فى تعريفهما عرفاً فتأمل جيداً، ونحن نذكرما فى هذا الكتاب هيهنا لمافيه من فوائد جمّة لأهل التحقيق والهيئة فقال:

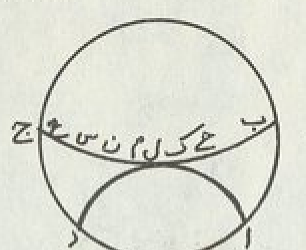
«الشمس تتحرك حركة معتدلة ضدحركة الكل على منطقة البروج ويسمى الدائرة الشمسية.

زمان النهار هو الزمان الذى بين طلوع الشمس إلى غروبها، و زمان الليل هو الزمان الذى بين غروبها إلى طلوعها، زمان دور الكل هو الزمان الذى من طلوع إحدى الثوابت إلى طلوعها أو من أى وضع كان له إلى نظيره»

المقالة الاولى

«إذاسارت الشمس من المنقلب الصيفى و كان القطب الشمالى فوق الارض فكان كل يوم أطول من اليوم الذى يليه، و كل ليلة أقصر من التى تليها، وإذا سارت من المنقلب الشتوى كان الامر بخلاف ذلك :(رقم ١و ٢)





فلتكن دائرة ـ اب ج د ـ افقاما ـ و ـ اد ـ المدار الصيفى و ـ ب ح ج ـ فلك البروج ـ و ـ ح ـ المنقلب الصيفى ، و لتطلع الشمس يوماً على ـ ك ـ و هى سائرة من المنقلب الصيفى و ليصر ذلك اليوم ـ ل ك ـ وتغرب على ـ ل ـ فزمان على النهار هو الزمان الذى سارت الشمس فيه ـ ك ل ـ لتطلع فى اليوم الثانى على ـ م ـ (فالنهار الذى طلعت فيه على ـ ك ـ أطـول فيه من الذى طلعت فيه على ـ م ـ)

و نفصل ـ م د ـ مساوية ا ـ ك ل ـ فالشمس تقطعهما فى زمانين متساويين لأنا فرضنا حر كتها معتدلة ، وإذا كانت الشمس تسير ـ ك ل ـ كانت ـ ك ل ـ تقطع نصف الكرة الظاهرة فى ذلك الزمان ، فاذا سارت الشمس ـ م ن ـ

(هذا إنما يكون تصوره إذا كان ـ ك ا ـ على افق المشرق و الشمس فى ـ م ـ تحته فاذا وصل إلى القرب وصل الشمس إلى ـ ن ـ لا فى هذا الموضع الذى فيه ـ م ـ على الشرق والشمس فيه فاعرفه)

قطعت ـ ك ل ـ نصف الكرة الظاهرة و ـ ك ل ـ يقطع ذلك فى زمـان أكثر مما يقطعه ـ م ن ـ لكون ـ ك ل ـ أقرب إلى المنقلب الصيفى من ـ م ن ـ فاذا الشمس تسير ـ م ن ـ فى زمان أكثر مـما يقطع ـ م ن ـ نصـف الكـرة الظاهرة و تسير أقل من ـ م ن ـ فى الزمان الذى يقطع فيه ـ م ن ـ ذلك و ليكن ما تسيره ـ م س ـ لكنها إذا سارت ـ م س ـ كانت نقطة ـ ن ـ غاربـة و الشمس فى ـ س ـ فهى ـ غربت قبل ذلك ، و يلزم انها إلى الغروب تسير قوساً

أصغر من - م س -

ولتكن هي قوس - م ع - فزمان النهار هو الزمان الذى تسير فيه الشمس - م ع - ولأن - ك ل - أعظم من - م ع - يكون النهار الذى تسير الشمس تسير فيه - ك ل - أطول من الذى تسير فيه - م ع - ثم لتكن الشمس فى يوم ما غاربة فى نقطة - ك - ولتطلع فى غدها فى - ل - فزمان الليل هو الزمان الذى يسير فيه - ك ل - و لتغرب فى يوم بعده فى - م - و نفصل - م ن - مثل - ك ل - فالشمس تسير هما فى زمانين متساويين و فى الزمان الذى تسير - ك ل - بل - م ن - يقطع - ك ل - نصف الكرة الخفية لكن - ك ل - يقطع ذلك فى زمان أقل مما يقطعه - م ن - لكون - ك ل - أقرب إلى المنقلب الصيفى من - م ن -

فاذا الشمس تسير - م ن - فى زمان أقصر مما يقطع - م ن - نصف الكرة الخفية ، وتسير أكثر من - م ن - وهو مثلا - م س - فى الزمان الذى يقطع - م ن - فيه ذلك ، ولنفرضها سارت - م س - وحينئذ قد طلعت - ن - والشمس لم تطلع بعد لان - ن - يطلع قبل - س - فيجب أن تسير الشمس أكثر من - م س - إلى أن تطلع ولتسر - م ع - فـ - م ع - هى التى تسيرها الشمس فى تلك الليلة ، و لكون - م ع - أعظم من - م ن - أعنى - ك ل - تكون الليلة التى تسير فيها - ك ل - أقصر من الليلة التى تسير فيها - م ع - وبمثله تبين ان الشمس إذا سارت من المنقلب الشتوى عرض ضد ذلك وذلك ما أردناه .

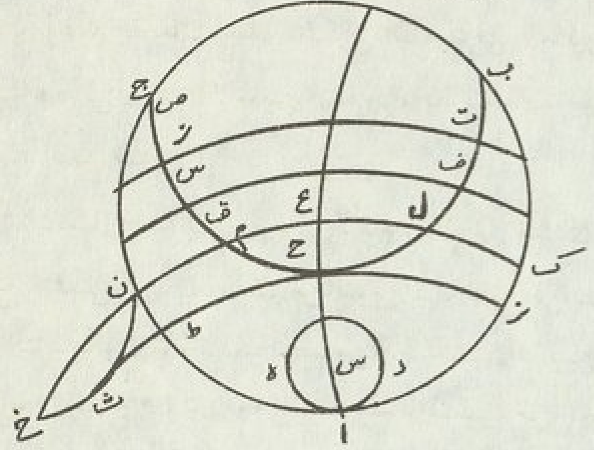
إذا طلعت الشمس وغربت فى يوم ما ، وكان بعدها فى الوقتين من أحد المنقلبين متساوياً فهى تكون فى نقطة المنقلب على دائرة نصف النهار فى انتصاف ذلك اليوم فان كان المنقلب صيفياً كان اليوم أطول أيام السنة و كل يومين أو ليلتين قبل ذلك اليوم و بعده على بعد واحد منه فهما متساويان فلتكن افق ما من المعمورة - ا ب ج - وأعظم الأبدية الظهور - ا د ه - و المدار الصيفى - ز ح ط - و فلك البروج - ب ح ج - و نقطة الانقلاب - ح - و ليكن - ك ع ن - من المتوازية

فيكون ـ ح ل ـ مساوية ا ـ ح م ـ و نقطتا ـ ل ـ م ـ متساويتى البعد عن ـ ح ـ و لتطلع الشمس فى ـ ل ـ سائرة إلى ـ ح ـ و تغرب فى ـم ـ و لا فرق بين قولنا : طلعت و غربت على متوازية بعينها وبين قولنا: كان بعدها فى الوقتين عن المنقلب بعداً واحداً .

فزمان النهار هو الزمان الذى تسير الشمس فيه قوس ـ ل ح م ـ و نصفه الذى تسير فيه ـ ل ح ـ فاذا تكون الشمس فى نصف ذلك اليوم فى نقطة ـ ح ـ أعنى المنقلب وليكن قطب الحركة ـ س ـ و لتمر بنقطتى ـ س ـ ح ـ عظيمة ـ س ح ع ـ فهى تمر بقطب ـ ب ح د ـ قطب البروج أيضاً، وينصف قوسى ـ ل ح م ـ ل ع م ـ على نقطتى ـ ح ع ـ و فى الزمان الذى تسير فيه الشمس ـ ل ح ـ تبتدىء نقطة ـ ل ـ من نقطة ـ ن ـ المشرق و يقطع قوس ـ ن ع ل ـ و ذلك ان ـ ل ـ يطلع من نقطة ـ ن ـ و تكون حينئذ وضع البروج ـ ن ث خ ـ و فى الزمان الذى تسير الشمس ـ ن ث ـ يقطع ـ ن ـ قوس ـ ن ع ل ـ و يصير وضع البروج ـ ب ح ج ـ و تقع نقطة ـ ث ـ على نقطة ـ ح ـ و أيضاً فالزمان الذى تسير الشمس فيه ـ ح م ـ تقطع نقطة ـ م ـ قوس ـ م ل ك ـ حتى إذا انتهت إلى ـ م ـ إنتهت ـ م ـ إلى ـ ك ـ

فتكون الشمس فى الغروب فلذلك تكون قوسا ـ ن م ل ـ م ل ك ـ متشابهتين و لكونهما من دائرة واحدة تكونان متساويتين و تلقى ـ م ل المشتركة فتبقى ـ م ن ـ مساوية ا ـ ل ك ـ و يكون جميع ـ ك ع ـ مساوياً لجميع ـ ن ع ـ و لان عظيمة ـ س ع ـ مرت بقطبى دائرة ـ ك ع ن ـ و بمنتصف قوس ـ ك ع ن ـ المفصولة بالافق أعنى بدائرة ـ ا ب ج ـ فعظيمة ـ س ع ـ المارة بقطب المتوازية مارة بقطب افق ـ ا ب ج ـ فهى دائرة نصف النهار فاذا ـ ح ـ أعنى موضع الشمس فى وسط اليوم المذكور على دائرة نصف النهار .

فنقول : وذلك اليوم أطول أيام السنة المبتدئة (المنتهية خ) من الانقلاب الشتوى الماضى إلى الآتى ، وكل يومين أوليلتين متساويتى البعد عنه عن الجنبتين متساويتان : (رقم ٣)



و ليكن القوس التى سارها الشمس فى الليلة المتقدمة على ذلك اليوم ـ ل ف ـ و نرسم على ـ ف ـموازية ـ ف ق ـ فيكون ـ ل ف ـ مساوية ا ـ م ق ـو لان الشمس تغرب فى ـف ـ وتطلع من ـ ل ـ ففى الزمان الذى تسير فيه ـ ل ـ تقطع ـ ف ل ـ نصف الكرة الخفية و ـ م ق ـ المساوية لها أيضاً تقطعه فى مثل ذلك الزمان ، فالشمس تطلع فى ـ ق ـ و ليكن ـ ق ص ـ مساوية لقوس ـ ل ح م ـ و الشمس تسير ـ ل ح م ـ بل ـ ق ص ـ فى زمان يقطع فيه ـ ل ح م ـ نصف الكرة الظاهرة و ـ ق ص ـيقطعه فى أقل منه فالشمس تسير أقل من ـ ق ص ـ فى الزمان الذى يقطع فيه ـ ق ص ـ نصف الكرة الظاهرة و ليكن ذلك ـ ق د ـ و لكن إذا غابت فيه تكون ـ ز ـ التى فيها الشمس قبلها غاربة لان ـ ز ـ تغيب قبل ـ ص ـفاذا اليوم الذى مبدؤه ـ ق ـ تسير الشمس فيه أقل من ـ ق ز ـفليسر مثلا ـ ق ش ـ ونرسم على ـ ش ـ موازية ـش ت خ ـ ولان ـ ل ح م ـأعظم من ـق ش ـ

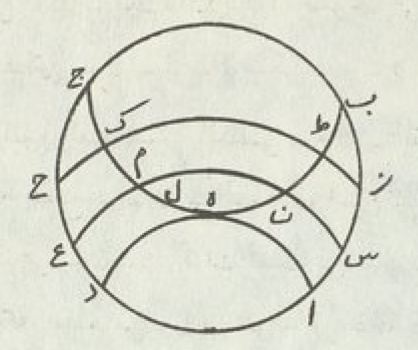
فاليوم الذى تسير فيه الشمس ـ لحم ـ أعظم من اليوم الذى تسير فيه ـ

ق ش - ولأن الشمس تسير فى الليلتين اللتين يتوسطهما يوم الانقلاب قوسى - م
ق - ف ل - المتبادلتين فهما متساويتان وأيضاً لتساوى قوسى - ق ش - ف ت -
يجب انهما يقطعان نصف الكرة الظاهرة فى زمانين متساويين ، و الشمس
تسير هما فى ذينك الزمانين فهما يومان يتخللهما يوم الانقلاب و كل واحد
منهما أصغر منه .

وبمثل ذلك تبين فى سائر الأيام و الليالى تساوى النظائر ولان اليوم الذى
تطلع الشمس فى - ل - أعظم من اليوم الذى تطلع فى - ق - وهو مساو للذى تطلع
فى - ت - يكون يوم - ل - أعظم من يوم - ت - وقد تبين ان يوم - ت - أطول من
كل يوم يتقدمه و كل يوم يتقدمه مساو لنظيره من الجانب الآخر فيوم - ت -
أطول من سائر الأيام التى عن الجنبتين أى الانقلاب الشتوى ، و بمثل ذلك تبين
ان الشمس ان طلعت وغربت فى يومين عن جنبتى الانقلاب على بعدين متساويين
منه نزلت نقطة الانقلاب فى وسط يوم يتوسطهما على نصف النهار و هو عكس
ما بيناه .

وأيضاً تبين فى النصف الخفى ان الشمس إن طلعت وغربت فى ليلة ما فى نقطتين
متساويتى البعد عن الانقلاب انها تنزل نقطة الانقلاب نصف الليلة على دائرة نصف
النهار وان تلك الليلة تكون أطول الليالى إن كان الانقلاب شتوياً أو أقصرها إن
كان صيفياً ، وان الليالى والأيام النظائر عن الجنبتين متساوية ، فظهر من ذلك ان
الشمس ان نزلت المنقلب فى وسط يوم أو ليلة كانت طلوعها و غروبها على متوازية
بعينها وذلك ما أردناه .

إذا طلعت الشمس يوماً ما من إحدى المتوازية قبل نزولها فى المنقلب الصيفى
وغربت فى يوم آخر فى نقطة أيضاً من تلك المتوازية بعينها بعد نزولها فيه تساوى
ذلك الزمان و كل يوم أو ليلة يتقدم الاول يساوى يوماً أو ليلة يتأخر عن الآخر إذا
كان بعد هما من اليومين واحداً : (رقم ٤)



فليكن ـ ا ب ج د ـ افقاً ما و ـ ا ه د ـ المدار الصيفى ـ و ـ ب ه ج ـ الدائرة الشمسية ، و ـ ه ـ نقطة الانقلاب و ليكن ـ ز ح ـ من المتوازية و لتطلع الشمس قبل وصولها إلى ـ ه ـ فى ـ ط ـ منها وتغرب بعد مفارقتها ـ ه ـ فى ـ ك ـ أيضاً منها.

نقول : فاليوم الذى طلعت فيه فى ـ ط ـ مساو للذى غربت فيه فى ـ ك ـ و ذلك لان فى اليوم الذى طلعت فى ـ ط ـ تغرب فى نقطة قبل أن تصل إلى ـ ه ـ و إلاّ فلتغرب إما فى ـ ه ـ و إما فى نقطة بين ـ ه ك ـ فان غربت فى ـ ه ـ وكانت ـ ط ـ مساوية ا ـ ه ك ـ كانت الشمس تسير هما فى زمانين متساويين ، و فى الزمان الذى تسير الشمس ـ ط ه ـ أو ـ ه ك ـ يقطع ـ ه ط ـ نصف الفلك الظاهر و فى مثله أيضاً يقطع ـ ه ك ـ نصف الفلك الظاهر فاذا فى الزمان الذى تسير الشمس ـ ه ك ـ يقطع ـ ه ك ـ نصف الفلك الظاهر ، و كانت الشمس تغرب فى نقطة ـ ك ـ

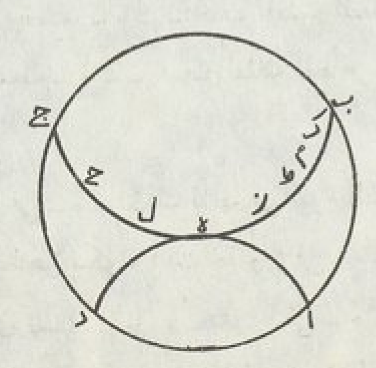
فيجب أن تطلع فى ـ ه ـ وذلك لأنها فى اليوم الذى تسير ـ ه ك ـ و يبدل ـ ه ك ـ نصف الفلك الظاهر يكون وقت الطلوع فى ـ ه ـ و وقت الغروب فى ـ ك ـ و كانت فى اليوم الذى تسير ـ ط ه ـ تغرب فى ـ ه ـ فكادت تغرب و تطلع من نقطة واحدة هذا خلف ثم لتغرب فى نقطة بين نقطتى ـ ه ـ ك ـ كنقطة ـ ل

- مثلاً و لأنها تغرب فى - ك - يجب أن يكون طلوعها فى اليوم الذى تغرب فى - ك - فى نقطة بين نقطتى - ل - ك - و ليكن - م - و نرسم عليها موازية - ع م - ن س - و فى اليوم الذى تسير الشمس - م ك - يقطع - م ك - نصف الفلك الظاهر وفى مثله يقطع - ط ن - المساوى ا - م ك - فاذا فى اليوم الذى يطلع من - ط - يغيب فى - ن - و كانت تغيب فى - ل - هذا خلف فالواجب ان الشمس فى اليوم الذى يطلع من - ط - تغرب فى نقطة قبل وصولها إلى - ه - ولتكن هى نقطة - ن -

و نرسم موازيتها المذكورة و قوساً - ط ن - م ك - تسيرهما الشمس فى زمانين متساويين و هما يقطعان نصف الفلك الظاهر فى ذينك الزمانين فطلوع الشمس فى اليوم الذى تغرب فى - ك - يكون فى - م - فاذا اليوم الذى يطلع من - ط - مساو لليوم الذى يغرب فى - ك - (وبمثله تبين ان الليلة التى تتقدم طلوع الشمس فى - ط - مساوية لليلة التى بعد غروب الشمس فى - ك -) وان الايام والليالى المتقدمة والمتأخرة إلى الانقلاب الشتوى من الجانبين المتساوية الأبعاد عن نقطتى - ط - ك - متساوية وذلك ما أردناه

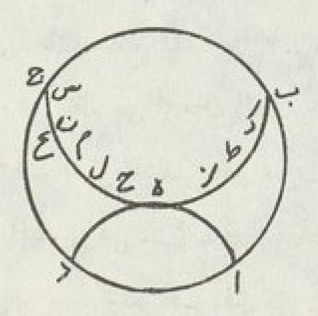
« مقدمة »

لنعد الافق والمدار الصيفى و الدائرة الشمسية : (رقم ٥)



و ليكن -زه- أصغر من - ه ح - و ليكن - ط ك - مساوياً ا - ز ه ح - نقول : ف - ز ه ح - يقطع نصف الكرة الظاهرة في زمان أطول من الزمان الذى يقطع فيه - ط ك - نصف الكرة الظاهرة و نفصل - ط ل - مثل - ه ل - ز ح - و - ط م - مثل - ز ل - و يبقى - م ك - مثل - ل ح - ولأن - ز ه ل - يقطع نصف الكرة الظاهرة فى زمان أطول من الذى يقطعه فيه - ط م - و يتبين ذلك إذاقسمت قوس - ط م-بقسمي -زه -ه ل - و قوس -ل ح-أيضاً يقطعه في زمان أطول مما يقطعه قوس - م ك - فيه لان - ح - أقرب إلى - ه - من - ك - فيكون الزمان الذى يقطع فيه - ز ه ح - نصف الكرة الظاهرة أطول من الزمان الذى يقطع فيه قوس - ط ك - .

إذاطلعت الشمس وغربت في يوم ما نزل فيه نقطة الانقلاب ولم يكن بعدها في الوقتين من تلك النقطة متساوياً فانها لاتنزل نقطة الانقلاب في إنتصاف ذلك اليوم ثم إن كان ذلك الانقلاب صيفياً كان ذلك اليوم أطول أيام السنة التى مبدؤها من الانقلاب الشتوى وأيام نصف السنة الذى يلى أقرب النقطتين إلى الانقلاب أطول من نظائرها من أيام النصف الآخر والليالى بضد ذلك، وأما إن كان الانقلاب شتوياً عرض ضد جميع ذلك : (رقم ٦)

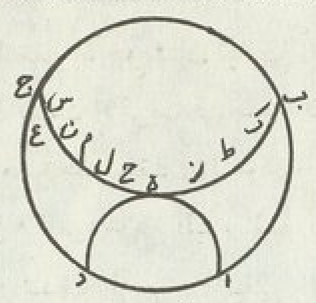


فليكن الافق - اب ج د - والمدار الصيفى - اه د - والدائرة الشمسية - ب ه ج - والانقلاب الصيفى - ه - ولتطلع الشمس يوماً في - ز - ولتغرب في ذلك اليوم

بعد إجتيازها به في - ح - و ليكن - ز - أقرب إلى - ه - من - ح - .

ونقول: أولاً ان الشمس لاتنزل - ا ه - في انتصاف اليوم و ذلك لأن - ز ه - أصغر من - ه ح - فهي تسير - ز ه - في أقل من نصف يوم و تنزل قبل إنتصاف اليوم و ليغرب في - ط - قبل طلوعها من - ز - و ليطلع ذلك اليوم في - ك - فالشمس تسير - ك ط - في النهار الذي قبل يوم المنقلب وتسير - ط ز - في الليلة التي بعده - و لتكن - ح ل - مساوية ا - ط ز - فالزمان الذي تسير فيه - ط ز - بل - ح ل - يقطع قوس - ط ز - نصف الكرة الخفية و قوس - ط ز - لكونها أقرب من - ه - تقطع نصف الكرة الخفية في زمان أقل من ا لذي يقطعه فيه - ح ل -

و في الزمان الذي يقطع فيه - ح ل - تسير الشمس أكثر من - ح ل - فلتسر - ح م - و إذا طلعت - ل - والشمس في - م - فهي لم تطلع بعد فاذا الليلة التي تغرب الشمس فيها - ح - تسير الشمس فيها أكثر من - ح م - فلتسر فيها - ح ن - ف - ح ن - أعظم من - ح ل - أعني من - ط ز - فالليلة التي فيها الطلوع في - ز - أطول من التي فيها الغروب في - ح - ثم ليكن - ن س - مساوية ا - ط ك - والشمس تسيرها في زمان يقطع فيه - ط ك - نصف الكرة الظاهرة و هو لكون - ك - أقرب من - ه - أعظم من الزمان الذي يقطع فيه - ن س - ففي الز-مان الذي يقطعه فيه - ن س - تسير الشمس أقل من - ن س - فلتسر - ن ع - و إذا غربت - س - و كانت الشمس في - ع - فهي قد غربت قبل ذلك فاذا اليوم الذي تطلع فيه الشمس في - ن - تسير فيه أقل من - ن ع - بل أقل من - ن س - أعني - ط ك - بكثير فاليوم الذي يسير فيه - ك ط - أطول من الذي يطلع فيه من - ن د - : (رقم ٧)



وبمثل ذلك يتبين فيسائر الأيام والليالي التيعن الجنبتين وظاهر انأيام نصف_ هب _ أطول من أيام نصف _ هج _و انلياليها بالضد .

و نقول : ان قوس _ زهح _ أعظم من قوس _ ك ط _ و إلاّ فلتكن اما مساوية لها أوأصغر منهاو لتكن أصغر منها و لتكن _ ط ك _ مساوية ا_ زهل _ والشمس تسيرهما فيزمان واحد و في ذلك الزمان (يقطع _ ط _ نصفالكرة الظاهرة و _ ز ل _ تقطعه في زمان أطول منه فالشمس تسير _ ز ل _ في زمان أقصر من الذى يقطعه فيه _ ز ل _ و في ذلك الزمان تسير أعظم من _ ز ل _ فلتسر فيه _ زم _ و إذا غربت _ ل _ لم تغرب الشمس لانهافي _ م _ ففي اليوم الذي تطلع الشمس فيه من _ ز _ تسير قوساً أعظم من _ ز م _ فلتسر فيه _ ز ن _ و لذلك يكون الطلوع من _ ز _ و كان الغروب في _ ن _ بالفرض في _ح _ هذا خلف .

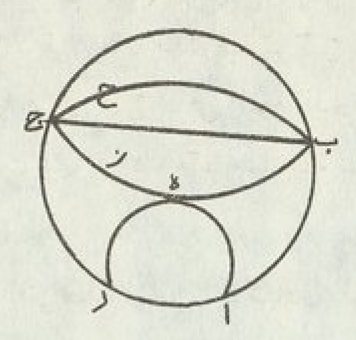
وبمثل ذلك تبين ان_ ز ه ح _ ليست مساوية ا_ ط ك _ فاذا _ زهح _ أعظم من _ ك ط _ ولذلك يكون يومه أطول منيوم _ ط ك _ و كان يوم _ ط ك _ أطول من اليوم الذي تطلع فيهالشمس من _ ن _ على مامرّ و هما أطول مما قبلهما وبعدهما في الجنبتين فاذا يوم _ زهح _ أطول أيام السنة التي من المنقلب الشتوي إلى المنقلب الشتوي كلها .

وبمثل ذلك تبين انالشمس إذاطلعت و غربت و البعد عن المنقلبالشتوي مختلف انهالا تنزله في انتصاف اليوم و ان أيام النصف الذي يلي النقطة القريبة

أقصر من نظائرها التي في النصف الآخر و ان لياليها أطول من نظاهرها و بمثل ذلك أيضاً تبين ان الشمس إذاطلعت أوغربت في نقطة الانقلاب الصيفي كان ذلك اليوم أطول أيام السنة التي مبدؤها المنقلب الشتوى المتقدم و سائر الايام من النصف الذى لم يكن الطلوع و الغروب في اليوم المذكور عن غير نقطة الانقلاب يكون أعظم من نظائرها من النصف الآخر و الليالي بالعكس ، وظاهران الشمس لم تنزل بنقطة الانقلاب في انتصاف نهار اوليلة لايكون طلوعها و غروبها على متوازية بعينها .

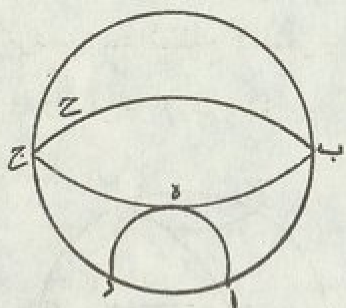
وأيضاً بمثل ماهر تبين انهاإذا نزلت الانقلاب الصيفي في انتصاف الليل كانت الايام والليالي النظائر عن الجنبتين متساوية ، وان الأيام المتساوية من السنة التي ينزل فيها الانقلاب نصف الليل أطول من الأيام المتساوية من السنة التي ينزله فيها نصف النهار كل من نظيره لكون الشمس فيها أقرب إلى الانقلاب منها في هذه و في الليالي بالعكس و ذلك ماأردناه .

إذا طلعت الشمس من معدل النهار سائرة من المنقلب الصيفي فليلة ذلك الطلوع مساوية لنهاره و نعيد الافق والمدار والدائرة الشمسية وليكن - ب ح ج - النصف الخفي منها و لتطلع الشمس من معدل النهار في نقطة - ج - و ليكن سيرها في الليلة المتقدمة على الطلوع من - ز - إلى - ج - و لتكن مساوية ا - ج ز - ولأن في الزمان الذى يقطع فيه - ج ز - نصف الفلك الخفي يقطع فيه - ج ح - نصف الفلك الظاهر و الشمس تسيرهما في زمانين متساويين ، فيكون في الزمان الذى تسير فيه الشمس - ج ح - يقطع فيه - ج ح - نصف الفلك الظاهر فاذا زمان سير - ج ح - الذى هو زمان نهار يوم الطلوع مساو لزمان الليلة المتقدمة عليه : (رقم ٨)



وبمثله تبين ان الشمس إذا غربت فى معدل النهار كان يوم الغروب مساوياً لليله وانها ان كانت سائرة من المنقلب الشتوى وطلعت أوغربت على معدل النهار كان الحكم كذلك وذلك ما أردناه .

إذا غربت الشمس وطلعت من نقطتين متقابلتين وكان من الغروب إلى الطلوع نصف سنة كانت تلك الليلة مساوية لهذا اليوم : (رقم ٨)



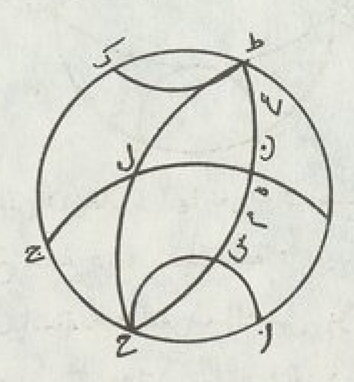
واعلم أنه لا فرق بين أن يقال : انها تغرب و تطلع من نقطتين متقابلتين ، وبين أن يقال: انها تطلع بعد غروبها بنصف سنة و نعيد الافق والمدار و الدائرة الشمسية كما فى الشكل المتقدم و لتغرب الشمس يوماً فى ـ ب ـ و لتطلع بعد نصف سنة من نظير تهاوهى ـ ج ـ ولتسر بعد غروبها فى ـ ب ـ قوس ـ ب ز ـ و نفصل ـ ج ح ـ مساوية لهاو لأنهـا تسير (ـ ب ز ـ فى ليلة ﻫ ـ ب ز ـ فى ذلك الزمـان يقطع نصف السكرة الخفى و هى تسير) ـ ج ح ـ فى مثل ذلك

الزمان و ـ ج ح ـ يبدل نصف الكرة الظاهرة في مثل ذلك الزمان الذي فيه يبدل ـ ب ز ـ فهي تسير ـ ج ح ـ في زمان يبدل فيه ـ ج ح ـ نصف الكرة الظاهرة و ذلك يوجب أن يكون غروبها في ـ ح ـ في اليوم الذي كان طلوعها في ـ ج ـ فاذا الليلة التي غربت فيها في ـ ب ـ مساوية لليوم الذي طلعت فيه في ـ ج ـ

و بمثله تبين ان الليلة التي تطلع في ـ ج ـ تساوى اليوم الذي تغرب في ـ ب ـ وذلك ما أردناه .

كل يوم و ليلة يتساوى بعدهما (أى عن جنبتي معدل النهار) عن معدل النهار فهما متساويان ، وإنما يقال : ان بعدهما عن معدل النهار متساو إذا كان بعد الطلوع مساوياً لبعد الغروب و بالعكس أو بعد المطلع لبعد المطلع و بعد المغرب لبعد المغرب .

أقول: بعد الطلوع والغروب هو القوس من فلك البروج الذي بين معدل النهار وبين نقطة الطلوع أو الغروب و بعد المطلع أو المغرب هو القوس من الافق بينهما المسماة نسبة بعد المشرق والمغرب :(رقم ١٠)

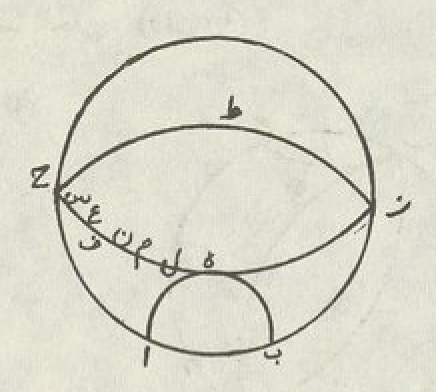


فليكن ـ ا ب ج د ـ الافق و ـ ز ـ ح ـ المدار الصيفي و ـ ط ك ـ المدار الشتوى و ـ ب ه ل ح ـ معدل النهار و ـ ه ح ط ل ـ فلك البروج و لتغرب

الشمس في نقطة - م - و قتاما و لتطلع في نقطة - ن - وقتاً آخر وهما متساويتا البعد عن - ه -

نقول: فالليلة التي قبل الطلوع في- م - مساوية لليوم الذي بعد الغروب في - ن - و لتغرب في- س - قبل طلوعها من- م - و نفصل - ن ع - مساوياً ا - س م - فالشمس تسير - س م - في زمان تقطع - س م - فيه نصف الكرة الخفية وهو الليلة التي قبل الطلوع في - م - لكنها تسير - ن ع - في مثل ذلك الز-مان و - ن ع - أيضاً يقطع نصف الكرة الظاهرة أيضاً في مثل ذلك الز مان، فيكون نهار - ن ع - مساوياً لليلة - س م - و هما متساويا البعد عن معدل النهار ولا فرق بين أن يكون هذا البعد من الدائرة الشمسية و بين أن يكون من الافق و ذلك ان الدوائر المتوازية التي تمر بنقطة المشارق اوالمغارب المتساوية البعدعن معدل النهار تفصل شيئاً من فلك البروج متساويةعن جنبتي معدل النهار وذلك ماأردناه.

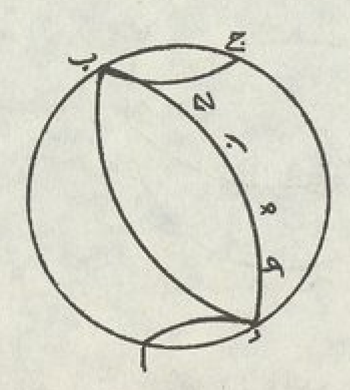
أقصر أيام النصف الذي يتوسط المنقلب الصيفي أطول من أطول لياليها : (رقم ١١)



فليكن - ا ب ز ح - الافق و - ا ب ه - المدار الصيفي و - ز ه ح - الدا-ئرة الشمسية و - ز ط ح - معدل النهار و ه - الانقلاب الصيفي فيكون - ز ه ح

- هو الذى يتوسط الانقلاب و لتطلع الشمس يوماً فى - ل - و تغرب فى - م - ثم لتغرب يوماً آخر فى - ن - و ليكن - ن س - مساوية ا - ل م - فالشمس تسير هما فى زمان واحد و فى ذلك الزمان يقطع - ل م - نصف الكرة الظاهرة ويقطع - ن س - فى أقل من ذلك الزمان نصف الكرة الخفية و لتسر الشمس فى الزمان الذى يقطعه فيه - ن س - أقل من - ن س - و هى - ن ع - مثلاً وليكن إذا طلعت الشمس فى - ع - فهى قد طلعت قبل ذلك و لكى ترى طالعة ينبغى أن تسير قوساً أصغر من - ن ع - فلتسر - ن ف - فزمان الليل هو الزمان الذى تسير الشمس فيه - ن ف - و - ن ف - أصغر من - ن س - أعنى من - ل م - فاذا يوم - ل م - أطول من ليلة - ن ف - و بمثله تبين ان الشمس إذا كانت فى النصف الآخر كان أطول الأيام أقصر من أقصر الليالى و ذلك ما أردناه .

إذا كانت الشمس سائرة من المنقلب الصيفى وفرض لها مغربان كيف اتفقا أحدهما فوق الارض فان طلوعها الذى يلى الغروب الفوقانى يكون فوق طلوعها الذى يلى الغروب السفلانى سواء كانا قبلهما أو بعدهما و نعنى بالفوق ما يلى القطب الظاهر وبالأسفل ما يلى القطب الخفى : (رقم ١٢)



فليكن الافق - ا ب ج - والمدار الصيفى - ا ا - و الشتوى - ب ج - و

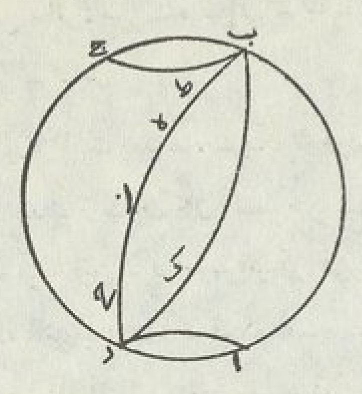
الدائرة الشمسية ـ ب ك د ز ـ و نصف ـ ب ك ز ـ منه الخفى و نصف ـ د ز ب ـ الظاهر و الشمس سائرة من ـ د ـ إلى ـ ب ـ ولتغرب يوماً في ـ ه ـ و يوماً آخر كيف اتفق في ـ ز ـ

نقول: فالطلوع الذى بعد ـ ه ـ يكون فوق الطلوع الذى بعد ـ ز ـ وذلك لأن طلوعها الذى بعد ـ ز ـ إن كان فيما بين ـ ه ز ا ـ و في نفس ـ د ـ فالحكم الظاهر وإن كان فيما بين ـ ز ب ـ فليكن في ـ ح ـ و لأن الليلة التى بعد ـ ه ـ أقصر من الليلة التى بعد ـ ز ـ فيكون ـ ه ـ أقرب من الانقلاب الصيفى ، و الشمس قد سارت في الليلة التى بعد ـ ه ـ قوس ـ ه ح ـ فهى تسير في الليلة التى بعد ـ ز ـ قوساً أعظم من ـ ه ح ـ و الأعظم من ـ ه ح ـ أعظم كثيراً من ـ ز ح ـ فاذا الشمس عند غروبها في ـ ز ـ تطلع في نقطة بين ـ ح ب ـ و هى تحت ـ ح ـ

و نقول أيضاً : الطلوع الذى قبل ـ ه ـ فوق الذى قبل ـ ز ـ و ذلك لان الطلوع الذى قبل ـ ز ـ إن كان فيما بين ـ ه ز ـ أو في ـ ه ـ نفسها فالحكم ظاهر وإن كان فوق ـ ه ـ فليكن في ـ ط ـ و لأن ـ ه ـ أقرب إلى المنقلب الصيفى من ـ ز ـ فيكون اليوم الذى قبل ـ ه ـ أطول من اليوم الذى قبل ـ ز ـ والشمس فيه تسير أعظم من ـ ط ز ـ و ـ ط ز ـ أعظم من ـ ه ط ـ فاذا الشمس تطلع في اليوم الذى تغرب في ـ ه ـ من نقطة فوق ـ ط ـ و بالعكس إذا فرض طلوعان فوقانى و سفلانى ، فالغروب الذى يلى الفوقانى يكون فوق الذى يلى السفلانى سواء كانا متقدمين أو كانا متأخرين و ذلك لانه إن لم يكن كذلك لم يكن الطلوع الفوقانى فوقانياً هذا خلف فاذا الحكم ثابت وذلك ما أردناه .

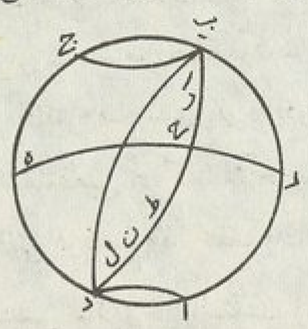
إذا كانت الشمس سائرة من المنقلب الشتوى و فرض طلوعان كيف كانا أحدهما فوق كان الغروب الذى يلى الفوقانى فوق الغروب الذى يلى السفلانى سواء

كانا قبل الطلوعين أو بعدهما : (رقم ١٣)



و نعيد الشكل إلا انا نجعل النصف الظاهر من الدائرة الشمسية ـ ب ه ز ـ الذى من المنقلب الشتوى أى الصيفى و الخفى ـ د ك ب ـ و الطلوع التحتانى ـ ه ـ والفوقانى ـ ز ـ ونبين الحكم كما بينا فى الشكل المقدم و ذلك ما أردناه .

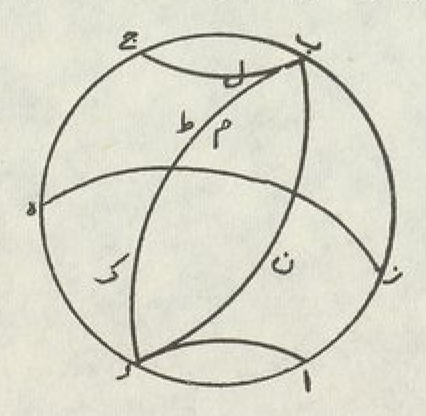
إذا جازت الشمس النقطة الخريفية من معدل النهار ولم يكن طلوعها ولا غروبها على نقطة من معدل النهار لايكون إستواء الليل و النهار فليكن الافق ـ ا ب ج د ـ و المداران ـ ا د ـ ب ج ـ و معدل النهار ـ ه ز ـ و الدائرة الشمسية فى ـ ح ب ـ م د ـ و ـ د ج ب ـ منها النصف الذى من الصيفى إلى الشتوى وهو الخفى و ـ ح ـ الاعتدال الخريفى ولتطلع الشمس فوقها فى ـ ط ـ ولتغرب يومئذ تحتها فى ـ ك ـ و ليكن الغروب الذى قبل ـ ط ـ فى ـ ل ـ: (رقم ١٤)



نقول : فاليوم الذى تطلع الشمس فيه في ـ ط ـ لايساوى الليلة التى قبلها ولا التى بعدها ، وذلك لأنها إن طلعت فى ـ ح ـ كان غروبها الذى قبل ذلك تحت ـ ل ـ و ليكن فى ـ ن ـ و تكون الليلة التى تغرب فى ـ ن ـ مساوية لليوم الذى يطلع فى ـ ح ـ ولكن اليوم الذى يطلع فى ـ ط ـ أطول من اليوم الذى يطلع فى ـ ح ـ والليلة التى تغرب فى ـ ل ـ (أقصر من الليلة التى تغرب فى ـ ن ـ فاذا اليوم الذى يطلع فى ـ ح ـ أطول كثيراً من الليلة التى تغرب فى ـ ل ـ) و هى التى تتقدم وأيضاً إن غربت فى ـ ح ـ و يكون طلوعها الذى قبل ذلك فوق ـ ط ـ وليكن فى ـ ن ـ ويكون اليوم الذى يطلع فى ـ ن ـ مساوياً لليلة التى تغرب فى ـ ح ـ و لكن اليوم الذى يطلع فى ـ ن ـ أطول من الذى يطلع فى ـ ط ـ

فالليلة التى تغرب فى ـ ح ـ أطول أيضاً من اليوم الذى يطلع فى ـ ط ـ والليلة التى تغرب فى ـ ك ـ أطول من الليلة التى تغرب فى ـ ح ـ فهى أطول كبراً من اليوم الذى يطلع فى ـ ط ـ وهى التى تتأخر عنه ولكون إحدى الليلتين اللتين تكتنفان يوم الاعتدال أطول منها، والاخرى أقصر منها فلاإستواء لليل و النهار وبمثله تبين انه إذا كان الغروب فى ـ ط ـ و الطلوع فى ـ ك ـ كان الحكم كذلك وذلك ما أردناه .

إذاجازت الشمس النقطة الربيعية من معدل النهار ولم يكن وقت الطلوع و لاوقت الغروب فيهافلا إستواء حينئذ لليل و النهار : (رقم ١٥)

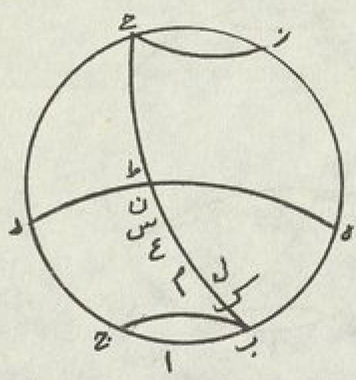


و نعيدالشكل إلا انانجعل نصف- ب ح د - النصف الذى منا لشتوى إلى الصيفى و - ح - نقطة الاعتدال الربيعى و الشمس طالعة تحت - ح - من -ط- وغاربةيومئذ فوق -ح-فى-ك-وليكن غروبها الذى قبل -ط-فى-ل- ونبين بمثل ماثبينا ان اليوم الذى تطلع الشمس فيه من - ط - يكون أقصر من الليلة التى تتقدمه ، وأطول من التى تتأخر عنه و كذلك إن كانت غاربة فى - ط - طالعةفى- ك- فتبين انهلايكون حينئذ إستواء الليل والنهارو ذلكماأردناه .

تمت المقالة الاولى

﴿ المقالة الثانية (كا) شكلا الأشكال ﴾

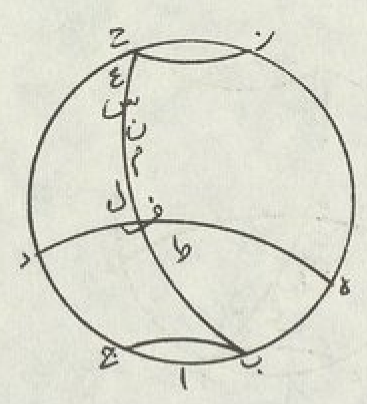
إذا كانت الشمس سائرة في الربع الصيفى كان كل يوم بليلته أطول من الذى بعده : (رقم ١٦)



فليكن الافق ـ ا ده ـ و المدار الصيفى ـ ب ج ـ و الشتوى ـ ز ح ـ ومعدل النهار ـ د هـ ـ و نصف فلك البروج الذى من المنقلب الصيفى إلى الشتوى ظاهراً و هو ـ ب ط ح ـ فيكون ـ ب ط ـ الربع الصيفى و لتغرب الشمس وقتاً ما فى ـ ك ـ و فى الليلة التى تليه فى ـ ل ـ ووقتاً آخر بعد ـ ك ـ فى ـ م ـ و نفصل ـ م ن ـ مساوية ا ـ ك ل ـ و الشمس تسير هما فى زمانين متساويين كل واحد منهما دورة للكل مع زمان غروب قوس ـ ك ل ـ و زمان غروب ـ ك ل ـ أعظم من زمان غروب ـ م ن ـ فالشمس تسير ـ م ن ـ فى زمان أطول من زمان دورة للكل مع زمان غروب ـ م ن ـ

ولتسر فيهما لامحالة أقصر من - م ن - فلتسر مابين -س-لكن عندغروب - ن - تكون الشمس غاربة قبلها لكونها فى - س - و لكى يطابق إنتهاء السير الغروب ينبغى أن تسير قوساً أصغر من - م س - و لتكن تسير - م ع - و تغرب الشمس على - ع-ولكون -م ع - أصغر من -ك ل - يكون اليوم الذى بليلة اللذين مبدؤهما غروب الشمس فى - ك - أعنى زمان مسير- ك ل - أطول من اليوم بليلته اللذين مبدؤهما غروب الشمس فى - م - أعنى زمان مسير - م ع -وذلك ماأردناه .

إذاكانت الشمس سائرة فى الربع الخريفى كان كل يوم بليله أقصر من الذى بعده و نعيد الشكل: (رقم ١٧)



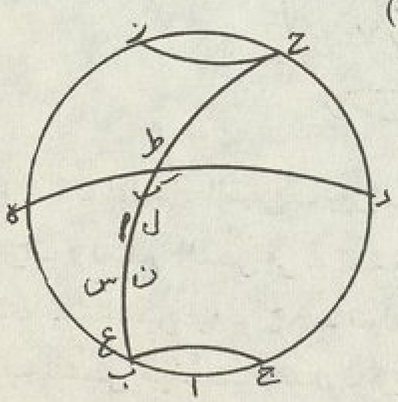
وليكن فى ربع - ح ط - الخريفى غروب مافى - ك - و غروب يليه فى - ل - و غروب آخر بعد غروب - ك - كيف اتفق فى - م - و نفصل - م ن -مساوياً - ك ل - فالشمس تسيرهما فى زمان واحد و هو دورة الكل مع زمان غروب - ك ل - و زمان غروب - ك ل - أقصر من زمان غروب - م ن - (و الشمس تسير فى دورة مع زمان غروب - م ن -) أكثر من - م ن - فلتسر - م س - و لكن عند غروب - ن - لم تغرب الشمس بعد لأنها فى - س - فلكى يطابق إنتهاء السير الغروب ينبغى أن تسير قوساً أعظم من - م س - و ليكن - م ع - لتسير هاويغرب فى - ع - و - م ع - أعظم من - ك ل - و الشمس تسير - ك ل - فى

زمان أقصر من الزمان الذى تسير فيه ـ م ع ـ فاذا اليوم بليلته اللذين مبدؤهما
غروب الشمس فى ـ ك ـ أقصر من اللذين مبدؤهما غروب الشمس فى ـ م ـ وذلك ما أردناه.

إذا كانت الشمس سائرة فى الربع الشتوى كان كل يوم بليله أطول من الذى
بعده ونعيد الشكل : (رقم ١٨)

وليكن نصف الدائرة الشمسية الذى من الشتوية إلى الصيفية ظاهراً وهو
ـ ح ط ب ـ وليكن فى الربع الخريفى وهو ـ ح ط ـ طلوع فى ـ ك ـ و الذى
يليه فى ـ ل ـ وطلوع ما آخر بعد ـ ك ـ فى ـ م ـ و نفصل ـ م ن ـ مساوية
ا ـ ك ل ـ وتبين بمثل ما مرّ فى الشكل الاول لكون زمان طلوع ـ ك ل ـ أطول
من زمان طلوع ـ م ن ـ و ان اليوم بليله اللذين مبدؤهما الطلوع من ـ ك ـ
أطول من اللذين مبدؤهما الطلوع من ـ م ـ و ـ د ـ وذلك ما أردناه.

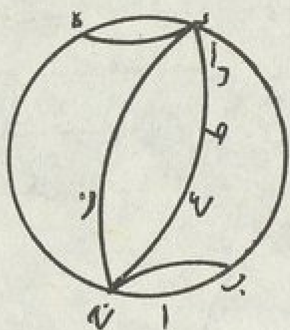
إذا كانت الشمس سائرة فى الربع الربيعى كان كل يوم بليله أقصر من الذى
بعده ونعيد الشكل: (رقم ١٩)



ونفرض فى الربع الربيعى وهو ـ ط ب ـ طلوعها فى ـ ك ـ وآخر بليه فى ـ ل ـ وآخر كيف ما كان بعد ـ ك ـ فى ـ م ـ ونفصل ـ م ن ـ مثل ـ ك ل ـ و تبين بمثل ما مرّ فى الشكل الثانى لكون زمان طلوع ـ ك ل ـ أقصر من زمان طلوع ـ م ن ـ وان اليوم بليله المبتدىء من طلوع ـ ك ـ أقصر من اليوم بليله المبتدىء من طلوع ـ ك ـ أقصر من اليوم بليله المبتدىء من طلوع ـ م ـ وذلك ما أردناه.

أقول : انه أحد الايام بلياليها فى ربعى النصف و الخريف غروبه و فى الربعين الباقيين طلوعه ليصح الحكم المذكور له و لو كان ياخذ الجميع طلوعيه أو غروبيه لما صح و الاولى أن يؤخذ مبادىء الايام بلياليها من كون الشمس على دائرة نصف النهار ليكون الكل على نهج واحد ويستمرّ الحكم المذكور فيها فى جميع الافاق..

الأيام بلياليها التى بعد الانقلاب الصيفى أعظم من التى تقابلها بعد الانقلاب الشتوى و كذلك نظائرهما: (رقم ٢٠)

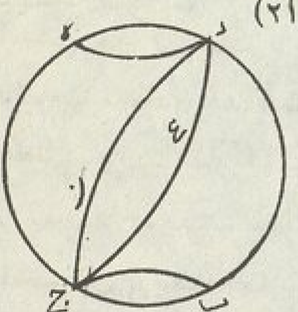


فليكن الافق ـ ١ ـ والمدار الصيفى ـ ب ج ـ والشتوى ـ ده ـ والدائرة الشمسية ـ ج ز د ح ـ و لتطلع الشمس فى ـ ج ـ ثم فى ـ ز ـ فيكون زمان اليوم بليله هو الذى تسير الشمس فيه ـ ج ز ـ نقول : وهو أعظم من زمان اليوم بليله الذى تطلع فيه الشمس من ـ د ـ ونفصل ـ د ح ـ مثل ـ ج ز ـ فالشمس تسيرهما فى زمانين متساويين و ـ ج ز ـ يطلع فى زمان أطول من الزمان الذى

يطلع فيه د ح . والزمان الذى تسير فيه الشمس ـ ج ز ـ هو دورة الفلك مع زمان طلوع ـ ج ز ـ هو أطول من دورة الفلك مع زمان طلوع ـ ح د ـ ففى دورة الفلك مع زمان طلوع ـ د ح ـ تسير الشمس أقل من ـ د ح ـ ولتسر. د ط . ولكن إذا طلعت ـ ح ـ و كانت الشمس فى ـ ط ـ فهى قد طلعت مثل ذلك، فلكى يطابق إنتهاء السير الطلوع ينبغى أن يكون ماسار به الشمس أقل من ـ د ط ـ و ليكن ـ د ك ـ فزمان اليوم الذى تطلع فيه الشمس من (ـ د ـ هو الزمان الذى تسير فيه قوس ـ ج ك ه ـ و لكون ـ د ك ـ أصغر من ـ د ح ـ أعنى من ـ ج ز ـ يكون اليوم بليله الذى تطلع فيه الشمس من ـ ج ـ أطول من اليوم بليله الذى يقابله أعنى الذى يطلع فيه من ـ د ـ و كذلك فى نظائرهما، ومعناه ان اليوم بليله الذى يكون قبل الانقلاب الشتوى يكون أطول من الذى يقابله قبل إنقلاب الصيفى وذلك ما أردناه.

أقول: وليشترط فى هذا الحكم كون الايام جميعها طلوعية.

الايام بلياليها التى بعد الانقلاب الصيفى مساوية لمقابلاتها من التى بعد الانقلاب الشتوى و كذلك نظائرها و نعيد الشكل: (رقم ٢١)



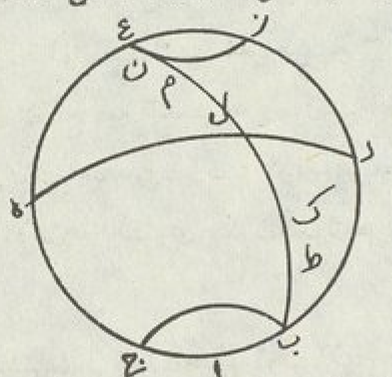
و لتطلع الشمس من ـ ج ـ ثم من ـ ز ـ وليكن ـ ج ز ـ مساوية ا ـ د ح ـ فالشمس تسيرهما فى زمان واحد و يكون زمان طلوع قوس ـ ج ز ـ مساوية لزمان غروب قوس ـ د ح ـ و فى الزمان الذى تسير فيه الشمس ـ ج ز ـ يدور الفلك دورة (وتطلع قوس ـ ج ز ـ وفى مثله الذى تسير فيه ـ د ح ـ يدور الفلك

دورة) وتغرب قوس - د ح - فاذا اليوم بليله الذى من طلوع الشمس من - ج - إلى طلوعها من - ز - مساو لليوم بليله الذى من غروب الشمس فى - د - إلى غروبها فى - د ح - وكذلك فى نظيرهما وذلك ما أردناه.

أقول: وظاهر ان هذا الحكم مشروط بأن يكون أحد اليومين طلوعياً و الآخر غروبياً.

الايام بلياليهـا المتساوية البعد عن كل واحـد من الاعتدالين متساوية:

(رقم ٢٢)

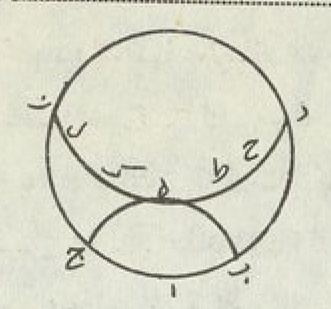


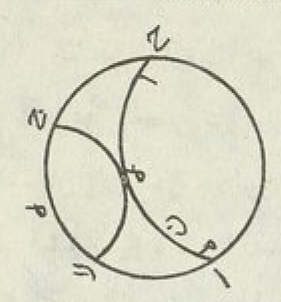
فليكن الافق -١- والمدار الصيفى- ب ج - ومعدل النهار- ده - والشتوى - ز ح - و نصف الدائرة الشمسية الذى بعد أول السرطان - ب ل ح - و لتطلع الشمس يوماً فى - ط - و بعده فى - ك - و نفصل - ل م - مثل - ك ل - نقول: فاليوم بليله الذى مبدؤه طلوعها من - ط - مساو للذى مبدؤه طلوعها من - م - ونفصل - م ن - مساوية ا - ط ك - فالشمس تسيرهما فى زمان واحد وهما يطلعان فى زمان واحد ودورة الفلك مع أحدالزمانين كهى مع الآخر و كل واحد من المجموعين يوم بليله فاذا يوم - ك ط - بليله مساوليوم - م ن - بليله و كذلك فى الاعتدال الآخر وذلك ما أردناه.

أقول: ويشترط فيه أن تكون الايام طلوعية جميعاً أوغروبية جميعاً.

الايام بلياليها المتساوية البعد عن كل واحـد من الانقلابين متساوية:

(رقم: ٢٣)



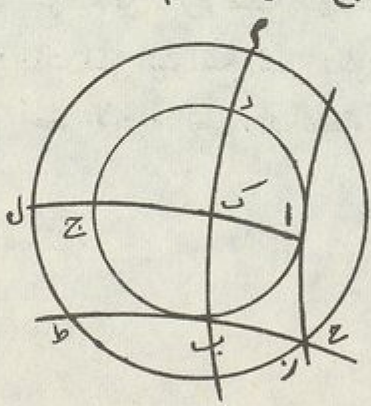


فليكن الافق ـ ا ـ والمدار الصيفى ـ ب ج ـ والدائرة الشمسية ـ ده ز ـ و لتطلع الشمس فى ـ ح ـ وبعد ـ ه ـ فى ـ ط ـ ولتكن ـ ه ك ـ مساوية ا ـ ه ط ـ نقول : فاليوم الذى مبدؤه الطلوع من ـ ح ـ بليله مساو لليوم الذى مبدؤه الغروب فى ـ ك ـ بليله ونفصل ـ ك ل ـ مساوية ا ـ ح ط ـ فتسيرهما الشمس فى زمان، ويكون زمان واحد ويكون زمان طلوع ـ ح ط ـ كزمان غروب ـ ك ل ـ وهما مع الدورة متساويان، وإذاً صحّ ما ادعيناه وذلك ما أردناه.

أقول: والظاهر أن ذلك إنما يصح إذا كان أحدهما طلوعياً والآخر غروبياً.

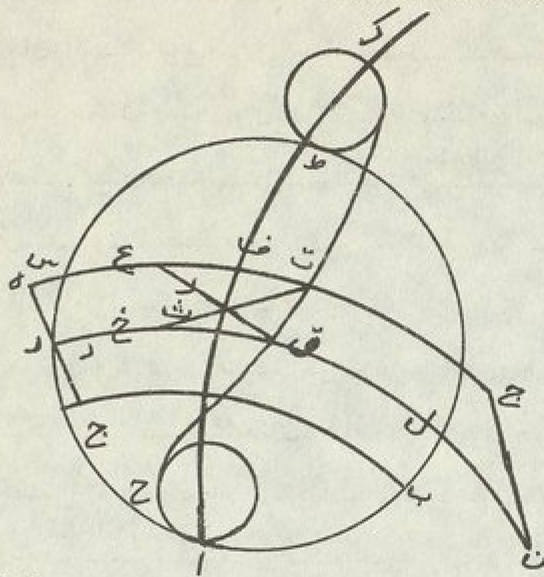
« مقدمة »

أقطار الدوائر العظام التى تماس دائرة ما على الكرة جميعاً تكون على دائرة موازية لتلك الدائرة وإذا مرت دائرة عظيمة بقطبي المتوازيين تمام الواقع بين القطب وبين محيط الاخرى من زبع العظيمة: (رقم ٢٤)



فلتكن دائرة - ا ب ج د - دائرة ما على الكرة ولتماسها عظيمتا - اه ز - ب ح ط - على نقطتى - ا ب - و ليكن القطب - ك - ونخرج - ا ك - ب ك - من عظيمتين إلى أن يتمّ الربع فيكون - ا ك ل - ربعاً و كذلك - ب ك م - ويكون - ل - قطباً لدائرة - ه ا ز - و - م - قطباً الدائرة - ح ب ط - ولكون - ا ك - ب ك - متساويين يبقى - ك ل - ك م - متساويين أيضاً وهما تماما هما من الربع و إذا رسمنا على قطب - ك - و ببعد - ك ل - دائرة - ل م ه - فهى تمرّ بنقطة - م - فتكون تلك الدائرة موازية لدائرة - ا ب ج د - مارة بقطبى المتماستين لها ويكون من قطبها إلى محيطها تماماً لما يكون من قطبى دائرة -ا ب ج د - إلى محيطها وذلك ما أردناه.

إذا وافت الشمس نقطة الانقلاب (الاعتدال خ) فى إنتصاف نهاراً و ليلة فانها تكون حينئذ على دائرة نصف النهار وذلك لانا بينا فى المقالة الاولى: انها إذا طلعت أو غربت فى موازية واحدة بعينها فهى توافى الانقلاب فى إنتصاف النهار أو إنتصاف الليلة على دائرة نصف النهار و تبين من ذلك ما ادعينا و لا يكون فى غير ذلك من الايام و من الليالى وقت انتصافهما على دائرة نصف النهار ألبتة ، بل يكون فى النصف الذى من الانقلاب الصيفى إلى الشتوى فى انتصاف الايام و الليالى فى نقطة شرقية عن دائرة نصف النهار و فى النصف الآخر فى نقطة غربية عنها ، و ذلك فى المواضع التى تكون أقطاب آفاقها بين الدائرتين اللتين هما أعظم الابدية الظهور و الخفاء وبين مدارى المنقلبين: (رقم ٢٥).



فليكن الافق -١- والمدار الصيفى - ب ج - ووضع الدائرة الشمسية على - د ز ه - و لتكن الشمس فى النصف الذى من الانقلاب الصيفى إلى الشتوى و لتطلع فى - ز - و لتغرب ذلك اليوم فى - ه - فيكون زمان النهار (فالشمس فى انتصاب النهار تكون فى نقطة شرقية من دائرة نصف النهار خ) الزمـان الذى الشمس فيه - ز ه - وليكن أعظم الأبدية الظهور - ا ح - وأعظم الأبدية الخفاء - ط ك - ودائرة نصف النهار - ا ك - وليمر بنقطتى - ز - ه - موازيتى - ز ل - - ه م - ولأن الشمس تغرب فى - ه - على - م - فيكون وضع قوس - ز ه - عند غروبهـا مثل وضع - م ن - ونخرج - ز ل - إلى - ن - وليكن - ع ف - نصف - ه س - و - ق ز - نصف - ل ن - ولأن نصف النهار ينصف المتوازية فتكون - م ف - ف س - متساويتين، ونجعل - ف ع - مشتركة فيكون جميع - م ع - مساوياً - ا س ف - ف ع - معاً أعنى ا - ع ه -

وذلك لكون - س ه - ضعف - ن ع - و بمثل ذلك يكون - ز ق - مثل - ق ن - ولأن الزمان الذى تسير الشمس فيه قوس - ز ه - يبدل قوس - ز ه - نصف الكرة الظاهرة فيقطع - ز - قوس - ز ن - و - ه - قوس - م ه - فيكون

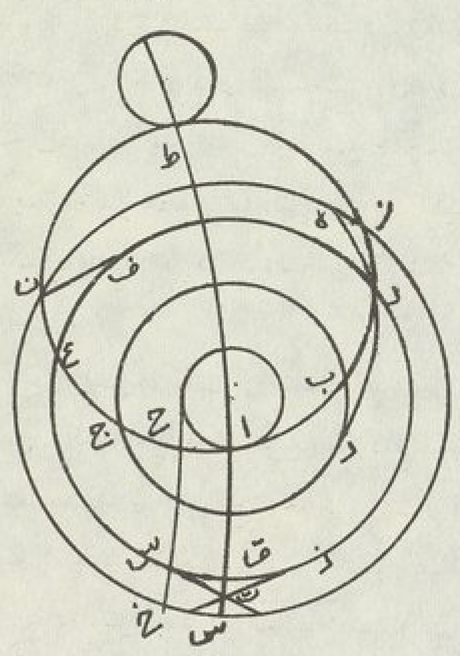
ذلك الزمـان زمان النهـار يومئذ وفى نصفه يقطع ـ ز ـ قـوس ـ ز ق ـ و ـ ه ـ قوس ـ ه ع ـ ولذلك يكون وضع قوس ـ ز ه ـ فى إنتصاف النهار كوضع ـ ق ع ـ ونرسم على ـ ق ـ عظيمة تماس دائرتى ـ زح ـ طك ـ وهى دائرة ـ ح ق ش ـ ولتماسهما على نقطتى ـ ح ش ـ فيكون النصف منها الذى من ـ ح ـ فى جهة ـ ق ـ لايلاقى نصف دائرة ـ ا س ط ـ الذى من ـ ا ـ فى جهة ـ س ـ

ولذلك تكون قوس ـ ق ز ـ شبيهة بقوس ـ ت س ـ وكانت ـ ق ز ـ شبيهة ا ـ ع ه ـ فقوسا ـ ت س ـ ع ه ـ متشابهتان وهما من دائرة واحدة فهما متساويان وتلقى ـ ع س ـ المشتركة فيبقى ـ ت ع ـ مثل ـ س ه ـ وكانت ـ ف ع ـ نصف ـ س ه ـ مساو ـ ت ف ـ مساو ا ـ ف ع ـ ونرسم على ـ ت ث ـ عظيمة ـ ت ث ح ـ ولأن دائرة ـ ا ك ـ مارة بقطبى دائرة ـ م ه ـ فهى تنصفها وتقوم عليها فقوس ـ ف ز ا ـ قائمة على قطر دائرة ـ م ه ـ المار بنقطة ـ ف ـ وقد أعلم عليهـا نقطة ـ ث ـ كيف اتفقت وأحدث عن جنبتـى نقطة ـ ف ـ من دائرة ـ م ه ـ قوسان متساويتان هما ـ ف ت ـ ف ع ـ وخرجت إليهما قوسا ـ ت ث ث ع ـ من دائرتين متساويتين، فهما متساويتان ولأن دائرتى ـ ا ب ج ح ق ش ـ تمسّان دائرتى ـ ا ح ـ طك ـ وأحد قطبى دائرة ـ ا ب ج ـ بين دائرتى ـ ا ح ـ ب ج ـ فيـكون أحد قطبى دائرة ـ ح ق ش ـ أيضاً بينهما وقطبه الآخر بين دائرتى ـ ط ك ـ والمدار الشتوى بل بين ـ طك ـ ودائرة ـ ق ع ـ المماسة للمدار الشتوى.

فاذا توهمنا عظيمة تمرّ بقطب دائرة ـ ح ق ش ـ وبنقطة ـ ث ـ قامت على دائرة ـ ح ق ش ـ ومرت بهـا فيما بين نقطتى ـ ق ح ـ فيكون لـذلك ـ ث ت ـ بل ـ ث ع ـ أعظم من ـ ث ق ـ وإذا نصفنا ـ ع ق ـ على ـ د ـ وقعت ـ د ـ فيمـا بين نقطتى ـ ث ع ـ ولأن الشمس تسير قـوس ـ د ه ـ المساويـة ا ـ ق ع ـ فى زمان النهـار فهى تسير ـ ق د ـ فى نصف ذلك الزمان وتوافى نقطة ـ د

ـ وقت إنتصاف النهارو هي شرقيـة عن دائرة ـ ا ك ـ نصف النهـار و ذلك مـا أردناه.

ونعيد البيان ان الشمس فى إنتصاف الليل تكون أيضاً على نقطة شرقية عن دائرة نصف النهار الافق والمدار الصيفى (المدارين الصيفى والشتوى خ) وأعظم الابدية الظهور والخفاء ودائرة نصف النهار والقوس المذكورة من الدائرة الشمسية وهى قوس ـ د ز ه ـ ونفرض الشمس أيضاً فى النصف المذكور من الفلك وليغرب ليله فى زمان ـ ز ـ ثم ليطلع بعده فى ـ ه ـ: (رقم ٢٦)

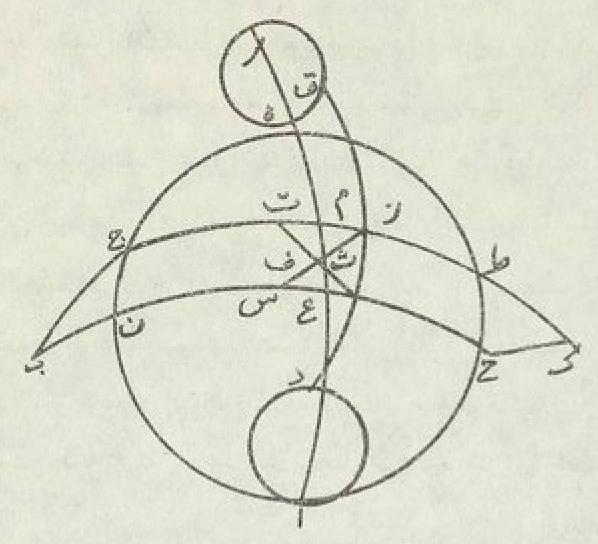


وليكن موازى ـه ز ـ دائرتي ـه م ن ـ ز س ع ـ ولأن الشمس تطلع في ـ ه ـ من موضع ـ ن ـ فيصير حينئذ وضع ـ زه ـ كوضع ـ ن ف ـ وليكن ـ ق س ـ مثل نصف ـ ع ف ـ و ـ ش م ـ مثل ـ زه ـ وتبين بمثل ما مر" (لأنا إذا جعلنا ـ س ع ـ مشتركة يكون ـ ف س ع ـ ك ـ ع ق س ـ أعنى ـ س ق ز ـ و ـ م ز ـ مشتركة فتكون ـه ز م ـ ك ز ش م ـ أعنى ـ ن ش م ـ) أن قوس ـ ف ع س ـ مثل قوس ـ س ق ز ـ وأن

قوس ـ ن ش م ـ مثل قوس ـ م ز ه ـ ولأن الزمان الذى تسير الشمس فيه ـ زه ـ ويستبدل ـ زه ـ نصف الكرة الخفيـة يقطع فيه ـ ز ـ قوس ـ ز ق ف ـ و ـ ه ـ قوس ـ ه م ن ـ وهو زمان تلك الليلة، ففى نصفها يقطع ـ ز ـ قوس ـ ز ق س ـ و ـ ه ـ قوس ـ ه زم ـ ويصير وضع قوس ـ ه ز ـ كوضع قوس ـ س م ـ ونرسم عظيمة تمر بنقطة ـ س د ـ وتماس ـ ا ح ـ على ـ ح ـ

فيكون النصف المبتدئى من ـ ح ـ فى جهة ـ س غير ملاق للنصف المبتدىء من ـ ا ـ فى جهة ـ ب ـ ولذلك تكون ـ ز س ـ شبيهـة ا ـ زخ ـ وكانت ـ ز س ـ شبيهة ا ـ ه م ـ فقوسا ـ ه م ـ زخ ـ متشابهتان متساويتان ويسقط ـ زم ـ المشتركة فيبقى ـ ه ز ـ مساوية ا ـ م خ ـ وكانت ـ زه ـ ضعف ـ م ش ـ ف ـ م ش ـ مساوية ا ـ ش خ ـ ونخرج عظيمة خ ـ ت ـ وتبين بمثل ما مر أن ـ م ت ـ أصغر من ـ ت س ـ وأن منتصف قوس ـ م س ـ يكون على نقطة بين نقطتى ـ ت س ـ وليكن ـ ث ـ فتكون هى موضع الشمس وقت إنتصاف الليلة وهى شرقية أيضاً عن دائرة ـ اك ـ التى هى دائرة نصف النهار وذلك ما أردناه.

وليكن البيان ان الشمس إذا كانت فى النصف الذى من أول الجدى إلى أول السرطان كانت فى إنتصاف النهار على نقطة غربية من دائرة نصف النهار الافق ـ ١ ـ قوس ما من الدائرة الشمسية ـ ب ج ـ وليطلع يوماً فى ـ ج ـ ثم ليغرب فى ذلك اليوم فى ـ ب ـ وليكن أعظم الأبدية الظهور ـ ا د ـ وأعظم الأبدية الخفاء ـ ه ز ـ و دائرة نصف النهار ـ ا ز ـ والمتوازيان يدور عليهما نقطتا ـ ج ب ـ دائرتى ـ ج ط ـ ب ح ـ ولأن الشمس تغرب فى ـ ب ـ عند ـ ح ـ فيكون وضع دائرة البروج حينئذ على وضع قوس ـ ك ح ـ ونخرج ـ ج ط ـ إلى ـ ك ـ: (رقم ٢٧)



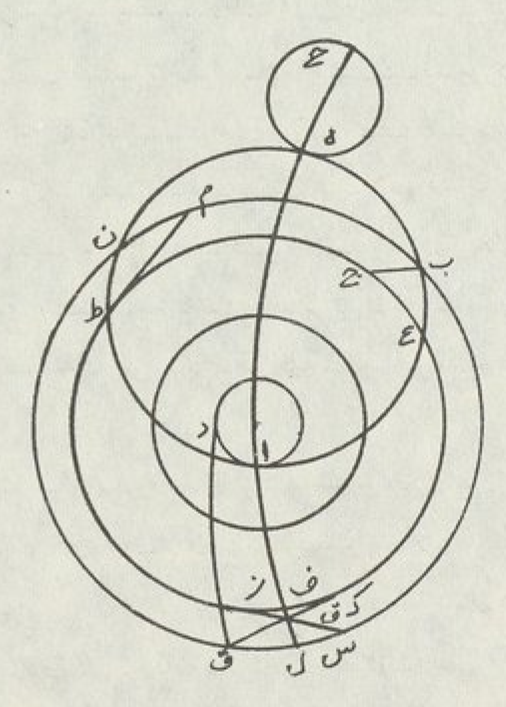
وليكن ـ لم ـ نصف ـ طك ـ و ـ ع س ـ نصف ـ ب ن ـ فيكون ـ ب س ـ مساوية ا ـ س ح ـ و ـ ج ل ـ مساوية ا ـ لك ـ لمامر ولأن الزمان الذى تسير فيه الشمس ـ ب ج ـ يستبدل فيه ـ ب ج ـ نصف الكرة الظاهرة فيقطع فيه ـ ب ـ قوس ـ ب ح ـ و ـ ج ـ قوس ـ ج ك ـ وهو زمان يومئذوفى نصفه يوافى ـ ج ـ إلى ـ ل ـ و ـ ب ـ إلى ـ س ـ فيصير وضع البروج على وضع قوس ـ ل س ـ و لتمر عظيمة بنقطة ـ ل ـ تماس دائرتى ـ ا د ـ ه ز ـ على نقطتى ـ د ق ـ فيكون النصف الذى من ـ د ـ فى جهة ـ ل ـ غير ملاق للنصف الذى من ـ ا ـ فى جهة ـ ج ـ.

ولذلك تكون قوس ـ ج ل ـ شبيهة بقوس ـ ز ن ـ فكانت ـ شبيهة بقوس ـ س ب ـ فقوسا ـ س ب ـ ز ن ـ متشابهتان متساويان ـ ز س ـ مثل ـ ن ب ـ التى هى ضعف ـ ع س ـ ف ـ ز ع ـ ع س ـ متساويان ونرسم على نقطتى (ـ ز ف ـ عظيمة ـ زف ت ـ ولأن دائرة ـ ز ا ـ قائمة على دائرة ـ ب ح ـ فقطعة ـ ع ز ـ قائمة على قطر ـ ا ـ) دائرة ـ ب ح ـ المار بنقطة ـ ع ـ و ـ ف ـ نقطة ما على القطعة و ـ ع س ـ ع ز ـ متساويتان، فلذلك يكون ـ ف ز ـ ف س ـ متساويتين.

وبمثل مامرّ تبيّن ان ـ ف ل ـ أعظم من ـ ف ز ـ بل من ـ ف س ـ و إذا نصفنا ـ ل س ـ على ـ ث ـ وقعت نقطة ـ ث ـ فيما بين نقطتي ـ ل ف ـ فتكون غربية عن نصف النهار وهي موضع الشمس عند إنتصاف النهار وذلك ما أردناه.

وأيضاً ليكن البيان انها في إنتصاف الليل في هذا النصف من السنة يكون أيضاً على نقطة غربية الافق ـ ا ـ ولتغرب الشمس ليلة ما في ـ ب ـ ولتطلع تلك الليلة في ـ ج ـ وليكن أعظم الأبدية الظهور ـ ا د ـ وأعظم الابدية الخفاء ـ ه ح ـ و نصف النهار ـ ل ح ـ والمتوازيتان اللتان يدور عليهما ـ ب ج ـ دائرتي ـ ب ل ن ـ ج ف ط ـ ولأن الشمس تطلع في ـ ج ـ على ـ ط ـ يكون وضع البروج حينئذ على ـ م ط ـ

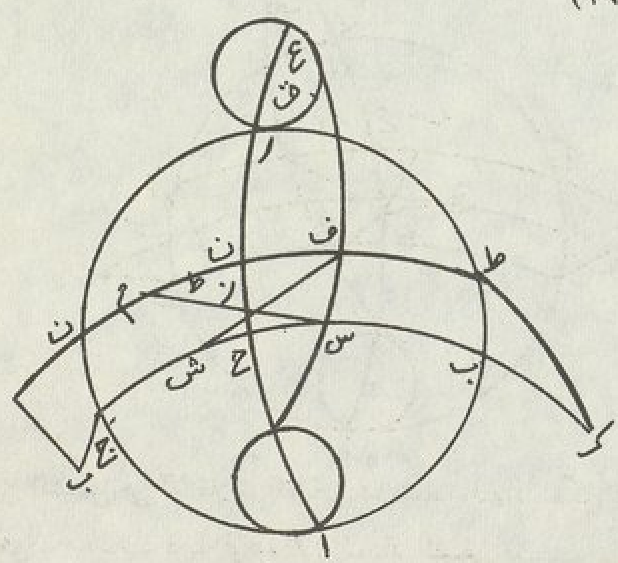
(رقم ٢٨)



وليكن ـ ل س ـ نصف ـ م ن ـ و ـ ك ف ـ نصف ـ ج ع ـ فيكون ـ ك ج ـ مساوية ا ـ ك ط ـ و ـ ب س ـ مساوية ا ـ ك م ـ كما مرّ وفي نصف الليل يكون

وضع البروج على -ك س- ونرسم على- س- دائرة تماس- ا د- فيكون لذلك- زع- شبيهة ب- س ب- بل- ب- ك ح- وتكون لذلك- ك ف- ف ز- متساويتين ونرسم عظيمة- زق ش- وتبين بمثل ما مر تساوى- قك- ق ز- وان- قك- أعظم من- ق س- و تنصف- ك س- على- ز- فتقع نقطة- ز- بين نقطتى- ق ك- وهى موضع الشمس فى إنتصاف الليل وظاهر انها غريبة عن دائرة نصف النهار وذلك ما أردناه.

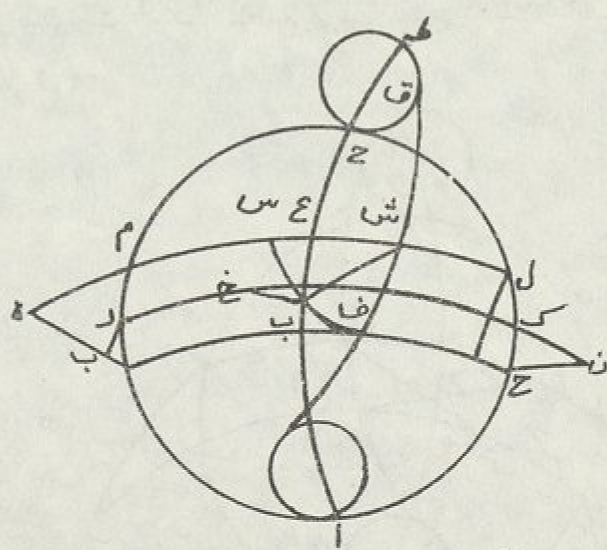
لا تكون الشمس فى إنتصاف نهار أو ليل أبداً على دائرة نصف النهار إلا إذا كانت وقتئذ فى إحدى نقطتى الانقلاب فلتكن يوماً فيها عند طلوعها، نقول: فهى تكون وقت إنتصاف النهار فى نقطة شرقية من دائرة نصف النهار وليكن لبيان ذلك الافق- ا- والمدار الصيفى- ب ج- والدائرة الشمسية على وضع- ج د- ونصفها الذى يلى رأس السرطان تحت الارض، وليطلع فى- ج- وهى الانقلاب الصيفى ثم ليغرب يومئذ فى- د- (رقم ٢٩)



وليكن أعظم الأبدية الظهور- ا م- وأعظم الأبدية الخفاء- ز ح- والموازية

التي يدور عليها - د - دائرة - د ط - و عند الغروب يصير وضع الدائرة الشمسية على - ك ط - و ليكن - م ن - نصف - د ل - و - ع س - نصف - ب ك - فتكون - د م - مساوية ا - م ط - و - ج س - ا - س ك - و في إنتصاف النهار يصير وضع الدائرة الشمسية على - م س - ونرسم دائرة - ه س ق - مارة ب - س - ومماسة للأبديتين على - ه ق - وتكون لمامرّ - س ج - شبيهة ب - ف ل - وكانت شبيهة ب - م د - فيكون - ف م - مثل - ل د - و - ف ن - مثل م - ن م - و نرسم على - ف ز - عظيمة - ف ز ش - ونبين ان - ف ز - زم - متساويتان وأن - ز م - أعظم من - ز ش - و إذا نصفنا - س م - على - ظ - وقعت - ظ - فيما بين نقطتي - ز م - أعني شرقية عن نصف النهار وهي موضع الشمس عند إنتصاف النهار وذلك ما أردناه .

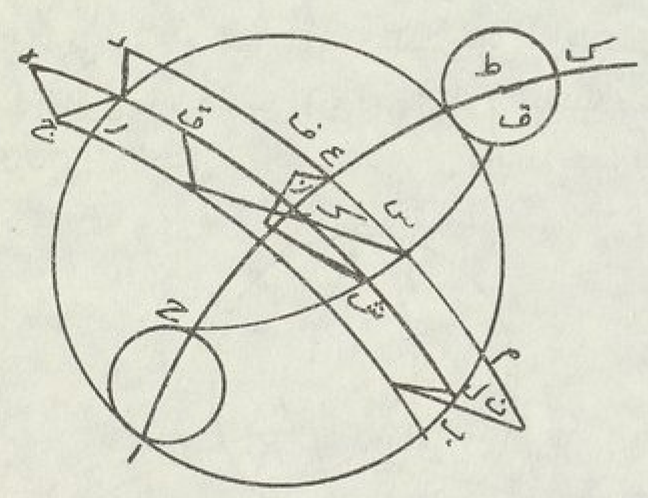
وأما في الشتوية فالحكم بالضد : (رقم ٣٠)



ثم لتكن الشمس في الانقلاب الصيفي قبل نصف النهار ليكن الطلوع في - د - و الغروب في - ب - و - د - أقرب إلى المدار الصيفي من - ه - وليكن المدار الصيفي - ب ج - و موازيتا - د ه - دائرتي - د ن - ه ل - و ليكن - ع س -

مثل نصف ـ م ه ـ و ـ ف ز ـ مثل نصف ـ ك ن ـ و وضع البروج في نصف النهار على ـ ف ت س ـ و نرسم ـ ز ف ق ـ من العظام مادة بـ ـ ف ـ ونبين ان ـ ف د ـ شبيهة بـ ـ ش م ـ وكانت شبيهة بـ ـ ش ه ـ و ان ـ ش س ـ مساوية ا ـ م ه ـ و ـ ش ع ـ مساوية ا ـ ع س ـ ش ت خ ـ ونبين تساوى ـ ش ث ـ س ت ـ و ان ـ ت ف ـ أعظم من ـ ت ش ـ بل من ـ ت ش ـ و ان ـ ف ت س ـ إذا نصف على ـ ث ـ وقعت ـ ت س ب ـ شرقية من دائرة نصف النهار وهى موضع الشمس فى دائرة نصف النهار وذلك ما أردناه

ثم ليكن الانقلاب الصيفى بعد نصف النهار : (رقم ٣١)

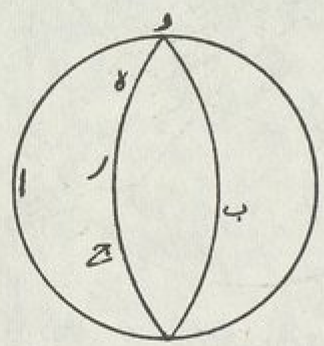


وليكن الطلوع فى ـ د ـ و الغروب فى ـ ه ـ و ـ ه ـ أقرب من المدار الصيفى و هو ـ ب ج ـ من ـ د ـ و نرسم موازيتى ـ دم ـ ه ل ـ و ليكن ـ ع س ـ مثل نصف ـ م ن ـ و ـ ز ق ـ مثل نصف ـ ز ه ـ فيكون ـ ه ق ـ مثل ـ ق ل ـ و ـ د س ـ مثل ـ س ن ـ و وضع البروج فى إنتصاف النهار على ـ س ت ق ـ و نرسم ـ ح س ق ـ من العظام مادة بـ ـ س ـ و نبين ان ـ س د ـ شبيهة بـ ش ز ـ و كانت شبيهة ـ ق ه ـ فـ ـ ش ز ـ ق ه ـ متشابهتان

متساويتان و ـ ش ق ـ مثل ـ ز ه ـ و ـ ش ز ـ مثل ـ ز ق ـ و نرسم ـ ش ت ف ـ من العظام ونبين تساوى ـ ش ت ـ ت ق ـ و ان ـ ف س ـ أعظم من ـ ت ش ـ بل من ـ ت ق ـ وان ـ س ت ق ـ إذا نصفت على ـ خ ـ وقعت ـ خ ـ بين نقطتى ـ س ت ـ غربية من دائرة نصف النهار وهى موضع الشمس فى إنتصاف النهار وذلك ما أردناه .

وبمثل ذلك تبين انها إذا نزلت الانقلاب قبل نصف الليل كانت إنتصاف الليل شرقية عنها وان نزلته بعد نصف الليل كانت غربية عنها وفى الانقلابات الشتوية جميع ذلك بالعكس والبرهان على قياس ماتكرر .

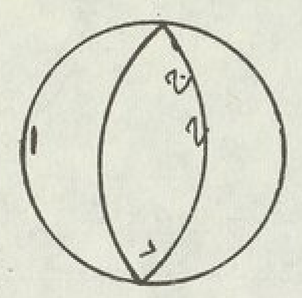
إن كانت سنة الشمس من أدوار تامة للشمس كانت الأيام و الليالى فى كل سنة مساوية فى الطول و القصر للأيام و الليالى التى فى السنين الآخر كل لنظيرة ويكون الطلوع والغروب من الافق ومن الدائرة الشمسية دائماً فى نقط بأعيانها و يكون نزول الشمس فى النقط الأربع فى ساعة واحدة غير مختلفة : (رقم ٣٢)



فليكن الافق ـ ا ـ و الدائرة الشمسية ـ ب ج ـ ولتطلع الشمس يوماً فى ـ د ـ و لتسر فلكها ولترجع فتطلع فى ـ د ـ لتكون السنة أدوار تامة من دورات الشمس وذلك لان غروبها إن كان بالفرض على ـ ه ـ والطلوع بعد ـ ه ـ على ـ ز ـ كان زمان النهار زماناً تسير الشمس فيه ـ د ه ـ و زمان الليل زماناً تسير (تستبدل خ) فيه ـ ه ز ـ و فى السنة الاولى تسير ـ د ل ـ قوس ـ د ه ـ فى زمانه

نصف الكرة الظاهرة والشمس تسير ـ د ه ـ أبداً فى زمان واحد ففى السنة الثانية أيضاً يكون كذلك و يكون ـ د ه ـ مساوياً لما كان فى السنة الاولى و كذلك فى الليلة التى تتلوه و فى سائر الايام والليالى ، وإذا كان الطلوع والغروب أبداً من نقط ـ د ه ز ـ فهى نقط بأعيانها من الدائرة الشمسية و تطلع وتغرب فى نقط غير مختلفة من الافق وذلك ما أردناه .

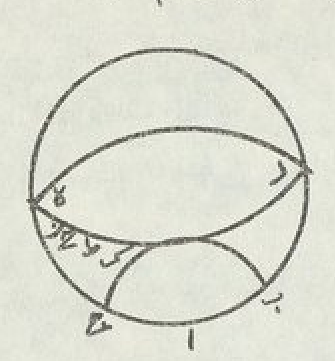
ونقول : ان الشمس تنزل النقط الاربع فى ساعات غير مختلفة : (رقم ٣٣)

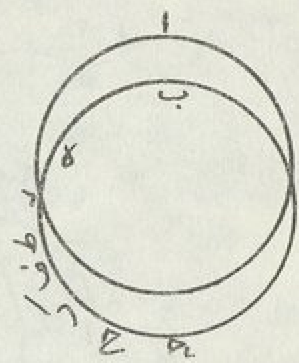


وليكن ـ ج ـ المنقلب الصيفى فان ابتدأت وقت الطلوع بالسير من ـ ج ـ و سارت إلى أن عادت إليها بأدوار تامة ابتدأت ثانياً أيضاً وقت الطلوع بالسير من ـ ج ـ فكانت نزولها الانقلاب دائماً وقت طلوعها وإن لم يبتدىء فى وقت الطلوع من ـ ج ـ بل إبتدأت من ـ ح ـ مثلاً ونزلت ـ ج ـ فى وقت ما من النهار عادت بأدوارها التامة إلى ـ ح ـ وسارت ـ ح ج ـ فى مثل ما سارت أولاً و كان الانقلاب فى مثل ذلك الوقت بعينه و كذلك القول فى نزولها نقطة ـ د ـ وفى الاعتدالين و ذلك ما أردناه .

فان لم تكن السنة من أدوار تامة الشمس لكن يتبعها جزء من دور لم تكن الايام و الليالى فى السنة الاولى مساوية لها فى السنة الثانية ولا الطلوع و الغروب فى الدائرتين على نقط بأعيانها و لا تنزل الشمس النقط الأربع فى أوقات بأعيانها فليكن الافق ـ ١ ـ والدائرة الشمسية ـ ب ج ـ و ليطلع يوماً فى ـ د ـ و لتسر الدائرة كلها إلى ـ ه ـ فى أدوار تامة و لتسر ـ ه د ـ فى جزء من دور نقول :

فالأمر يكون على ماهر وذلك لأنا إن فرضنا الغروب الذى بعد ـ ه ـ فى ـ ز ـ (بعد ـ د ـ فى ـ ل ـ) والطلوع الذى بعد ـ ه ـ فوق ـ ر ـ لان الغروب الذى يلى الطلوع الفوقانى يكون فوق الغروب الذى يلى التحتانى : (رقم ٣٤)





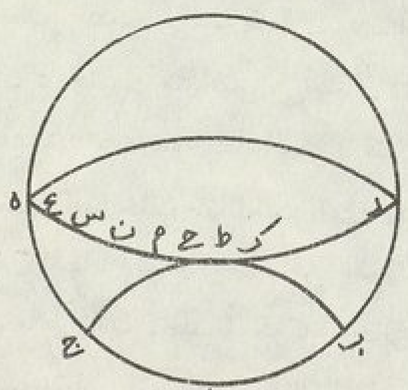
فليكن فى ـ ط ـ وكان الطلوع الذى بعد ـ ط ـ فوق ـ ح ـ بمثل ذلك فليكن فى ـ ك ـ ونقط ـ د ز ح ـ غير نقط ـ ه ـ ط ـ ك ـ فاذا الأيام والليالى والطلوعات والغروبات وأوقات النزول مختلفة وبمثله تبين فى السنة الثالثة (الثانية خ) وذلك ما أردناه.

إن فرضت أزمنة دورات الشمس متساوية كما هى عند الحس ، وفرضت السنة من ادوار للشمس تامة كانت الامور المذكورة غير مختلفة كما تقدم وإن كان مع الدورات جزء من دورة ، فان كان الجزء مقدوراً للدورة الواحدة عادت الامور المذكورة إلى مثالها بعد سنين اما انها بعد كم سنة تعود فليؤخذ لمعرفته عدد ان متباينان (متناسبان خ) على نسبة أجزاء الدورة الواحدة إلى ذلك الجزء الفاضل عن الدورات التامة فبعدد أكثر ذينك العددين من السنتين تعود الا- مور إلى حالها الاول وإن كان الجزء الفاضل غير مقدر للدورة التامة ، فان تلك الامور لاتعود إلى أمثالها أبداً فعلى رأى قاليس الذى يرى ان السنة تتم من ثلاث مأة و خمسة و ستين يوماً و ربع تام تكون العودات فى أربع سنين : (رقم ٣٥)

مثاله ليكن الافق-ا- والمدار الصيفى - ب ج - والدائرة الشمسية - د ه
- و لتطلع الشمس يوماًمن - ه - ولتدر ثلاث مأةو خمسةوستين دورة لتدر إلى
- ز - وبعد ثلاثمأة وخمسة و ستين دورة اخرى ينتهى إلى- ح - و نعد مثلها
فى المرة الثالثة إلى - ط - وفى المرة الرابعة إلى- ك - و تتمم -ك ه-دورة تامة
لكون كل واحد من قسى - ه ز - زح - ط - ط ك - حصة ربع ، فالجميع حصص
أربعة أرباع وهى ماتسيره الشمس فى دورة واحدة فاذا الشمس بعد تلك الدورة
الزائدة تعود طالعة فى - ه - وتعود جميع ما كان فى السنة الاولى بعينهافى تلك
السنة وهى الخامسة و كذلك فيمابعدها من السنين .

وأماعلى رأى قاطن و اوفطيمن الذين يريان السنة ثلاثمأة وخمسة و ستين
يوماًو خمسةأجزاء من تسعةعشر جزءاً من يوم واحدفانه تعود الدورات فى تسع عشرة
سنة .

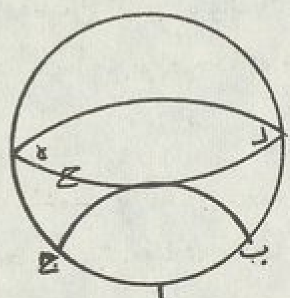
ونعيد الصورة ولتفرض الشمس طالعة من- ه - و نعدالدورات التامةمن -
ح- فيكون - ه ح - خمسةأجزاء من تسعة عشر: (رقم ٣٦)



وليكن كل واحد من- ح ط - ن ك - ك ل - مساوية ا ه ح - و يقسم-
ه ح - على - م ن- س ع - على الأقسام الخمسة ، وليكن - ل ف - أيضاً كاحدها
ففى السنة الثانية يبتدىء من- ح - وينتهى إلى - ط - و فى الثالثة ينتهى إلى-

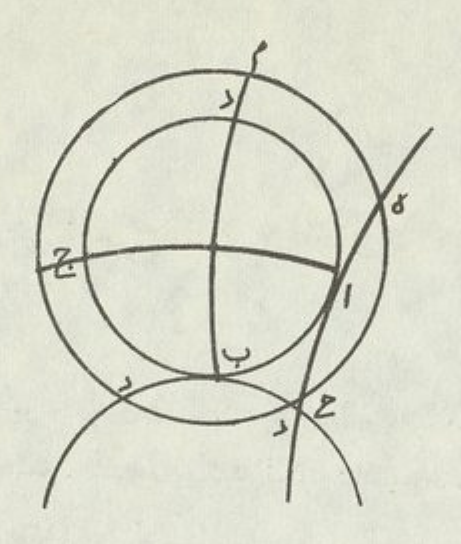
ك- و فى الرابعة ينتهى إلى - ل - و ينتهى بعدها بدورة واحدة إلى- ع - ثم على هذا القياس ينتهى بعد أربع سنين آخر إلى - س - و نعد ستة عشر سنة ، إلى - م - ثم إنهابعد ثلاث سنين آخر ينتهى إلى- ف - وتتم ثمانية عشرسنة، وفى آخر السنةالتاسعة عشر تزيددورةو تنتهىإلى- ه - فتعودالأحوال كلها كلما كانت أولاً وذلك ماأردناه .

أما إن كان الجزء الفاضل غير مقدر للدورة فان الدورات لاتعود إلى ما كانت عليه أبداً ، و لنعد لبيان ذلك الصورة المتقدمة و لتطلع الشمس من- ه- و لتنته بعد الأيام المذكورة إلى -ح - و - ح ه - ليست بمقدرة للدورة : (رقم ٣٧)



فان أمكن ان تطلع الشمس فى سنة ماعلى - ه - أيضاً كان إذانقصت كل سنةقوساً مثل- ه ح - و اجتمعت منهاقسى هى أضعاف - ح ه - وبقيت قوس لزم أن تعد تلك القوس الدورة وتعد مجموع تلك القسى ، فتكون قوس -ح ه -مقدرة للدورة و كانت غير مقدرة هذا خلف فاذاالحكم ثابت و ذلك ماأردناه .

هذه مقدمة محتاج إليها فى شكل - ط - من هذا الكتاب - أقطاب الدوائر العظام التى تماس دائرة ماعلى الكرة جميعاً يكون على دائرة موازية لتلك الدوائر و إذا مرت دائرة عظيمة بقطبى المتوازيين كان الواقع منها بين القطب و بين محيط كل واحد من المتوازيين تمام الواقع بين القطب و محيط الاخرى من مربع العظمة : (رقم ٣٨)



فليكن ـ ا ب ـ ج د ـ دائرة ما على الكرة و لتماسها عظيمتا ـ ا ه ز ـ ب ج ط ـ على نقطتى ـ ا ب ـ و ليكن القطب ـ ك ـ و نخرج ـ ا ك ـ ب ك ـ من عظيمتين إلى أن يتم الربع ، فيكون ـ ا ك ل ـ ربعاو كذلك ـ ب ك م ـ و يكون ـ ل ـ قطب لدائرة ـ ا ز ـ و ـ م ـ قطبا لدائرة ـ ح ب ط ـ و لكون ـ ا ك ـ ب ك ـ متساوين يبقى ـ ك ل ـ ك م ـ متساويين و هماتما ماهما من الربع وإذا رسمنا على قطب ـ ك ـ وببعد ـ ك ل ـ دائرة ـ ل م ـ فهى تمر بنقطة ـ م ـ فتكون تلك الدائرة موازية لدائرة ـ ا ب ج د ـ مارة بقطبى المماستين لها ويكون من قطبها إلى محيطها تماماً لما يكون من قطبى دائرة ـ ا ب ج د ـ إلى محيطها وذلك ما أردناه .



﴿ فى ايلاج الليل والنهار ﴾

قال الله جل وعلا: «يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه وما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣)

ان الله عز وجل هو الذى يدخل فى النهار ما ينقص من الليل. ويدخل فى الليل ما ينقص من النهار.

وذلك لأن الله تعالى يزيد من جزء من الليل على النهار، ويزيد من جزء من النهار على النهار، فيدخل جزءاً من الليل فى النهار، والعكس إذ يدخل نهار النصف الأول من السنة فى لياليها، و يدخل ليالى النصف الثانى فى نهارها مع إدخال ليالى النصف الأول فى نهارها، وإدخال نهار النصف الثانى فى لياليها .... و ذلك فى الافق المقابل لانه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار و بالعكس ولهذا تكرر الايلاج فالليل الذى يلج عندنا فى النهار هو بعينه نهار ثمة يلج فى الليل، وان البقاع الجنوبية أمرها على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير إعتبار كل يوم وليلة بعينه وان الحركة الخفية المتداخلة التى لا يقدر أحد على وقفها ولا ضبطها ولا تقسيمها و لا تحديدها ، فان دخول الليل فى النهار و بالعكس إنما يتمّم فى تدرّج وتداخل لا يمكن أن يحرز لحظاتها ولا تغيراتها ، بل شيئاً فشيئاً يسترب غبش الليل إلى وضائة النهار و يتنفس الصبح فى غيابة الظلام و كلاهما مشهد

مكرورولكن التعبير بهما لتقظية العيون، فكأنها لم تلحظهماولم يشهدهما حس" لأن كم في هـذا الكون العجيب من مشهد إذ تجفت له المشاعر كلها أول مرة ثم خفت الرجعة على المنظر المعاد و كذلك الحياة و الموت تتداخل أحدهمـا في الآخر كتداخل النور في الظلام و بالعكس لان كل لحظة تمر على الحي يدب فيه الموت إلى جانب الحياة وبالعكس فقد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» آل عمران: ٢٧)

وان هذه سنة كونية مطردة ظاهرة طبيعية تمر بالبشر صباحاً ومساء، صيفاً وشتاء، ربيعاً وخريفاً، بأن الليل يدخل في النهار عند المغيب، والنهار يدخل من الليل عند الشروق، وان الليل يدخل في النهار وهو يطول في مدخل الشتاء والنهار يدخل في الليل وهو يمتد عند مطلع الصيف، و كذلك الموت والحياة، وان الانسان يرى هذه السنة الظاهرة من ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل، ولكن ينسيه طول رؤيتها وطول ألفتها مماورائها من دقة النواميس واطرادها، فلاتختل مرة ولا تتوقف مرة، وهي تشهد بالقدرة الحكيمة التي تصرف هذا الكون وفق تلك النواميس...

وان القرآن الكريم يسوق نظر الانسان إلى تلك الظاهرة الكونية المكرورة المألوفة المنسية التي يمر عليها الناس، وهم عنها غافلون ليفتح بصائرهم ومشاعرهم على يد القدرة المطلقة والتدبير التام والحكمة البالغة.. وهي التي تطوي النهار من جانب، وتسدل الليل من جانب وهي تطوي الليل من جانب، وتنشر النهار من جانب في دقة عجيبة لاتختل وإطراد عجيب لا يتخلف.

ان الله عز وجل يأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة، والعكس، و لا يأخذ أحدهما من الآخر إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه، وذلك في بلاد مصر لا يعدو أربع ساعات، فأقصر النهار بمصر عشر ساعات وأطوله ١٤ ساعة وهكذا العكس فلا يأخذ النهار من الليل ولا الليل من النهار إلا بحساب واحد.

١ـ ان أقصر الليل ـ من أذان المغرب إلى أذان الصبح ـ فى أول تير بايران (٧) ساعات و (١٢) دقيقة، فعندئذ أطول النهار ـ من أذان الصبح إلى أذان المغرب ـ فيه (١٦) ساعت و (٤٨) دقيقة، وان أطول الليل كذلك فى أول دى (١٢) ساعة و(١٦) دقيقة، وأقصر النهار(١١) ساعة و (٤٤) دقيقة.

٢ـ ان كل من الليل والنهار ينقص فى النهار ويزيد فى النهاية عن الآخر أربع ساعات بمصر.

فاذا حاسبنا فى السنة نجد نصفها الليل، ونصفها الأخرى النهار من غير زيادة ولا نقصان أحدهما عن الآخر.

٣ـ ان الاختلاف بين الليل والنهار وايلاج أحدهما فى الاخر بأن لا يأخذ من كل نهار إلاّ ما أخذه الاخر منه كان فى أطراف الهند والصين بساعتين.

٤ـ وكان ذلك فى بلاد السند وبعض البلاد الفارسية أربع ساعات كالقاهرة كما تقدم.

٥ـ وكان فى البحر الاسود وقرب القسطنطنية ست ساعات.

٦ـ وكان ذاك فيما يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك ثمان ساعات.

٧ـ وكان ذلك فيما يقرب من بحر الشمال وما والاه عشر ساعات.

٨ـ وكان ذلك فيما وراء ذلك ١٢ و١٤ و١٦ و١٨ ساعة شمالى بحر البلطيق وفيما بينه وبين رأس الشمال تصل زيادة كل منهما عن الاخر فى النهار إلى ٢٠ و ٢٢ و٢٤ ساعة.

ثم تكون الزيادة بالأشهر ويكون أطول نهار يصل إلى ستة أشهر وأطول ليل يكون ستة أشهر ولكن فى ذلك كله يتساوى الليل والنهار فى السنة كما تساويا فى خط الاستواء، ففى خط الاستواء كل منهما ١٢ ساعة دائماً وفى القطبين كل منهما ستة أشهر دائماً فيما بين جزائر (جرولنده).

وهذا معنى قوله عزوجل: ان الليل لا يأخذ من النهار ولا النهار يأخذ من

الليل إلاّ على مقـدارما أخذ الآخرمنه.

وهذا هومعنى العدل الالهى فى النظام التكوينى: «والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عادكالعرجون القديم لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهـار وكل فى فلك يسبحون» يس: ٣٨-٤٠).



﴿الليل والنهار ودرس التوحيد﴾

قال الله تعالى : « و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر » فصلت : ٣٧)

وقال :« وجعلنا الليل و النهار و آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب و كل شيء فصّلناه تفصيلاً» الاسراء: ١٢)

وقال:« وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » النحل: ١٢)

و قال : « يقلّب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » النور:٤٤)

وقال :« قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون و من رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون » القصص : ٧١ _ ٧٣)

وقال : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها و الجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم » النازعات : ٢٧ _ ٣٣)

وقال :« فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم » الانعام: ٩٦)

وقال :« إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب » آل عمران : ١٩٠)

و **في دعاء الصباح** - عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - :« اللهم يامن دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه ، وسرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه ، و أتقن صنع الفلك الدوّار في مقادير تبرّجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأجّجه ... » الدعاء .

وفي دعاء الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان المبارك: « يا خازن الليل في الهواء وخازن النور في السماء ... » الدعاء .

وفي دعاء مسجد الكوفة: - « يامحيي الموتى أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الذي سجد لك شعاع الشمس ، ودويّ الماء ، وحفيف الشجر، ونور القمر و ظلمة الليل وضوء النهار وخفقان الطير... » الدعاء .

ومن الأدعية بعد صلاة الظهر الى صلاة العصر - عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء - : « يامن أضاء باسمه ضوء النهار و أظلم به ظلمة الليل ... » الدعاء

وفي دعاء الفرج من الآفات: - « يا منعم يامفضل أنت الذي سجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس و دويّ الماء و حفيف الشجر... » الدعاء

وفي أدعية الوسائل الى المسائل - :« و اجعل الليل عليّ ستراً من الآفات والنهار مانعاً من الهلكات ...» الدعاء

وفي دعاء السحر - : « سبحان الله على إقبال النهار ، سبحان الله على إدبار النهار ، سبحان الله على إدبار الليل ، سبحان الله على إقبال الليل . . . »

الدعاء

أقول: ولعمرى ان من تدبر فى تعاقب الليل و النهار بمجيىء أحدهما و ذهاب الاخرى، و فى طولهما وقصرهما على اختلاف الاقطار والبلدان على نظام خاص فلن يعتريه ريب فى أن لهذاالعالم صانعاً مدبراً، و ناظماً خبيراً، و حكيماً عليماً لاشريك له فى الملك.

و ذلك ان النظرة الواحدة المعتبرة إلى اختلاف الليل و النهار و ما فيهما من نظم و ترتيب و علاقات، و ماجريا تحت قوانين رياضية و طبيعية ثابتة يدل على أن الخالق لهذا العالم الواسع الأرجاء قد بلغ من القدرة المطلقة و التدبير التام و الحكمة البالغة و العلم الشامل إلى حدّ لايتناهى، و ان ما وصل إليه الانسان من معلومات و دساتير لايعادل شيئاً مماهو كائن أو يكون.

وان نسبة علم الله عز وجل إلى علم الانسان المحدود هى نسبة المحدود إلى غير المحدود أو نسبة المتناهى إلى غير المتناهى أى كنسبة ب ومآل هذه النسبة لامحالة هو الصفر.

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى خطبة: « فانظر إلى الشمس و القمر والنبات والشجر والماء والحجر وإختلاف هذا الليل والنهار وتفجّر هذه البحار و كثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرّق هذه اللغات والألسن المختلفات، فالويل لمن أنكر المقدّر و جحد المدبّر. زعموا أنهم كالنبات مالهم زارع، ولالاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادّعوا، ولاتحقيق لمادعوا، وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان»

وقدحكى: ان جماعة من الدهريين جاؤا إلى بعض الموحدين فقال

لهم الموحد: ماتقولون فى خشب قطع من الأشجار بلا نجار، و تجمع فكون سفينة جرت في البحر، مشحونة بالأحمال و قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة و رياح مختلفة و هى من بين ذلك كله تجرى على إستواء من غير ملاح يجريها ولامتعهد يدفعها، أيجوز ذلك عندكم فى العقل؟ قالوا: لا هذا شيء لايقبله العقل، فقال الموحد: سبحان الله تبارك و تعالى، فاذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير ملاح، فكيف يجوز فى العقل قيام تلك السموات، و هذه الارض، و ما فيهما من إختلاف أحوالها وسعة أطرافها... من غير خالق و لاحافظ و لامدبر حكيم؟ فقالوا: صدقت.

نعم: إذاتدبرنا فى هذا العالم الواسع وعجائبه ونظامه، وفى الليل والنهار وفى إقبالهما وإدبارهما تنادى بفطرتنا! ان الله جل وعلا هو منظم العالم، والعالم تأليفه، ونجد العالم جميعه مرتبطاً بناموس لايتعداه، وان نظامه البديع يدل على قوة و إرادة وحكمة أبدعته و سوته.

وان العقل والعلم والكون بكافة مافيه، وان العلماء المزاولين للعلوم التجريبية: هؤلاء يصدقون أن هناك رباطاً عريقاً بين العلم و فكرة الاله، و يعيشون مع هذه الفكرة طوعاً أو كرهاً!

أفليس يقول العلم: ان كل حادث بحاجة ماسة إلى محدث؟

أوليس العقل يحيل حدوث شيء دون علة تعاصره؟

أليس العلم - لايزال يفتش عن علل الحوادث - الخفية؟

أوليس إذا كان الكون حادثاً - كما يدل عليه ذاته و آثاره - فهو بحاجة إلى محدث؟

أهذه خرافة ميتافيزيقية تتنا فى العلم؟

أفى الله جل و علا و علمه و قدرته و عظمته و حكمته و تدبيره...

شك ؟ و الفطرة ناطقة ان الليل و النهار لهما خالق خلقهما ليس له شريك و لا نظير ، و انهما آيتان هائلتان بارزتان لايستطيع أحد ممن له عقل و شعور بانكارهما .

وقد قال الدرو كونواى ايفى- عالم فسيولوجى - وهو استاذ الفسيولوجيا و رئيس قسم العلوم الاكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاجو - تحت عنوان: « إنكار وجود الله لايستند إلى دليل » :

« ان أحداً لايستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التى تقول : ان الله موجود كما ان أحداً لايستطيع أن يثبت صحة الفكرة التى تقول : ان الله غير موجود ، و قد ينكر منكر وجود - و لكنه لايستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل - و أحياناً يشك الانسان فى وجود شىء من الاشياء - و لابد فى هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكرى .

و لكننى لم أقرأ و لم أسمع فى حياتى دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده تعالى ، و قد قرأت و سمعت فى الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده - كما لمست بنفسى بعض ما يتركه الايمان من حلاوة فى نفوس المؤمنين - و ما يخلفه الالحاد من مرارة فى نفوس الملحدين، والبرهان الذى يتطلبه الملحدون لاثبات وجود الله جل و علا هو نفس البرهان الذى يطلب لو كان الله تعالى شبيهاً بالانسان أوشيئاً مادياً - أوحتى تمثالاً من التماثيل أوصنماً من الا-صنام ... »

نعم: ان هذه قبسة من مشكاة القرآن المجيد إذ قال : « و قالوا ماهى إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحياو مايهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

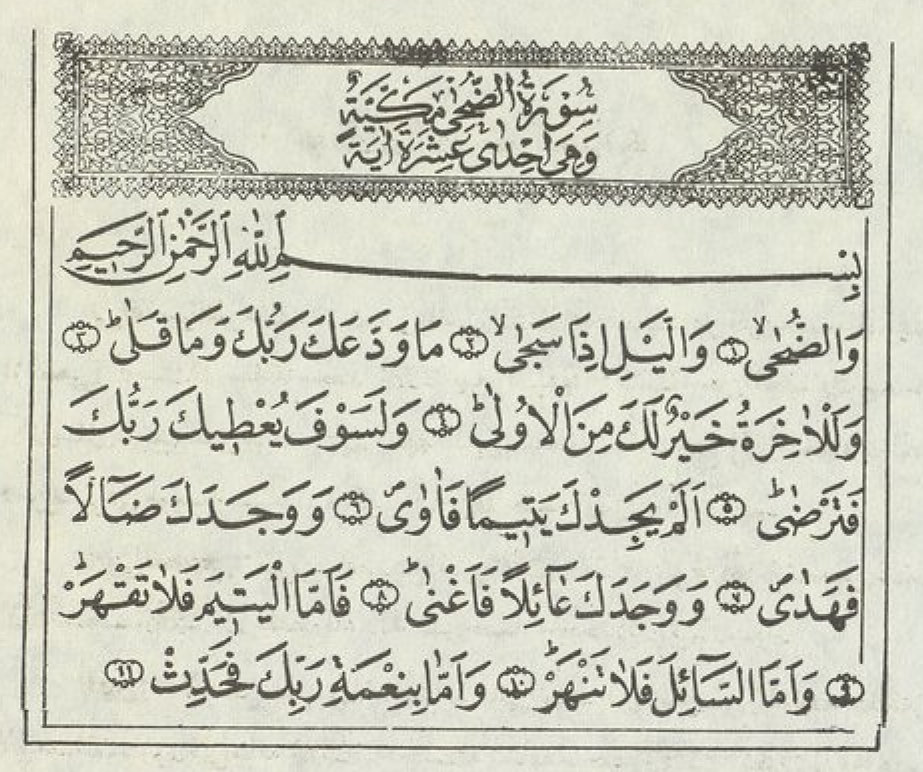
وفى التوحيد :باسناده عن هشام بن الحكم فى حديث الزنديق الذى أتى أباعبدالله عليه السلام - إلى أن قال - :« فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف

الليل والنهار والشمس والقمر دلّ على صحة الأمر والتدبير وإئتلاف الامر على أن المدبر واحد ... » الحديث .

ونختم البحث برواية واردة تناسب المقام عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « كما أن الشمس والليل لايجتمعان كذلك حب الله و حب الدنيا لايجتمعان »

وقال عليه السلام : « الليل والنهار دائبان في طيّ الباقين ومحو آثار الماضين »

تمت سورة الليل و الحمدلله رب العالمين
و صلى الله على محمد و أهل بيته المعصومين


سورة الضحى مكية
وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ۝١ والليل اذا سجى ۝٢ ما ودعك ربك وما قلى ۝٣
وللاخرة خير لك من الاولى ۝٤ ولسوف يعطيك ربك
فترضى ۝٥ الم يجدك يتيما فاوى ۝٦ ووجدك ضالا
فهدى ۝٧ ووجدك عائلا فاغنى ۝٨ فاما اليتيم فلا تقهر
۝٩ واما السائل فلا تنهر ۝١٠ واما بنعمة ربك فحدث ۝١١

﴿فضلها و خواصها﴾

في تفسير البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة (الضحى) وجبت له شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، و كتب له من الحسنات بعدد كل سائل ويتيم عشر مرات، وإن كتبها على إسم غائب ضال رجع إلى أصحابه سالماً ومن نسى في موضع شيئاً، ثم ذكره، وقرأها حفظه الله إلى أن يأخذه.

وفي المجمع: ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال: ومن قرأها كان ممن يرضاه الله ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل.

أقول: ولا يخفى على من له الدراية ما في سند الروايتين من الضعف، ولكن لا يبعد أن يكون في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وجبت له شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم» إشارة إلى ما وعده الله عز وجل في قوله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» من الشفاعة لمن يستحقها من امته صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن قرأها متدبراً فيها، وعلم ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لا يشفع إلاّ لمن يستحق بالشفاعة وهو الذى رضى الله تعالى عنه، فلا يشفع للكفار المستكبرين، والفجار المجرمين، والحكّام الطاغين، والفسّاق المستبدين، فيسعى هذا القارىء المتدبر إلى ما ينال به الشفاعة يوم القيامة من الايمان وصالح الأعمال...

قال الله عز وجل: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» غافر: ١٨)

وقال حكاية عن الضالين: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» الشعراء: ١٠٠-١٠١

وقال: «ولا تنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له» سبأ: ٢٣) وان الشفعاء « لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى» الانبياء: ٢٨)

وكذلك إذا تدبّر في الاحسان وجزائه على الايتام والسائلين، فأحسن إليهم فله عشر أمثاله إذ قال: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» الانعام: ١٦٠)

ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لأهل التقوى واليقين ماجاء في البرهان من رجوع الغائب الضال إلى أصحابه سالماً، وان يكون القارىء المؤمن الصالح وماله الحلال في حماية الله جل وعلا وحفظه، ولعمري اني لا أشك في صدق ذلك.

قال الله تعالى: «ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد» القصص: ٨٥)

وقال: «وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً» الاسراء ٨٢)

وقال: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون» الانعام: ٨٢)



الغرض

غرض السورة هو تطمين رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعدم ترك الله عز وجل إياه سدى، وتذكير له بما كان من أفضاله عليه، وتبشير له باعطاء نعمة عظيمة إلهية لا يقادر أحد قدرها، مستشهداً بما لم يتركه سدى من قبل على طريق الأقسام الربانية و التأكيد، مشيراً إلى نشأته صلى الله عليه وآله وسلم فى طفولته وحاله الاقتصادية والروحية فى شبابه.

وحثاً له صلى الله عليه وآله وسلم على البر باليتيم بالرعاية، وبالسائل بكلمة الخير والمساعدة سواء بسواء إذ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان، هذا من الله جل وعلا على عبده، و ذاك من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على امته، ثم أمره الله تعالى بالتحدث من نعمة الله عز وجل عليه صلى الله عليه وآله وسلم.



﴿النزول﴾

سورة «الضحى» مكية نزلت بعد سورة «الفجر» وقبل سورة «الانشراح» وهي السورة الواحدة عشر نزولاً، و الثالثة و التسعون مصحفاً، وتشتمل على إحدى عشرآية، سبقت عليها/ ٢٥٨ آية نزولاً، و/ ٦٠٧٩ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على/ ٤٠ كلمة، و ١٧٠ حرفاً، وقيل: / ١٧٢ حرفاً، وقيل/ ١٩٢ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

وقد اتفق العلماء على أن نزول هذه السورة كان في عهد مبكر من الدعوة كما أن اسلوبها ومضمونها يلهمان على أنها نزلت في ظروف أزمة نفسيّة ألمت برسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وان الروايات الواردة عن الطريقين في نزول أوائل السورة متنوعة، و لكن الرواة والمفسرين أجمعوا على أن سبب نزولها هو حدوث فترة في نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه حزن لذلك حزناً شديداً حتى غدا مراراً إلى الجبال لتلك الفترة.

١- عن إبن عباس انه قال: إحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر يوماً، فقال المشركون: ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد ودّعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه الوحي، فنزلت السورة.

٢ـ قيل: إحتبس الوحي عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إثنى عشر يوماً.

٣ـ قيل: أربعون يوماً.

٤ـ قيل: يومان

٥ـ قيل: ثلاثون يوماً.

٦ـ قيل: ثلاث سنين.

٧ـ قيل: خمسة وعشرون يوماً.

وقيل: سئلت اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ساخبركم غداً ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي تلك الأيام فاغتم لشماتة الأعداء، فنزلت تسلية لقلبه: «والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى».

في أسباب النزول للسيوطي عن جندب قال: إشتكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته إمرأة، فقالت: يامحمد ما أرى شيطانك إلاّ قد تركك، فأنزل الله: «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى».

وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجزع جزعاً شديداً، فقالت خديجة: قد قلاك ربك لما يرى جزعك، فأنزل الله تعالى: «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى».

أقول: لو سلمنا بصحة الرواية لكان كلام خديجة عليها السلام على وجه التأسف والتحزن.

وفي صحيح البخاري: عن جندب بن سفيان قال: إشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجائت العوراء بنت حرب اخت أبي سفيان وهي حمالة الحطب زوجة أبي لهب، فقالت: يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عزوجل: «والضحى والليل إذا

سجى ما ودعك ربك وماقلى».

وفي صحيح الترمذي : عن جندب البجلي قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غار فد ميت إصبعه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» قال: وأبطأ عليه صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل، فقال المشركون: قد ودع محمد فانزل الله تبارك وتعالى: «ما ودعك ربك وما قلى».

و في تفسير الثعلبي : عن جندب بن سفيان البجلي قال: رمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إصبعه بحجر فدميت فقال: «هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» فمكث ليلتين أو ثلاثاً لايقوم الليل، فقالت له ام جميل إمرأة أبي لهب: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فنزلت: «والضحى...»

أقول : لوكانت الروايات صحيحة لكان كلامهم على وجه الشماتة و السخرية. وروى عن أبي عمران الجوني قال: أبطأ جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه وأنزل عليه: «ما ودعك ربك وماقلى»

وغيرها من الروايات المختلفة لاوثوق تام لها.

وقال محمد عبده: «وليس في نسق السورة مايشير إلى أن المشركين أو غيرهم بغرض من الخطاب... ومن أين كان للمشركين أن يعلموا فترة الوحي فيقولوا أو يطعنوا، ولكن ذلك كان شوق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مثل ما رآى وما فهم عن الله، وما ذاق من حلاوة الاتصال بوحيه... وكل شوق يصحبه قلق وكل قلق يشوبه خوف»

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في نزول قوله عزوجل: «وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» الضحى: ٤-٥) في أهل بيت الوحي عليهم السلام، فنشير إلى نبذة ماورد عن طريق العامة في أسفارهم:

١- روى السيوطي في (تفسير الدر المنثور ج٦ ص٣٦١ ط ايران) عن جابر ابن عبدالله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة عليها السلام وهن تطحن بالرحى و

عليها كساء من جلة الابل،فلما نظر إليها بكى، وقال لها: يا فاطمة تعجلى مرارة الدنيا النعيم الآخرة غداً فانزل الله عليه: «وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى».

رواه بعينه الشوكانى فى (تفسيره فتح القدير ج٥ ص ٤٤٧ ط مصر)

٢- روى الحاكم الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج٢ ص ط بيروت) باسناده قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وعليها كساء من جلد الابل، فلما رآها بكى وقال: يا فاطمة تعجلى مرارة الدنيا بنعيم الآخرة (الجنة ل) غداً فأنزل الله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»

٣- وفيه باسناده عن جابر قال: دخل النبى ﷺ على فاطمة وعليها كساء من جلد الابل وهى تطحن ، فد معت عيناه فقال: يا فاطمة تعجّلى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة قال: فأنزل الله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»

٤- روى الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ص٦٤ ط الغرى) باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال: رآى رسول الله ﷺ على فاطمة كساء من أوبار الابل وهى تطحن فبكى وقال: يا فاطمة إصبرى على مرارة الدنيا نعم الآخرة غداً قال: فنزلت عند ذلك الاية: «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعلام العامة:

١- أحمد الأبشهى فى (المستطرف ج٢ ص٤٥ ط القاهرة) إلا انه ذكر بدل (رآى على فاطمة كساء) (دخل عليها وعليها كساء) وبدل (إصبرى) (تجرّعى)

٢- النويرى المصرى فى (نهاية الارب ج٥ ص٢٦٠ ط القاهرة) إلا انه ذكر بدل (لنعم الآخرة) (لنعيم الابد)

٣- الزبيدى الحنفى فى (اتحاف السادة المتقين ج ٩ ص ٣٥٥ ط الميمنية بمصر).

٤- إبن حمزة فى (البيان والتعريف ص ١٠١ ط حلب)

٥ـ روى إبن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ٤ ص ٥٢٣ ط مصر) بالاسناد عن إبن عباس في قوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: من رضاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

رواه جماعة من أهل العامة:

١ـ الطبري في تفسيره (جامع البيان ج٣٠ ص ١٤٩ ط مصر)

٢ـ أبو الطيب الهندي في تفسيره (فتح البيان ج ١٠ ص ١٧٣ ط بولاق بمصر)

٣ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٦٨ ط إسلامبول)

٤ـ السيوطي في (مسالك الحنفاء ص ١٣ ط حيدر آباد)

٥ـ السيوطي أيضاً في (السبل الجلية ص٦ ط حيدر آباد)

٦ـ الامرتسري في (أرجح المطالب ص٣٣٢ ط لاهور)

٧ـ النبهاني في (الشرف المؤبد ص٢١ ط مصر)

٨ـ الزبيدي الحنفي في (اتحاف السادة ج٩ ص ١٧٥ ط الميمنية بمصر)

٩ـ القرطبي في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن)

٦ـ روى إبن المغازلي الشافعي في (المناقب ص ٥) باسناده عن السدي في قوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: رضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل أهل بيته الجنة.

٧ـ روى محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي في (مناقب مرتضوي ص٤٦ ط بمبئي بمطبعة محمدي بمصر) عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وعدني ربي ان من أقرّ بوحدانيتي ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبولاية علي وفاطمة والحسن والحسين أن لا يعذبه في القيامة.

٨ـ روى الثعلبي في تفسيره عن جعفر بن محمد عليه السلام والقشيري في تفسيره عن جابر الأنصاري انه رآى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليها كساء من أجلّة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة

الدنيا بحلاوة الآخرة ، فقالت : يارسول الله الحمدلله على نعمائه والشكرلله على آلائه، فأنزل الله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

أقول : ولايخفى على القارىء الخبيران كون مدنيّة بعض الآيات لاينا في مكيّة السورة لولم نقل بتعدد النزول.

وفي أسباب النزول للواحدي باسناده عن إبن عباس قال: انه رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مايفتح على امته من بعده فسرّ بذلك، فانزل الله عزوجل: «وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر منها ما ينبغي له.



﴿القراءة﴾

قرأشاذاً «ماودعك» بالتخفيف بمعنى : تركك وهو قليل الاستعمال ، و القراءة المشهورة بالتشديد من التوديع و ذلك كتوديع المفارق ، وقرأشاذاًأيضاً «فاوى» بغيرمدّ من أويته أى رحمته ، والقراءة المشهورة هى بالمدّ ، وقرء شاذاً ثالثاً «عيّلا» بالتشديد على أنه فيعل من العيلة وهى الفقر ، والمشهور «عائلاً» وقرء شاذاً رابعاً «فلاتكهر» بالكاف ، والمشهور بالقاف فلا إعتناء بالشواذ .

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

✿✿✿✿

الوقف والوصل

«والضحى لا» للعطف التالى، و«سجى لا» لمكان جواب القسم، و«قلى ط» لتمام الكلام القسمي، وإستئناف التالى، و«الاولى ط» لابتداء الكلام التالى، و«فترضى ط» لمكان الاستفهام الآتى، «فآوى ص» للعطف التالى، «فهدى ص» لما تقدم، «فأغنى ط» لمكان الفاء التفصيلية، و« فلا تقهر ط» لماسبق، و«فلا تنهر ى ط» لما تقدم، و «ى» علامة العشر وتوضع عند إنتهاء عشر آيات.



﴿ اللغة ﴾

٥ - الضحى و الضحو - ٨٩٧

ضحى يضحى ضحياً وضحاء - يائى من باب علم نحو رضى - : برز و انكشف بعدأن كان فى ستر و خفاء .

الضحى - مقصورة - : حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها .

قال الله تعالى :« والضحى » الضحى : ١) والضحى : البروز ، فضاحية البلد : ناحيتها البارزة .

والضحاء - بالفتح والمد - : إذاارتفع النهارو اشتدّ، وقيل: إذاعلت الشمس إلى ربع السماء فمابعده ومنه حديث بلال: «فلقدرأيتهم يتروّحون فى الضحاء» أى قريباًمن نصف النهار .

وضحى الطريق : بداوظهر ، وضحى الرجل : تعرّض للشمس .

وضحى يضحى ضحى - من باب منع -: تعرّض للشمس، ومنه حديث الاستسقاء: « اللهم ضاحت بلادنا واغبرّت أرضنا» أى برزت وظهرت لعدم النبات فيها .

قال الله تعالى:« وانك لاتظمأ فيهاولا تضحى » طه: ١١٩) أى لا يصيبك حر الشمس و لك أن تتصوّن من حرّ الشمس .

يقال: فعله ضاحية : علانية ، ويقال: ما لكلامه ضحى : أى بيان وظهور . و أضحى الشيء : أظهره، ضاحى الجلد: ماظهر منه ، والضاحية أيضاً : الناحية البارزة

والظاهرة من كل شيء ، جمعها: ضواح، و ضواحي الحوض: نواحيه ، و ضواحي الروم: نواحيهم وماظهر من بلادهم، والضواحي أيضاً: السموات والافلاك. والضواحي :مابدا من جسده ومعناه لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم و عونها و أنعم أي زاد على هذه الصفة .

وليلة إضحيانة و ضحياء مضيئة إضائة ، وفي حديث إسلام أبي ذر : « في ليلة إضحيان» أي مضيئة مقمرة، يقال: ليلة إضحيان و إضحانة، والضحي و الأضحية جمعها أضاحيها، والضحياء أيضاً: الليلة المضيئة أرض مضحاة : لاتكاد تغيب عنها الشمس، و الضواحي من النخل: ماكان خارج السور صفة غالبة لانها تضحي للشمس. والضواحي من الشجر : القليلة الورق التي تبرز عيدانها الشمس .

ضحّاه تضحية: أطعمه في الضحوة وبالشاة: ذبحها في الضحى من أيام الضحى وفي الحديث :« ان على كل أهل بيت أضحاة كل عام» أي اضحية .

والضحيان من الرجال: الذي يأكل من الضحى وهي ضحيانة، والضحاء: الغداء وهو الطعام الذي يتغدّى به ، سمي بذلك لانه يؤكل في الضحاء ، يقال: هم يتضحّون أي يتغدّون .

ضاحاه مضاحاة: أتاه في الضحى ، أضحى إضحاء: صار في الضحى ، وأضحى بصلاة النافلة: صلاّها في الضحى، وضحي عن الأمر: بعد عنه . أضحى الله ظلك: أهلك دعاء عليه. وفي الدعاء: لاأضحى الله ظلك: لاأماتك الله حتى يذهب ظل شخصك .

بنوضحيان: بطن وعامر الضحيان معروف وهو رجل من النمر بن قاسط و هو عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، سمي بذلك لانه كان يقعد لقومه في الضحاء يقضي بينهم .

ضحا يضحو ضحواً ـ واوي من باب نصر نحو دعا ـ : إذا أصابه حرّ الشمس ،و الضحوة : إرتفاع الشمس .

في المفردات: الضحى: إنبساط الشمس وإمتداد النهار وسمي الوقت به

وفي تاج العروس في شرح القاموس: الضحياء: إمرأة لاينبت شعر عانتها، فكان عانتها ضاحية أي بادزة عارية من الشعر لاظلّ عليها.

وفي اللسان: ضواحي الانسان: مابرز منه للشمس كالمنكبين والكتفين.

وفي النهاية: فأما الضحو فهو إرتفاع أول النهار، والضحى ـ بالضم والقصر ـ: فوقه وبه سميت صلاة الضحى.

١٨ ـ السجى ـ ٦٧٧

سجا الليل يسجو سجواً ـ واوي من باب نصر نحو دعا ـ: سكن ودام، وسكون الليل هو ماتجده من سكون أهله.

قال الله عز وجل: «والليل إذا سجى» الضحى: ٢) أي سكن أهله أو ركد ظلامه ،واستوت ظلمته، وسجى الليل: إمتدّ بظلامه.

وسجى البحر سجواً: سكنت أمواجه، ومنه استعير تسجية الميت أي تغطيته بالثوب، يقال: سجّى الميت تسجية: مدّ عليه ثوباً وغطّاه به، ومنه حديث موسى و الخضر عليهما السلام: «فرآى رجلاً مسجّى عليه بثوب» وفي الحديث: «إذامات لأحدكم ميت فسجّوه»: غطّوه تجاه القبلة أي تلقاه، وفي الحديث: «انه لمامات النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجّي ببرده حبرة» أي غطّي.

ومنه: «سجّ معائب أخيك» أي سترها و غطّها.

•سجت الناقة: مدّت حنينها، وأسجت الناقة: إذاغزر لبنها، ناقة سجواء: تسكن حتى تحلب، وريح سجواء: لينة، والساجي: الساكن، ويقال: بحرك ساج لا يواري الدعامصا»: ساكن، ومنه حديث الامام علي بن أبيطالب عليه السلام: «ولاليل داج و لابحر ساج» أي ساكن.

إمرأة ساجية: فاترة الطرف، وعين ساجية: فاترة النظر يعتري الحسن في النساء.

السجية : الخلق و الطبيعة، وهي مأخوذة من معنى السكون لانها عبارة عن الملكة الثابتة في النفس، والسجية: الغريزة والطبيعة التي جبل عليها الانسان .

وفي وصفه عليه السلام: « خلقه سجية» أي طبيعة من غير تكلف ، ومثله في زيارة الجا- معة الكبيرة في وصف أئمتنا أهل بيت الوحي عليهم السلام : « سجيتكم الكرم » .

ساجاه: مسّه ، وساجاه : عالجه .

٢١ - الدعة و التوديع -١٦٥٤

ودعه يدعه ودعاً - من باب منع نحو وضع - : تركه. قيل : أصل المضارع : الكسر و من ثم حذفت الواو ثم فتحت الدال لمكان حرف الحلق وهذا منقوض بوعد يعد إذ لا فرق عند أهل الأدب بين كون حرف الحلق عين الفعل أو لامه .

وعد المسافر الناس: خلّفهم خافضين، وودع عنده مالاً: تركه عنده وديعة . والأمر: دع، وقلّما يستعمل من هذه المادة صيغ الماضي والمصدر و الوصف، وإنما الشائع صيغتا المضارع والأمر.

قال الله عزوجل: « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله » الاحزاب:٤٨)

ودّع - من باب التفعيل - : ترك وهجر، وودّعك: هجرك و تركك .

قال الله تعالى: « ما ودّعك ربك وما قلى » الضحى:٣) أي ما تركك منذ إختارك ولا أبغضك منذ أحبّك .

يقال: ودّعت فلاناً أي خلّيته.

ودع الشيء يدع ودعة ووداعة فهو وديع - من باب كرم - : سكن و استقرّ و اطمأنّ ، وودع الرجل : صار إلى السكون و الاطمئنان، والدعة - بالفتح - : الخفض، والهاء عوض من الواو . والاسم: الدعة فهو وديع ووداع . الدعـة: إسم من الوداعة و الراحة و الخفض و السعة ، و خفض العيش و السكينة يقال : فلان فـي خفض

ودعة: حيث ترك السعى لطلب معاشه لعناء. الوديع ـ كالقتيل ـ : الرجل الهادىء الساكن، والوديع من الخيل: المستريح الصائر إلى الدعة والسكون. والدعة من وقار الرجل.

إتدع الرجل إتداعاً: سكن واستقرّ، وأصله: إوتدع، فقلب وادغم. وأودعه مالاً: دفعه إليه ليكون عنده وديعة. الوديعة: مؤنث الوديع: ما أودع من شيء، فعيلة بمعنى مفعولة بتاء النقل إلى الاسمية، وإشتقاقها من معنى الترك لانها شيء يترك عند الأمين جمعها: ودائع.

ودّع المسافر توديعاً: شيّعه وفارقه وحيّاه عند سفره، وكذلك المسافر يودّع أهله: يحييهم وهم يودّعونه إذا سافر تفاؤلاً بالدعة التى يصير إليها إذا قفل أى يتركونه. وأصل ذلك أنك إذا ودّعت صاحبك عند سفرك فهو أن تتركه فى دعة وسكون وخفض من العيش. يقال: لاودع الله له: لاجعله فى سكون.

ويقال فى التوديع: ودّعه إذا تركه وهجره لان فى التوديع تركاً وهجراً، وهذا على سبيل المجاز. وودّع الصبى: وضع فى عنقه الودع وودّع الكلب: قلّده الودع. والودع ـ بالفتح والسكون ـ: مصدر، والودع: القبر أو الحظيرة حوله يقال: أوفى رجل على ظهر ودع بموضع كذا أى قبر، والغرض يرمى فيه، جمعه: ودوع. الودع ـ بفتح الواو وسكون الدال وفتحهما ـ اليربوع، وخرز بيض تخرج من البحر تتفاوت فى الصغر وأكبر شقها كشق النواة تعلق لدفع العين الواحدة.

ذات الودع: الأوثان، وسفينة نوح عليه السلام والكعبة لان كان يعلق الودع فى ستورها، وذو الودعات: لقب هبنّقة يزيد بن ثروان لانه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته، فسئل فقال: لئلاّ أضلّ وأعرف بها نفسى، فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها، فأصبح هبنقة ورآها فى عنقه فقال: أخى أنت أنا فمن أنا، فضرب بحمقه المثل، فقالوا: أحمق من

هبنقة .

ووادعه موادعة: تاركه العداوة أى صالحه و سالمه لأن المصالحة متاركة، والاسم : الوداع بالكسر . وتوادع القوم توادعاً: ودّع بعضهم بعضاً: تصالحوا وأعطى بعضهم بعضاً عهداً أن لا يغزوهم . وحجة الوداع: حجة الفراق ، سميت بها لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال: « هل بلّغت ؟ » قالوا: نعم طفق يقول : « اللهم أشهد » ثم ودع الناس ،فقالوا: هذه حجة الوداع .

إستودعه شيئاً: جعله وديعة عنده يحفظه على أن يسترده، و الشيء مستودع، و منه قولهم : « استودعك الله غير مودع » أى غير متروك ، و قد يكون المستودع مصدراً بمعنى الاستيداع : ويكون إسم مكان للاستيداع . قال الله تعالى: « و هو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع» الانعام: ٩٨) وقال: « و يعلم مستقرّها ومستودعها » هود: ٦)

المستقر بمعنى الاستقرار. و المستودع بمعنى الاستيداع ، فالاستقرار فى الأرحام و الاستيداع فى أصلاب الآباء حيث يكون المنىّ أو الاستقرار على وجه الأرض من حال الحياة والاستيداع فى بطنها بعد الموت، ويحتمل أن يكون المراد من المستقر و المستودع مكانا الاستقرار والاستيداع على ما تقدّم .

الميدع و الميدعة والميداعة : الثوب الخلق المبتذل، جمعها : موادع. و الميدع أيضاً : ما يصان به الثوب و غيره. والمودوع: السكينة والوقار. يقال : عليك بالمودوع: بالسكينة والوقار. التودع: ترك النفس عن المجاهدة .

٦٠- قلى- ١٢٥٢

قلى عدوّه يقليه قلى وقلياً و قلاء- يائى- من باب ضرب نحو رمى- : أبغضه أشد البغض و كرهه غاية الكراهة فتركه. فهو قال وهم قالون .

قال الله تعالى: « ماودّعك ربك وما قلى » الضحى: ٣) أى لم يقطع عنك الوحى ولا أبغضك و ما تركك.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «اخبر تقله» أى لا تغترّ بظاهر من تراه فانك إذا اختبرته بغضته، والهاء فيه للسكت، ومثله قوله عليه السلام: «جرّب الناس فانك إذا جرّبتهم قليتهم و تركتهم لما يظهر لك من مواطن سرائرهم» لفظه لفظ أمر و لكن معناه خبر أى من جرّبهم و خبّرهم أبغضهم و تركهم.

وقليت الرجل: ضربت رأسه، وتقلّى الشيء: تبغّض.

وقلا الشيء قلياً: أنضجه على المقلاة، يقال: قليت اللحم على المقلى أقليه قلياً: إذا شويته حتى تنضجه، يقال للرجل إذا أقلقه أمر مهم فبات ليله ساهراً: بات فلان يتقلى أى يتقلّب على فراشه و يتململ ولا يستقر كأنه على المقلى.

وقليت اللحم قلياً و قلوته قلواً - من بابى ضرب و نصر - : هو الانضاج في المقلى. وقلاه يقلوه قلواً بمعنى قلى يقليه.

قال الله تعالى: «قال انى لعملكم من القالين» الشعراء: ١٦٨) أى من المبغضين. فمن جعله من الواو فهو من القلو أى الرمى من قولهم: قلت الناقة براكبها قلواً وقلوت بالقلة، فكأن المقلوّ هو الذى يقذفه القلب من بغضه، فلا يقبله، ومن جعله من الياء فمن قليت البسر والسويق على المقلاة.

المقلاة - بالفتح - : الموضع الذى تعمل فيه المقالى يقال: جلبوا المقالى من المقلاة، والمقلى و المقلاة - بكسرهما - : وعاء من نحاس و قيل: خزف يقلى فيه الطعام، وجمع المقلاة والمقلى: مقالى.

القلاّء: صانع المقالى، و القلاّءة: الموضع تتخذ فيه المقالى، و القلاّية: مسكن الاسقف، والقلى: رؤوس الجبال وهامات الرجال. وقلا الابل قلواً: ساقها سوقاً شديداً. والقلو: الحمار الخفيف، وقيل: هو الجحش الفتى.

عال الرجل يعيل عيلاً وعيلة وعيولاً و معيلاً ـ من باب ضرب نحو باع ـ: إفتقر فهو عائل وهي عائلة، والاسم : العيلة. وإذا كثر عياله يقال فيه: أعال، وقد وردت من المادة في القرآن الكريم كلمتا العائل والعيلة.

قال الله عز و جل : « و وجدك عائلاً فأغنى » الضحى: ٧) أى أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر المعنى بقوله ﷺ :« الغنى غنى النفس»

وقال:« وإن خفتم عيلة» التوبة: ٢٨)

العائل ـ إسم فاعل ـ: المفتقر، جمعه عالة و عيّل وعيل وعيلى تقول :« هذا يتيم عائل ليس له عائل» أى ليس له من يمونه وترك أولاده يتامى، عيلى أى فقراء ، و في حديث الايمان :« وترى العالة رؤوس الناس» أى الفقراء .

العالة : الفاقة ، وجمع العيال : عالة و عائل يقال : قوم عالة مثل حائك و حاكة. ومنه حديث سعد:« خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس» ومنه قوله عليه السلام :« ماعال مقتصد ولا يعيل » العالة : النعامة .

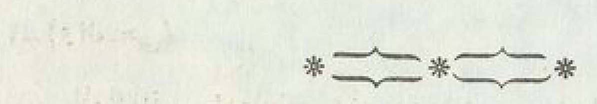
العيّال: فعّال للمبالغة . وقال الشاعر : وما يدرى الفقير متى يعيل. و في الحديث: «ان الله يبغض العائل المختال» أى الفقير الفخور . وعالني الشيء عيلاً ومعيلا: اعوزني وأعجزني ، وفلان في مشيه: تمايل و اختال و تبختر، والراعى للضالة. إمرأة عيّالة: متبخترة ميّالة، وتعيّل: تبختر و تمايل واختال .

يقال: عيل صبري ـ على صيغة المجهول ـ من عال : إذا غلب، و عالني الأمر : إذا غلبني كذا، وعالت الفريضة: إذا ارتفعت . وعيّل الرجل: كثر عياله ، وعياله تعييلاً: كفاهم ومأنهم، وعيّل القوم: صيّرهم عيالاً أو أهمهم، وعيّل الرجل فرسه : سيّبه فهو معيّل، وعيّل الرجل : غذائه. والمعيل : ذو عيال .

المعيل: الأسد والنمر والذئب لأنه يعيل صيداً أى يلتمس جمعه: عيابيل على غير قياس. عال في الارض : ضرب فيها .

وفي الحديث: « انّ من القول عيلاً » وهو عرضك حديثك و كلامك على من لا يريده وليس من شأنه، يقال: علت الضالة اعيل عيلاً إذا لم تدر أي جهة تبغيها كأنه يقيّد لمن يطلب كلامه ، فعرضه على من لا يريده .

قيل: ليس في المادة ـ العيل ـ إلّا ما هو منقلب عن الواو وقد دار معنى الوادي على الثقل وهكذا العيلة .



﴿الضحى﴾

١- (والضحى)

الواو للقسم، و «الضحى» في موضع جرّ بحرف القسم، متعلق بمحذوف على تقدير: اقسم الله جل وعلا بالضحى.

٢- (والليل اذا سجى)

الواو للعطف، و «الليل» مجرور بالعطف على «الضحى» و «إذا» ظرف زمان متعلق بفعل القسم، و «سجى» فعل ماض، ناقص يائى ألفه مبدلة من الياء، والفاعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الليل».

٣- (ما ودعك ربك وما قلى)

«ما» حرف نفي، و «ودّع» فعل ماض من باب التفعيل، وكاف الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب، مفعول به، و «رب» اضيف إلى كاف الخطاب، فاعل الفعل، والواو للعطف، و «ما» حرف نفي ثانية، و «قلى» فعل ماض، ناقص يائى، عطف على «ودّعك» على حذف المفعول، على تقدير: وما قلاك، فاكتفى بالكاف الاولى عن إعادة الاخرى لرعاية الفواصل، والألف في «قلى» مبدلة من الياء. والجملة جواب القسم.

٤- (وللآخرة خير لك من الاولى)

الواو للعطف، واللام في «للآخرة» للتأكيد، و «الآخرة» مبتداء، و «خير» خبره، و «لك» متعلق بمحذوف، وهو صفة لـ «خير» أي خير ثابت لك، و «من الاولى»

متعلق بمحذوف، صفة لمحذوف آخر، على تقدير: من النعمة الاولى التى حصلت لك فى الحياة الدنيا، والجملة عطف على جواب القسم من طريق عطف المثبت المؤكد على المنفى المؤكد بالقسم. وتحتمل أن تكون الواو للاستئناف.

٥- (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

الواو للعطف، واللام للتأكيد، و «سوف» تأكيد للاستقبال، وإنما دخلت اللام على «سوف» دون السين ولم يقل: «ولسيعطيك» لان سوف اشبهت بالاسم لأنها على ثلاثة أحرف بخلاف السين، فانها على حرف واحد، و«يعطى» فعل مضارع من باب الافعال، وكاف الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع نصب، مفعول أول، و المفعول الثانى محذوف كما تحذفه من «أعطيتك» و«كسوتك» فتقتصر على مفعول واحد، وتضمر الآخر، والتقدير: «ولسوف يعطيك ربك ما تريد، فترضى عنه» وهو من الافعال التى يجوز الاختصار على أحد المفعولين دون الآخر. و«رب» اضيف إلى كاف الخطاب فاعل الفعل.

ولم تدخل النون مع اللام هيهنا ولم يقل: «وليعطيك» وإن كان جواب القسم وكانت النون لا تكاد تنفك عن اللام فى مثل المقام لمكان «سوف» أولاً، ولان النون إنما تدخل مع اللام لتدل على أن اللام لام القسم لا لام الابتداء ثانياً، فلما دخلت على سوف علم أنها لام قسم لا لام ابتداء لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف، لان سوف تختص بالافعال ولام الابتداء إنما تدخل على الأسماء.

والجملة المثبتة الموكدة عطف على الجملة المنفية الموكدة السابقة. فالى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين. والفاء فى «فترضى» للتفريع والنتيجة من الاعطاء، والفاعل هو النبى الكريم المخاطب صلى الله عليه وآله وسلم على حذف المفعول أى فترضاه أو فترضى به أو عنه.

٦- (ألم يجدك يتيماً فآوى)

الهمزة إستفهامية تقريرية، و«لم» حرف جحد، و«يجد» فعل مضارع منفى

مجزوم بحرف الجحد، وكاف الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب، مفعول أول، و«يتيماً» مفعول ثان. وفي الفاء وجوه: أحدها- جواب للاستفهام ثانيها- للعطف. ثالثها- للجواب على تضمن الجملة معنى الشرط، و«آوى» فعل ماض من باب الافعال فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربك» على حذف المفعول وتقديره: فآواك ربك.

٧- (ووجدك ضالاً فهدى)

الواو للعطف، و«وجد» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربك» وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول أول، و«ضالاً» مفعول ثان. والجملة عطف على الجملة المتقدمة، والفاء في «فهدى» للعطف، و«هدى» فعل ماض على حذف المفعول أي فهداك.

٨- (ووجدك عائلاً فأغنى)

عطف على ما تقدم، و«أغنى» فعل ماض من باب الافعال، على حذف المفعول. تقديره: أغناك.

٩- (فأما اليتيم فلا تقهر)

الفاء للتفريع، و«أما» إخبار في معنى الشرط والجزاء فلذلك جاء جوابه بالفاء على تقدير: فمهما يكن من شيء مما تقدم فلا تقهر اليتيم، فاقيم مقام الشرط فحصل أما فلا تقهر اليتيم، فاليتيم منصوب بـ«تقهر» وحقه التأخير بعد الفاء فقدّم على الفاء وعامله كراهة لان تكون الفاء التي من شأنها أن تكون متبعة شيئاً فشيئاً في أول الكلام، وإن كثر يجتمع في اللفظ مع أما فتكون على خلاف اصول كلامهم، ولمنع الجمع بين «أما» للشرط، والفاء للجزاء بلا فصل بينهما. والفاء في «فلا تقهر» للجزاء و«لا» حرف نهي، و«تقهر» فعل مضارع مجزوم بحرف النهي، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

١٠- (وأما السائل فلا تنهر)

ان الجملة معطوفة على ماقبلها، فاعرابها ظاهر، ولايخفى على الاديب انه لو كان مع «تقهر» و«تنهر» هاء لكان الاختيار في «اليتيم» و«السائل» الرفع، مع

جوازالنصب أيضاً، ولكن إذا حذف الهاء فلايجوز إلاّ النصب. وان اليتيم والسائل إسمان يدلاّن على الجنس.

١١- (وأما بنعمةِ ربك فحدث)

عطف على ما سبق، و «بنعمة ربك» متعلق بـ «فحدث» ولاتمنع الفاء من ذلك لانها كالزائدة، وتقديره: ومهما يكن من شيء فحدّث بنعمة ربك. وقد حذفت المفاعيل الثلاثة عن الافعال الثلاثة فتقديرها: «فلاتقهره» و «فلاتنهره» و «فحدّثها أو بها» رعاية للفواصل.



﴿البيان﴾

١- (والضحى)

قسم ربانی فی معرض التوكيد و التطمين بالضحى وهی آية من آيات الله جل وعلا فی هذا الكون، و نواميس الوجود. و الضحى: صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى أشعتها على الآفاق الشرقية فتبسط ضوؤها على الوجود و لعل المراد بالضحى النهار كله للمقابلة بينها وبين الليل فی قوله تعالى: «و الليل إذا سجى» وقد أقسم بالضحى دون النهار ولم يقل: و النهار تنبيهاً إلى أن الضحى وهو ساعة من النهار يوازی جميع الليل كما أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وامته يوازی جميع الانبياء واممهم ...

ومن المحتمل ان يكون فی تقديم الضحى على الليل إشارة إلى أن الحياة أولى للمؤن من الموت إلى أن تحصل كمالاته الممكنة له، كما أن من المحتمل أن يكون فی القسم بالضحى إشارة إلى مطلع شمس النبوة، وأن مطلعها لا يمكن أن يقف عند حد الضحى الذی بلغته فی مسيرتها، بل لا بد أن تبلغ مداها، وأن تتم دورتها... فالشمس فی مسيرتها لا يمسكها شیء إذا طلعت.

٢- (والليل اذا سجى)

قسم ثان ربانی بالليل حين إنظلامه وسكون الاحياء فيه وإنقطاعها عن السعی والحركة، وهی آية اخرى من آيات الله جل وعلا تدل على وحدانيته وعلى علمه و

حكمته وقدرته وتدبيره...

في تلخيص البيان: للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «والليل إذا سجى» قال: «وهذه إستعارة ومعنى «سجى» أي سكن، والليل لا يسكن وإنما يسكن حركات الناس فيه، فأجرى تعالى صفة السكون عليه لما كان السكون واقعاً فيه» إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف.

وقيل: ان القسم بالليل المسكون بعد الضحى إشارة اخرى إلى أن فترة إنقطاع الوحي، ليست إلاّ فترة هدوء وإستجمام يجمع فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ويلمّ فيها خواطره بعد هذا النور الغامر الذي بصره وهز أعماق نفسه... وان بعد هذا الليل الهادىء الوادع نهاراً مشرقاً وضيئاً... فهكذا يجري نظام الكون، على ما أقامه الصانع الحكيم.

٣- (ما ودعك ربك وما قلى)

جملتان منفيتان مؤكدتان بالقسمين السابقين جواب للقسم، وفيهما تبشير للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بدوام الكرامة الحاصلة والعناية المترقبة والحماية الالهية لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما يشعر به ايراد إسم الرب- المضاف إلى ضمير الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم- المنبىء عن التربية الكاملة والتبليغ إلى الكمال.

والمعنى: ان الله عزوجل لم يترك نبيه صلى الله عليه وآله وسلم منذ اصطفاه ولا يودعه قط وداعاً لا لقاء بعده، بل ان الله تعالى مع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو بأعينه في كل لحظة من لحظات حياته، ومع كل نفس من أنفاس صدره، وان إنقطاع الوحي في فترة لم يكن عن قلى وهجر من الله جل وعلا، فهو الحبيب إلى ربه المجتبى إليه من خلقه.

وفي توكيد الخبر بالقسم مزيد فضل من الله تعالى ورحمته لرسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورفع لمنزلته صلى الله عليه وآله وسلم عند ربه حتى لينزل منزل الحبيب من حبيبه. وفي التوديع مبالغة في الوداع والترك لان من ودعك فقد بالغ في تركك.

٤- (وللآخرة خير لك من الاولى)

مستأنف بيانى سيق لذكر ما يثلج به صدر رسول الله ﷺ و ما فيه من كمال التسلية و البشرى و الطمأنينة على طريق التأكيد، فكأنه قال: هذا فى حياتى الدنيوية فما لى فى الدار الآخرة؟ فقال تعالى: «وللآخرة خير لك من الاولى».

وفى الاية الكريمة زيادة تشريف وهو إعلام أن ما ألقاه الحساد فيما بينهم من التوديع والقلى بهت محض، وإن كان تشريفاً عظيماً الا أن الذى أعد لاجلك فى الآخرة أشرف وأسنى، وعلى تقدير إنقطاع الوحى لا يكون ذلك ترك الحماية عن النبى ﷺ، بل ذلك إختبار لمن آمن به ﷺ من جهة، وللمشركين من جهة اخرى، وان ذلك يدل على قرب الوفاة المستتبعة للقرب من الله تعالى فلا يكون كما ظنه الاعداء.

ففى الآية الكريمة إشارة إلى جامعية النبى الكريم ﷺ من خير الدنيا و الآخرة أما خير الدنيا فأشار إليه إجمالا بقوله: «ما ودعك ربك وما قلى» فهل خير فى الحياة الدنيا أعظم من أن يكون العبد فى حماية الله جل وعلا و كنفه مع التطمين بذلك، وتفصيلا حسب إقتضاء المقام بقوله: «ألم يجدك يتيماً فآوى...» فهل النعمة الدنيوية أعظم من أن يكون العبد فى حماية الله عزوجل و مهتدياً بهداه وغنياً بغنائه.

ومن المحتمل أن يكون قصد بالاية الكريمة تطمين النبى الكريم ﷺ و تبشيره بنجاح الدعوة، وبأن مستقبلها سيكون خيراً من بدئها، فيكون وعداً باتمام نوره وإعلاء أمره.

قيل: قوله تعالى: «وللآخرة خير لك من الاولى» فى معنى الترقى بالنسبة إلى ماتفيده الاية السابقة من كونه ﷺ على ماهو عليه من موقف الكرامة والعناية الالهية، كأنه قيل: أنت على ما كنت عليه من الفضل والرحمة مادمت حياً فى الدنيا

وحياتك الآخرة خير لك من حياتك الدنيا.

وقيل: في تخصيص الخطاب إشارة إلى أن في امته من كانت الاخرة شراً إليه إلا أن الله تعالى ستره عليهم.

٥- (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

تقرير وتثبيت لقوله جل وعلا: «وللآخرة خير لك من الاولى» وقد اشتمل على عطاء مطلق يتبعه رضى مطلق، وفي الاية الكريمة زيادة البشرى باعطاء الله جل وعلا له صلى الله عليه وآله وسلم حتى يرضى، وهما بالنسبة لظروف الحياة الدنيوية أقوى منهما بالنسبة للحياة الاخروية.

ان تسئل: ان اللام للتأكيد وسوف للتأخير، فكيف ناسب الجمع بينهما في قوله تعالى: «ولسوف يعطيك...»؟

تجيب: ان معنى ذلك: ان العطاء كائن لامحالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة والحكمة. فاللام خالصة للتأكيد دون الحال فكأنه قيل: ان العطاء الموعود كائن لامحالة، وإن تأخر زمانه بحسب المصلحة.

٦- (ألم يجدك يتيماً فآوى)

إستفهام تقريري لبعض ما أنعمه الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قبل إرساله صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه قال: ماتركناك وما قليناك قبل أن اخترناك واصطفيناك أفيجوز أن نهجرك ونخذلك بعد إرسالك لهداية الناس وأنت هاديهم.

ففي الاية الكريمة ومابعدها تفصيل لما تقدم من الاجمال وتعديد لما أفاض الله تعالى على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من أول أمره إلى الان من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود، فيطمئن به قلبه وينشرح صدره فالهمزة لانكار النفي، وتقرير المنفي على أبلغ وجه، فكأنه قيل: قد وجدك... كما تدل عليه آيتا التالية.

٧- (ووجدك ضالاً فهدى)

عطف على مايقتضيه الانكار السابق كما اشير إليه، أو على المضارع المنفي بحرف الجحد، فداخل في حكمه فكأنه قيل: أما وجدك يتيماً فآوى ووجدك حائراً في أمر قومك، وغافلا عن هداية الله التشريعية و كيفيتها إياهم، فان النفوس بالنسبة إليها ضالة في نفسها بخلاف الهداية التكوينية لانها بالنسبه إليها مهدية في نفسها قال الله عزوجل: «ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها» الشمس: ٧-٨)

وفي الاية الكريمة تقرير لنعمة اخرى على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل رسالته، وذلك انه كان قلق النفس، منزعج الضمير مما كان يرى من الحياة الضالة التي يعيش فيها قومه، ولم يكن يدري كيف يجد لنفسه سكناً ولقلبه إطمئناناً وسط هذا الجوّ الخانق، فهداه عزوجل إلى الخلوة إلى نفسه في غار حراء والابتعاد عن قومه والانقطاع إلى ربه، متحنثاً متعبداً متأملا متفكراً، و قد ظلّ هذا شأنه إلى أن جاءه وحي السماء فسكب السكينة في قلبه والطمأنينة في نفسه...

وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى ان ما يرى عليه قومه ليس مما يدين به عاقل أو تستقيم به حياة العقلاء، و لم يكن يدري كيف يغير من مسيرتهم الضالة؟ ولا كيف يقيم هو نفسه هو على شريعة يبشّر بها في الناس؟

٨- (ووجدك عائلاً فأغنى)

تقرير لنعمة ثالثة إلهية أنعمها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل رسالته بانه عزوجل أغنى محمداً برعاية عمه أبيطالب عليه السلام وبرّه ورأفته وحمايته وعنايته بابن أخيه في طفولته وشبابه، وبمال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين عليها السلام زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ان تسئل: ان الله عزوجل من على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما أنعمه في الايات الثلاث، و كيف يحسن الامتنان بالانعام؟ وهل يكون هذا من فعل الكرام؟

تجيب: ان المنّ إنما يقبح من المنعم إذا أراد به الغضّ من المنعم عليه

والأذى له، فاما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فانه في غاية الحسن، ولان من تمام الجود و كمال الكرم تعريف المنعم عليه انه إنما أنعم عليه ليسئل جميع مايحتاج إليه فيعطى.

٩- (فأما اليتيم فلا تقهر)

تفريع على الآيات الثلاث المتقدمة التي تذكر فيها نعم الله تعالى على رسوله ﷺ على سبيل المقابلة، بان من حق هذا الاحسان أن يقابل بالحمد والشكر لله رب العالمين وقد صرف الله عزوجل هذا الحمد وذلك الشكر إلى الضعفاء و المحتاجين من عباده فيكون حمده وشكره العملي الاحسان إليهم والرعاية لهم فكأنه قيل: فان وجدت يتيماً فلاتقهره، وإن وجدت سائلا يسئلك رفع حوائجه الدينية والدنيوية فلا تطرده ولاتزجره كما أحسنت عليك إذ هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان، هذا من الله تعالى على عبده، وذاك من رسول الله ﷺ على امته و الناس أجمعين.

ان الخطاب وإن كان موجهاً إلى النبي الكريم ﷺ ولكنه متسق مع المبادىء والأهداف التي إحتواها القرآن المجيد منذبدء تنزيله وتلقيبه شامل لجميع المؤمنين، ويلحظ ان الفصول القرآنية السابقة قد احتوت ما يمائل هذا الخطاب، وقد استمرت الفصول القرآنية على ذكرها مما له مغزى جليل ينطوي على عظمة أهداف الرسالة المحمدية في صدد البر بالفقراء والرأفة بالضعفاء والتحدث بنعمة الله جل وعلا قولاً وعملا. وان محمداً رسول الله ﷺ هو المثل الاعلى في رأفته ورحمته لكل العالمين بنص كثير من الآيات القرآنية، و كفى بقلبه دليلا على لطفه ولينه، فالغرض من هذا النهي الاهتمام بشأن الأيتام والعناية بتربيتهم وإصلاح حالهم ...

ولعل ذلك كان من الاسباب القوية التي جعلت أغنياء مكة وزعماءها يتحالفون ضدّ الدعوة، ويشتدّون في مناوأتها ويستمرون في ذلك طيلة العهد المكي والشطر

الأكبر من العهد المدني.

وقيل: وقد خص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه، ففي الاية الكريمة دلالة على اللطف والعناية الخاصة باليتيم والبر والاحسان إليه، وان أولى الناس برعاية اليتيم وجبر خاطره من عرف اليتيم ثم كفله الله تعالى...

١٠- (وأما السائل فلا تنهر)

نهى عن إغلاظ القول وزجر السائل وهو من يقف موقف من يسئل عما هو محتاج إليه من طعام يسد به جوعه أو علم يغذى به عقله أو هدى يعرف به طريق الخلاص لروحه، فان السائل ضعيف أمام المسئول، ومن حقه على القوى أن يتلطف معه ويرفق به ... انه أشبه بالضال الذى لا يعرف الطريق والمسئول هو موضع أمله ومعقد رجائه في أن يخرجه من هذا الضال، وأن يقيمه على الطريق المستقيم، وأولى الناس بهذا من عرف الحيوة ونشد وجه الهداية، فأصابها وقدرها.

ان الخطاب وان كان موجهاً إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الحكم عام له صلى الله عليه وآله وسلم ولغيره.

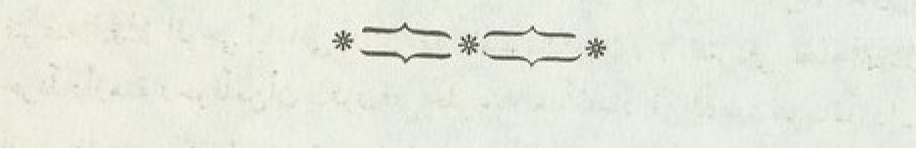
١١- (وأما بنعمة ربك فحدث)

أمر بتحديث النعم الالهية الدنيوية والاخروية من الايواء والاغناء والهداية وغيرها، والتحديث بنعم الله تعالى كناية عن ذكر نعمة الله عزوجل وشكره عليها، وأداء الواجب على صاحبها نحو الله تعالى والناس، فيشمل الشكر القولى والعملى، وفي إضافة النعمة إلى الرب المضاف إلى ضمير الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من عظمة النعمة وكمال التربية والتفخيم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يخفى.

وفي الآيات الثلاث تعليمه ما يجب عليه إزاء نعم الله عزوجل من الشكر وإزاء اليتيم من الرعاية، وإزاء السائل من كلمة الخير والمساعدة والاعانة.

ولا يخفى ان الله تعالى نهى عن شيئين، وأمر بواحد: نهى عن قهر اليتيم جزاء عن الايواء فى قوله عز وجل: «ألم يجدك يتيماً فآوى» ونهى عن نهر السائل جزاء عن الاغناء فى قوله: «ووجدك عائلا فأغنى» وأمر بتحديث النعمة شكراً عن الهداية فى قوله: «ووجدك ضالا فهدى».

وفى الترتيب نكتة لطيفة إذ قدّم فى معرض المنة النعمة الدينية وهى الهداية على النعمة الدنيوية وهى الاغناء ، وأما فى معرض الارشاد فقدّم الاشفاق على الخلق وأخر التحديث ليكون أدخل فى الاستمالة، وأجلب للدواعى فانه مالم ينتظم أمر المعاش لم تفرغ الخواطر لقبول التكاليف وإلتزام أمر المعاد.



﴿الاعجاز﴾

ولايخفى على القارىء المتأمل الخبير: ان هذه السورة الكريمة نفسها بمضا-
مينها دليل قاطع و برهان واضح على أن هذا القرآن المجيد ما كان من كلام محمد ﷺ على ما فيها من تطمين رسول الله ﷺ بعدم ترك الله عز و جل إياه سدى إذ فتر عنه ﷺ الوحي أياماً في أوائل عهد الدعوة وقد أثارت الفترة في نفسه ﷺ حزناً وأزمنة وخوفاً من أن يكون قد تخلى عنه بعد أن سار في الدعوة شوطاماً. وان الذين قادوا حركة المعارضة لدعوته، والذين أظهروا عداء شديداً له إستغلوا ذلك و قالوا في سخرية وشماتة: ان ربه قد قلاه و ودعه، وان منهم من عيره بذلك مواجهة، و ان ذلك قد زاد من حزنه وأزمته حتى نزلت السورة التي إحتوت تثبيتاً و تطميناً ورداً على الشامتين، وتبشيراً باعطاء من الله جل وعلا لايقادر قدره مستشهداً بما لم يتركه سدى من قبل، مشيراً إلى نشأته ﷺ في طفولته و حاله الاقتصادية و الروحية في شبابه.

والمتمعن في آيات السورة الاولى وهي تؤكد للنبي الكريم ﷺ عدم ترك ربه إياه يلمس صميمية رائعة تملأ النفس إعجاباً فيما أثارته الفترة من قلق في نفس النبي ﷺ وتنم عن يقينه العميق بأنه رسول الله، وبأن ما كان يبلغه من الايات و الفصول القرآنية هو وحي الله جل وعلا، فاذا أوحي إليه بشيء تلاه، وإذا فتر عنه الوحي أعلن ذلك، وإذا لم يتل على الناس شيئاً جديداً في ظرف ما فلأنه لم يوح إليه بشيء

جديد، فقدعلمه الله عز و جل أن يعلن للناس انه ليس عنده خزائن الله، وانه لا يعلم الغيب، وانه لا يزعم أنه ملك ...

«قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك إن أتبع إلّا ما يوحى إلي» الانعام: ٥٠)

« قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلّا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء إن أنا إلّا نذير و بشير لقوم يؤمنون » الاعراف : ١٨٨)

وقد أمره الله عز و جل أن يعلن أنه لا يبلغ إلّا ما يوحى إليه ولا يستطيع أن يغير و يبدل فيه كما جاء في قوله تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي إن اتبع إلّا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » يونس : ١٥) .

ولعمري ان هذه السورة معجزة بواقعها غمضاً عن اسلوبها وتنسيقها وحقائقها الاخرى ... فمن أين جائت لمحمد بن عبدالله الامي صلى الله عليه وآله وسلم اليتيم بعد الأربعين سنة عاش معظمها في عزلة عن عالم رعى في أوائلها الغنم في جبال مكة وشعابها، واتجر في أثنائها سنين قليلة قلما كان يعاشر فيها أحداً، ولو كانت من نفسه لما كان له أن يبيّن بهذا الواقع، وان كان بواقعه على ما فيه مما لا يخفى على المتأمل الخبير من العجز و الهوان و ما إليهما ... وقومه ينكرون الرسالة لمن كانت هذه حاله و يقولون :« لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » الزخرف: ٣١) وهناك إعتراضان أثارتهما قريش في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

الاول: لماذا اختارت السماء محمداً وقد كان حتى الأمس يتيماً واليوم في حماية عمه أبي طالب وإعانة زوجته خديجة؟ وهذا إعتراض خاص بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم كان هو الذي اختير لرسالة السماء من دون قومه، وفيهم من هو أكبر سناً وأكثر منه

مالاً إلى جانب مشاركته له في النسب ؟؟؟

فهم يستكثرون على رسول الله ﷺ أن يكون هو ذلك الانسان الذى ندبته السماء لحمل هذه الرسالة الكريمة، والقيام بهذه السفارة العظيمة بين الله جل وعلا والناس! وقد أفحمت هذه السورة الكريمة و غيرها هؤلاء الأغبياء الذين يجعلون حساب الانسان في الانسانية و حظّه من الكمال البشرى مقدّراً له من كبر السّن أو بما بين يديه من مال و رجال . . . دون نظر إلى تلك المعانى السامية فى الانسان . . . تلك المعانى التى تتصل منه بمعالم الحق . . . من كونه فى حماية الله جل و علا وماله من التوفيق والهداية، من الصدق والأمانة، ومن الايثار والعفة... إلى غير ذلك مما تخفّ إزاء الدراهم المعدودة منه موازين القناطير المقنطرة من مال و حطام !

وإذا نقف قليلاً عند هذه السورة الكريمة لنرى منها بعض مشاهد الحق ومطالع الاعجاز ولنطالع ما للنبى الكريم ﷺ فيها من شواهد تشهد لمكانه المكين من القرآن المجيد وإعجازه .

فما كان من فضل الله عز وجل على محمد ﷺ ليس مالاً و لا حطاماً ... وإنما هو كونه ﷺ فى حماية الله جل و علا و كنفه وعنايته الخاصة ، وماله فى الآخرة خير مما له فى الحياة الدنيا، وأعظم من ذلك كله أن يجلب الله تعالى رضا رسوله ﷺ بالاعطاء فما فعل هذا النبى الكريم ﷺ ؟ وماله من المكانة عند الله جل و علا ؟ وما عمل حتى يجلب الله تعالى رضاه ﷺ ؟ أوليست هذه عناية الله عز و جل الخاصة يختص بها من يشاء من عباده ليست مما تخرج الارض من زروع و كروم ، وفاكهة وحب ولا مما يتنازعه الناس فيما بينهم من متاع الحياة الدنيا ، وإنما هى ألطاف خاصة بيد الله القادر الحكيم المتعال، ليس إلى يد العباد شىء منها...

ولعلك لا تمرّ بهذا الخطاب الحبيب الرفيق الذى يخاطب الله جل و علا به نبيه الكريم ﷺ فى قوله تعالى :« ما ودّعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك

من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى » مؤكداً بقسمين بضياء النهار و سكون الليل.

ومن اليقين انك لاتمرّ بهذا الخطاب دون أن تخشع له ، و تستجمع له كيا- نك كله متشوفاً مستشرفاً إلى فيض هذه العناية والرأفة من « ربك - لك - ربك» رب محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى إختصه منها بهذا الفضل. وجعله رسوله إلى الناس ورحمة للعالمين .

ثم انظر إلى العناية الخاصة الالهية الاخرى التى شملت النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل لترى فى سناها أنها ليست مما يجمع الناس! ان قطرة واحدة منها خير من ما يجمعه الناس: « ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى»

ثم استمع إلى قول الله عزوجل لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم متحدّثاً إليه بالرحمة الا- لهية التى اختصه بها وجعله خاتم أنبيائه :« وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك» القصص: ٨٦)

فعن هذه الرحمة الالهية ، ومن فيضها ساق الله عزوجل هذا الفضل إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم واصطفاه من بين عباده لهذا السفارة العظيمة التى تصل السماء بالا- رض، ثم انه بفيض هذه الرحمة سكنت إلى النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، واطمأنّ قلبه، فكان على هذا الكمال البشرى أهّله لأن يكون المربى الكامل، و الرائد البصير، و الهادى الأمين ، و القائد الحكيم للمجتمع البشرى كله حيث تأوى النفوس و تسكن الارواح و تطمئن القلوب .. إلى ظلّ ظليل من رحمته و برّه و مودّته ...

ومن هذه الرحمة الالهية التى عمرت كيان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة عامة شاملة للناس جميعاً بما حمل من هدى ورحمة... وفى هذا كله ما يكشف لنا عن مقام النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومكانته من الرسالة التى دعى إلى حملها والسفارة بها ... إذ ليس كل إنسان بالذى يصلح لهذا الامر، ويقوم له ، ويحتمل أثقاله وأعباءه ... و

إذليس بالأمر الهين أن يقف إنسان وحده فى وجه الانسانية الشاردة ليردها إلى الطريق القويم، ويسلك بهامسالك الحق والخير انه سيصطدم بضلالات الضلال ، و سفاهات السفهاء ، و سيقف له الضلال و السفهاء بكل سبيـل ، و يقعدون له بكل مرصد ، يسلقونه بألسنة حداد و يرمونه بما وسع جهدهم و بلغ كيدهم من أذى و بلاء !



﴿التكرار﴾

يدور البحث في المقام حول ثلاثة امور :

الاول : ان السور التي يشتمل كل واحدة منها على إحدى عشرة آية خمس:

١ـ سورة الجمعة. ٢ـ سورة المنافقون. ٣ـ سورة الضحى. ٤ـ سورة العاديات . ٥ـ سورة القارعة .

الثاني : وقد تكررت كلمة «أما» في هذه السورة ثلاث مرات لأنها وقعت في مقابلة ثلاث آيات أيضاً ، وهي قوله تعالى :« ألم يجدك يتيماً فآوى » فجاء بقوله: « فأما اليتيم فلا تقهر » أي واذكر يتمك ، و« و وجدك عائلاً فأغنى » فجاء بقوله : «وأما السائل فلا تنهر » أي واذكر فقرك، و « ووجدك ضالاً فهدى » فجاء بقوله «وأما بنعمة ربك فحدث »أي واذكر ضلالك والاسلام .

الثالث : ونحن نشير في المقام إلى صيغ خمس لغات- أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الضحى والضحو)على صيغها في القرآن الكريم سبع مرات:

١ـ في سورة الاعراف : ٩٨) ٢ و ٣ـ في سورة طه: ٥٩ و ١١٩) ٤ـ سورة الضحى:١) ٥ و ٦ـسورة النازعات : ٢٩ و ٤٦) ٧ـ سورة الشمس: ١)

٢ـ « « (السجى) « « مرة واحدة :

وهي في سورة الضحى: ٢)

٣ـ « « (الدعة والتوديع) « « أربع مرات :

١ـ سورة الضحى: ٣) ٢ـ سورة هود : ٦) ٣ـ سورة الانعام: ٩٨) ٤ـ سورة الاحزاب: ٤٨)

٤ـ « « (القلى و القلاء) « « مرتين :

احدهما ـ في سورة الضحى: ٣) ثانيهما ـ في سورة الشعراء: ١٦٨)

٥ـ « « (العيل) « « مرتين :

احدهما ـ في سورة التوبة: ٢٨) ثانيهما ـ في سورة الضحى: ٨)

══════*

﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولا.

ثانيها- التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها- التناسب بين آيات هذه السورة نفساها:

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «الفجر» فلما جاءت في سورة الفجر قصة النعمة الالهية التى افيصت على قوم فطغوا ولم يؤدّ واشكرها، فصبّ عليهم العذاب، وقصة إبتلاء الانسان على سبيل العموم بالغنى والفقر وتلوّنه إزاء ذلك ، وقصة إكرام اليتيم وحب المال و قصة الجزاء و تبعة ذلك التلوّن وعاقبة الثبات لبعض فيها ايماء إنفرد الخطاب في سورة الضحى لرسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه في حماية الله تعالى و كنفه وإفاضة النعم عليه مع تطمينه على ذلك وأمرامته صلى الله عليه وآله وسلم تلويحاً بحماية اليتيم ودفع حوائج المحتاجين شكراً لله تعالى على ما أنعم عليهم.

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لسورة «الليل » فبامور:

أحدها- ان الله تعالى لما بيّن في سورة «الليل» تشتت مساعى الناس، فمنهم من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى ، و منهم من بخل و استغنى بماله عن الله جل وعلا و كذب بالحسنى ، وقد أشارفيها إلى أن المال لا أثر له في نجاة

صاحبه ما لم يؤدّ حقه، ولم ينفق منه في وجوه البر وسعادة صاحبه، و ذكر الجزاء الدنيوى و الاخروى خيراً وشراً لتلك المساعى، وان هذا الجزاء بيد الله عزوجل و ملكه، و ذكر الهداية واختلاف الناس فى الاهتداء فمنهم من سلك إلى ما مأواه النار والجحيم، ومنهم من سلك إلى ما مآله الجنة والنعيم، إنفرد الخطاب فى هذه السورة لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من أنه صلى الله عليه وآله وسلم فى صيانة الله جل وعلا وحفظه من تلك الزلات...

ثانيها - فى تفسير النيسابورى قال: تلك (سورة الليل) سورة أبى بكر و قد سبقه كفر يشبه الليل فى الظلمة، و هذه (سورة الضحى) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسبقه كفر طرفة عين، فلا أقل من ذلك فبدأ بالنهار الذى هو يشابه الايمان.

ثالثها - ان الله تعالى لما قدّم ذكر الليل فى سورة «الليل» عكس الامر فى سورة «الضحى» لانفراد كل منهما بفضيلة مخصوصة، و ان الليل للراحة و السكون، و النهار لانتظام أمر المعاش، فقدّم هذا على ذلك تارة وبالعكس لئلا يخلو شىء من النوعين عن فضيلة التقديم، وبهذا يتوازن الليل و النهار، فيقدّم أحدهما فى موضع، ويقدّم الآخر فى موضع، ولكل من التقديم و التأخير فى الموضعين مناسبته.

رابعها - ان الله عزوجل لما ذكر فى سورة «الضحى»، «سيجنبها الأتقى» و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأتقياء أردفها هذه السورة بذكر نعمة أنعمها على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مقسماً بالنهار و الليل كالمتقدمة على إختلاف التقديم والتأخير. و لما ختم سورة «الضحى» باعطاء الثواب لمن اتقى بما يرضى به، وافتتح هذه السورة بأنه يرضى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما يعطيه يوم القيامة من الكرامة و الزلفى.

و أما الثالثة: ففى هذه السورة مقصدان متناسبان كما أن بين آياتها

مناسبات .

المقصد الاول : أن الله تعالى ما ترك نبيه ﷺ و لا أبغضه، بل هو جل وعلا مديم النعم عليه ﷺ منزل البركات و الوحي له، وانه سيمدّه في المستقبل في الآخرة ، ويعطيه حتى يرضاه، وذلك من قوله تعالى : «والضحى - فترضى»: ١-٥)

والثاني : تذكيره ﷺ بنعمه تعالى عليه ﷺ فيما مضى، و أنها دليل على أن من اعطى فيما مضى لابد أن يعطى فيما سيأتي، ثم طلب منه ﷺ الشكر قلباً وقولاً وفعلاً على هذه النعم بالتحديث بها من قوله عز وجل: «ألم يجدك يتيماً فآوى- وأما بنعمة ربك فحدّث»: ٦-١١)

و لعل الاقسام بالضحى والليل لأمرين:

أحدهما : ان الله جل و علا ذكر رسوله ﷺ بعموم رحمته و ظهور جماله وحكمه ورأفته ليلاً ونهاراً ، ولاجرم أن من يطلع على تلك العوالم يدهش للعلم و القدرة ، و للتدبير والعظمة التي اتصف بها خالقها ، والاحسان واسع والاتقان لكل شيء... فمن هذا نظامه وهومعدن الاحسان والرحمة على البر والفاجر، على المؤمن والكافر، على المصلح والمفسد، على المفلح والخاسر، وعلى المطيع والمسيء... أفلا يكون البارالذي ينشر الخير أولى بأن تدوم عليه النعمة الالهية من الله جل وعلا.

ثانيهما - ان النهار وقت تبليغ الدعوة و المعاش، والليل زمن التضرع والدعاء والتهجد والمعاد، ومن كانت هذه حاله، فان الله عز وجل لا يخزيه ، فاذا كان نهاره في إرشاد و ليله في جدّ و إجتهاد و إزدياد ، فكيف يتركه ربه أو يغضبه ، ولا جرم ان كل من اتصف بصفات الكمال، و دعا إلى الحق على قدمه ﷺ تكون أيامه في إقبال ، وآخرته أرقى من أولاه ، فلتجرّب أيها الذكيّ فالتجربة خير كفيل.

ان الله عزوجل لما أقسم بضوء النهار وظلمة الليل أردف بما ينا سبهما من نزول الوحي السماوي و إنقطاعه ، و سلّى رسوله الأعظم ﷺ بأن وراء الليل المظلم نهاراً مضيئاً قطعاً ، و ان مع العسر يسراً ، و انه ﷺ في حمايته و صيانته ليلا و نهاراً على سبيل الاجمال، فكيف يتركه ﷺ الله جل وعلا و يغضبه!

ثم بيّن أن له ﷺ الآخرة خيرمما كان له في الحياة الدنيا، فأشارإلى ماله في الآخرة بقوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» باعطاء مطلق لا يقادر قدره ورضى مطلق لايمكن تعريفه.

ولعلّ وجه إتصال قوله عزوجل: «وللآخرة خير لك من الاولى»: ٤) بماقبله: ان في قوله تعالى: «ما ودّعك ربك وما قلى»: ٣) إثباتا لمحبته عزوجل نبيه ﷺ وإنعامه عليه ﷺ فاتصل هذا أيضاً به ، والتقدير : ليس الامر كما زعموه بل الوحي السماوي يأتيك مادمت حياً،وتدوم محبتي لك،وما اعطيتك في الدارالآخرة من علوّ الشرف، ورفعة المنزلة وعظيم المكانة عندي خيرمما أعطيتك اليوم، فاذا حسدوك على هذا فكيف بهم إذا رأوا ذاك.

ثم فصّل ماله ﷺ في الحياة الدنيا بقوله تعالى: «ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى» : ٦-٨) أفتكون نعمة في الدنيا أعظم من أن يكون العبد في حماية الله تعالى، ومهتدياً بهدى الله جل وعلا، وغنياً بغنى الله سبحانه.

وقيل: ان إتصال قوله عزوجل: «ألم يجدك ...» بماقبله فوجهه انه إتصال ذكرالنعم بذكرالمنعم، والتقدير: ان الله تعالى سينعم عليك في مستقبل أمرك كما أنعم عليك في الماضي من أمرك.

ثم أمرنبيه ﷺ باحسان اليتيم، ورفع حوائج السائل، وتحديث النعمة الالهية شكراً لله عزوجل، من باب هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان: إحسان من

الله عزوجل على رسوله ﷺ و إحسان من النبى الكريم ﷺ على امته لانه ﷺ مظهر إلهى فى الكمال والكرم والرحمة على عباد الله تعـالى.

ان الله تعالى نهى رسوله ﷺ فى هذه السورة عن شيئين، وأمره بواحد: نهاه عن قهر اليتيم جزاء لما أنعم به عليه فى قوله: «ألم يجدك يتيماً فآوى» ونهاه عن نهر السائل إزاء قوله تعالى: «ووجدك عائلاً فأغنى» وأمره بتحديث نعمة ربه إزاء قوله عزوجل: « ووجدك ضالاً فهدى»



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

وإني لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هـذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أومتشابهاً ، فآياتها محكمات والله عزوجل هو أعلم.



﴿تحقيق في الأقوال﴾

١- (والضحى)

في «الضحى» أقوال: ١-قيل: «الضحى»: صدر النهار حين ترتفع الشمس و تلقى أشعتها على هذا الكون، و إعتدال النهار في الحر و البرد في الشتاء و الصيف.

٢- قيل: «الضحى»: أول النهار وشبابه حيث تعلو الشمس على افقها الشرقي فتبسط ضوءها على الوجود. ٣- عن قتادة ومقاتل: اقسم بالضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام.

٤- قيل: «الضحى»: النهار كله لقوله تعالى: «والليل إذا سجى» فقابله بالليل، ولقوله عزوجل: «أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون» الاعراف: ٩٧- ٩٨) أى نهاراً فاقسم بنور النهار كله من قولهم: ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها. ٥- قيل: «الضحى»: وسط النهار و رايعته.

٦- قيل: «الضحى»: هي الساعة التي خر فيها السحرة سجداً حين رأوا عصا موسى عليه السلام لقوله عزوجل: «وأن يحشر الناس ضحى» طه: ٥٩) وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الذى قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب أعدائك حتى يسلموا.

٧- عن الجبائي: على تقدير: اقسم برب الضحى. ٨- عن قتادة أيضاً: «الضحى»

: أول ساعة من النهار وقد اقسم به قبل القسم بالليل تنبيهاً إلى أن هذه الساعة من النهار توازى جميع الليل كما أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و امته يوازى جميع الانبياء واممهم.

٩- قيل: « الضحى »: رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما أن الليل زمان إحتباس الوحي. ١٠- قيل: « الضحى » : نور علمه الذى به يعرف المستور من الغيوب. ١١- قيل: « الضحى »: هو إقبال الاسلام بعد أن كان غريباً .

١٢- قيل: « الضحى » : كمال العقل . ١٣- قيل : « الضحى » : علانية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم التي لا يرى عليها الخلق وعيباً . ١٤- قيل : « الضحى » ذكور أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم والليل إناثهم .

أقول : وعلى الاول أكثر المحققين، وفى معناه بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢- (والليل اذا سجى)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة وإبن زيد وعكرمة : أي إذا هدأ الليل وسكن. يقال: ليلة ساجية : ساكنة، والمراد : سكن الأحياء والحركات في الليل وأصواتهم وانقطعوا عن الحركة كما يسكن موج البحر و ينطوى صخبه وهديره .

٢- عن الحسن وإبن عباس وعطاء : أي أطبق بالظلام وغشى بظلامه كل شيء. وعن الضحاك: أي غطّى كل شيء . ٣- قيل: اريد بالليل الساجى : ليلة المعراج . ٤- عن إبن عباس أيضاً: أي إذا ذهب .

٥- عن إبن عباس أيضاً: أي إذا أظلم. ٦- عن قتادة والحسن وإبن عباس أيضاً: أي أقبل ظلامه .

٧- عن مجاهد أيضاً: أي إستوى. و قيل: سكون الليل: إستقرار ظلامه و إستوائه. وقيل: سجى الليل : غسقه ومنحدره . ٨- عن الجبائي : أي واقسم برب

الليل إذا سجى.

٩- قيل: سجى الليل إشارة إلى أن الاسلام سيعود غريباً. ١٠- قيل: سجى الليل: وقت السكون فى القبر. ١١- قيل: سجى الليل: هو السّرّ الذى لايعلمه إلاّ عالم الغيب.

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين، وفى معناه بعض الاقوال الاخر.

٤- (وللآخرة خير لك من الاولى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى ما عندي فى مرجعك إلىّ فى الآخرة لما فيها من الكرامات لك يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الحياة الدنيا.

فالمعنى: ان ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية و الكون فيها. وعن إبن عباس: ان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك، وفى كل قصر ماينبغى له من الأزواج والخدم وما يشتهى على أتم الوصف.

فكأنه قيل: أنت فى الدنيا عظيم الشأن عند الله وعند الناس، وفى الآخرة لا يساويك فى منزلتك ملك مقرب ولا نبى مرسل.

فأنت فى الاولى فى بلاء وابتلاء وعيشة منغصة مشوبة بألوان المتاعب والمصائب، وإن كنت فى راحة ضميرك أنك أديت الرسالة، وأنت فى الآخرة فى رحمة و راحة خالصة.

وقيل: ان الحياة الآخرة خير لك من الاولى، لك ولمن اتبعك، فأين آخرتك من اولاك؟ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزهد الناس فى الدنيا وأعظمهم لها إطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيّر صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عزوجل إختار ما عند الله تعالى على هذه الدنيا الدنيئة.

٢- قيل: أى ولآخر عمرك الذى بقى خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح و النصرة. فالآخرة خاتمة أمر النبى الكريم ﷺ مع النبوة، و الاولى مبدأ أمره معها.

والمعنى: ان آخرة أمر النبى مع رسالته خير من أولها، فاذا بدأت رسالته بهذا العناء المتصل الذى واجهه من عناد قومه، ومن تأبيهم عليه وتكذيبهم له، و مالاحقه ﷺ والمؤمنين معه بالأذى والنصر و بالحرب والقتال- فان خاتمة هذه الرسالة ستكون نصراً مؤزراً له وفتحاً عظيماً للدعوة وخزياً وإذلالاً للضالين المعاندين.

فكأن الله تعالى يقول: إن أحوالك يامحمد ﷺ فى مستقبل حياتك خير لك مما مضى منها، وان كل يوم ستزداد عزاً إلى عز، وسيرتفع شأنك كل يوم عما قبله وسأمنحك كل آن جلالاً فوق جلالك، وعظمة فوق عظمتك، ورفعة فوق رفعتك، وكأنه يقول له: لاتظنن انى كرهتك أوتركتك، بل أنت عندى اليوم أشد تمكيناً و أقرب إتصالاً.

ولقد صدق الله عز وجل وعده، فمازال يسمو بنبيه ﷺ ويرفع درجاته يوماً فيوماً حتى بلغ الغاية التى لم يبلغها أحد قبله. فجعله رسول الرحمة والهداية و النور إلى جميع خلقه، وجعل محبته من محبة الله تعالى واتباعه والاقتداء به سبباً للفوز العظيم بنعيمه، وجعله وامته شهداء على الناس جميعاً و نشر دينه، وبلّغ دعوته إلى أطراف المعمورة، فأىّ فضل فوق ذلك الفضل؟ وأىّ نعمة أصفى من هذه النعمة، وأىّ إكرام فوق هذا الاكرام؟ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين ومن أصلح من محمد خاتم المرسلين ﷺ؟

٣- قيل: اريد بها تطمين النبى الكريم ﷺ وتبشيره بنجاح الدعوة، وبأن مستقبلها سيكون خيراً من بدئها فتكون نهاية أمره خيراً من بدايته، فكأنه قال: فلا أزال اوليك النعم، وأنت تتصاعد فى العليا فى الدنيا و الآخرة.

٤- قيل: ان الاولى: ما أعطاه النبوة والقرآن وقرن إسمه من إسمه فى الصلاة والأذان والاسلام، وختم به الوحي والنبوة والآخرة ما يعطيه من الشفاعة، وما من أحد يملكها إلاّ إذا اتخذ عند الرحمن عهداً.

أقول: و على الاول جمهور المحققين من غير تناف بينه و بين القولين الآخرين.

٥- (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن إسحق: أى ولسوف يعطيك ربك الفلاح فى الحياة الدنيا والجزاء فى الدار الآخرة. ٢- عن الحسن: أى ولسوف يعطيك ربك الحوض والشفاعة فى جميع المؤمنين وسائر أنواع الكرامة فيك و فى امتك ما ترضى به فى الآخرة.

وقال إبن عباس: أى سيعطيه الله تعالى فى الآخرة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. وقيل: ان المعنى: ولسوف يعطيك ربك فى الآخرة من الخيرات والكرامات عطاء جزيلاً فترضى به، ومن جملتها نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذخر.

٣- عن السدى: أى ولسوف يعطيك ربك فترضى بألا يدخل أحد من أهل بيته فى النار.

٤- قيل: أى ولسوف يلقاك ربك بالعطايا والمنن حتى تقرّ عينك و ينشرح صدرك، وذلك بما ينزل عليك من آيات ربك، وبما يحقق لدعوتك من نصر وتمكين فلا تزال ترى فى نفسك زيادة فى الكمال، وفى أمرك ظهوراً، وفى دينك علواً، و فى امتك إتساعاً، وفى آخرتك نعماً و قربى من ربك، فلأنت سوف يعطيك ربك فترضى.

قيل: ان تسئل: أكان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم غير راض فى وقت عن ربه حتى يرضيه بعطائه رضى العبيد؟

تجيب عنه: انه كانت حياته الرضا عن الله جل وعلا، ولكنه لما احتبس عنه الوحي ظنّه عن تقصير منه أو قصور، فسخط على نفسه، ثم بعطاء الوحي بعد إنقطاعه رضى، وثم بهذه الكرامة الوحيدة له من ربه زاد من ربه رضى، فان الله يعطى من يعطيه كما يرضى هو لا المعطى له، وهنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يختص بهذه الكرامة الربانية أن أصبح عطاء الله تعالى له كما يرضاه صلى الله عليه وآله وسلم تخصيصاً له عن جميع الصالحين! وهنا تمتاز آخرته عن سواه ميزة اخرى: « فترضى » كما أوحي إليه: « خير لك » خير به خاصة لك دون من سواك. وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة، ولا ريب أنها من رضاه ومن أعلاه وأولاه شفقة على امته الذين تؤهل لهم لا المسمون بها وليسوا منها.

ـ قيل: أى سوف يوحى لك خاتمة الوحى الذى لم يوح إلى أحد والذى سوف لن يوح إلى أحد، وهناك فى البرزخ والمعاد سوف يعطيك ربك ما يرضيك وينسيك اتعابك فى سبيل مرضاته، فيتوّجك تاج الكرامة بين المكرمين وفوقهم تاج الشهادة والشفاعة.

٦ـ قيل: أى ولسوف يظاهر ربك عليك نعمه ويوالى عليك مننه، ومنها توارد الوحى عليك بما فيه إرشاك وهداية قومك إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة، و سيظهر دينك على الأديان كلها، وتعلو كلمتك ويرتفع شأنك على شئون الناس كلهم.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.

٦ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى)

فى الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى فقدمات أبوبك وامك، **فبقيت يتيماً** فآواك الله تعالى، إذ جعل لك مأوى تأوى إليه عند جدك عبد المطلب أولاً، ولما مات عبد المطلب آويتك إلى عمك أبى طالب فكفلك إذ سخّرته للاشفاق عليك والحنين على حفظك ومراعاتك ... حتى كنت أحب إليه من أولاده.

واليتيم من لا أب له. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات أبوه وهو فى بطن امه، و

قيل: انه مات بعد ولادته بمدة قليلة ، وماتت امه صلى الله عليه وآله وسلم وهو إبن سنتين و مات جده وهو ابن ثمان اوست سنين فسلمه إلى أبي طالب عليه السلام لانه كان أخا عبدالله لامه فأحسن كفالته .

فالاستفهام لتقرير نعمة الله عزوجل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أي وجدك يتيماً بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها فضمك إلى جدك أولاً، فلما مات جدك ضمك إلى أبي طالب ثانياً .

٢- عن مجاهد: هو من قول العرب: درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل ، فاريد بالیتیم الوحيد الذي لانظير له في الناس. فالمعنى : ألم يجدك وحيداً بين الناس، عديم النظير في الخلقة، واحداً في شرفك وفضلك لامثل لك لم يحو مثلك صدف الامكان، فآواك الله تعالى بأصحاب يحفظونك ويحوطونك. وآواك إلى نفسه واختصك برسالته فآوى إليك الناس وجمعهم حولك فهداهم بك قال الشاعر:

لا و لا درة يتيمة بحر تتلا لا في جونة البياع

٣- عن الماوردي: أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيماً و كفيلا للأنام بعد أن كنت مكفولاً.

٤- قيل: اريد باليتيم: عديم العلم قال الله تعالى: «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان» الشورى : ٥٢)

٥- قيل: أي مالك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم تقطع رجاءك فينا؟ ألم تكن يتيماً لاأب لك يعيى بتربيتك ويقوم بشؤونك ويهتم بتنشئتك فربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير إذ جعلت جدك كفيلاً لك مادام حياً، وجعلت عمك أباطالب حافظاً لك فمازال يحميك ويتعهدك برعايته ويجنبك أدناس الجاهلية وأوضارها حتى رقيت إلى ذروة الكمال الانساني، وقد كنت يتيماً صغيراً؟ أتظنني تاركك ومضيعك كبيراً ؟ فلا بد أن أتم نعمتي عليك، فكما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم ولا تذله ولا تنهره ولا تهنه ولكن أحسن إليه كما أحسن الله تبارك إليك وتلطف به . وقال قتادة : كن لليتيم

كالأب الرحيم.

٦ـ قيل: اريد باليتيم التعميم فيشمل لكل معانيه: وذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان منقطعاً عن أبويه، إذ توفي والده قبل ولادته، وتوفيت امه بعد ستة أشهر. فآواه الله تعالى إلى جده عبدالمطلب وإلى عمه أبي طالب فكفلاه خير كفالة إذ أنزله من جده وعمه منزلة أعز الأبناء وأحبهم إلى آبائهم. وكان يتيماً، منقطعاً عن النبوة والرسالة فآواه إليهما، ثم يتيماً عن الوحي إذا انقطع عنه فآواه، ويتيماً: منفرداً بين الناس فآواه إليه الناس، فقد أزال عنه يتمه أياً كان.

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين والثاني هو المروي وان كان غيره لا يخلو من وجه.

٧ـ (ووجدك ضالاً فهدى)

وقد انتهت الاقوال في الآية الكريمة إلى سبعة وعشرين قولاً: ١ـ عن الحسن والضحاك والجبائي: أي ووجدك غافلاً عما يراد بك مما أنت عليه الآن من أمر النبوة ومعالم الشريعة الحنفية فأرشدك إليهما وقد كنت غافلاً عنهما فهداك إليهما، غافلاً عن الهداية التشريعية وإن كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مهدياً بهداية تكوينية، غير خارج منها بخلاف قومه الذين إنحرفوا عنها.

فالضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله تعالى: «لا يضل ربي ولا ينسى» طه: ٥٢) أي لا يغفل. وقال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «وإن كنت من قبله لمن الغافلين» يوسف: ٣) فكنت ضالاً عن النبوة ولا تطمع فيها ولا خطر شيء منها في قلبك، فان اليهود و النصارى يطمعون أن تكون النبوة في بني إسرائيل، فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها.

٢ـ قيل: أي ووجدك ضالاً لم تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله تعالى إلى القرآن و شرائع الاسلام، وهو معنى قوله عزوجل: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان» فصلت: ٥٢)

فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب من العلم كقوله تعالى: « ان تضل إحداهما فتذ كر إحداهما الاخرى» فالمعنى : ووجدك ضالاً عن وحى الاسلام و نبوته، فهداك إليه ضلالاً عن الهداية الفعلية بوحى القرآن لا عن كل هداية و أبسطها: « ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » العنكبوت : ٤٨) « ما كنت تعلمها أنت و لا قومك » هود : ٤٩) « وعلّمك مالم تكن تعلم » النساء : ١١٣)

فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضالاً عن هذا الهدى لا عن كل الهدى فانه كان أهدى الناس قبل وحى القرآن المجيد بما كان يسلك به روح الأمين محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره .فليس هذا الضلال هو الضلال عن الدين، كيف لا وهو جل و علا يقول :« ماضلّ صاحبكم وماغوى» النجم: ٢) ؟

وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد ديّناً مؤيداً من عند الله عز وجل مهما اختلفت درجاته قبل النبوة و بعدها . وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى الخطبة القاصعة: « و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله و نهاره» فلا يصدّق القرآن الكريم والعقل السليم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضلاله فى الدين .

ومن الضرورة انه لم يكن فى الانبياء عليهم السلام بحكم الفطرة خبث يدعوهم إلى المضل ،ولا ما يهديهم إلى المحل، وقد كانوا فى مقام الحيرة ضالين عن الطريق بالوقوف على المنزل حتى هدوا بالوحى والعقل المنزل...

٣ـ قيل: أى ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً كما قال الله عز وجل: « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً» فالمراد بالضال: الخالى عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد عن الباطل و الخطاء .

٤ـ عن الكلبى و الفراء: أى ووجدك ضالاً فى قوم ضلال فهداهم الله بك. وقيل:

أى ووجدك بين ضالين فاستنقذك منهم. ٥ـ عن السدى: أى ووجدقومك فى ضلال فهداك إلى إرشادهم. فالخطاب وإن كان للنبى ﷺ ولكن المراد به امته ﷺ. فالمعنى: ووجدقومك ضلالاً فهداك إلى إرشادهم، وهداهم بك و بدينك.

٦ـ قيل: أى ووجدك ضالاً عن الهجرة، متحيراً فى يد قريش متمنياً فراقهم، و كان لا يمكنك الخروج بلا إذن من ربك، فأذنت لك فهداك الله تعالى إلى الهجرة. ٧ـ قيل: أى ووجدك ضالاً عن القبلة إذ كنت تتمنى أن تجعل الكعبة قبلة فهداك الله عز و جل إلى ذلك وقال: «فلنولينك قبلة ترضاها» فكأن التحير هو الضلال.

٨ـ قيل: أى ووجدك ضالاً عن معرفة جبرائيل أول مرة. وذلك ان رسول الله ﷺ لما ظهر له جبرئيل عليه السلام فى أول رسالته ونبوته ما كان يعرف جبرئيل، و كان يخاف خوفاً شديداً فهداه إلى معرفته.

٨ـ قيل: أى ووجدك طالباً للقبلة، فهداك إليها لقوله تعالى: «قد نرى تقلّب وجهك فى السماء» فيكون الضلال بمعنى الطلب لأن الضال طالب. ٩ـ قيل: أى و وجدك ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فا ذكرك كما قال تعالى: «أن تضل إحداهما» البقرة: ٢٨٢)

فالمعنى: و وجدك ناسياً فهداك إلى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان.

ان تسئل: لو كان الضلال بمعنى النسيان لما جمع بينهما فى قوله تعالى: «لا يضل ربى ولا ينسى» طه: ٥٢) ؟

تجيب: نحن لا ندعى انه حيث ذكر كان بمعنى النسيان فهو فى تلك الاية بمعنى الخطأ وقيل: بمعنى الغفلة.

١٠ـ قيل: ان رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ضلّ فى الطريق، وضلّ دليله فأرشدهم الله تعالى إلى الطريق الواضح حتى وصلوا إليها. ١١ـ قيل:

أى ووجدك متحيراً عن بيان ما نزل عليك فهداك إليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضلال متحير. وعن الجنيدى : أى ووجدك متحيراً فى بيان الكتاب فعلّمك البيان لقوله تعالى : «لتبين للناس ما نزّل إليهم» و قوله : «لتبين لهم الذى اختلفوا فيه» ١٢- قيل : أى و وجدك ضائعاً فى قومك إذ كانوا منحطين، وكانوا يؤذونك. ولا يرضون بك ملة إبراهيم عليه السلام قبل رسالتك فقوّى الله تعالى أمرك وهداك إلى أن صرت عليهم رسولاً ووالياً وآمراً. فيكون الضلال بمعنى الضياع.

١٣- قيل : أى و وجدك محباً للهداية ، فهداك إليها ، فيكون الضلال بمعنى المحبة و منه قوله تعالى : «قالوا بالله انك لفى ضلالك القديم» يوسف: ٩٥) أى في محبتك. فالمعنى : انك محبٌ فهديتك إلى الشرائع التى بها تتقرب إلى خدمة محبوبك.

قال الشاعر:

هذا الضال أشاب منى المفرقا والعارضين ولم أكن متحققا
عجباً لعزة فى اختيار قطيعتى بعد الضلال فحبلها قد أخلقا

١٤- قيل : أى و وجدك ضالاً فى شعاب مكة ، فهداك و ردّك إلى جدّك عبدالمطلب.

و قد روى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنى ضللت عن جدّى عبدالمطلب ، و أنا صبىٌ ضائع كاد الجوع يقتلنى فهدانى الله تعالى ، و تعلّق بأستار الكعبة فيقول :

يا رب ردّ و لدى محمداً اردده ربى واصطنع عندى أبدا

فمازال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبوجهل على ناقة وبين يدى محمد وهو يقول: لاندرى ماذا نرى من إبنك، فقال عبدالمطلب: ولم ؟ قال انى أنخت الناقة وار كبته من خلفى ، فأبت الناقة أن تقوم فلما اركبته أمامى قامت

الناقة تقول : يا أحمق هو الامـام فكيف يقوم خلف المقتدى، فردّه الله تعالى إلى جدّه ﷺ بيد عدوّه كما فعل بموسى حين حفظه على يدعدوّه فرعون.

وعن إبن عباس: وقد ضلّ النبى ﷺ وهوصغيرفى شعاب مكة ، فرآه أبوجهل منصرفاً عن أغنامه، فردّه إلى جدّه عبدالمطلب، فمن الله تعالى عليه بذلك حين ردّه إلى جدّه على يدى عدوّه.

١٥- عن سعيد بن جبير: خرج النبى ﷺ مع عمه أبى طالب عليه السلام فى سفر التجارة إلى الشام فأخذ إبليس بزمام الناقة فى ليلة ظلماء، فعدل بها عن الطريق ، فجاء جبرئيل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند وردّه إلى القافلة ، فمنّ الله عليه بذلك.

وعن سعيدبن المسيب: ان محمداً ﷺ خرج مع عمـه أبى طالب عليه السلام فى قافلة ميسرة غلام خديجـة ، فبينما هو راكب ذات ليلـة ظلماء ، جاء إبليس فأخـذ بزمام ناقتـه ، فعدل به عن الطريق فجـاء جبرائيل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة رفع بها الى الحبشة وردّه إلى القافلة فمنّ الله تعالى عليه بذلك.

١٦- عن كعب: ان حليمة سعدية لما قضت حـق الرضاع جاءت برسول الله ﷺ لتردّه على عبدالمطلب، فسمعت عند باب مكة: هنيئاً لك يا بطحاء مكة، اليوم يردّ إليك النور والدين والبهاء والجمال، قالت : فوضعته لا صلح ثيـابى فسمعت هدّة شديدة فالتفت فلم أره فقلت: معشر الناس أين الصبىّ ؟ فقـالوا: لم نرشيئاً فصحت: وا محمداه !! فاذاً شيـخ فان يتوكّأ على عصاه فقال: إذ هبى إلى الصنم الأعظم، فان شاء أن يردّه عليك لعـل ، ثم طاف الشيخ بالصنم وقبّل رأسه وقـال :

يارب لم تزل منتك على قريش ، وهذه السعدية تزعم أن إبنهـا قـد ضلّ ، فردّه إن شئت فانكبّ هبل على وجهه و تساقطت الأصنام و قالت : إليك عنـا أيها الشيخ فهلا كنا على يدى محمد ، فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال: ان لابنك

رباً لا يضيعه فاطلبيه على مهل ، فانحشرت قريش إلى عبدالمطلب و طلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبدالمطلب بالكعبة سبعاً، وتضرّع إلى الله أن يردّه وقال :

يا رب ردّ ولدي محمداً اردده ربي و اتخذ عندي يداً

يا رب ان محمداً لم يوجدا فشمل قومي كلهم تبدّدا

فسمعوا منادياً ينادي من السماء : معاشر الناس لا تضجّوا فان لمحمد رباً لا يخذ له و لا يضيعه، و ان محمداً بوادي تهامة عند شجرة السمر ، فسار عبدالمطلب هو و ورقة بن نوفل ، فاذاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان و بالورق.

١٧- قيل: أي ووجدك ضالاً ليلة المعراج حين إنصرف عنك جبرئيل عليه السلام وأنت لاتعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش. وقيل: أي ووجدك ضالاً عن طريق السموات فهداك ليلة المعراج فعرجت إليهافيها. ١٨- عن السدي أيضاً: أي ووجدك ضالاً على أمر قومه أربعين عاماً.

وذلك ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حائراً في أمر قومه إذ يرى ضلالهم في عقائدهم و تقاليدهم و فساد أعمالهم وجهلهم و تفرّق كلمتهم وتشتت آرائهم فلا يدري ما هوالسبيل إلى هدايتهم، فضاق عليه صدره حتى نزل عليه الوحي السماوي إليه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين لقوله عزوجل: «ألم نشرح لك صدرك» الانشراح: ١) فالضلال بمعنى التحير، فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم متحيراً في كيفية هداية هؤلاء الضالين المضلين.

١٩- عن أبي بكر الوراق: أي ووجدك ضالاً تحب أبا طالب فهداك إلى محبة ربك فالضلال: المحبة كقوله تعالى: لفي ضلالك القديم» فهداك إلى وجه الوصول إلى المحبوب والمراد بالسلوك. ١٩- عن بسام بن عبدالله: اى ووجدك ضالاً بنفسه لاتدري من انت فعرفك بنفسه وحالك.

٢٠- عن بعض المتكلمين: إذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلات من الأرض لا شجر معها سموّها ضالة، فيهتدى بها إلى الطريق، فقال الله عزوجل لنبيه محمد ﷺ: ووجدك ضالاً أى منفرداً فى دينك إذ لا أحد على دينك الذى هو ملة إبراهيم عليه السلام فأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إلى. والمعنى: و وجدك فريداً فى الناس، وماكانت جزيرة العرب شجرة إنسانية تحمل ثمار العلم و الايمان، وقد كنت شجرة طيبة ضالة فى هذه الارض فهدى الناس إليك. ٢١- قيل: أى ووجدك منفرداً عن إختلاط أهل الضلال والشرك فهداك إلى الاختلاط بهم وإلى دعوتهم.

قال بعض المفسرين: ان هذه الأقوال كلها حسان، ثم منها ما هو معنوى، و منها ما هو حسىّ، و القولان الاخيران أعجب إلىّ لانهما يجمعان الاقوال المعنوية كلها.

٢٢- قيل: أى ووجدك مغموراً بأهل الشرك فميّزك عنهم. يقال: ضل الماء فى اللبن ومنه: «أئذا ضللنا فى الارض» أى لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كان لا تتميّز من جملته. وقيل: أى انك كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقوّاك الله تعالى حتى اظهرت دينه.

٢٣- قيل: أى ووجدك ضالا لايهتدى إليك قومك ولا يعرفون قدرك، فهدى المسلمين حتى آمنوا بك. وقيل: أى و وجدك مضلولا عنك فى قوم لا يعرفون حقك، فهداهم إلى معرفتك و أرشدهم إلى فضلك والاعتراف بصدقك. و المراد: انك كنت خاملاً لا تذكر ولا تعرف، فعرفك الله الناس حتى عرفوك و عظموك.

والمعنى: ووجدك ضالة الناس كما أن الحكمة ضالة المؤمن، فماكانوا يعرفونك ولايعرفون حقك، فهداهم إليك بما أرسلك برسالة الاسلام ودلّهم عليك، فالضلال بمعنى المضلول.

٢٤ـ عن أبي مسلم: أي ووجدك حائراً متحيراً لاتعرف وجوه معاشك، فهداك إلى وجوه معاشك، فان الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه ووجه معيشته يقال: انه ضال لايدرى إلى أين يذهب؟ ومن أين وجه يكتسب. وفي الحديث: «نصرت بالرعب وجعل رزقي في ظل رمحي» يعني الجهاد.

٢٥ـ قيل: أي ووجدك لاتعرف الحق فهداك إليه باتمام العقل ونصب الأدلة والألطاف حتى عرفت الله جل وعلا بصفاته بين قوم ضلال مشركين، وذلك من نعم الله سبحانه عليك.

٢٦ـ قيل: أي ووجدك ضالاً عن المعرفة حينما ولدت فهداك الله بغريزة منها، ثم بعد ما فطمت أيدك بأعظم ملائكته إلى أن ابتعثك رسولاً إلى العالمين.

٢٧ـ قيل: أي ووجدك ضالاً عن امور الدنيا ومنفرداً عن إختلاط امور الدنيا فلاتعرف التجارة ولاغيرها فهديتك إلى ما فيه ربحك دنياً وآخرة.

أقول: وعلى الثامن عشر أكثر المحققين من غير تناف بينه وبين كثير من الاقوال الاخر.

٨ـ (ووجدك عائلاً فأغنى)

في الاية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي ووجدك فقيراً فاغناك برعاية عمك أبي طالب عليه السلام وكفالته وتربيته، وبمال خديجة إلى أن بعثه الله تعالى بالرسالة. والعائل: الفقير وان لم يكن له عيال قال الله تعالى: «وإن خفتم عيلة» التوبة: ٢٨)

٢ـ قيل: أي ووجدك فقيراً لامال لك فأغناك بمال خديجة عليها السلام. يقال: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر. وقال احيحة بن الجلاح:

فما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يعيل

٣ـ عن مقاتل: أي ووجدك عائلاً فرضاك بما أعطاك من الرزق. وقال الفراء: لم يكن محمد صلى الله عليه وآله وسلم غنياً عن كثرة المال، بل الله تعالى أرضاه بما

آتاه من الرزق وذلك حقيقة الغنى. وقال الكلبي: أى فأغناك بالقناعة إذ قنّعه بالرزق.

٤- عن إبن عطاء: أى ووجدك فقير النفس فأغنى قلبك بحيث كان يستوى عنده الذهب والحجر، فلا يجد في قلبه سوى الله تعالى، ومن هنا إذ خيّره الله عزوجل بين الفقر والغنى فاختار الفقر فأزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الاكبر المعنى بقوله ﷺ: «الغنى غنى النفس».

٥- عن الأخفش: أى ووجدك ذاعيال دليله: «فأغنى» ومنه قول جرير.

الله أنزل في الكتاب فريضة　لابن السبيل و للفقير للعائل

والمعنى: ووجدك كثير العيال من الازواج والاولاد فأغناك الله تعالى. ٦- قيل: أى ووجدك كثير العيال وهم الامة المسلمة فكفاك.

٧- قيل: أى ووجدك فقيراً إلى رحمة الله وعفوه فأغناك بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر. ٨- قيل: أى ووجدك فقيراً عن البراهين و الحجج فأغناك بها إذ أنزل الله تعالى عليك القرآن المجيد، وعلمك ما لم تكن تعلم فأغناك به. ٩- قيل: أى أغناك بما فتح لك من الفتوح وأفاءه عليك من أموال الكفار والغنائم ... قال القشيري: وفي هذا نظر لان السورة مكية، وإنما فرض الجهاد بالمدينة. ١٠- قيل: ان امتك كانوا كثير الجهل فأغناهم الله جل وعلا بك وهدا هم بيدك. ١١- قيل: اريد بالاغناء إستجابة دعوته. ١٢- قيل: أى فأغناك بما أجراه لك من الربح في التجارة.

١٣- قيل: أى ووجدك عائلاً أغناك بعد عيلولتك هو الذي يجدد لك عهد الوحي بعد إنقطاعه، عائلاً من حيث المال والحال ومن ذويه الأقربين ومن الناس أجمعين فأغناك الله و كفاه عبء هذه العيلولة.

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين.

٩- (فأما اليتيم فلا تقهر)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة والأخفش والزجاج والفراء: أى

فأما اليتيم فلا تسلط عليه بالظلم ولا تأخذ ماله ولا تذلّه ولا تهنه، فلاتقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب فى أمر اليتامى، فادفع إليه حقه و اذكر يتمك.

٢ـ عن مجاهد: أى فلاتحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً، فلاتفعل مايفعله قومك إذكانوا يغلبونه على ماله وحقه لضعفه، ولكن أحسن إليه وتلطف به.

٣ـ قيل: أى فلا تغلب عليه لضعف حاله، بل إرفع نفسه بالأدب، وهذّبه بمكارم الاخلاق ليكون عضواً نافعاً فى امتك الاسلامية لاجرثومة فساد يتعدى أذاها إلى كل من يخالطها من امتك، ومن ذاق مرارة الضيق فى نفسه فما أجدره أن يستشعرها فى غيره، وقدكان صلى الله عليه وآله وسلم يتيماً فباعدالله جل وعلا عنه ذلّ اليتيم فآواه فمن أولى منه بأن يكرم كل يتيم شكراً لله تعالى على نعمته.

اليتيم: الصبى الذى لا أب له، ذكراً كان أم انثى. وقيل: اريد باليتيم هنا من ليس له دين ولا أدب. وقيل: اريد باليتيم هنا من ليس علم.

أقول: والمعانى متقارب والمآل واحد.

١٠ـ (وأما السائل فلا تنهر)

فى الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: أى وأما السائل فلا تزجره باغلاظ القول، ولكن ردّه ببذل يسير أوردّ جميل واذكر فقرك، فلا تردّه إذا أتاك يسئلك وقد كنت فقيراً، فاما أن تطعمه وإما أن تردّه ردّاً ليناً. ٢ـ عن سفيان: ان المراد بالسائل هنا الذى يسئل عن الدين أى فلاتنهره بالغلظة والجفوة وأجبه برفق ولين. ٣ـ عن الجبائى: اريد بها جميع المكلفين وإن كان الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ـ عن أبى مسلم: يريد كما أعطاك الله تعالى ورحمك وأنت عائل، فاعط سائلك وارحمه، فكأنه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: فكما سئلتنى فما نهرتك و قد أعطيتك مالم اعط أحداً من العالمين، فلا تردّ عنك السائل لفقره وضعفه. ٥ـ عن

الحسن: اريد بالسائل طالب العلم، وهومتصل بقوله تعالى: «ووجدك ضالاً فهدى» و المعنى: علّم من يسئلك كما علّمك الله عزوجل الشرائع و كنت بها غير عالم.

٦- قيل: ان السائل هنا: من يقف موقف من يسئل عما هومحتاج إليه من طعام يسدّ به جوعه أوعلم يغذى به عقله أوهدى يعرف به طريق الخلاص لروحه، فان السائل ضعيف أمام المسئول ومن حقه على القوى أن يتلطف معه ويرفق به... انه أشبه بالضال الذى لايعرف الطريق والمسئول هوموضع أمله، ومعقد رجائه فى أن يخرجه من هذا الضلال، وأن يقيمه على الطريق المستقيم، وأولى الناس بهذا من عرف الحيرة ونشد وجه الهداية، فأصابها وقدرها قدرها...

٧- قيل: السائل: المسترشد وهوأيضاً يطلب الرفق به، وبيان ما أشكل عليه من الأمر. والمعنى: و كما كنت ضالاً فهداك الله تعالى فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد. ٨- قيل: أى فلا تصرخ فيه ولا تؤذه بالقول. ٩- عن إبن إسحق: أى فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله تعالى.

أقول: و على الأول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين أكثر الاقوال الاخر.

١١- (وأما بنعمة ربك فحدث)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد والكلبى: اريد بالنعمة القرآن لانه كان أعظم و أجلّ ما أنعم الله تعالى عليه به فأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأه، و هو نعمة عامة شاملة، و انه لمطلوب من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن ينفق منها على الناس و أن يسعهم جميعاً فيها ... فهى نعمة سابغة لا تنفد بالانفاق، فليحدّث النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بها الناس، وليكثر من هذا التحديث بها، والانفاق منها: «فذكّر إن نفعت الذكرى» الاعلى: ٩) و «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ق: ٤٥)و« فذكر إنما أنت مذكر » الغاشية :٢١) فهذا التحديث بالقرآن هو

التذكير به ، وفي التذكير به هدى و رحمة للناس حيث يجدون في آياته شفاء الصدور وجلاء البصائر و روح النفوس... و ان التوفيق في بيان حقائقه لهم من أعظم النعم .

٢- قيل : أي أشر ما أنعم الله تعالى بالشكر و الثناء و التحدث بنعم الله عزوجل والاعتراف بها شكر، وان الخطاب و إن كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الحكم عام له ولغيره.

٣- عن مجاهد أيضاً والزجاج: أي فحدث بالنبوة أي بلّغ ما أرسلت به وحدّث بها لأنها أجلّ النعم الالهية وأعظمها، وما سواها بالنسبة لها لايحسب له حساب. ٤- قيل: أي اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الايواء والهداية والاغناء وغيرها. ٥- قيل: أي أخبر بالنبوة وغيرها من النعم الالهية عليك ويدخل في ذلك تعليم القرآن والشرائع. ٦- قيل: أي و كما كنت عائلاً فأغناك الله تعالى فحدّث بنعمة الله تعالى عليك.

٧- قيل: ان التحدث بنعمة الله تعالى كناية عن ذكر نعمته جل وعلا قلباً و شكره عليها لساناً وعملاً ، و أداء الواجب على صاحبها نحو الله تعالى والناس، فأدّ الشكر لموليها ، فعلى كل منعم عليه أن يظهرها و يتظاهر بها موحياً انها من الله عزوجل تمجيداً له جل وعلا لالنفسه، فالخيرات كلها: عقلية أو حسّية، علمية أو عملية ، معنوية أو مادية ينبغي إظهارها كما يحب الله تعالى و يرضاه إظهاراً لمكرمته جل وعلا لا تكاثراً و تفاخراً. ولا إزراء للفاقدين لها ، فان بذلها كما يمكن من إظهارها وصرفها فيما يجب كذلك، و هكذا يؤول ما يؤثر عن تعريفات المعصومين عليهم السلام بأنفسهم فانها من تحديث نعمة الله عزوجل ولينتفع بها عباد الله تعالى.

٨- قيل : إذا وفّقك الله جل وعلا برعاية حق اليتيم وبذل السائل، وذلك التوفيق نعمة إلهية فحدّث بها ليقتدي به امتك. ٩- قيل: أي أوسع في البذل بما

اك على الفقراء و المساكين، و أفض من نعمه الاخرى على ذوى الحاجات و السائلين... وليس المراد مجرد ذكر الثروة والافاضة في حديثها من غير أداء حقها لصاحبها ، فان ذلك ليس من كرم الاخلاق في شيء ، وقد جرت عادة البخلاء و الممسكين بكتمان ما آتاهم الله عزوجل من النعم لتقوم لهم الحجة في قبض أيديهم و إمساكهم عن البذل ، و لا تجدهم إلاّ شاكين من القلّ ، و أما الكرماء فلا يزالون يظهرون بالبذل مما آتاهم الله تعالى من فضله شكراً لله عزوجل لا مفاخراً ولا متكاثراً ويجهرون بالحمد لما أفاض عليهم من رزقه، ووفّقهم للبذل والاحسان إلى المحتاجين.

أقول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (والضحى)

إن الله عز وجل يقول: اقسم بصدر النهار حين ترتفع الشمس، وتلقى أشعتها على الآفاق، وتبسط ضوءها على الوجود. والآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «والنهار إذا تجلى» الليل: ٢) وقوله: «والشمس وضحاها» الشمس: ١)

وقد أقسم الله جل وعلا لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصدر النهار لأنه آية عظيمة من آياته في نظام الكون ونواميس الوجود.

قال الله تعالى: «وجعلنا الليل والنهار آيتين» الاسراء: ١٢)

وقال: «ومن آياته الليل والنهار» فصلت: ٣٧) وما ورد في المقام فمن باب التأويل.

٢- (والليل اذا سجى)

ان الله تعالى يقول: واقسم بالليل حين غطّى بظلامه كل شيء. والآية الكريمة في معنى قوله عز وجل: «والليل وما وسق» الانشقاق: ١٧) وقوله: «والليل إذا يغشاها» الشمس: ٤) وقوله: «والليل إذا يغشى» الليل: ١)

وقد أقسم الله عز وجل بالليل إذا غطّى ظلامه كل شيء، وستر سواده وجه الآفاق، واستقر واستوى، وسكن فيه الأحياء وأصواتهم، وانقطعوا عن الحركات والسعي وانه آية من آيات الله تعالى تدل على توحيد ربوبيته وكمال قدرته، وغاية حكمته، وتمام تدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود.

قال الله جل وعلا : « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه» يونس: ٦٧)

وقال :« وهو الذى جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً » الفرقان : ٤٧)

وقال :« ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه» النمل: ٨٦)

وقال :« من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون» القصص:٧٢)

وقال :« ومن آياته منامكم بالليل» الروم: ٢٣)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل و هو اللب .

٣- (ما ودعك ربك وما قلى)

ما ترككك ربك يا محمد سدى منذ خلقك، ماقطع عنك الوحى توديعاً لك منذ اصطفاك، ماقطعك قطع المودّع، وما أبغضك قط قطّ، إنما أنت فى حماية الله جل وعلا وهو يعصمك من الناس ، إنما أنت فى كنفه وهو يحفظك من كل سوء ، كيف لا وأنت فى موقف العناية الخاصة الالهية، والكرامة الربوبية الأبدية ؟ وان ربك مديم عليك الانعام والاحسان والعطف الخاص بك. ولا تزال بعد ذلك يا محمد ﷺ فى إرتقاء. كيف لا و أنت حبيب الله ورسوله ﷺ؟ كيف لا وأنت عبده وصفيه؟ كيف لا وأنت سراجه ومنيره؟ كيف لا و أنت بشيره ونذيره للناس؟ كيف لا و أنت أمينه و رحمته إلى خلقه ؟؟؟

فهل الله جل وعلا يحب عبداً ويبغضه و هو هو و نبيه ﷺ !

قال الله تعالى:« والله يعصمك من الناس » المائدة: ٦٧)

وقال :« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» الطور: ٤٨)

وقال:« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» آل عمران : ٣١)

وقال :« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧)

٤- (وللآخرة خير لك من الاولى)

وان النعم الآخرة وحياتك يا محمد ﷺ فى الدار الآخرة خير لك من نعمة الدنيا و حياتك فيها لأبدية الاولى و بقائها ، و إعتراء الزوال و الفناء على

الثانية .

فكأنه قيل: أنت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما كنت عليه من الفضل و الكرامة ، ومن الرحمة والنعمة مادمت حياً في الدنيا، ومالك من الحياة فى الدار الآخرة و تنعمك من نعيمها الأبدية خير لك من حياتك وفضلك وتنعمك فى الدنيا فشتان بين الحياتين وبين النعمتين .

كما أن زمان رسالتك الالهية خير لك من قبلها، وأن آخر عمرك الذى بقى خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح والنصرة فشتان بين الزمنين .

قال الله تعالى : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٦٤)

وقال :« وان الآخرة هى دار القرار » غافر : ٣٩)

وقال :« والآخرة خير وأبقى » الاعلى: ١٧)

وقال:« وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً » الاسراء : ٢١)

وقال :« وما عند الله خير للأبرار » آل عمران : ١٩٨)

وقال :« فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلاّ قليل» التوبة: ٣٨)

٥- (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

ولسوف يعطيك ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يليق بعلو مقامك. ورفعة منزلتك عنده تعالى فى الحياة الدنيا والدار الآخرة ما ترضى به .

أفمن نعمة أعظم من أن يعد الله جل و علا عبده باعطاء ما يرضا به العبد ؟ ولعل من هنا لم يذكره فى مقام الوعد لكونه أعظم من يعرفه الانسان العادى و يعلم به .

فشتان ما بين ما وعد الله عز وجل بخاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله وسلم باعطائه إياه ما يرضى به، وما بين يدعو سليمان بن داود عليهما السلام إلى أن يعمل عملاً صالحاً يرضاه وأن يدخله فى عباده الصالحين !

قال الله تعالى :« وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى

والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين» النمل: ١٩)

٦ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى)

ألم يجدك ربك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم يتيماً لا أب لك فآواك بجدك عبدالمطلب، وعمك أبي طالب عليهما السلام.

وقدمات عبدالله أبومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو صلى الله عليه وآله وسلم في بطن امه على الأشهر أو بعد ستة أشهر من الولادة على قول شاذ، ثم ماتت امه صلى الله عليه وآله وسلم آمنة وهو إبن سنتين على قول أو ست سنين على قول آخر، أو ثمان سنين على المشهور، فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم عطف الله عزوجل عليه قلب جده عبدالمطلب، فمازال يكفله خير كفالة، فلما مات جده وهو صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثمان سنين إجماعاً كفله عمه أبوطالب عليه السلام بوصية من عبدالمطلب، فكان به حفياً شديدالعناية بأمره، ويشفق عليه ويحن على حفظه و رعايته حتى أرسله الله جل وعلا رسولاً، فقام أبوطالب عليه السلام يؤازره وينصره ويدفع عنه أذى قريش حتى مات بعد عشر سنين أو إحدى عشر سنة من البعثة على إختلاف.

ومأورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً واغتنم جداً.

٧ـ (ووجدك ضالاً فهدى)

ووجدك ضالاً عند قومك فهداهم الله عزوجل بمعرفتك، فانهم كانوا لا يعرفونك قبل رسالتك إليهم، ولا فضل نبوتك بعدها، فهداهم الله تعالى بك كما كنت متحيراً في أمرهم إذ كنت ترى ضلالتهم في عقائدهم و تقاليدهم و فساد أعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم وتشتت آرائهم .. فلاتدري ماهو السبيل إلى هدايتهم وإرشادهم، وماهو الطريق إلى نجاتهم وسعادتهم، فضاق عليك صدرك حتى نزل عليك الوحي السماوي فيه تبيان كل شيء و هدى و رحمة للعالمين، وأرسلك رسولاً إليهم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شبابه قلق النفس منزعج الضمير لما يرى من الحياة الضالة التي يعيش فيها قومه. وكان حائراً في أمرهم كيف يحملهم على الرشاد والهدى

وينقذهم من الضلالة والعمى، ولم يكن يدرى كيف يجد لنفسه سكناً ولقلبه إطمئنا۔
نا، ووسط هذا الجو الخانق. فهداه الله تعالى إلى الخلوة إلى نفسه في غار حراء و الا۔
بتعاد عن قومه الضالين المضلين، والانقطاع إلى ربه متحنثاً متعبداً متأملاً متفكراً...

وقد ظلّ هذا شأنه إلى أن جاءه وحي السماء هدى و رحمة للعالمين، فسكب السكينة في قلبه والطمأنينة في نفسه، وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى أن ما عليه قومه ليس مما يدين به عاقل أو تستقيم به حياة العقلاء. وما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرى كيف يغيّر من مسيرتهم الضالة، ولا كيف يقيم هو نفسه هو على شريعة يبشّر بها في الناس.

قال الله تعالى: «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس: ١٦)

وقال: «قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء» الانعام: ١٦١ـ ١٦٤)

وقال: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» الشورى: ٥٢)

وما تستظهر من الآيات الكريمة وغيرها: ان الدور الذى قضاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ شبابه إلى إكتمال نضجه و نزول القرآن المجيد إليه كان دور إستعداد و تأهّل روحي، وهو الدور الذي يمكن أن يطلق عليه دور الحيرة، وعليه فالمراد بالضلال هنا- مضافاً إلى كونه صلى الله عليه وآله وسلم ضالاً عند قومه- الحيرة في ايقاظ قومه من سباتهم.

فلا يعني بكلمة «ضالاً» سيره صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الضلالة والشرك والتقاليد الجا۔
هلية والوثنية التي كان عليها العرب كما أن كلمة «فهدى» لا تعني ان الله عز وجل أخرج نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من هذا النطاق بعد أن ارتكس فيه، وإنما عنت الاولى ما كان في نفسه

من حيرة وتململ وتوقان إلى ساحل اليقين كما عنت الاخرى ما كان من اليقين الذى وصل إليه فاطمأنت به نفسه.

٨- (ووجدك عائلاً فأغنى)

ووجدك فقيراً فى صباك وشبابك، فأغناك برعاية عمك أبى طالب عليه السلام وكفالته ثم بمال خديجة بنت خويلد عليها السلام إلى أن أرسلك رسولاً إلى الناس وسهّل لك مالا بدمنه ويسّره بعد ماشقّ عليك الأمر وعسر وضاق عليك صدرك ثم أغنى الناس بجودك وعلمك. فالمراد بالاغناء تسهيل مالا بدمنه وتيسيره له صلى الله عليه وآله وسلم إطلاقاً.

والعائل فى الأصل: كثير العيال ثم اطلق على الفقير لامال له سواء كان عنده عيال أم لالأن الفقر من لوازم العول، وقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيراً لامال له إذلم يترك له والده من الميراث إلا ناقة وجارية، فأغناه الله تعالى بكفالة أبى طالب عليه السلام أولاً ثم أغناه بمال خديجة عليها السلام بعد ما تزوّج بها إذ وهبت له مالها وقد كان لها مال كثير حتى بعثه صلى الله عليه وآله وسلم الله تعالى رسولاً إلى الناس ورحمة للعالمين.

٩- (فأما اليتيم فلا تقهر)

وأما اليتيم فلا تخذله ولا تهنه ولا تطرده عنك، بل ألطف به وارحمه، وقد كنت يتيماً فاحسن إليك، فأحسن إليه كما احسن إليك.

اليتيم هو الصبى الذى لا أب له سواء كان ذكراً أم انثى، وله حق فى أموال الثراة وعلى ذوى القدرة، فيجب عليهم الاكرام والاعطاء واللطف والرحمة والاحسان عليه، فلا ينبغى الزجر والطرد لأنهما من آثار التكذيب والكفر والطغيان والقساوة... وقد وبّخ الله تعالى من ترك الاكرام والاحسان على اليتيم.

قال الله عز وجل: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله» الانفال: ٤١)

وقال: «ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من

آمن بالله واليوم الآخر والملائكة و الكتاب والنبيين و آتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين وابن السبيل والسائلين » البقرة: ١٧٧)

وقال: « وماأدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة » البلد: ١٢-١٦)

وقال: « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً و أسيراً » الانسان: ٨)

وقال: « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضّون على طعام المسكين » الفجر: ١٧ ـ ١٨)

وقال: « أرأيت الذى يكذّب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين » الماعون: ٢ ـ ٣) وإذا لا ينبغى لانسان أن يستقبل اليتيم بما يكرهه ويسوءه فكيف النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم !

١٠ـ (وأما السائل فلا تنهر)

وأما من سئلك من ذى حاجة فلا تزجره بالغلظة، ولا تطرده بالجفوة ولا تردّه قانطاً ولا تؤذه بالقول، بل أجبه برفق ولين، واقض له حاجته، وابذله حسب وسعك، فان له حقاً فى الأموال فلا بد من الاعطاء.

قال الله تعالى: « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » المعارج: ٢٤ ـ ٢٥)

١١ـ (وأما بنعمة ربك فحدث)

وأما بنعمة ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحدّث بها عند نفسك وقلبك، واذكرها لساناً ،وأظهرها فعلاً و عملاً، حامداً شاكراً لله عز وجل لا مكاثراً ومفاخراً أو إزدراء للفاقدين لها.

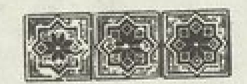
ان الخطاب وإن كان للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و لكنه شامل لجميع المؤمنين خاصة، والناس عامة، فيجب عليهم التحديث بالنعم الالهية : ماديها و معنويها، ظاهرها وباطنها قلباً و ذكرها قولاً و إظهارها عملاً.

قال الله عز وجل: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت

لكم الاسلام دينا- يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم » المائدة: ٣-١١)

وقال:« يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون » فاطر: ٣)

وقال:« ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة » لقمان: ٢٠)



جملة المعاني

٦٠٨٠- (والضحى)

اقسم بوقت الضحى وهو زمن إرتفاع الشمس وصفاء ضوئها وساعة تلقى شعاعها.

٦٠٨١- (والليل اذا سجى)

واقسم بالليل حين ستر سواده وجه الآفاق وسكون أهلها في مقارّهم...

٦٠٨٢- (ما ودعك ربك وما قلى)

ما تركك ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أبغضك قط.

٦٠٨٣- (وللآخرة خير لك من الاولى)

كيف تركك ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحال الكون ما لك في الآخرة خير لك مما كان لك في الاولى؟ أفتركك فيها حتى يتركك فيها!

٦٠٨٤- (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

كيف أبغضك ربك وهو سيعطيك ما لم يخطر ببال ولم تره عين، فترضى به!

٦٠٨٥- (ألم يجدك يتيماً فآوى)

والدليل الواضح على أن ربك ما تركك انه ألم يجدك يتيماً لا أب لك فآواك بجدك ثم بعمك عليهما السلام؟

٦٠٨٦- (ووجدك ضالاً فهدى)

ووجدك ضالاً عند قومك فهداهم الله تعالى بمعرفتك، ومتحيراً في أمرهم فأرسلك إليهم رسولاً.

٦٠٨٧- (ووجـدك عائلاً فأغنى)

ووجدك ربك فقيراً لامال لك في صباك وشبابك فأغناك برعاية عمك أبي طالب عليه السلام وبمال خديجة سلام الله عليها حتى بعثك إلى الناس رسولاً وسهّل لك أمرك.

٦٠٨٨- (فأما اليتيم فلا تقهر)

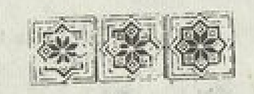
فأما اليتيم وهو الصبي الذي لا أب له فلا تطرده عنك بل ألطف به وارحمه.

٦٠٨٩- (وأما السائل فلا تنهر)

وأما من سئلك من المحتاجين فلا تزجره بل أجبه برفق ولين و قضاء الحاجة.

٦٠٩٠- (وأما بنعمة ربك فحدث)

وأما بنعمة ربك دينيها ودنيويها فحدّث بها واذكرها قولاً و أظهرها عملاً.



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «والضحى» قال: إذا ارتفعت الشمس «والليل إذا سجى» قال: إذا أظلم.

و فيه : في قوله تعالى: «وما قلى» قال: لم يبغضك.

في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي عن جعفر الصادق عليه السلام: «اقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج»

وفي رواية: قال إبن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنا أهل بيت إختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى»

وفي رواية: عن إبن مسعود قال : إضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله ألا أذن تنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «وللآخرة خير لك من الاولى» قال: يعني الكرة وهي الآخرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت: قوله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: يعطيك من الجنة حتى ترضى.

وفي تفسير نور الثقلين : وروى حريث بن شريح عن محمد بن علي بن الحنفية انه قال: يا أهل العراق تزعمون ان أرجى آية في كتاب الله عزوجل: «يا

عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية وإنا أهل البيت نقول : أرجى آية فى كتاب الله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وهى والله الشفاعة ليعطينها فى أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رب رضيت.

وفى الدر المنثور : عن حرب بن شريح قال: قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين عليه السلام: أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحق هى؟ قال: إى والله حدثنى عمى محمد بن الحنفية عن على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أشفع لامتى حتى يناديني ربى: أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت.

ثم أقبل على فقال: إنكم تقولون: يا معشر أهل العراق! ان أرجى آية فى كتاب الله: «يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً» قلت: إنا لنقول: ذلك، قال: فكلنا أهل البيت نقول: ان ارجى آية فى كتاب الله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» الشفاعة.

وفى قوت القلوب فى معاملة المحبوب : للشيخ أبو طالب الحارثى من أعلام العامة قال عليه السلام: أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى: «ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» الآية ، ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية فى كتاب الله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وعده ربه عز وجل أن يرضاه فى امته.

وفى تفسير البرهان : بالاسناد عن عبد الله بن العباس قال: عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على امته من بعده كفراً كفراً فسره ذلك فأنزل الله عزوجل: « وللآخرة خير لك من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى» قال: فأعطاه الله عزوجل ألف قصر فى الجنة، ترابه المسك وفى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج و الخدم. قوله عليه السلام: « كفراً كفراً » أى قرية قرية ، والقرية تسمى كفراً.

وفيه : بالاسناد عن زيد بن على فى قول الله عزوجل: «ولسوف يعطيك ربك

فترضى» قال: ان رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إدخال أهل بيته وشيعتهم الجنة، وكيف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأعدائهم! فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وفيه: عن طريق العامة عن السدى في قوله تعالى: «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» قال المودة في آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي قوله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: رضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل أهل بيته الجنة.

وفي الجامع لاحكام القرآن: عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه لي: رضيت يامحمد فأقول: يارب رضيت»

وفيه: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: «فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم» وقول عيسى عليه السلام: «إن تعذبهم فانهم عبادك» فرفع يديه وقال: «اللهم امتي امتي» وبكى فقال الله تعالى لجبرئيل عليه السلام: «إذهب إلى محمد وربك أعلم فسئله ما يبكيك» فأتى جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسئله فأخبره، فقال الله تعالى لجبرئيل عليه السلام: «إذهب إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضك في امتك ولا نسؤك»

وفيه: وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذاً والله لا أرضى وواحد من امتي في النار»

أقول: ولا يخفى انه ليس كل من شهد بالشهادتين بامته صلى الله عليه وآله وسلم بل لا بدله من الائتمام به صلى الله عليه وآله وسلم بائتمار الأوامر كلها، والانتهاء عن النواهي جميعها، كماتدل عليه كلمة الامة نفسها، وانما الشفاعة لمن لم يصر على المآثم، وإذا ارتكبها عن جهالة تاب وأصلح.

و فى تفسير النيسابورى: وعن جعفر الصادق رضى الله عنه رضاجدى صلى الله عليه وآله وسلم: أن لايدخل النارموحد.

و فى تفسير البرهان: عن إبن بابويه باسناده عن إبن عباس قال: سئل عن قول الله: «ألم يجدك يتيماً فآوى» لم يكن لك نظير على وجه الأرض من الأولين و الآخرين فقال الله عزوجل ممتناً عليه نعمه: «ألم يجدك يتيماً» أى وحيداً لا نظيرلك «فآوى» إليك الناس وعرفهم فضلك حتى عرفوك «و وجدك ضالاً» يقول منسوباً عند قومك إلى الضلالة فهداهم الله بمعرفتك «و وجدك عائلاً» يقول فقيراً عند قومك يقولون: لا مال فأغناك الله بمال خديجة، ثم زادك من فضله فجعل دعاءك مستجاباً حتى لو دعوت على حجران يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك، فأتاك بالطعام حيث لا طعام، و أتاك بالماء حيث لا ماء و أعانك بالملائكة حيث لا مغيث، فأظفرك بهم على أعدائك.

و فى معانى الاخبار: باسناده عن إبن عباس قال: سئل عن قول الله: «ألم يجدك يتيماً فآوى» قال: إنما سمى يتيماً لانه لم يكن له نظيرعلى وجه الارض ... الحديث.

وفيه: عن إبن بابويه باسناده عن على بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون- فذكر الحديث الذى فيه ذكر الآيات التى سال المأمون الرضا عليه السلام فى عصمة الأنبياء- قال الرضا عليه السلام: قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم يجدك يتيماً فآوى» يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس «ووجدك ضالاً» يعنى عند قومك «فهدى» أى هداهم إلى معرفتك «و وجدك عائلاً فأغنى» يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً، فقال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله.

وفى تفسير القمى عن زرارة عن احدهما عليهما السلام فى قول الله تعالى: «ألم

يجدك يتيماً فآوى» إليك الناس «ووجدك ضالاً فهدى» أى هدى إليك قوماً لا يعرفونك حتى عرفوك، «ووجدك عائلاً فأغنى» أى وجدك تعول أقواماً فاغناهم بعلمك.

وفيه : قال: قال : اليتيم الذى لا مثل له، ولذلك سميت الدرة اليتيمة لانه لا مثل لها. «ووجدك عائلاً فأغنى» بالوحى فلا تسئل عن شيء إلا نبأته، «ووجدك ضالاً فهدى» قال : ووجدك ضالاً في يوم لا يعرفون فضل نبوتك فهداهم الله بك.

وفى روضة الكافى : باسناد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام - فيما وعظ الله عزوجل به عيسى عليه السلام -: ياعيسى أنا ربك إلى قوله عزوجل فى صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: النور فى صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيث ما كان أصله يتيم ضال برهة من زمانه عما يراد به.

وفى أسباب النزول : للواحدى النيسابورى باسناده عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد سئلت ربى مسئلة، وودت أنى لم أكن سئلته، قلت : يا رب إنه قد كانت الأنبياء قبلى، منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان بن داود، ومنهم من كان يحيى الموتى وذكر عيسى بن مريم، ومنهم ومنهم قال : قال : ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قال: قلت: بلى، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قال: قلت: بلى يا رب، قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قال: قلت : بلى يا رب قال: ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت: بلى يا رب :

وفى المجمع : وروى العياشى باسناده عن أبى الحسن الرضا عليه السلام فى قوله : «ألم يجدك يتيماً فآوى» قال: فرداً لا مثل لك فى المخلوقين فآوى الناس إليك و وجدك ضالاً أى ضالة فى قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك ووجدك عائلاً تعول أقوالاً بالعلم فأغناهم بك.

وفي رواية: وسئل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لم اوتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «فأما اليتيم فلا تقهر» أي لا تظلم، والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى للناس، وفي قوله تعالى: «وأما السائل فلا تنهر» أي لا تطرد وقوله: «وأما بنعمة ربك فحدّث» قال: بما أنزل الله عليك و أمرك به من الصلاة و الزكاة والصوم و الحج و الولاية و بما فضّلك الله فحدّث.

وفي محاسن البرقي: باسناده عن عمرو بن أبي نصر قال: حدثني رجل من أهل البصرة قال: رأيت الحسين بن علي عليه السلام وعنده ابن عمر يطوفان بالبيت فسئلت إبن عمر فقلت: قول الله: «وأما بنعمة ربك فحدّث» قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه، ثم إني قلت للحسين بن علي عليه السلام: قول الله: «وأما بنعمة ربك فحدّث» قال عليه السلام: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه.

أقول: فكأن إبن عمر أراد النعم الدنيوية، وقد قيّدها الامام سبط المصطفى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام بالنعم الدينية، ومن غير مراء ان أمر الدين ونعمته مقدم على الدنيا و متاعها، و ذلك ان من لم يكن له دين فما له من خلاق، و من كان له دين فهو جامع لخير الدنيا و الآخرة قال الله عز و جل: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» المائدة: ٣) مع أن التحديث بالنعم الدينية غير منفك غالباً عن التحديث بالنعم الدنيوية لا العكس.

وفي الكافي: باسناده عن فضل البقباق قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: «وأمابنعمة ربك فحدّث» قال: الذى أنعم عليك بما فضّلك و أحسن إليك ثم قال: فحدّث بدينه، وما أعطاه الله وما أنعم به عليه.

و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا و كافل اليتيم له أولغيره كهاتين» و قد أشار بالسبابة والوسطى.

و في رواية: ان رجلاً شكى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قسوة قلبه فقال: إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين.

و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ضمّ يتيماً فكان في نفقته و كفاه مؤنته كان له حجاباً من النار يوم القيامة. ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة»

وفي المجمع: وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يحسن إلى اليتامى ويبرّهم ويوصى بهم.

و فيه: وجاء في الحديث عن أبى أوفى قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه غلام فقال غلام يتيم، واخت لى يتيمة، وام لى أرملة أطعمنا مما أطعمك الله، أعطاك الله مما عنده حتى ترضى، قال: ما أحسن ما قلت يا غلام إذهب يا بلال، فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة، فقال: سبع لك، وسبع لاختك، وسبع لامك، فقام إليه معاذ بن جبل، فمسح رأسه، وقال: جبر الله يتمك وجعلك خلفاً من أبيك، وكان من أبناء المهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيتك يامعاذ وما صنعت؟ قال: رحمته قال: لايلى أحد منكم يتيماً فيحسن ولايته، ووضع يده على رأسه إلاّ كتب الله له بكل شعرة حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة، و رفع له بكل شعرة درجة.

وفيه: وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عزوجل وأشار بالسبابة والوسطى. وعن

عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان اليتيم إذا بكى إهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله لملائكته: يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذى غيب أبوه فى التراب، فتقول الملائكة: أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي فاني اشهد كم ان لمن اسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة.

وفى معاني الأخبار: باسناده عن ابى خالد الكابلى قال: سمعت زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام يقول: الذنوب التى تحبس غيث السماء جور الحكام فى القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة، والقرض، والماعون، وقساوة القلوب على اهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وإنتهار السائل، ورده بالليل... الحديث. **قوله عليه السلام**: «الارملة»: المرأة التى مات زوجها وهى فقيرة.

وفى الفقيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا طرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه.

وفى رواية: وسئل الصادق عليه السلام عن السائل يسئل فلا يدرى ماهو، فقال: اعط من وقعت فى قلبك الرحمة له.

وفى رواية: عن أبى جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى أن قال: يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل، انه يأتيك من ليس بانس ولا جان ملائكة من ملائكة الرحمن، يبلونك فيما خولتك، ويسئلونك مما نولتك فانظر كيف أنت صانع يابن عمران.

قوله عليه السلام: «خولتك» خوله الله: أعطاه، ونوله أيضاً بمعناه.

وفى المجمع: وفى الحديث عن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا اتاك سائل على فرس باسط كفيه، فقد وجب له الحق ولو بشق تمرة: قال أبو مسلم: يريد كما أعطاك الله ورحمك وأنت عائل، فاعط سائلك وارحمه.

وفى رواية: اعط السائل ولو ظهر فرس.

وفى رواية : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتقطعوا على السائل مسئلته ، فلو لا ان المساكين يكذبون ما افلح من ردّهم.

وفى رواية : وقال ابو جعفر عليه السلام: لو يعلم السائل مافى المسئلة ما سئل أحد أحداً ولو يعلم المعطى مافى العطية ما ردّ أحد أحداً.

وفى رواية : وروى عن الوليد بن صبيح قال: كنت عند أبى جعفر عليه السلام فجاء سائل فأعطاه ثم جاء آخر فأعطاه، ثم جاء آخر فأعطاه، ثم جاء آخر فأعطاه، فقال: وسع الله عليك.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمنعن أحدكم السائل وأن يعطيه إذا سئل ولو رآى فى يده قلبين من ذهب»

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «قلبين»- بضم القاف وسكون اللام-: السوار.

وفى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «ردّوا السائل ببذل يسير أو رد جميل فانه يأتيكم من ليس من الانس ولا الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خوّ لكم الله».

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ان الناس لكم تبع، وان رجالاً ياتونكم من أقطار الأرض يتفقّهون فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»

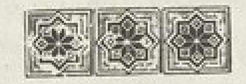
وفى رواية: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : سئلت ربى مسئلة وددت انى لم أسئلها: قلت: يارب إتخذت إبراهيم خليلا، وكلّمت موسى تكليماً، وسخّرت مع داود الجبال يسبّحن، وأعطيت فلاناً كذا، فقال عزوجل: «ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أوتك مالم اوت أحداً قبلك خواتيم سورة البقرة؟ ألم اتخذك خليلا كما اتخذت إبراهيم خليلا؟ قلت: بلى يارب»

وفى الجامع لاحكام القرآن : وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: إذا أصبت خيراً أوعملت خيراً فحدّث به الثقة من إخوانك.

وفي الدر المنثور: عن البيهقي عن الحسن بن علي عليهما السلام في قوله: «وأما بنعمة ربك فحدّث» قال: إذا أصبت خيراً فحدّث إخوانك.

وفي تفسير الفخر الرازي: ومنه ماروى عن الحسين بن علي عليه السلام انه قال: إذا عملت خيراً فحدّث إخوانك ليقتدوا بك.

وفي المجمع: «وأما بنعمة ربك فحدث» قال الصادق عليه السلام معناه: فحدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك.



﴿ بحث فقهي ﴾

قوله تعالى: « فأما اليتيم فلا تقهر » الضحى: ٩) يدل على حرمة التغليظ مطلقاً - قولاً وفعلاً - على الايتام، وان الاية الكريمة في معنى قوله عزوجل: «ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن» الانعام: ١٥٢) وقوله جل وعلا: « فذلك الذي يدعّ اليتيم » الماعون:٢)

ويدل على وجوب اللطف بالأيتام وبرّهم والاحسان إليهم والاهتمام بشأنهم والعناية بتربيتهم وإصلاح حالهم وجوباً كفائياً مفهوماً، والاية الكريمة في معنى قوله تعالى: «ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير» البقرة: ٢٢٠) وقوله: «وأن تقوموا لليتامى بالقسط» النساء: ١٢٧).

وقوله تعالى: «وأما السائل فلا تنهر» الضحى: ١٠) يدل على حرمة إغلاظ القول للسائل مطلقاً لان الانتهار هو الزجر وإغلاظ القول، وعلى طرده بلا إجابته إذا كان قادراً عليها، ويدل على وجوب إجابة المضطر فرض كفاية على كل عالم و قادر، فان انحصرت القدرة على الاجابة بواحد تصبح الكفاية عيناً عليه . فان أهمل ولم يكترث أذلّه الله تعالى وأخزاه لان المضطر لايسامح بحال، وللكبد الحرى شأن عظيم عند الله عزوجل.

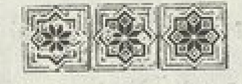
وقد أمر الله تعالى بحسن القول له في قوله: «وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً» الاسراء: ٢٨) وقد جعل له حقاً في أموال

القادرين إذ قال: «والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» المعارج: ٢٤-٢٥)

وقال بعض الفقهاء من المفسرين فى قولـه تعالى: «وأما السائل فلا تنهر»: إذاكان السائل عن الدين فجوابه فرض على العالم القادر على الكفاية كاعطاء سائل البر سـواء.

وقوله تعالى: «وأما بنعمة ربك فحدّث» الضحى: ١١) يدل على وجوب الشكر للمنعم، وذكر النعمة قولاً، وإظهارها عملا حامداً شاكراً لا متكاثراً ولا متفاخراً.

وهذا وإن كان خطاباً للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فانه قد اريد به جميع المكلفين.



﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدل بقوله تعالى : « ما ودّعك ربك وما قلى » الضحى: ٣) على عصمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على أن حرف «ما» النافية إذا دخلت على الماضي تدل على عدم وقوع المنفي ماضياً ، و على إستمرار النفي في الاستقبال بخلاف حرف « لا » النافية ، و حرفي « لما » و « لم » و يؤيد ذلك بالآيتين التاليتين : « وللآخرة خير لك من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى »: ٤ و ٥) فتأمل جيداً و اغتنم جداً .

وقد تشبّث الخصوم وأعداء الاسلام بقوله جل و علا: « ووجدك ضالاً فهدى » الضحى: ٧)

على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان في حشد من مشركي قريش بفناء الكعبة أو في نادمن أنديتهم ، وقد أولع المستشرقون والطاعنون في الدين الاسلامي الحنيف بتلك الأراجيف والاسطورة المصطنعة ، وأذاعوها وأثاروا حولها عجاجة من القول البذيء، للتشويه من سمعة الرسول الطيبة والازراء بكرامته المجيدة ،وحاولوا إلتصاقتهم ،و إفتراءات بساحة قدس النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم والتمسوا لذلك شبهات واهية لكنها محاولات فاشلة، وفي نفس الوقت مفضوحة إلى حدّ بعيد لا يتلوّث بهاذيله صلى الله عليه وآله وسلم الطاهر أبداً .

و من العجيب ان بعض العامة ممن لم يعتبر العصمة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة توهم بأن الآية الكريمة باطلاقها تدل على ضلال محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الدين.

وذلك كله مردود بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة و الحجج البالغة نشير إلى نبذة منها على سبيل الاجمال، و تفصيلها طي بحث عقائد الانبياء عليهم السلام قبل البعثة و عصمتهم و طهارة مولدهم في هذا التفسير، و في بحث العربية الجاهلية و أوضاع المجتمع البشرى قبل الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الجزء:

أحدها - مردود بنفس ثلاث آيات من هذه السورة: (٣ و ٤ و ٥) التي تقدم ذكرها آنفاً، مضافاً إلى أن الأدلة القطعية على عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكذبه، و قد قامت الحجة و قررت البراهين و أجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وآله وسلم ونزاهته عن الشرك و المعصية طرفة عين قبل البعثة و بعدها لاعمداً و لاسهواً، فلولا العصمة الملحوظة في أداء رسالة الله جل و علا لزالت الثقة بالدين، و لأخذت الشكوك مواضعها من أحكام و تكاليف و شرائع يبلغها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز و جل.

ثانيها - وقد سبق في معنى الآية الكريمة: ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حائراً في أمر قومه، إذ يرى ضلالهم في عقائدهم، وعمى تقاليدهم، و فساد أعمالهم، و دنائة أخلاقهم، و تفرق كلمتهم، و تشتت آرائهم، و إختلاف أفكارهم و إنحطاطهم و جهالتهم، فلا يدرى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو السبيل إلى هدايتهم و نجاتهم من ورطة الهلاك، و كيف الطريق إلى إنقاذهم و هم على شفا حفرة من النار.

فضاق عليه صلى الله عليه وآله وسلم صدره و هم عن ذلك غافلون، فلا يعرفون فضله، و لا يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في صدد نجاتهم و نجاة البشرية حتى أنزل الله جل و

علا عليه الوحي ، و أرسله رسولاً بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون و قال له : « ألم نشرح لك صدرك » الا- نشراح : ١)

و في أمر أهل الكتاب و أصحاب الديانات إذ يسمع ان الديانات، العظيمة فريسة العابثين و المتلاعبين و لعبة المجرمين حتى فقدت روحها ، و مسخت صورتها ، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها و كانوا يبر- ئونها .

و في أمر البشرية على وجه الأرض إذ يرى بعين القلب و يسمع بسمعه ان مظاهر الكفر و الطغيان ، مظاهر الشرك و العصيان ، مظاهر الفجور و الا ستبداد ، و مظاهر الاثم و الاستكبار قد أحاطت البشرية كلها ، و لم يبق ذيل إلاّ و قد لوّث بها فأعقبها الانحطاط و الفساد ، و الشقاق و الخراب ...

و لم تكن على ظهر الأرض امة صالحة العقيدة و صالح العمل ، و لم يكن مجتمع ولا اسرة على مكارم الاخلاق و الفضيلة. ولا حكومة قائمة على أساس العدل و الانصاف و الرحمة. ولا قيادة مبنية على العلم و الحكمة ، و لا دين صحيح مأثور عن الانبياء عليهم السلام .ففي هذا الجو الخانق الشامل للبشرية كلها كان يضيق صدر محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد كان هو فريداً و حيداً في ذلك . و البشرية غافلة عنها ، فكان ضلاله صلى الله عليه و آله و سلم في كيفية هداية قومه الضالين المضلين ، و في إنقاذ البشرية من الانحطاط و الهلاك :.

ثالثها ان هذه الآية الكريمة و نظائرها الكثيرة في القرآن المجيد - مضافاً إلى ما سبق - تعني جانب إنحصار الهداية في الله تعالى ، فلا هدى إلاّ هداه : « الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

الاعراف : ٤٣)

وكل مهتد في هذا الوجود فانما هدايته مكتسبة ومفاضة عليه من جانب الله عزوجل نبياً معصوماً عليه السلام كان أم امته ، ولا هداية ذاتية إلا في الحق تعالى عز شأنه: «انى ذاهب إلى ربى سيهدين» الصافات:٩٩)

« الذى فطرنى فانه سيهدين » الزخرف: ٢٧)«الذى خلقنى فهو يهدين » الشعراء : ٧٨)

وقال إبراهيم عليه السلام : « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » الانعام: ٧٧)

وقال الله تعالى عن أنبياء اجتباهم و هداهم:« واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » الانعام: ٨٧)

و قال موسى عليه السلام : « فعلتها إذا و أنا من الضالين » الشعراء: ٢٠)

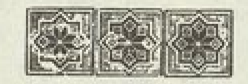
وقال تعالى بشأن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم :«و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم » الشورى: ٥٢)

وقال:« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك كبيراً» النساء: ١١٣)

وقال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمره تعالى أن يقول:«وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى انه سميع قريب » سبأ: ٥٠)

هذا هو معنى ضلاله صلى الله عليه وآله وسلم وحاجته الذاتية إلى هدى ربه، ولولا هداه جل وعلا لكان من الضالين ، و إلى هذا المعنى ينظر قوله عز و جل : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » يوسف:٣)

حيث علمه ﷺ مستمد من فيض قدسه عز وجل ، وانه إنما يعلم ما علّمه الله تعالى، والغفلة في هذه الآية الكريمة هو الضلال في سائر الآيات وهو عدم المعرفة بالشيء ذاتياً، و لعل في التعبير بالغفلة مناسبة مع المبدأ القائل بأن العلم تذكر فتنبه ! .



﴿عبدالله و آمنة﴾

قال الله تعالى: « ألم يجدك يتيماً فآوى » الضحى: ٦)

قال رسول الله ﷺ: « إن الله اختارني من كنانة، واختار كنانة من قريش، و اختار قريشاً من العرب، فأنا خيار من خيار من خيار »

وقد كان محمد رسول الله ﷺ من والديه قريشياً إذ كان أبوه ﷺ عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقد كان النضر هو قريش على أرجح الروايات ... و كانت امه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

فمن كان من ولد النضر فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وإنما سميت قريش قريشاً من التقرش وهو التجارة والاكتساب. وقيل: لتجمعها من بعد تفرقها يقال للمتجمع: التقرش.

قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا إبن إمرأة من قريش تأكل القديد » ام النبي الكريم ﷺ هي آمنة بنت وهب ولها فضل في انجاب خاتم الرسل والانبياء عليه السلام، و كان لها أثر في تكوين ولدها الخالد الذي قال معتز آبامهاته ﷺ: « أنا إبن العوا- تك من سليم » هو محمد النبي العربي اليتيم الذي وضعته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة في دار عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي، فكان جد آمنة عبدمناف بن زهرة الذي يقرن إسمه بابن عمه عبدمناف بن قصي، فيقال:

«المنافان» تعظيماً و تكريماً .

قال رسول الله ﷺ :« لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لاتتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»

وإسم ام مالك بن النضر عاتكة بنت عدوان، وإسم ام عبدمناف عاتكة بنت مرة بن هلال السليمة وهي جدة آمنة لأبيها ، فهماثنتا العواتك اللواتي إعتز بهن النبي الكريم ﷺ ولم يكن نسب آمنة من جهة امها دون ذلك عراقة وأصالة فهي إبنة برة بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي وجدتها لامها ام حبيب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي ، ووالدة ام حبيب: برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر .

سلالة عريقة أصيلة أنبتت آمنة لتضطلع بعبئها الجليل في امومتها التاريخية، ووراثات مجيدة أهدتها إلى ولدها. فجمعت له عز المنافين : عبدمناف بن كلاب، و عبدمناف بن قصي بن كلاب، وجعلته محمد رسول الله ﷺ يعتز بنسبه فيقول في حديث رواه إبن عباس :« لم يزل الله ... »

فكانت آمنة أفضل فتاة في قريش نسباً وموضعاً ، وقد عرفت آمنة في طفولتها و حداثتها إبن عمها: عبدالله بن عبدالمطلب بين من عرفت من أترابها في الأسر القرشية، حتى إزدوج عبدالله لآمنة تزوجها إثر افتدائه من النحر على نحو يذكر بجده الاعلى إسماعيل. تزوجها وهي يومئذ أفضل إمرأة في قريش نسباً وموضعاً...و انتقل مافي صلب عبدالله من نور النبوة إلى آمنة . وقد رأت آمنة بعد إنعقاد النطفة ليلاً:« كأن شعاعاً من النور ينبثق من كيانها اللطيف فيضيء الدنيا من حولها حتى لكأنها ترى به قصور بصرى من أرض الشام وسمعت هاتفاً يهتف بها: انك قد حملت بسيد هذه الامة» وهي كانت ترى في وجهها صورة الكمال المطلق .

وقد بقي عبدالله مع عروسه آمنة أياماً لم يحدد لنا التاريخ عددها، ولكنها عند جمهرة المؤرخين لم تتجاوز عشرة أيام، إذ كان عليه أن يلحق بالقافلة التجارية

المسافرة إلى غزة والشام في عير قريش، وقد مرّت أيام وليال وآمنة في فراشها لا تبرحها تسامر أشجانها وترسل قلبها في أثر الحبيب الراحل، وقد حاول أهلها كما حاول عبد المطلب أن يصرفوها عن وحدها حرضاً على صحتها، لكنها آثرت العزلة على انس الاهل والصواحب ...

بل لعلها كرهت أن يفسد أحد عليها هذه العزلة لما كانت تجده في مسامرة طيف الغائب من شجن ولذة، ومضى شهر لا جديد فيه سوى أن آمنة بشرت بالحمل وقالت: فأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرت انك حملت؟ فكأني أقول: ما أدري فقال: انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها.

وودت لو طارت بالبشرى إلى زوجها: عبد الله واستعادت شيئاً من إشراقها، وقد هوّن عليها مرارة الفراق ان أكثر أيامه قد تصرمت، وان كل يوم يدنيها من اللقاء المنتظر ويزيدها يقيناً من الحادث السعيد الذى ترجو أن تلقى به زوجها في اللحظة التى يؤوب فيها!

وأهلّ الشهر الثاني أو مضت قطعة منه، وآن للقافلة أن تعود فتهيّأت آمنة للقاء وشيك، وراحت تعد ما بقى من أيام وليال، وتتمثل زوجها وقد عاد إليها متلهفاً يحدثها عما لقى في بعدها من حرّ الشوق ولوعة الحنين، وبهذا شغلت آمنة في الفترة التى سبقت عودة الغائب حتى إذا لاحت طلائع القافلة، خفق قلبها في عنف، ووقفت في ساعة الدار مما يلى الباب الخارجى تنتظر بين آونة واخرى، وتشرق منه طلعة الحبيب.

وطال بها الانتظار حتى ساورتها شكوك مبهمة وخوف طارىء، فتنبهت فجأة إلى غيبة جاريتها ام أيمن وكانت قد ذهبت منذ شاع خبر قدوم المسافرين كى تعود فتبشر سيدتها على عجل بأنها رأت عبد الله رأى العين، وتصف لها حاله بعد غيبة طالت! وقد تعلقت آمنة عيناها بالباب وهى لا تكاد تتماسك من إنفعال حتى إذا فتح الباب بعد لحظة طالت كأنها دهر خذلتها قدماها، فتسمرت حيث هى: واجمة خائفة! لم يكن عبد الله هو القادم، وإنما جاء عبد المطلب مع أبيها وهب ونفر من الأهل الادنين وقد غشيت و

جوههم جميعاً غاشية من القلق، وكانت ام أيمن تمشى فى أثرهم متخاذلة مطرقة تحاول أن تخفى دمعة أفلتت فى مقلتيها ...

وقال وهب وهو يتحاشى النظر إلى وجه إبنته ـ بعض الشجاعة ـ : يا آمنة فما فى الامر ما يدعو إلى مثل ذلك الجزع الأليم، لقد عادت القافلة وكنا فى انتظارها بالحرم، فلما افتقدنا عبدالله أخبرنا رفاقه أن وعكة طارئة ألمت به وهو فى طريقه إلينا ،وعما قريب يبرأ ويعود سالماً إليك وإلى مكة وقريش ، وانحلت عقدة ربطت لسان عبد المطلب، فعقب قائلاً: هو ذاك يا آمنة...وعكة بسيطة ولا شيء أكثر ، وقد قال الرفاق: خلفناه بيثرب (مدينة) عند أخواله من بنى مخزوم -إذ كان ام عبدالله فاطمة بنت عمر وبن عائذ بن عمران بن مخزوم- فبعثت إليه أخاه الزبير ـ وقيل: أخاه الحارث- كى يكون معه ويصحبه فى طريقه إلينا، فثوبى إلى صبرك وادعى له ... قالت فى ضعف :

أفعل يا عم ! وانصرفت من فورها إلى الصلاة والدعاء، فلم تكد تشعر بالقوم حولها، حتى غادروها إلى الكعبة خاشعين ضارعين،و أتم الشهر الثانى دورته ، وآمنة على حالها تجاهد ما استطاعت أن تذود عن قلبها اليأس، فاذا عز عليها ذلك لاذت بالدعاء لعل الله جل وعلا يرد عليها ذاك الغائب الذى افتدى بالأمس أغلى فداء ...

وكانت تعاودها ـ فى لحظات نومها القصيرة- رؤيا ملحة عن جنين عظيم تطويه أحشاؤها، وتسمع الهاتف يبشرها بأمجد بنوة، فاذا آبت إلى يقظتها شق عليها ألا تجد عبدالله بجانبها، تفضى إليه بالذى ترى وتسمع ...

ثم عاد الزبير بن عبدالمطلب وحده ، عادلينعى أخاه الشاب إلى أبيه وزوجه العروس والقرشيين جميعاً ، لقد غاله الموت وهو بين أخواله من بنى مخزوم ، اثر رحيل القافلة التى تخلف عنها، ودفن هناك على أرجح الاقوال ...

ووجمت آمنة للخبر وفست عيناها فما تسعفانها ببكاء، وأعفاها ذهولها من الانهيار والتصدع، فلبثت أياماً لا تكاد تصدق النعى، حتى إذا تيقنت من الكارثة فاضت عبراتها، وقيل انهاردت فى لوعه :

عفا جانب البطحاء من زين هاشم　　وجاور لحدا خارجا فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها　　وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره　　تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها　　فقد كان معطاء كثير التراحم

ثم امسكت لاتزيد ..

فيا للشباب الفتى النضير يهتصره الموت أثر فرحة الفداء ! ويا للعروس الشابة تترمل هكذا سراعا وما يزال فى يديها خضاب العرس!

وفض المأتم، ولكن القوم لم يفرغوا من صاحبه الثاوى فى لحده بعيداً بيثرب، كانوا فى حيرة من أمره، ما دام الله تعالى قد كتب عليه الموت هكذا سريعاً، ففيم كان الفداء؟ من كان يظن حين نحرت الابل المأة بالحرم، وقد تركت لا يصدعنها إنسان و لاسبع. أن المنايا واقفة بالمرصاد للذبيح المفتدى على قيد خطوات معدودات؟ وفى مثل هذا كانت آمنة تفكر، وهى فى وحدتها تجتر أحزانها، وتكابد الذى تجد من لوعة المصاب حتى خيف عليها الهلاك فتتابع أهلها يحاولون أن يعزوها وهى تأبى أن تقبل فى عبدالله عزاء...

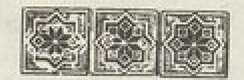
وناشدوها الصبر الجميل، فأنكرت على نفسها الصبر، ووجدت فيه جحوداً و غدراً بالحبيب الذى رحل، وأوجس آل هاشم وزهرة فى نفوسهم خيفة أن تشتد وطأة الحزن على آمنة، فتذهب بها. ولبثت مكة شهراً وبعض شهر وهى ترقب فى قلق إلى أين تنتهى الأحزان بالأرملة العروس، حتى كانت ليلة من ليالى شوال أحاط فيها العواد بفراش آمنة وهى فى غمرة أحزانها لاتفتأ تسائل كل وافد ووافدة من أهلها :

فيم كان فداؤه إذن، ما دام الله قد كتب عليه الموت العاجل؟ فيم كان العرس الحافل ويد القدر تحفر له لحده بيثرب؟ وقد اختلفت كلمات المؤرخين فى سن عبد الله حين وفاته : فقيل: ثمانية عشر عاماً، وقيل: كان يوم وفاته خمساً وعشرين سنة.

ثم أدركها الأعياء فأغفت مجهدة و العيون ترقبها في حنان وقلق و إرتياب على أنها ما لبثت أن صحت من غفوتها وقالت لمن حولها :

« كأني عرفت سرّ الذي كان ان عبدالله لم يفتد من الذبح إلاّ لمهمة عظمى ! لقد أمهله الله ريثما يودعني هذا الجنين الذي أحسست به اللحظة يتقلب في أحشائي و الذي من أجله يجب أن أعيش ... »

ومن تلك اللحظة الحاسمة أنزل الله عز و جل سكينته على آمنة فطوت أحزانها في أعماقها ، بدأت تفكر في إبنها الذي يحيى بها و يحييها .



« آمنة ويتيم عبدالله »

وقداختلفت الروايات في وفاة عبدالله: هل كانت وإبنه محمد ﷺ جنين في رحم امه؟ أو كانت بعد أن وضعته؟

ومن غير مراء أن محمداً ﷺ كان يتيماً وقدمات أبوه ﷺ عبدالله و بهذا نزل قوله عز وجل: « ألم يجدك يتيماً فآوى » الضحى: ٦)

والمشهور أن محمداً ﷺ ولد يتيماً وقد اكتفى بهذا إبن إسحق دون أن يشير إلى أيّ خلاف فيه إذقال: « ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وام رسول الله ﷺ حامل به» وقال الزهري: « أرسل عبدالمطلب إبنه عبدالله إلى المدينة يمتار لهم فمات بها، وقيل: بل كان في الشام، فأقبل في عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض، فتوفى بها، قبل أن يولد رسول الله ﷺ »

في الكامل : لابن الأثير« ان أبا طالب قال للراهب بحيرا عند ما سئله عن محمد: انه إبن أخي مات أبوه وامه حبلى به »

وفي نهاية الأرب للنويري: « فذهب أخوه الحارث إلى يثرب فوجده قد توفي ودفن، ورسول الله ﷺ حمل»

و في الروض الأنف للسهيلي: ان أكثر العلماء أجمعوا على أن عبدالله مات والرسول في المهد، قيل: إبن شهرين، وقيل: أكثر من ذلك، وقيل: مات أبوه و هو إبن ثمان وعشرين شهراً .

و **في المولد النبوي** للبرزنجي :« ولما تم لحمله شهران على مشهور الأقوال المروية توفي بالمدينة المنورة أبوه عبدالله، و كان قد اجتاز بأخواله في مرضه عائداً من الشام » وقيل: ان أبا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم توفي وهو إبن سبعة أشهر .

و **في كتاب الرسول** :قال بودلي :« و كان عبدالله بن عبدالمطلب أحب أبنائه إليه و كان من المرجح أن يرث مركز أبيه وماله ، لكن الموت لم يمهله، فقد خطفه في يثرب وهو في رحلة تجارية عقب زواجه من آمنة ولم يقدر له أن ينعم برؤية إبنه الذي رأى النور في أغسطس سنة ٥٧٠ م بعد وفاته بشهور »

أقول: إن أشهر الاقوال : ان عبدالله توفي وإبنه جنين، وان آمنة لم تروع و هي حامل بموت زوجها، بل أمضت أشهر الحمل آمنة مطمئنة هادئة لا يؤدها حزن و لا يمضها ثكل ولا يرهقها شجن لأن الجنين نفسه كان عاملاً هاماً في عزائها ، وان شعورها به يتقلب بين أحشائها قد آنس وحشتها وهون عليها ما كانت تلقى من حزن، لعله كان يكفي لأن يتلفها لو لم ينزل الله سكينته عليها ، ويملأ دنياها بهذا التراث الحي الغالي الذي أودعه الله تعالى عبدالله إياها قبل أن يموت فعاشت به وله .

تسامعت بيوت مكة بالنبأ السعيد، فتوافدت عقائل قريش على دار الفقيد يهنئن آمنة و يصغين إلى ماسمعت من بشرى ، و كثر الحديث عما ملأ الجزيرة من أقوال عن نبي منتظر تقارب زمانه ، يتحدث بها الأحبار من يهود و الرهبان من النصارى، و الكهان من العرب، و لعل العرب لم يلقوا بالاً - أول الأمر - إلى هذا الذي ذاع وانتشر، وقد ألقت آمنة كل بالها إلى تلك الذائعات ، فما نسيت قط أن زوجها هو الذي إستأثر من دون شبان قريش و رجالها بمجد الفداء الذي لم يحدث منذ افتدى إسماعيل .

وقد بقي في مسمعها صدى قوي رنان مما ذكرته اخت ورقة بن نوفل و فاطمة بنت مر عن النور الذي إنتقل من عبدالله اثر زواجه، والغرة التي ذهبت بها آمنة بنت وهب ،فلم تدع لغيرها من النساء في عبدالله مأرباً... ثم هي قبل هذا كله سيدة من صميم

البيئة الرفيعة الحاكمة في مكة، ومن شأن نساء هذه البيئة أن يرنون إلى بعيد وأن يرجون للأجنة في بطونهن مجداً لم يسبق إليه أحد .

وهذه آمنة بنت سيد بني زهرة، ولدت في أم القرى وفي جوار البيت العتيق ، تلك البيئة التي عرفناها بكل حرمتها الدينية و كل مالها من تراث عريق يحف به السنى والجلال. ولدت في عام الفيل نحو منتصف القرن السادس الميلادي رأت النور سليلة اسرة نابهة، من القبيلة التي كانت ذات الشأن الاول في تلك المنطقة المقدسة، والتي إستأثرت وحدها بوظائفها الدينية الضخمة، ومايتبعها من أمجاد وإمتيازات..

ونعم ما قال البوصيري :

مامضت فترة من الرسل إلاّ	بشرت قومها بك الانبياء
فهنيئاً به لآمنة الفضـ	ل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحمـ	ر أوانها به نفساء

و نعم ما قال الشوقي :

ولد الهدى فالكائنات ضياء	و فم الزمان تبسّم و ثناء
الروح و الملأ الملائك حوله	للدين و الدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي	و المنتهى و السدرة العصماء

ثم لم تك إلاّ فترة قصيرة المدى بعد يوم الفيل حتى ذاعت بشرى المولد ، وعن إبن عباس: أن المولد كان يوم الفيل، وقال قوم: كانت الفترة بين يوم الفيل والمولد خمسين يوماً، وقال قوم : كانت أكثر من ذلك، و اكتفى الآخرون بأن ذكروا ان المولد كان في عام الفيل .

و كانت الرؤى قد عاودت آمنة في الليلة السابعة عشر من ليالي ربيع الاولى على أرجح الروايات ... وسمعت من يهتف بها من جديد ، أنها توشك أن تضع سيد هذه الامة ويأمرها أن تقول حين تضعه: «اعيذه بالواحد من شر كل حاسد » ثم تسميه محمداً[صلى الله عليه وآله وسلم] وجاءها المخاض في أوان السحر من ليلة الجمعه، وهي وحيدة في منز-

لها ليس معها أحد سوى جاريتها، فأحسّت بما يشبه الخوف ، لكنها ما لبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها، ثم بدالها كأن جميعاً من النساء يحطن بمضجعها و يحنون عليها. فحسبتهن من بنات عبدمناف . وعجبت كيف علمن بأمرها، وما أخبرت به من أحد غير أنها أدركت على الفوز أن هؤلاء اللواتى حسبتهن من نساء البيت الهاشمى، لسن سوى أطياف سارية !

وتوارت الأطياف النورانية السارية، حين لم تعد آمنة وحدها، كان ولدها إلى جانبها يملأ الدنيا حولها نوراً و انساً وجمالاً ، ومضت ساعة و بعض ساعة ، و هى لا تفتأ ترنو إلى طلعته البهية و كيانه اللطيف المشرق، وتذكر به الحبيب الذى أودعها إياه ثم رحل، حتى إذا انبلج الصبح . كان أول مافعلته الوالدة أن أرسلت إلى عبد-المطلب تبشّره بمولد حفيده، فأقبل مسرعاً وانحنى فى حنو على الوليد ، يملأ عنه عينيه، وقد ألقى كل سمعه إلى آمنة وهى تحدثه عمارأت وسمعت حين الوضع . . .

ووعى كل ماقالت ، ثم حمل صغيره العزيز بين ذراعيه فى رفق و رقة، وانطلق خارجاً حتى أتى الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له أن وهبه ولداً من إبنه الفقيد الغالى، وأحاط به بنوه فى خشوع و غبطة، وهو يطوف بالكعبة منشداً :

الحمد لله الذى أعطانى	هذا الغلام الطيب الأردان
قدساد فى المهد على الغلمان	اعيذه بالبيت ذى الأركان
حتى أراه بالغ البنيان	اعيذه من شر ذى شنآن

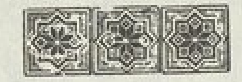
من حاسد مضطرب العنان

ثم ردّه إلى امه وعاد لينحر الذبائح ويطعم أهل الحرم و سباع الطير ووحش الفلاة و كانت مكة- حين ذاعت فيها بشرى المولد- ماتزال تحتفل بما أتاح الله تعالى لها من نصر على أصحاب الفيل، فرآى القوم فى مولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينذاك آية تذكر باخرى، يوم اختير أبوه للنحر ثم افتدى بالابل المأة ...

ولن يمضى وقت طويل، حتى تمتلىء الجزيرة بأخبار ومرويات عن تلك اللحظة

المباركة التي وضعت فيها آمنة ولدها، وتظل تلك المرويات تتناقل عبر الأجيال حتى تصل إلينا، وقد أضافت إليها الليالي والأيام جديداً من إضافات السمار ورؤى المحبين...

وهذا زماننا يصغي في ذكرى تلك الليلة المباركة من كل عام، إلى ملايين الأصوات في شتى المحافل بمختلف بقاع الأرض، ترتل قصة المولد وتترنم بما ظهر عند ولادة محمد ﷺ من خوارق وغرائب...



﴿الحوادث والهاتفات في مولد محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم﴾

وقد وقعت حوادث عجيبة، وظهرت خوارق في العالم العلوي والسفلي في زمن ولادة محمد اليتيم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لا يسع المقام بذكر جميعها حتى إجمالها فضلا عن ذكر تفصيلها، فنشير إلى زاوية منها:

زيدت السماء حفظاً، وردّ عنها المردة، وذووا النفوس الشيطانيـة، ورجمت الجن، وتدلّت إلى هذا المولود الجديد صلى الله عليه وآله وسلم الأنجم الزهرية، واستنارت بنورها وهاد الحرم ورباه، وخرج معه صلى الله عليه وآله وسلم نور أضاء قصور الشام القيصرية، فرآها من بطاح مكة داره ومغناه، وانصدع الايوان بالمدائن الكسراوية، الذي دفع أنوشروان سمكة وسوّاه، وسقطت أربع عشر من شرفاته العلوية، وكسر سرير الملك كسرى لهول ما أصابه وعراه، وخمدت النيران المعبودة بالممالك الفارسية لطلوع بدره المنير ومحيّاه...

وهناك هتافات غيبيّة شعرية في الدعاية الدينية، خوطب بهـا اناس في بدء الاسلام فاهتدوا بها، وهي معدودة من معاجز النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتنمّ عن أهميـّة الشعر في باب الالقاء والحجاج وإفهام المستمع، وإن أخذه بمجامع القلوب والأفئدة آكـد من الكلام المنثور، فيلتخذ دستوراً في إصلاح المجتمـع، وبثّ الـدعاية الروحية ومنها:

في البحار: سمعت آمنة بنت وهب في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إبنها هاتفاً يقول:

صلّى الالـه وكل عبد صالح		والطيّبون على السراج الواضح

ألمصطفى خير الانام محمد ألطاهر العلم الضياء اللايح
زين الانام المصطفى علم الهدى ألصادق البرّ التقىّ الناصح
صلّى عليه الله ماهبت الصبا وتجاوبت ورق الحمام النايح

وفي تاريخ ابن كثير: هتف هاتف من صنم بصوت جهير ليلة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد خرّت فيها الاصنام و هو يقول:

تردّى لمولود أنارت بنوره جميع فجاج الارض بالشرق والغرب
وخرّت له الأوثان طرّاً وأرعدت قلوب ملوك الارض طرّاً من الرعب
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصدّت عن الكهّان بالغيب جنّها فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيال قصيّ إرجعوا عن ضلالكم وهبّوا إلى الاسلام والمنزل الرحب

وفي الخصائص الكبرى للسيوطي: قال ورقة: بت ليلة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند صنم لنا إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

ولد النبي فذلّت الاملاك و نأى الضلال و أدبر الاشراك

ثم إنتكس الصنم على رأسه.

وفي الاصابة لابن حجر العسقلاني الشافعي: قال العوام بن جهيل - مصغّراً - الهمداني سادن (يغوث): بتّ ليلاً في بيت الصنم، وسمعت هاتفاً من الصنم يقول: يابن جهيل! حلّ بالاصنام الويل، هذا نور سطع من الارض الحرام، فودّع يغوث بالسلام، فكلّمت قومي ماسمعت، فاذا هاتف يقول:

هل تسمعنّ القول يا عوام؟ أم أنت ذووقر عن الكلام؟
قد كشفت دياجر الظلام وأصفق الناس على الاسلام

فقلت:

يا أيها الهاتف بالعوام لست بذي وقر عن الكلام
فبيّن عن سنّة الاسلام

قال: وما كنت والله عرفت الاسلام قبل ذلك فأجابني يقول:

أرحل على إسم الله والتوفيق — رحلة لا وان ولا مشيق
إلى فريق خير ما فريق — إلى النبي الصادق المصدوق

فرميت الصنم وخرجت اريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصادفت وفد همدان يدور بالنبي فدخلت عليه، فاخبرته خبري فسرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أخبر المسلمين، وأمرني بكسر الاصنام فرجعت إلى اليمن، وقد امتحن الله قبلي بالاسلام وقلت في ذلك:

من مبلغ عنّا شآم قومنا — ومن حلّ بالاجواف سرّاً وجهراً
بأنا هدانا الله للحق بعد ما — تهوّ دمنا حائر و تنصّرا
وإنا سرينا من يغوث و قربه — يعوق وتابعناك يا خيّر الورى

ويهتف أمير الشعر العربي بعد نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن من الليلة الغراء:

بك بشّر الله السماء فزينت — وتضوعت مسكاً بك الغبراء
يوم يتيه على الزمان صباحه — ومساؤه بمحمد وضّاء
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت — وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم — خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآي تترى والخوارق جمة — جبرئيل روّاح بها غدّاء؟

وفي ضجيج الاحتفال بمولد إبن عبدالله لم تنس قريش أن تسئل شيخها عبدالله: لم عدل عن أسماء آبائه وسمّى حفيده محمداً؟ ذلك أن الاسم لم يكن ذائعاً بين القوم.

وفي الروض الانف للسهيلي قال: «لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ ثلاثة، طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبقرب زمانه، وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون ولداً لهم... وهم: محمد ابن سفيان بن مجاشع، جد الفرزدق الشاعر - ومحمد بن احيحة بن الجلاح... ومحمد بن حمران بن ربيعة، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف

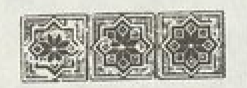
إمرأته حاملا فنذران ولد له ذكر أن يسمّيه محمداً.

وفي نهاية الارب: للنويري عن القاضي عياض: «وأما محمد فان الله تعالى حمى أن يسمى به احد من العرب، ولا من غيرهم، إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده ﷺ أن نبياً يبعث إسمه محمد قد قرب أبان مولده، فسمّى قوم من العرب أبناهم محمداً»

ومن أبي جعفر محمد بن حبيب: وهم ستة لا سابع لهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جدّ الفرزدق الشاعر، ومحمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى، ومحمد بن حسان الجعفي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري- ولد بعد الرسول وقبل المبعث- ومحمد بن براء الكبرى، ومحمد بن خزاعى السلمى.

سئلت قريش شيخها عبدالمطلب عن إسم حفيده، فأجاب: أردت أن يكون محموداً في الارض وفي السماء.

وأياً كان السبب فقد اصبح إسم الطفل اليتيم محمداً، وتسمّى به ملايين الاطفال الذين ولدوا بعد الدين الجديد الذي قدر لابن آمنة من عبدالله ان ينشره على العالمين.



﴿النور المحمدى وولادة اليتيم﴾

واعلم أن العرب فى الجاهلية كانت يعدّون علم الأنساب والتواريخ والأديان نوعاً شريفاً خصوصاً معرفة أنساب أجداد محمد رسول الله الأعظم ﷺ والاطلاع على النور الوارد من صلب إبراهيم خليل الرحمن إلى إبنه إسمعيل عليه السلام وتواصله فى ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور فى أسارير عبدالمطلب: سيدالوادى، شيبة الحمد، وسجدله الفيل الاعظم وعليه قصة أصحاب الفيل.

ببركة ذلك النور دفع الله عزوجل شرّ أبرهة، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا فى تعريف موضع زمزم، ووجدان الغزالة، و السيوف التى دفنتها جرهم، ببركة ذلك النور ألهم عبدالمطلب النذر الذى نذر فى ذبح العاشر من أولاده، وبه إفتخر رسول الله ﷺ إذ قال: «أنا إبن الذبيحين» أراد بالذبيح الاول إسمعيل إبن إبراهيم عليهما السلام وهو أول من انحدر إليه النور فاختفى، و بالذبيح الثانى عبدالله إبن عبدالمطلب، وهو آخر من انحدر إليه النور فظهر كل الظهور.

ببركة هذا النور كان عبدالمطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن رذيل الاخلاق ودنيات الامور ... ببركة هذا النور كان قد سلم إليه النظر فى حكومات العرب، والحكم بين المتخاصمين، فكان يوضع له وسادة عند الملتزم، فيستند إلى الكعبة، وينظر فى حكومات القوم، وببركة

هذا النور قال لأبرهة: «ان لهذا البيت رباً يحفظه ويذبّ عنه، وفيه قال إذ صعد إلى جبل أبي قبيس:

لا همّ ان المرء يمنع حلّه فامنع حلالك

لا يغلبنّ صليبهم و محالهم غدراً محالك

إن كنت تاركهم و كعبتنا فأمر مابدا لك

قوله: «حلالك» بالكسر: البلدة أو مكان حلول الناس و سكناهم، جمع الحالة، و «محالك»: تدبيرك.

و ببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: «انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه و تصيبه عقوبة» إلى أن هلك رجل ظلوم، حتف أنفه لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر، وقال: والله ان وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن باحسانه، و يعاقب فيها المسيىء باسائته.

ومما يدلّ على إثباته المبدأ والمعاد انه كان يضرب بالقداح على إبنه عبدالله ويقول:

يارب أنت المليك المحمود و أنت ربّي المبدىء و المعيد

من عندك الطارف والتليد

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة و شرف النبوة ان أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب العظيم، و أمسك السحاب عنهم سنتين أمر أباطالب إبنه أن يحضر المصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأحضره وهو رضيع في قماط، فوضعه على يديه و استقبل الكعبة، ورماه إلى السماء و قال: «يارب بحق هذا الغلام» ورماه ثانياً و ثالثاً، و كان يقول بحق هذا الغلام أسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هطلاً، فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبوطالب ذلك الشعر اللامي الذى منه:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة و فواضل

كذبتهم و رب البيت نبزى محمداً و لما نعاطن دونه و نناضل
و نسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا و الحلائل

قوله « ثمال » : الذى يعين قومه ويغيثهم ، و« عصمة للأرامل » : يدفع عنهم الهلاك، و« نبزى » : تركى ، و « الحلائل» : جمع حليلة وهى الزوج.

وقال العباس إبن عبدالمطلب فى محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قصيدة منها :

من قبلها طبت فى الظلال و فى مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت و لا مضغة و لا علق
بل نطفة تركب السفين و قد ألجم نسراً و أهله الغرق
تنقّل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن فى خندف علياء تحتها النطق
و أنت لما ظهرت أشرقت الار ض وضائت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور و سبل الرشاد نخترق .

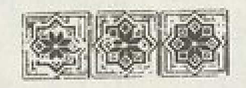
وفى السيرة النبوية : لابن هشام - على طريق التخليص - وهو ان عبدالله أبامحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذهب يوماً مع أبيه عبدالمطلب ، فمرّا بامرأة إسمها قية بنت نوفل اخت ورقة بن نوفل وهى عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب ياعبدالله ؟ قال: مع أبى ، قالت : لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن قال: أنا مع أبى، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، فرفض طلبها ، فأتيا وهب بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسباً وشرفاً ، فزوّجه إبنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل المرأة فى قريش نسباً و موضعاً ، ولما تزوّج بها ، و وقع عليها فحملت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم خرج من عندها فاتى المرأة التى عرضت عليه نفسها من قبل، فقال: لها مالك لاتعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة ، وقد كان تسمع من أخيها ورقة بن نوفل

ـ وكان قدتنصّر واتبع الكتب: انه سيكون من هذه الامة نبى ، وان إمرأة تحدّث ان عبدالله مرّ بها و بين عينيه غرّة مثل غرّة الفرس قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بى فأبى عليّ ، ودخل على آمنة فأصابها فحملت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوسط قومه نسباً و أعظمهم شرفاً من قبل أبيه و امه صلى الله عليه وآله وسلم .

وان آمنة بنت وهب كانت تحدّث انها اتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها : انك قد حملت بسيدة هذه الامة، فاذا وقع إلى الأرض فقولى : اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سمّاه محمداً، ورأت حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حامل به، فلما وضعته امه صلى الله عليه وآله وسلم ارسلت إلى جدّه عبد المطلب: انه قد ولد لك غلام فأته ، فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه وحدّثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه وما امرت به أن تسمّيه .

فأخذه عبدالمطلب فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى امه ، فدفعه إليها، والتمس لرسول الله الرضعاء، فاسترضع له إمرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها : حليمة إبن أبى ذؤيب، وهو عبدالله بن الحارث .



حليمة السعدية ورضاعة اليتيم

وقد أحست آمنة بعد أن وضعت ولدها الوحيد، أن الشطر الأهم من رسالتها قد انتهى بمولد إبنها الموعود بأمجد غد كما إنتهت رسالة عبدالله منذ أن أودعه جنيناً في أحشائها، فأرسلت نفسها من جديد لأشجان الذكرى إلى حد أثّر في صحتها، و إن لم يفض بها إلى التلف أو قريب منه، ذلك أن جزءاً من تلك الرسالة لم ينته بعد، فما يزال عليها أن ترعى ولدها حتى يدرك فتحدثه عن أبيه، ثم تصحبه إلى يثرب حيث يزوران قبر فقيدهما الغالي.

وأقبلت الام على صغيرها ترضعه ريثما تفد المراضع من البادية فيذهبن به من لداته من رضعاء قريش، بعيداً عن جو مكة الخانق لكنّ لبن آمنة جفّ بعد أيام ـ ولعل ذلك لتأثرها بما أصابها من حزن لموت زوجها ـ فدفعت به إلى ثوبية: جارية عمه أبي لهب، و كانت قد أرضعت قبله عمه: حمزة بن عبدالمطلب بلبن إبنها مسروح، ثم لم تمض إلاّ أيام معدودات حتى وفدت المراضع من بني سعد بن بكر يعرضن خدماتهن على نساء الطبقة الموسرة من قريش، فعرض عليهن محمد بن عبدالله فزهدن فيه يتمه، وانه لم يك ذا ثراء عريض يكافىء نسبه الشريف، فلقد مات عبدالله في حياة أبيه عبدالمطلب، فلم يرث عنه مالاً، وأعجلته منيته في مقتبل العمر قبل أن يتأثل لنفسه غنى.

ومن ثم لم يترك لولده الذى خرج إلى الدنيا بعد موته، سوى امه و جاريته

الحبشية: بركة أم أيمن وخمسة أجمال أوراك - يعنى تأكل الأراك - وقطعة غنم، و انها الثروة ضئيلة لحفيد أمير مكة، وسليل البيت الهاشمى القرشى العريق، وأرهق الحزن آمنة وهى ترى المراضع يوشكن أن يعدن إلى البادية، زاهدات فى ولدها الشريف اليتيم، مؤثرات عليه أطفال الأحياء ممن يرجى منهم الخير الوافر.

وكاد اليأس من إقبال مرضعة على اليتيم يغزو قلب امه العامر بأشجانه لولا أن عادت احدى المرضعات تلتمس محمداً بعد أن انصرفت عنه أول النهار تلك كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدى زوجة الحارث: أبو كبشة ابن عبد العزى: أحد بنى سعد بن بكر بن هوازن، وكان لهما من الولد الذين شرفوا باخوة محمد من الرضاعة: عبدالله، وأنيسة، والشيماء التى كانت تحضن الرضيع الهاشمى مع امها.

فى السيرة النبوية: لابن هشام نقلاً عمن سمع عبدالله بن جعفر بن أبى طالب يقول: «كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ام رسول الله ﷺ التى أرضعته تحدث: انها خرجت من بلدها مع زوجها. وإبن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت: وذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً. قالت: فخرجت على أتان لى قمراء - القمراء: لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة - معنا شارف لنا - أى ناقة مسنة - والله ماتبض - أى ما ترشح بشىء - بقطرة وماننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع مافى ثديى ما يغنيه ومافى شارفنا مايغذيه.

ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتانى تلك فلقد أدمت - أى أطلت عليهم المسافة - بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً - أى هزالاً - حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فمامنا إمرأة إلا وقد عرض عليها محمد - رسول الله ﷺ - فتأباه إذا قيل لها انه يتيم، وذلك انا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم! وماعسى أن تصنع امه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت إمرأة قدمت معى إلا اخذت رضيعاً غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه،

قال: لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه - في الرضاع - ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فاذا انها الحافل فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى إنتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت: فقلت: والله اني لأرجو ذلك قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي: يا بنة أبي ذؤيب ويحك! اربعي - أي اقيمي وانتظري - علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها، فأقول لهن: بلى والله انها لهي هي فيقلن: والله ان لها شأناً.

قالت: لما قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبّناً، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرّض من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً - أي غليظاً شديداً - قالت: فقدمنا به على امه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته، فكلّمنا امه وقلت لها: لو تركت بنيّ عندي يغلظ فاني اخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردّته معنا.

قالت: فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم - أي صغار من الغنم - لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ - أي يسرع - فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقّا بطنه فهما يسوطانه،

قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً - متغيراً - وجهه قالت : فالتز-
مته و التزمه أبوه فقلنا له: مالك يابني قال: جائني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعا
ني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ماهو قالت: فرجعنا به إلى خيابنا .

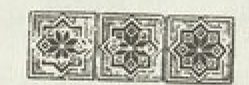
قالت: وقال لي أبوه: ياحليمة لقد خشيت أن يكون هـذا الغلام قد اصيبت
فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت: فاحتملناه فقدمنا به على امه، فقالت : ما
أقدمك به ياظئر - الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس - وقد كنت
حريصة عليه و على مكثه عندك؟ قالت :فقلت: قد بلغ الله يابني وقضيت الذي علي و
تخوفت الأحداث عليه فاديت إليك كما تحبين قالت. ما هذا شأنك فاصدقيني
خبرك قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت :
قلت: نعم، قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وان لبني لشأناً أفلا اخبرك
خبره قالت : قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور
بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف علي ، ولا
أيسر منه، ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه
عنك و انطلقي راشدة »

أقول: رواه إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

وفي طبقات ابن سعد: فظهر على حليمة انها تذكرت شيئاً كان قد غاب عنها ،
وهتفت قائلة : الآن فهمت مالم أفهمه من قبل : ذلك أن نفراً من نصارى الحبشة رأوا
إبني محمداً معي حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه وسئلوني عنه و فحصوه
ملياً ثم قالوا : لنأخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا ، فان له شأناً نحن
أدرى به وأعرف ، فاختطفته منهم وقدها جنى ذلك على رده إليك، وهممت أن أفعل
، لولا أن مضارب بني سعد كانت أقرب إلي منك ، فعدوت نحوها، ولم أشعر بالا-
طمئنان حتى دخلت به الحمى، ثم استعادت ذكرى بعيدة ، كانت قد نسيتها لطـول

المدى و استطردت تقول :

وأذكر كذلك يوم انطلقت بولدى محمدمن مكةلأوّل مرة، فمر بي اليهود فسئلتهم : ألاتحدثونى عن إبنى هذا ؟ وسردت لهم مالقيت من بركته، فماراعنى إلاّ أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه ، ثم سئلونى : أيتيم هو ؟ قلت: وأنا اشير إلى زوجى : لا هذاأبوه و أنا امه ، فقالوا: لو كان يتيماً لقتلناه .



﴿سفر آمنة ويتيمها الى يثرب ووفاتها﴾

لزمت آمنة وهى تحتضن فتاها الوحيد اليتيم بعد أن بلغ مقامه فى البادية أقصى أمده وعادت به حليمة السعدية إلى امه فى البلد الحرام، حيث مجد آبائه العريق ومجد موطنه العتيق، عاد فبدد بنوده ظلال الكآبة التى كانت تغشى دنيا آمنة فى وحدتها وترملها الباكر، وأحسبها لم تكف عن التحدث إليه عن والده الغائب ووصف شمائله، ورواية قصة فدائه، وما كان معقوداً عليه من آمال كبار...

وقد بذلت الام لولدها فى تلك الفترة أقصى ما يستطاع من عناية ورعاية أن كان وحيدها ومناط أملها، ومعقد رجائها... و يعترف كتّاب السيرة بما كان لها من أثر جليل فى هذه المرحلة من عمر محمد نبىّ الاسلام إذ كان رسول الله ﷺ مع امه آمنة بنت وهب فى كلاءة الله عزوجل و حفظه، ينبته الله تعالى نباتاً حسناً، و قد أثمرت العناية الالهية و الرعاية الربانية ثمرتها، إذ بدت على محمد تباشير النضج المبكر و رأت فيه آمنة عند ما بلغ السادسة من عمره مخايل الرجل العظيم الذى طالما تمثلته ووعدت به فى أحلامها ورؤاها...

اذ ذاك أدركت أن الأوان قد آن لكى تؤدّى واجباً مقدساً، و تحقق رغبة طال عليها الانتظار، فحدثت إبنها عن رحلة يقومان بهامعاً إلى يثرب كى

يزورا قبر الحبيب الراقد، وهش الابن لفكرة السفر، و سرّه أن يصحب امه في زيارتها لمثوى فقيد هما، و أن يتعرف - في الوقت نفسه - إلى أخوال أبيه المقيمين بيثرب، و كانوا ذوى شرف هناك و جاه عريق، و لعله سمع امة غير مرة تردد قول الشاعر في أبي وهب بن عمرو: خال عبدالمطلب بن هاشم:

و لو بأبي وهب أنخت مطيتي　　غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعي لؤى بن غالب　　إذا حصلت انسابها في الذوائب
أبي لأخذ الضيم يرتاح للندى　　توسّط جداه فروع الأطايب

وكان الجوّ صيفاً، و الشمس تلهب صخور مكة و تصهر رمالها، حين بدأت آمنة تتهيّأ لرحلة طويلة شاقة، تجتاز بها الأميال المأتين التي تفصلها عن يثرب، حيث يرقد عبد الله الذي لم تره منذ نحو سنوات سبع ... و لم تكن تجهل مشقة السفر عبر الصحراء القاحلة ذات الرمال المتحجرة، و لاغاب عنها ما يتكبده الضاربون في أحشاء البيداء بسهولها الموحشة و فقرها المرهوب، لكن شوقها إلى زيارة يثرب كان أقوى من أن تغلبه عقبات سفر هو في الحقيقة قطعة من العذاب ... و شغلت أياماً بتجهيز راحلتها و اعداد مئونة الطريق، ثم زودت ناقتها بهودج من أغصان مجدولة ذى مظلة مرفوعة، تحجب الشمس عن الا بن العزيز، و أقامت بعد ذلك تنتظر أول قافلة تخرج من مكة نحو الشمال في رحلة الصيف الموسمية، فلما أذن المؤذن بالرحيل، ضمت إليها فتاها و ركبت راحلتها، تصحبهما الجارية الوفية: بركة ام أيمن.

و ألقت آمنة نظرة وداع على دار عرسها التي جمعتها فترة بعبد الله و التي وضعت فيها من بعده ولدهما الوحيد، ثم عرجت على الحرم، فطافت به داعية، و انفلتت من بعد ذلك نحو الشمال، حيث كانت القافلة تتهيأ للتحرك.

وقد عـلا رغاء الابل مختلطـاً بضجيج المسافرين و دعـاء المودعين ، و سـار الركب فى أول أمره بطيئاً و ئيـداً كأنما يعز عليـه أن يفارق الحمى الأمين و الـديار الغاليات ، حتى إذا توارت معـالم مكة خلف الجبـال الشمّ التى تحف بها ، استقبل الراحلون طريق الشمـال ، و حثوا الخطا قدر ما استطاعوا كيما يبلغوا سوق الشام فى إبانها ، و يعودوا إلى حماهم الأمين و إلى الأهل و الأحباب ....

و رفع الحـادى عقيرته بالغناء ، يودع الديار التى خلفوها من ورائهـم و يعد الابل بالراحـة و الظل ، إذا هى سارت حثيثـاً ، فبلغت بأصحـابهـا ما يأملون ، ورجّعت ارجـاء البيداء صدى الحداء الحنون ، فرقت قلوب الراـحلين و سرت فى أبدانهـم نشوة غامرة من شجن الذكرى و لوعة الفـراق ، و عطفت آمنـة على و لـدها فى حنو فيّاض ، ثـم اغمضت عينيها تحلم باللقـاء الحبيب ! .

وساعدها صمت لصحراء إلاّ من رجع النغـم على إسترسالهـا فى الحـلم ، فقطعت أكثر الطريق شبه قافيـة ، تنصت فى الحـداء إلى نداء شجى يتناهـى إليها من بعيد ، فهفا قلبها إلى الاليف النائى، و رنت عيناها إلى الافق الشمالى ، حيث تراءت لها يثرب أشبه بواحة خضراء تحنو ظلالهـا الوارفة على أعزّ قبر ، و يؤوى ثراها الطيب أغلى رفات .... فـاذا جنّ الليل و صمت الحـادى و نام الرفاق و هجع الكون ، ضمت آمنـة وحيدها إلى صدرهـا ، و أسلمت نفسهـا إلى رؤاها تسرى بها نحو المزار وتستحضر لها روح عبدالله آيبـة من مآواها البعيد المجهول، لتحيي الزوجة الحبيبة الوفية، وتبارك الابن الصغير العزيز!

وشارفت الرحلة منتهاها فجمعت آمنة نفسها وأقبلت على ولدها تحدثه من جديد عن أبيه ثم تغريه بأن يتطلع معها إلى المدينة البيضاء التـى بدأت تتكشف من وراء جبل «احد» حيث ينبسط السهل وتطمئن الارض ويتموج عشبها الاخضر

وتراقص عليها ظلال النخل الباسقات ... وأناخ الركب رواحله فى يثرب ريثما تزود بالراحة والتمر والماء، ثم استأنف مسيره شمالا بعد أن ترك آمنة و ولدها و جاريتها فى حمى بنى النجار.

و لم يكد يستقر بها المقام بين ترحيب القوم وإحتفالهم ، حتى أمسكت بيد غلامها و مضت تطوف بالبيت الذى مرض فيه أبوه ، وتحج إلى القبر الذى حوى رفاته ثم خلّت بين ولدها و بين الحياة الجديدة مع أبناء أخواله ، على حين عكفت آمنة على قبر الحبيب تناجيه حيناً و تبكيه أحياناً ، و هى على الحالين راضية مستروحة ، تجد من الانس بقرب الفقيد ما يريح شجوها ، و طاب لهما العيش شهراً كاملا ، نفّست فيه عن حزنها المكبوت ، و اسعفتها عيناها بما شاءت من دمع ، و تمتع ولدها بالجوّ اللطيف، وبصحبة رفاقه من بنى الخال ...

ولا يدرى أحد كيف أمضت آمنة ليلتها الاخيرة قبل أن تشد رحالها عائدة إلى مكة وأغلب الظن أنها أمضتها فى مناجاة الحبيب الذى توشك أن تفارقه للمرة الثانية حتى إذا آن لها أن تمضى، إقتزعت نفسها قسراً من ذلك الجوّ المعطر بالذكرى وودعت مضيفيها شاكرة لهم مالقيت ولقى ولدها من جميل ترحابهم و كرم ضيافتهم، ثم ركبت راحلتها وركب معها ولدها وجاريتها، فعرجت على القبر تزور صاحبها للمرة الاخيرة، وتكلفت الصبر وهى تجامل القوم الذين صحبوها مودعين إلى ظاهر المدينة ثم أسلمت نفسها إلى أشجانها، والناقة تمضى بها وبمن معها نحو مكة بلا حداء...

وإذهمّ فى بعض مراحل الطريق بين البلدتين هبت ـ فيما يقال ـ عاصفة عاتية هوجاء أخذت تسفع المسافرين بريحها المحرقة ، وتثير من حولهم الرمال كأنه الشرر الملتهب فتأخرت الرحلة أياماً ريثما هدأت العاصمة وسكنت ثائرتها، ثم استأنف الركب سيره وقد شعرت آمنة بضعف طارىء مكّن له من جسمها ما

كانت تجد من لذعة الفراق الجديد، ولم يجزع محمد اليتيم ﷺ أول الامر لما بدا على امه من إعياء بل رجا أن تزايلها وعكتها بعد أن هدأت العاصفة، أما آمنة فأحست انه الاجل المحتوم.

وتشبثت بوحيدها محمد اليتيم معانقة، وقد انهمرت الدموع من عينيها، فأخذ يجفف دمعها بيده اللطيفة مستمرئا لذة الحنان الغامر يطوى عنه رهبة الموقف ... وفجأة ... تراخت ذراعاها عنه فحدق فيها فراعه أن بريق عينيها يوشك أن ينطفىء، و ان صوتها يخفت رويداً رويداً حتى يصير إلى حشرجة هامسة، وتضرع إليها أن تنظر إليه، و أن تكلمه، فيقال: انها نظرت إلى وجهه يتيمها وقالت:

بارك فيك الله من غلام　　يا بن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك العلام　　فودى غداة الضرب بالسهام

بمأة من إبل سوام

ثم أمسكت تستريح، فلما إلتقطب أنفاسها اللاهثة همست فى حشرجة الاحتضار: «كل حي ميت، و كل جديد بال، و كل كبير يفنى، وأنا ميتة، و ذكرى باق، فقد تركت خيراً، وولدت طهراً...»

وذاب صوتها فى سكون العدم، فما تكلمت بعدها أبداً...

وخيم على الكون صمت رهيب، مزقته بعد حين، صرخة صبى مفجوع، انحنى على جثة امه فى العراء يناديها فلا تلبى نداء ... والتفت إلى ام أيمن يسئلها عن سر هذه الحياة التى انطفأت، والجسد الذى همد و برد والصوت الذى فنى و ذاب فضمته المسكينة إلى صدرها و لم تملك إلا أن تقول دون أن تعى: «انه الموت يا بنى»! الموت؟! ذاك الذى غال أباه من قبل؟ ذاك الذى جرع امه كأس الترمل، فما طاب لها عيش و لا اندمل فى قلبها الجرح لمدى سبع سنين طوال؟

ذاك الذى يطوى الاعزاء فى جوف الثرى ، فلا رجعة بعدولا لقاء ؟ ! ذاك الذى يمضى بالمسافرإلى حيث لاعودة ولا مآب ؟ و تلفت اليتيم حواليه حائراً فاذا الكون هامد موحش، كأنما غشيته غاشية من الخوف والرهبة فى حضرة الموت ! ولاذت عيناه الضارعتان بالسماء فاذا بها واجمة ، مغشّاة بزرقة كابية ! ومدّ بصره المجهد إلى الافق البعيد فاذا قطع ممزقة مشردة من غيوم شاحبة ! هنالك آب اليتيم إلى امه فجلس قريباً منها يحدق فيها صامتاً واجماً عاجز الحيلة، على حين أخذت بركة تلف الجسد الراقد، وتعصب الوجه الذابل، وتغمض العينين المنطفئتين...

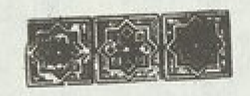
و تبعها مطرقاً مستسلماً و هى تحمل الجثة إلى قرية الابواء كيما تجهزها لضجعتها الاخيرة حتى إذا أوشك الثرى أن يغيبها، إندفع وحيدها اليتيم نحوها فتشبث بها يريد أن يستبقيها أو يبقى معها! وعلا نحيب القوم من إشفاق وتأثر وخلّوا بينه وبين امه ساعة أو بعض ساعة، ثم نحّوه عنها فى رفق، وأضجعوها فى لحدها... وهالوا عليها الرمال...

فصار محمد صلى الله عليه وآله وسلم لطيماً بعد أن كان يتيماً، وجمت أرباض مكة ، وهى تشهد الصبى الحزين الذى غادرها مع امه منذ شهر وبعض شهر ، بادى الغبطة والتهلل و الاشراق ، يعود إليها اليوم وحيداً مضاعف اليتيم ، يعود إليها لطيماً - لا أب له و لا ام - قد ذاق الحزن المرّ ، ورأى بعينيه مشهد الموت فى أعزّ من له وبلا المأساة الفادحة التى طالماً حدثته امه عنها ، وهى تستعيد ذكرى أبيه : عبدالله.

وسوف تذكر مكة عودة محمد هذه يوم يخرج منها بعد نحو نصف قرن، تحت جنح الظلام، مهاجراً بدينه الجديد إلى يثرب وقريش من ورائه تعدو فى أثره وتلحّ فى طلبه ...

وكذلك سوف تذكر مكة عود الصبي اللطيم هذه، يوم يرجع إليها من دار هجرته عام الفتح، ويدخلها ظافراً منتصراً ليحطم الاصنام التي شوهت جلال الحرم، ويهتف من أعلى البيت الحرام: «الله أكبر»

فترجع أرجاء الجزيرة هذا الهتاف العالي، ثم تتجاوب به آفاق الارض على مر العصور والاجيال...



« آمنة ام النبي صلى الله عليه وآله بين المدينة وام القرى »

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله - لما رآى دار بني عدى بن النجار بعد الهجرة: « هيهنا نزلت بي امي ... وفي هذه الدار قبر أبي عبدالله ... »

إلى هنا تنتهي حياة آمنة ام النبي الكريم محمد اليتيم صلى الله عليه وآله أعلى سطح الارض، وينصرف عنها التاريخ حيناً ليعود بعد نحو أربعة و ثلاثين عاماً فيفسح لها أعز مكان في كتاب الخلود، أماً للنبي الذي تركته وحيداً يتيماً في بادية الحجاز بين يثرب وام القرى فما بلغ مبلغ الرجال حتى اختارته السماء للرسالة العظمى، و اصطفاه الله عزوجل ليبعثه بالدين القيم الذي يتبعه اليوم ميليارد البشر من شتى الأجناس ومختلف الالوان والألسنة... في مشرق الارض ومغربها و قطبيها ...

وقد عاشت أول ما عاشت ، ملء قلب ولدها العظيم، يخفق لذكراها ويرق لها رقة تثير الشجن، وتستدر عصى الدمع ، ولقد تلقاه جده: عبدالمطلب بعد وفاتها، وضمه إليه مسبغاً عليه من عطفه وحنانه مالم يسبغ مثله على ولده ، فكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا و إذا نام في فراشه .

وقد ورد في التاريخ: ان عبدالمطلب كان يوضع له فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد منهم إجلالاً له ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه فيهم أعمامه بأن يؤخروه فينهاهم عبدالمطلب قائلاً: دعوا إبني ... ثم يجلسه معه ويمسح ظهره بيده .

وكفله عمه أبو طالب بعد وفاة جده، فأحبه حباً شديداً فكان لا يفارقه ويخصه بالطعام حتى أن بنيه إذا أرادوا أن يتغدوا أو يتعشوا قال: كما أنتم حتى يحضر إبني، ،وكان لمحمد من حنان فاطمة بنت أسد بن هاشم: زوج عمه أبي طالب ، ثم من حب زوجته : خديجة ولطف عشرتها وأنس صحبتها ما لا مطمع فيه لمزيد ، لكن شيئاً من هذا كله لم ينسه ذكرى يتمه المر ولم يمح من خاطره مشهد امه الغالية و هي تموت بين يديه في الصحراء ...

وفي الطبقات لابن سعد :« ان رسول الله ﷺ لما مر بالأبواء في عمرة الحديبية قال : ان الله أذن لمحمد في زيارة قبر امه، فأتاه وأصلحه وبكى عنده و بكى المسلمون لبكائه ، فقيل له في ذلك، فقال: أدركتني رحمتها فبكيت »

وعن عبدالله بن مسعود انه قال :« خرج النبي ﷺ يوماً وخرجنا معه حتى إنتهينا إلى المقابر ، فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى إنتهى إلى قبر منها فجلس إليه، فناجاه طويلاً، ثم ارتفع صوته ينتحب باكياً، فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم ان رسول الله ﷺ أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : ما الذي أبكاك يا رسول الله فقد أبكانا و أفزعنا؟ فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال: ذلك مرتين أو ثلاثاً ثم قال: أن القبر الذي رأيتموني انا جيه قبر امي آمنة بنت وهب. واني إستأذنت ربي في زيارتها فأذن لي.

وهذا شهدته الدنيا يلتفت أبداً إلى تلك البقعة المهجورة حيث مضجع امه و يرنو إليها بقلبه على تطاول المدى وتنائي الأبعاد ...

وعرفت قريش منه ذاك و هي تعلن الحرب عليه ، وعلى من آمنوا معه ، حتى إن هند بنت عتبة حين موت بالأبواء مع جيش المشركين المتجه إلى المدينة ليثأر لقتلى بدر لم تر ماتؤذى به بطل الاسلام ، أقسى من نبش قبر امه آمنة ولم تجد لقريش رهينة أعز ولا أغلى من بقايا الجثة الثاوية هناك .

وفي تاريخ مكة: للأزرقي عن هشام بن عاصم الاسلمي انه قال :« لما خرجت

قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لزوجها أبي سفيان بن حرب: لو بحثتم قبر آمنة ام محمد فانه بالأبواء فان اسر أحد منكم إفتديتم كل إنسان بارب من آرابها ؟! » الارب ـ بكسر الهمزة ـ : العضو.

لكن أبا سفيان لم يكد يذكر ذلك لقريش حتى أخذ منها الفزع كل مأخذ فصاحت بالرجل : لاتفتح علينا هذا الباب و كأنما روعها تمثل غضبة بنى آمنة و المسلمين للفعلة النكراء ؟ وانصرفت قريش عن الأبواء لم تجرؤ على العبث بحرمة القبر الذى إستودعه الصبي اليتيم جثمان امه منذ أكثر من أربعين سنة ، ثم لم ينسها بعد ذلك أبداً ... ولم تنسه جلائل الأحداث ولا كرّ الغداة ومرّ العشيّ ذكريات أيامه الخوالي فى حضن امّه الغالية ، ومشاهد رحلته الاولى معها إلى يثرب بل تشبث بها خاطره وأبى أن يفلت شيئاً منها، فعندما هاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مضى يطوف بالربوع التى شهدته ـ قبل نحو نصف قرن ـ صبياً خالى البال، ويستعيد ما كان له من مواقف هناك، حدثوا انه صلى الله عليه وآله وسلم لما رآى حى بنى عدى بن النجار قال: هيهنا نزلت بى امى ... وفى هذه الدار قبر أبى عبدالله »

ونظر إلى اطم بنى عدى، فرقّ قلبه وهو يقول:« كنت ألعب مع أنيسة ـ جارية من الأنصار ـ على هذا الاطم، و كنت مع غلمان من أخوالى، وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار ».

لم ينس محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلك الأيام الخوالى كما لم ينس الدار التى مولده، وقد أغلقت أبوابها بعد موت امه وتركت خلاء ... وربما مرّ بها بين الحين و الحين ـ أيام شبابه فى مكة ـ فوقف يسائلها عما فعلت بها الأيام، و يتملى ذكرى مشهد امه حين كانت هناك ...

حتى هاجر صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وفيها المهد الحبيب ، فلما عاد إليها يوم الفتح، و علم أن دار مولده أخذها عقيل ابن عمه أبى طالب كره أن يستردها منه كما كره للمهاجرين أن يرجعوا فى شىء من أموالهم اخذ منهم فى الله تعالى، وهجروه لله، فبقى

بيت المولد لعقيل وولده من بعده حتى إشتراه محمد بن يوسف، فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء فلم يزل كذلك إلى أن حجت الخيزران - ام الخليفتين : موسى و هارون- فجعلته مسجداً للصلاة، وأشرعته فى الزقاق الذى يقال له: زقاق المولد فحدثوا إلى أهل الزقاق المبارك كانوا يقولون بعد أن نقلوا منه: وواللّه ما أصابتنا فيه جائعة ولا حاجة حتى اخرجنا منه فاشتدّ الزمان علينا.



﴿يتيم عبدالله بعد وفاة امه آمنة﴾

قال محمد النبي الكريم ﷺ: «إني لا قوم في الصلاة اريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على امه»

طوى الثرى آمنة ام رسول الله ﷺ قبل أن يستكمل ولدها الوحيد عامه السابع، ورأته الدنيا من بعدها ينعم بالحياة الزوجية السعيدة كما رأته من بعد ذلك يصطفى للنبوة، ويخوض معاركه التاريخية المظفرة ضد الوثنية والشرك والضلال، ضد الغواية والاستكبار والطغيان، ضد المعصية والاستبداد والفساد، وضد العصبية الجاهلية والفجور واللجاج...

ولقد بقي طيفها العزيز يصحبه ما عاش، وبقيت ذكراها تزاوجه حيثما ذهب و أنى أقام، فتستشير فيه أعمق عواطف البر والرحمة، وترتفع بالامومة عنده إلى المقام الاسنى الذي لا يطاوله مقام... ذكرها في مرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، فكان محمد ﷺ يصلها وهو بمكة كما كانت خديجة تكرمها، فلما هاجر إلى المدينة ظل يبعث إليها بصلة و كسوة، إلى أن جاءه خبر وفاتها سنة سبع، عند مرجعه من خيبر فلما دخل مكة ظافراً بعد ذلك بعام، لم ينس في غبطته بالفتح الكبير أن يسئل بمكة: مافعل إبنها مسروح؟ فقيل له: مات قبلها، ولم يبق من قرابتها أحد. و كذلك فعل مع ام أيمن حاضنته الحبشية التي رافقته وامه في رحلتهما إلى يثرب وشهدت معه وفاتها بالابواء فعاش ﷺ لا يرى ام أيمن حتى يرق قلبه لذكرى الراحلة ويقول: هي امي بعد امي.

وكان بره (ص) بامه التي أرضعته: «حليمة السعدية» مظهراً لما يعمر قلبه الكريم من حب للامومة في أيّ صورة من صورها حدثوا عن أبي الطفيل: عامر بن واثلة الكناني انه قال: رأيت النبي (ص) يقسم لحماً بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور إذ أقبلت إمرأة دنت إلى النبي (ص) فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه امه التي أرضعته.

وفي السنة الثامنة للهجرة حين إنصرف الرسول (ص) من غزوة الطائف منتصراً ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء وما لا يدري ما عدّته من الابل والشاه أتاه وفد هوازن- ممن أسلموا- فقال قائلهم: يارسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك.

وقد كانت حليمة السعدية من بني سعد بن بكر من هوازن... فلمست ضراعتهم قلبه الكبير واستجاب لمن استشفعوا بالام التي أرضعته، فقال لوفد هوازن، وطيف امه آمنة يباركه: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، إذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسئل لكم...

فلما صلّى رسول الله (ص) بالناس الظهر قام رجال هوازن، فتكلموا بالذي أمرهم به فقال الرسول (ص): أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله (ص)... وقالت الانصار: وما كان لنا فهو لرسول الله (ص)...

وإذ رأى (ص) تردد بعض القبائل مثل تميم وفزارة قال: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ستّ فرائض من أوّل غنم اصيبه... فردوا إلى هوازن أبناءها ونساءها.. لان فيهن حواضن رسول الله (ص) وعماته وخالاته من الرضاعة....

وتمثل محمد (ص) امه آمنة في شخص فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تلك التي رعته أيام صباه في بيت عمه أبي طالب (ع) وكانت له من بعد امه اماً.

وفي **الاستيعاب** لابن عبد البر: «لما ماتت فاطمة ام علي بن أبي طالب (ع) ألبسها

رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها فى قبرها، فقال له أصحابه: ما رأيناك صنعت بأحد ماصنعت بها، فقال: انه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها. إنى إنما ألبستها قميصى لتكسى حلل الجنة واضطجعت معها فى قبرها ليهون عليها.

وكذلك رآى ﷺ ملامح من امه الراحلة فى زوجه الرؤم: خديجة عليها السلام تلك التى سكن إليها منذ بلغ الخامسة والعشرين من عمره إلى أن لحقت بربها قبل الهجرة بثلاث سنين، لم يستبدل بها سواها ولا ضمّ إليها زوجة غيرها، ولا نسى لها طول عمره، ما عوضته من حنان الامومة الذى إفتقده منذ ودّع امه فى الابواء... أجل ذكر محمد ﷺ امه فى كل هؤلاء...

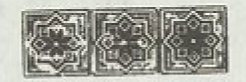
وتمثّلها فى بناته حين كبرن وصرن امهات، ورأى صورتها فى كل امٍّ تحنو على ولدها، فما عرف عنه انه ﷺ كان ينفعل بمثل تلك العاطفة الفياضة التى كان يجدها أمام مشهد الامومة، فما وجد ما يمثل به لاصحابه رحمة الله بعباده، أقوى من حنو الام: حدثوا ان سبيا قدم على النبى ﷺ بالمدينة: «فاذا إمرأة منهم قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبى ﷺ لاصحابه: أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟ أجابوا: لا وهى تقدر ألاّ تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها.

وما أرتاب فى أنه ﷺ كان عامر القلب بذكرى امه، حين ارتقى بالامومة إلى مافوق البشرية، فوضع الجنة تحت أقدامها، وجعل البرّ بها مقدماً على شرف الجهاد فى سبيل الله والدار الآخرة، إذ جاءه الصحابى: معاوية بن جاهمة السلمى يستأذنه فى الخروج للجهاد إبتغاء وجه الله واليوم الآخر، فلما سئله الرسول ﷺ: أحيّة امك؟ وقال: نعم، أمره أن يرجع إليها فيبرها، وعاود معاوية إستئذانه فى الخروج للجهاد، فأعاد الرسول ﷺ سؤاله عن امه، ثم أمره أن يرجع إليها، فيبرها.

فلما كانت المرة الثالثة، وعاد معاوية يلح فى الظفر بشرف الجهاد كرّر النبى الكريم ﷺ سؤاله: احيّة امك؟ قال: نعم... فما كان منه ﷺ إلاّ أن قال: و

يحك! الزم رجلها فثمّ الجنة! وفي رواية: «فالزمها فان الجنة تحت قدميها»

وان الانسانية لتصغي اليوم، وغداً إلى قول رسول الله الاعظم ﷺ: «اني لاقوم في الصلاة اريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على امه» فلا يغيب عنها أن تلمح طيف آمنة بنت وهب ملء ذلك القلب الكبير الذي ينبض بأسمى ماتعرف البشرية من عاطفة البر بالامومة وتكريمها... وأيّ مطمح للبشرية إذ تتسامى بالام واهبة الحياة وراء الذي يقال من حديث إبن آمنة محمد المصطفى بشراً سوياً: «لو كنت أدركت والديّ أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء، وقد قرأت فاتحة الكتاب تنادي: يامحمد لاجبتها: لبيك.»



يتيم عبدالله في كفالة جده وامه

وكلهم في حماية الله تعالى

في عيون الاخبار: باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام: لم اوتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أبويه؟ قال: لئلا يجب عليه حق لمخلوق.

وفي أرجح الروايات ان محمداً ابن عبدالله بن عبدالمطلب توفي، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حمل في بطن امه آمنة بنت وهب، فلما ولد صلى الله عليه وآله وسلم عطف الله جل وعلا عليه قلب جده عبدالمطلب فمازال يكله خير كفالة، ثم توفيت امه آمنة، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم من العمر ست سنين على الاشهر، وقيل: ماتت امه وهو ابن سنتين، وقد كان محمد اليتيم في كفالة جده عبدالمطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب بوصيه من عبدالمطلب.

فلم يزل يحوطه وينصره يرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن بعثه الله تعالى رسولاً للعالمين على رأس أربعين سنة من عمره حتى توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله عزوجل الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله تعالى سننه على الوجه الاتم الاكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، وكل هذا من حفظ الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم وكلائته وعنايته به.

ولو تدبر القارىء أو المستمع المنصف في رعاية الله جل وعلا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم

وحياطته بحفظه وحسن تنشئته لوجد من ذلك العجب، فلقد كان اليتيم وحده مدعاة إلى المضيعة وفساد الخلق لقلة من يحفل باليتيم، ويحرص عليه وكان في خلق أهل مكة وعاداتهم مافيه الكفاية في إضلاله لو أنه سار سيرتهم، ولكن عناية الله عزوجل كانت ترعاه وتمنعه السير على نهجهم، فكان الوفي الذي لايمين، والامين الذي لايخون والصادق الذي لايكذب والطاهر الذي لم يدنس برجس الجاهلية...

ومن نصره صلى الله عليه وآله وسلم وحماه وأكرم مقامه ومثواه وأرضى الله تعالى في خدمة إبن أخيه وأرضاه ونفاه الاهل والعشيرة من أجله، وضحى بالسيادة والقيادة في سبيله فمحال أن ينسى الله عزوجل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه التضحية والفضيلة لابي طالب عليه السلام.

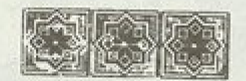
وقد كان أبو طالب عليه السلام هو الذي يلي أمر محمد اليتيم صلى الله عليه وآله وسلم بعد جده فكان معه وأحسن فيه ما أحسن، وكان شديد العناية بأمره إلى أن بعثه الله تعالى، وكان أبو طالب عليه السلام يرى من محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صغره مالم يره من صغير، وانه قال يوماً لاخيه: العباس بن عبدالمطلب: ألا اخبرك عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما رأيت منه ؟ فقال: بلى، قال: إني ضممته إليّ فكنت لا افارقه ساعة من ليل ولا نهار ولم ائتمن عليه أحداً حتى اني كنت انومه في فراشي فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي، فرأيت الكراهية في وجهه وكره أن يخالفني، فقال: يا عماه اصرف وجهك عني، حتى أخلع ثيابي، إني لا احب أن تنظر إلى جسدي. فتعجبت من قوله، وصرفت بصري حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش إذا بيني وبينه ثوب، والله ما ادخلته في فراشي فاذا هو في غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك.

فجهدت لانظر في جسده فما كنت ارى شيئاً، وكثيراً ما كنت افقده من فراشي فاذا قمت لاطلبه، ناداني! ها انا يا عمّ فارجع وكنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يعجبني وذلك عند مامضى بعض الليل، ولم ارمنه كذبة ولاضحكاً ولاجاهلية ولا وقف مع الصبيان، وهم يلعبون، وهذا العمري غيض من فيض:

في المهد يعرب عن سعادة جده   أثر النجابة ساطع البرهان

وبالجملة ان الله عز وجل قد حماه صلى الله عليه وآله وسلم في عهد يتمه، حيث كان اليتيم معرضاً للارهاق والقهر والضياع، إذ قال: «ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالا فهدى» الضحى: ٦-٧) فجعل له مأوى أميناً ذا عناية خاصة به صلى الله عليه وآله وسلم.

وان الروايات المتواترة تصرح بأنه كان له صلى الله عليه وآله وسلم من جده عبدالمطلب اولا، ومن عمه ابي طالب عليه السلام بعده من البر والرافة والحماية والعناية الخاصة في طفولته وشبابه ثم من عمه بعد بعثته من النصر والعطف ما ضمن له النشأة الصالحة ثم الحرية و المتعة: «ووجدك عائلا فأغنى» الضحى: ٨)



﴿نشوة اليتيم منذ طفولته الى بعثته﴾

ان الله عزوجل أشار إلى ثلاث ظروف كان عليها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاث آيات: (٦ و٧ و٨) من سورة الضحى إذ قال: «ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلا فأغنى»

أحدها - نشأته الشخصية.

ثانيها - نشأته الروحية.

ثالثها - حاله الاقتصادية منذ طفولته إلى أن أكرمه بالرسالة الالهية والدعوة النبوية العالمية.

فأشار فيها إلى يتمه صلى الله عليه وآله وسلم في عهد طفولته بقوله تعالى: «ألم يجدك يتيماً فآوى» وإلى حيرته الروحية في الاتجاه الذي يتجه إليه في دينه وعبادته ومبادئه بقوله عزوجل: «ووجدك ضالاً فهدى» فنقّى نفسه ووجّهه إلى سبيل الهدى القويم. فأنقذه من حيرته وكانت حيرته إزاء ما عليه قومه من تقاليد عمياء وطقوس وأخلاق وعادات دنيئة وعقائد سخيفة في موقف المنقبض المتشكك منذ عهد شبابه، وكان في مثل هذا الموقف إزاء ما كان عليه أهل الكتاب من اليهود المدسوسة، والنصارى المتحرفة من إختلاف ونزاع وشذوذ...

ولا سيما حينما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمع اليهود تقول: «ليست النصارى على شيء» ويسمع النصارى تقول: «ليست اليهود على شيء» ويرى الخلاف والنزاع و

النزوة تشتدّ بينهم إلى درجة الاقتتال كما أشار الله جل وعلا إلى ذلك في قوله عز وجل: «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» البقرة: ١١٣)

وقال: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر» البقرة: ٢٥٣)

ولا يخفى ان من سنن الله جل وعلا ترتب القتال وتعقبه على الاختلاف، فما لم يختلفوا فما شاء الله تعالى عليهم القتال كالسقوط من السطح وتعقب الموت عليه.

فيذكر الله تعالى أمراً واقعاً قبل نزول الآيات ممتداً إلى ما قبل البعثة، فكانت تلك الاختلافات في العقائد والاقوال والاعمال تعتلج في نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم و الافكار في صواب مايرى ويسلم نفسه إلى التفكير في عظمة الكون وفي آلائه و الاعتكافات الروحية، فلم يلبث أن صفت نفسه وشع في قلبه نور الحقيقة الالهية العظمى، واهتدى إليها بوحي الله عزوجل عليه، فجعلها الهدف الذي يستهدفه و الاتجاه الذي يتجه إليه.

وقد كان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة على حدود ملة إبراهيم عليه السلام و يسير في سبيلها عن يقين، ثم كان له من صفاء النفس و ذكاء العقل وقوة العقل وعظيم الخلق وعميق الاستغراق ما جعل يمتاز على جميع أهل زمانه و كان فريداً بينهم و درّة يتيمة فيهم، وقد كان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصطفى الله عزوجل من بينهم و كان معروفاً بالامانة والصدق والطهارة والصفاء فأتم الله جل وعلا ايمانه وأنار بصيرته وأنقذه من حيرته في قومه تارة، وإلى كافة البشر تارة اخرى، و اختصه الله تعالى بالرسالة وانتدبه للمهمة العظمى التي أوحى إليها.

«يا أيها المدثرقم فأنذر» المدثر: ١-٢)

وقال: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع الكافرين و المنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا» الاحزاب: ٤٥-٤٨)

ولقدنصت الآيات الكريمة على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى عهد رسالته لم يكن من أمرنبوته ومهمته شيئاً، ولم يكن يرجوأن ينزل عليه كتاب لقوله تعالى: «وما كنت ترجوأن تلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك» القصص: ٨٦)

وقال: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢)

وقال: «قل لوشاءالله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس: ١٦)

فكان دورمحمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ شبابه إلى الكمال نضجه ونزول الوحى إليه دور إستعداد وتأهل روحى وهو الدور الذى يمكن أن يطلق عليه دور الحيرة عنته الآية الكريمة: «ووجدك ضالاً فهدى» ولم تعن من كلمة «ضالاً» السير فى سبيل الضلالة والشرك والتقاليد الجاهلية العمياء والوثنية التى كان عليها العرب، وان كلمة «فهدى» لم تعن ان الله تعالى قد أخرجه من هذا النطاق بعد أن ارتكس فيه، وإنما عنت من كلمة «ضالاً» ماكان فى نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حيرة وتململ وتوقان إلى ساحل اليقين على ماكان عليه، وخلاف ماكان عليه العرب، وعنت من كلمة «فهدى» ما كان من اليقين الذى وصل إليه، فاطمأنت به نفسه كما يمكن ان نستفيد مما ذكرناه من قوله عزوجل:

«قل اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك

له وبذلك امرت وانا اول المسلمين» الانعام: ١٦١-١٦٣)

فكان محمد رسول الله ﷺ على ملة إبراهيم والاهتداء إليها وإتباعها بوجه خاص.

وأشار جل وعلا إلى فقر محمد ﷺ في عهد فتوته وشبابه في قوله عزوجل: «ووجدك عائلاً فأغنى» فيسّر له في عهد شبابه من بسطة العيش واليسر ما جعله في غنى عن التكسب وفي راحة من عناء العيش وهمها، وقد وردت روايات كثيرة بأن حاله ﷺ الاقتصادية قد تحسنت وانتهى ما كان يعانيه من متاعب العيش بزواجه من خديجة الشريفة في قومها الغنية في مالها القوية في خلقها وعقلها و روحها المتنعمة في معيشتها، وكان من أثر ذلك ان اطمأنت نفسه وأخذ يفرغ قلبه و ذهنه لما كانت نفسه مستعدة له من الاستغراق في آلاءِ الله عزوجل ومظاهر الكون والتفكير فيما عليه قومه من ضلال في التقاليد والعقائد، وتمكن من القيام باعتكافات روحية، وكانت خديجة تشجعه عليها، و تهيّىء له مايحتاج إليه فيها، و كان محمد ﷺ هو مظهر إختصاص الله تعالى إياه بالرسالة العظمى حينما بلغ أشده واستوى.

ولقد كانت خديجة عطوفة عليه ﷺ بارّة ومن أقوى المشجعين المثبتين له الذابين عنه المصدقين به لما أدركت بفراستها القابلية العظمى التي تميز بها و الاستعداد الروحي الذي ظهرت آثاره على رسول الله الاعظم ﷺ والاخلاق و الكريمة التي تحلى بها، من هنا تيقنت صدق محمد ﷺ إذ اخبرها بأمر الوحي فآمنت بلا توقف، وكانت تنفي ما طاف في ذهنه ﷺ من خوف وهتف بتلك الكلمات المأثورة: «كلا ان الله لن يخزيك فانك تفعل المعروف وتقرى الضيف و تحمل الكل وتعين على نواهب الدهر»

وقد كان محمد رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء قبل البعثة بثلاث سنين وكان تعبد شهراً من كل سنة وهو شهر رمضان يذهب فيه إلى غار حراء وهو نحو

ميلين من مكة ويقيم فيه هذا الشهر ويقضي وقته في العبادة والتفكر فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وكان إختياره ﷺ لهذا العزلة طرفاً من تدبير الله تعالى له ليعده لما ينتظره الله عز وجل من الامر العظيم.

فكان محمد ﷺ يخلو إلى نفسه ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ويفرغ لموحيات الكون ودلائل الابداع وتسبح روحه مع روح الوجود في هذه العزلة اذ لابد لأيّ روح يراد لها أن تؤثر في الواقع الحياة البشرية، فتحولها وجهة اخرى لابد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وإنقطاع عن شواغل الارض وضجّة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة فلابد لهذه الروح من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة ... ولاريب في أن الاستغراق في الحياة المادية يجعل النفس تألفها وتأنسها. فلاتحاول تغييره وأما الانخلاع منها فترة، والانعزال عنها يؤهل الروح الكبيرة لرؤية ماهو أكبر بافاضة خالقها، فهكذا دبّر الله عز وجل لرسوله الخاتم محمد ﷺ.

والله جل وعلا يعد محمداً ﷺ لحمل الامانة الكبرى وتغيير وجه الارض وتغيير الجو الخانق وجوّ الشرك والضلالة، والاثم والمعصية... وتعديل خط التاريخ، دبّر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنين، فكان محمد ﷺ متفكراً حائراً في أمر قومه تارة، وفي أمر أهل الكتاب تارة اخرى وفي أمر البشرية ثالثة ... حتى أفاض الله عز وجل عليه ﷺ من رحمته منصب الرسالة فجاءه جبرئيل عليه السلام فأمر بقراءة مالم يقرءه بعد إذ قال: «إقرأ باسم ربك الذي خلق...» فاظهر آثار الفيض الالهي على وجوده لتمهد نفسه لافاضة رحمته تعالى على أهل الارض.

فآمنت به عليها السلام خديجة وصدّقت بما جاءه من الله جل وعلا ووازرته على أمره فخفّف الله تعالى بذلك عن نبيه ﷺ لايسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلاّ فرّج الله تعالى عنه بها إذا رجع إليها تثبّته وتخفّف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس.

في السيرة النبوية لابن هشام: « ان جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إقرأ خديجة عليها السلام من ربها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا خديجة هذا جبرئيل يقرئك السلام من ربك ، فقالت : خديجة: الله السلام، ومنه السلام ، و على جبرئيل السلام ثم فتر الوحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترة من ذلك حتى شقّ ذلك عليه، فأحزنه، فجاءه جبرئيل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه ما ودّعه وماقلاه، فقال تعالى: «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك و ما قلى » يقول : ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك : « و للآخرة خير لك من الاولى» أي لما عندي من مرجعك إليّ خير لك مما عجّلت لك من الكرامة في الدنيا: « ولسوف يعطيك ربك فترضى» من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة...»

وبالجملة كانت نفس محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق النفوس المتعارفة، وما تجمعت فيه من الاخلاق المثالية فوق الاخلاق العادية ، ولاتودع السفارة الالهية نفوساً لها من الثراء والمال والجاه والمكانة شيء مرموق لان هذه الامور لاتمتّ إلى النفس بصلة، وإنما النبوة قضية نفسية بحتة كما أن الايمان لايلج نفوساً لها شيء من المكانة والاعتبارات الدنيوية فحسب، بل تدخل نفوساً شاكرة لله نفوساً لها من الصفاء والجلاء مايجعلها لائقة لقبول الحق، وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم مشهوراً بين قومه بأمانته وصدقه، وطهارة نفسه و كمال العفة، وكان متحلياً بمكارم الاخلاق على عكس غيره من الناس كافة.

وقد كانت حياة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياة مثالية نموذجية، إذ لقبه قومه بالامين والصدق والعفة، ولذلك لم يجد قومه عند ما اشتدّ الخصام بينهم وبينه شيئاً يمسّ شرفه أو يطعن في أمانته وصدقه وعفته مع أنهم كانوا حريصين على النيل منه في هذه الناحية، وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شبابه طبع بالهدوء والدعة و الطهر والابتعاد عن المعاصي التي كانت قريش تعرف بها، وقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فى طفولته وشبابه إلى بعثته فريداً بين قومه فى العقيدة، ووحيداً فى العمل، ومتفكراً فيما يرى من قومه، ومن أهل الكتاب ومن الناس على ماهم عليه من سخيف العقائد، ودنيئة الاخلاق، وشنيعة الاعمال...

فكانت نفس محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقة بالحق قبل البعثة لا تفتر عن التوجه إلى الله تعالى ومناجاته طرفة عين أبداً.

وفى الطبقات: «كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة أفضل قومه مروّة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والاذى، وما روّى ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتى سمّاه قومه الامين»

نعم: ان صفات الكمال لا تصدر إلاّ عن نفسه القدسية وروح ملكوتية قد تخلصت من قيود الاهواء، وتحررت من عبودية الشهوة وحب الصيت واستمدّت من النور الالهى والهداية الصمدانية، يجب أن تكون نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالغة من القدسية درجة يتحمل معها الوحى ويقوى على الاتصال بالمبدإ الاعلى.

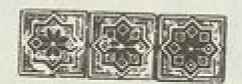
وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «إختاره صلى الله عليه وآله وسلم من شجرة الانبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، و سرّة البطحاء، ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة»

وفيه: قال الامام عليه السلام: «طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وآذان صمّ والسنة بكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»

وفيه: قال عليه السلام: «لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم فى ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية، قد انجابت السرائر لاهل البصائر، ووضحت محجّة الحق لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسّمها، مالى أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً

بلاصلاح، وتجاراً بلا أرباح، وايقاظاً نوّماً، وشهوداً غيّباً، وناظرة عمياء، وسامعة صمّاء، وناطقة بكماء»

وبالجملة فقد كانت خديجة من أعظم نساء قريش فضلاً وأكثرهن مالاً ، وأوضحهن نسباً، وكان لمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شرف بيتها وثروتها خير معين قبل البعثة وبعدها. وقد شبّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على كرم الخلق، وعزّة النفس، وشدّة الغيرة على قومه حتى كان لا يطيق أن يراهم على ضلال، وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم متين الاعتقاد بوجود الله عزوجل ووحدانيته، وبالبعث والخلود، وكان تقياً ورعاً محباً للزهد والنسك، وكثيراً ما كان يذهب إلى غار حراء للعبادة وبقي حتّى بعثه الله جل وعلا رسولاً هادياً، وقد مضى من عمره أربعون سنة.



«اوضاع العربية الجاهلية قبل البعثة»

وقدظهر من قريش من فرع هاشم بن عبدالمناف ، محمد بن عبدالله بن عبد-المطلب: النبي الكريم ﷺ في أوائل القرن السابع للمسيح ونادى بالاسلام و كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، نادى بترك الاستكبار والشرك والاختلاف ، نادى بالا خوة والامانة والصدق، ونادى بترك العداوة والخيانة والكذب ... فانتشرت دعوته في الجزيرة كلها ثم في الشرق بسرعة لامثيل لها في تاريخ الأديان نظراً لكثرة الأ-سباب الملائمة في واقعها لانتشارها .

و كانت بلاد الشام ومصر في ذلك العهد بيد المملكة البيزنتية التي عرفت عند العرب بمملكة «الروم» وعليها ملك يدعى هرقل، و كان العراق واليمن بيد مملكة «الفرس» يعرف اليوم بايران ، وعليها كسرى أنوشيروان ، و كانت المملكتان تتطاحنان في الحروب وتئنان من الثورات الداخلية، وفراغ خزينتيهما من النقود وقدافتتح جيش كسرى من بلاد الروم مدينة الرها - وهي مدينة في / ١٩٠ كيلو-مترا في الشمال الشرقي من الحلب - سنة ٦١١ م واستولى على دمشق سنة ٦١٣ م و على أورشليم سنة ٦١٤م وغنم منها نفائس لاتثمن، وفي جملتها خشبة الصليب ثم زحف على مصر سنة ٦١٧ م فافتتح الاسكندرية .

و كان جيش آخر للفرس يجتاح آسيا الصغيرى حيث بلغ خلقدونية، فاختلها و لم يبق بينه و بين العاصمة سوى البوسفور فهب هرقل إذذاك من رقادة و استعد

للحرب وجرّد جيوشه واسترد من الفرس هذه المدن كلها و خشبة الصليب ،و قام الاسلام فى جزيرة العرب ، و الحرب دائرة بين المملكتين الامبراطوريتين العظيمتين ، ولم تنته إلا سنة / ٦٣٨م و كانت المملكتان فى ذلك الوقت تتنافسان فى بسط نفوذهما على بلاد العرب لما كان لهذه البلاد من الشأن الخطير لحاصلاتهما من الذهب وأنواع العطور ، ولما لموقعها الجغرافى و الحربى من الأهمية إذ كانت فى ذلك العهد طريق الهند .

و كان الروم بعد إخفاق حملتهم على بلاد العرب بقيادة « اليوس غالوس » سنة ١٨ قبل الميلاد فى عهد « أوغسطوس » قيصر قد عدلوا عن فتح البلاد عنوة ، وعولوا على الفتح السلمى، واختاروا لمعاونتهم على ذلك ملوك غسان ، فناطوا بهم مراقبة حدود بلاد العرب من جهة سوريا و فلسطين والسعى فى بسط نفوذهم فى البلاد العربية، واتبع الفرس من جانبهم مثل هذه السياسة واعتمدوا على المناذرة ملوك الحيرة وناطوا بهم مقاومة نفوذ الروم ، ورفع شأن الفرس فى بلاد العرب ، و كانت ديانة مملكة الروم النصرانية وديانة مملكة الفرس المجوسية أو تقديس مذهب زردشت، وكان المجوس يناوئون النصارى ويعضدهم اليهود .

وقد انقسم النصارى بطوائف شتى :

١- يعاقبة . ٢- نساطرة. ٣- اريوسيسين . ٤- ارثوذكس . و غيرهم .

وقد انقسم اليهود إلى طوائف ثلاث :

١- ربانيون . ٢- قرائيون. ٣- سامريون .

و كانت العرب فى جزيرتهم يتخبطون فى عبادة الكواكب و الأصنام على هيئات متنوعة وأشكال مختلفة، وقد دخلت الجزيرة اليهودية والنصرانية من الشام والمجوسية من العراق .

و كان من العرب من اعترف بالخالق وأنكر البعث، ومنهم من يشرك بالله سبحانه فى تدبير العالم و فى العبادة ، ومنهم من أنكر الخالق والبعث ويقول بالطبع

المحيي والدهر المفني، ومنهم من أنكر الرسالة البشرية، ومن العجب انهم ينكرون الرسالة للبشر و يعترفون الالوهية للمحجر، وما إليهامن سخائف العقيدة والافكار الساقطة ...

و كلهم يقولون بالبخت والجن و اشتغلوا بالتنجيم والسحر وتفسير الأحلام، ومن العجيب انطوائف منهم ينكرون وراء المادة و يعترفون بالبخت و الجن و السحر وتفسير الاحلام، فلامراء انهم والشيوعية رضيعتان من لبن واحد باعتبار فانها تنكر وراء المادة و تستمد من أرواح قائدها .

كانت العرب الجاهلية قبل البعثة المحمدية ﷺ في ضلالـة و شتات من السبل ، كانت في إختلاف و إستكبار وعناد ولجاج ، وعلى شفا حفرة من النار ، و كانت حيارى في فلوات حب الشهوات والنزوات ، و سكارى من نشوات الجهل و الهفوات ، فتعبد الاصنام ، و تخضع لدى الاوثان و الهياكل المنحوتة من الأ- خشاب والاحجار ...

و تنهمك في الظلمات ، و تقسو على الآباء و الأولاد ، وتشيع الفواحش و تقتل النفس بغير حق ، و تهضم حقوق الأيتام خاصة و الناس عامـة ، وتخون في التجارات والمعاملات ، وتخلف بالعهد و تبعد عن الاتحاد و تسعى في الافتـراق و الانحطاط ، وتعكف على الخمر والميسر و الأنصاب والأزلام ، وتخر في سجود اللات والعزى و تصر في كفران النعم ، و تغمس في ثياب الاعجاب ، وتـستكبر عن إستماع الخطاب، وتبعد عن طريق الصدق والصواب ، ولا ترحم على بضعتها فضلاً عن أبناء الناس وبناتهم ...

فيوم ذاك أرسل الله عز و جل محمداً رسولاً ﷺ إلى الناس ليزكي نفو سهم عن أرجاس الشرك و الطغيان ، و الضلالة و العصيان ، و عن أدنـاس الاثم و الفجور ، و العداوة و اللجاج . . . و ينهاهم عما فيه فساد نفوسهـم و خيبتها ، و يخرجهم من الظلمات والضلالة إلى النور والهدى ، من الشرك و الاختلاف إلى

كلمة التوحيد و توحيد الكلمة، من القسوة و المعصية إلى الترحم و الطاعة ، من الظلم و الخيانة إلى العدل و الأمانة، من الاجحاف و الغلظة إلى الاحسان و الرأفة، من تخلف العهد و الافتراق إلى الوفاء بالعهد و الاعتصام بحبل الله عز و جل ، و من الانحطاط إلى الرقى و التقدم ...

قال الله عز و جل : « هو الذى بعث فى الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين» الجمعة : ٢)

و قال: « رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » الطلاق: ١١)

و قال :«قل تعالوا اتل ماحرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و لا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم و إياهم و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و لا تقتلوا النفس التى حرم الله إلاّ بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون، و لا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدّه و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلاّ وسعها و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى و بعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون و ان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥١ـ ١٥٣)

و قال: « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » آل عمران : ١٠٣)

و قال : « و لا تكونوا كالذين تفرّقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات و اولئك لهم عذاب عظيم» آل عمران : ١٠٥)

وقال: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» المائدة: ٩٠-٩١)

ان الله جل وعلا بعث رسوله الأعظم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حين تراكم الأهواء الباطلة، وتصادم الآراء العاطلة، والناس هائمون في معتكر الضلال في ظلام الليل لا يعرفون ملة ولا يهتدون إلى نحلة ولا سير لهم إلى مراتع الحق ولا رحلة، فأقام الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وآله وسلم الملّة العوجاء، وهداهم بإيضاح الحق إلى السنن الغراء، فأوضح للملّة المنحطة منارها وأعلم آثارها، وأسّس لهم قواعد الدين، ومهّد لهم سبيل الرقي والتقدم ...

وقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقصد الأسواق العامة ومواسم الحج، ويدعو القبائل جهاداً إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، إلى دين الحق والفطرة البشرية، إلى الصلاح والفلاح، إلى العزة والسيادة، إلى الجنة ونعيمها، وإلى ترك عبادة الأصنام والكواكب والهياكل المنحوتة والمصنوعة... وقد حرّم الخمر والميسر والربا وأكل الأموال بالباطل، وهضم حقوق الناس، وأكل القويّ الضعيف، وإستحمار ذي الثراة الفقراء، وإستحماق الرؤساء المرؤوسين، ووأد البنات، وكل ما كانت تدين به عرب الجاهلية من المفاسد والعقائد والأوهام والأباطيل ...

في الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس! ان الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل إليه الكتاب بالحق، وأنتم اميّون عن الكتاب، ومن أنزله وعن الرسول ومن أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وإنبساط من الجهل، وإعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم، وعمى عن الحق وإعتساف من الجود و

إمتحاق من الدين، وتلظى من الحروب على حين إصفرار من رياض جنات الدنيا، و يبس من أغصانها، وإنتثار من ورقها ، ويأس من ثمرها واغورار من مائها ، فقد درست أعلام الهدى ، فظهرت أعلام الردى .

فالدنيا متهجّمة في وجوه أهلها مكفهرة مدبرة غير مقبلة ثمرتها الفتنة ، و طعامها الجيفة، وشعارها الخوف ، ودثارها السيف ، مزّقتم كل ممزّق، وقد أعمت عيون أهلها ، و أظلمت عليها أيامها ، قد قطعوا أرحامكم ، و سفكوا دمائهم ، و دفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم ، يجتازدونهم طيب العيش ، و رفاهيّة خفوض الدنيا ، لايرجون من الله ثواباً ، و لايخافون و الله منه عقاباً حيّهم أعمى نجس ، و ميتهم في النار مبلس ، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى و تصديق الذي بين يديه ، و تفصيل الحلال من ريب الحرام ، ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم اخبركم عنه ان فيه علم مامضى ، و علم مايأتي إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون ، فلوسئلتموني عنه لعلّمتكم » .

قوله عليه السلام : « هجمة » : غفلة، و«المبرم» : المحكم، و أشار بانتقاضه إلى زوال ما كان الناس عليه قبلهم من نظام أحوالهم بسبب الشرائع السابقة ، و « إعتساف» : أخذ على طريق الباطل، و«امتحاق » : بطلان ، و« تلظى » : إشتعال النار، و« إغورار » : ذهاب الماء في باطن الارض، و«متهجمة» : الدخول بغتة ، و «مكفهرة» :قليل الحياء .

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفّى به الرسل ،وختم به الوحي ، فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به»

وفيه: قال الامام على عليه السلام : « ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة

خشن وحيات صم تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»

وفي شرح النهج :لابن أبي الحديد : قال عبدالله بن العباس : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ماقيمة هذا النعل ؟ فقلت: لاقيمة لها فقال عليه السلام : والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن اقيم حقاً أو أدفع باطلاً ثم خرج، فخطب الناس فقال:« ان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم، واطمأنّت صفاتهم ... »

أقول: هذه من خطبة له عليه السلام عند مسيره لقتال أهل البصرة .

فكشف الله جل و علا برسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم طريق الحق ، و أوضح لهم نهج الصدق فأسلم طائفة شوقاً إلى نور الأنوار أوخوفاً من دخول النار ، و استسلم طائفة اخرى رغبة في جاه الرسول المختار صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعوا في ذلك عن راهبيهم من الأخبار كما قال أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « والذي خلق الخلق وبرء النسمة انهم ما أسلموا قط ولكن إستسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه »

وطائفة ثالثة رهبة عن إعتضاد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصاحب ذي الفقار والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، فداموا مجبولين على توشّح النفاق. و ترشّح الشقاق يتبسّم في كل رقت ثغورهم، والله جل و علا يعلم ماتكنّ صدورهم ، وإذ قدتمّ الدليل و كمل الدين واتصل الرباط واتضح السبل ...

قال الله جل وعلا:« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة: ٣)

وقد أمر الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بابلاغ الولاية العلوية التي لاتنفك عن الرسالة السماوية عرضاً بالنسبة إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وطولاً بالنسبة إلى خليفته و

وصيه إذقال: «يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين» المائدة: ٦٧)

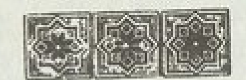
فادير عليهم كأس الولاية، فما شرب منهم إلاّ الطائفة الاولى، فعزم صاحب المجلس على الرحيل، وإذمع على التحويل فاحال الجلاّس فيما بقى من الكأس على الساقي الذى لا يقاس بالناس، وأوفاه في غدير خم من كأس: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» فبخبخ عليه عمر بن الخطاب، وهنّاه و بايعه جلّ من حضر و حيّاه فلما رحل صاحب الكأس، وانتفى أثر تلك الأنفاس خرج الأغيار من الكمين و الرصاد، فضيّعوا وصية الرسول الأمين التى أمره الله تعالى بها فنسوها ونقضوا و نكثوا عهد العزيز.

إذ سقاهم حب الجاه و المقام، حب متاع الدنيا وشهواتها، وحب الرئاسة وعقد اللواء من الهوى، فأعرضوا عن صاحب الولاية وتركوه نسياً منسياً، فصار جديد عهد هم رثاً وشمل بيعتهم هباء منبثاً، فهدموا أركان الدين الاسلامي وأكنافه، وكسروا أضلاع الشريعة المحمدية و قطعوا أكتافها، وهضموا حق أهل بيت الوحى، و منعوا إرث فاطمة الزهراء بضعة رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن تأخذهم فيها رأفة ولا رحمة، فلم يزل كانوا بآيات الله تعالى يمترون نبذوا الحق وراء هم فاشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون.

فمهّدوا طريق القتال والمحاربة على مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بعد فنائهم، وفتحوا أبواب الحيل لمعاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية والنيران فى تبديل الحق بصورة الباطل، والخلافة الالهية والولاية العلوية بصورة الحكومة الجائرة والامارة المستبدة إلى أن إنتهى إلى قتل سيد الأحرار والشهداء الحسين بن على عليهما السلام وأصحابه بكربلاء إذ لولا تلك الذبذبة بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لما كان أحد قادراً على قتل وصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقتل سبطيه، والمحاربة على أهل بيته، وتسجينهم وتبعيدهم قطّ، ولم يكن الاسلام والمسلمين من الانحطاط

والتأخر كمانرا هما اليوم .

فتدبر أيها القارىء السنّي المتدبر فى أول الأمر وآخره ثم اقض ما أنت قاض، والله وبالله وتالله جل وعلا ليس لى فى هذا التفسير إلا بيان الحق وإحقاقه، عسى الله عز وجل أن يهدينا وإياكم إلى صراط مستقيم بحق محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿اوضاع البشرية قبل البعثة﴾

ان الله عز وجل أشار في القرآن الكريم بمواضع عديدة إلى مظاهر الشرك و الاستكبار، مظاهر الكفر والاستبداد، مظاهر الشقاق والطغيان ، مظاهر الجور و العصيان، وإلى مظاهر الفساد والانحطاط التي أحاطت الجزيرة العربية وأهل الكتاب خاصة، والبشرية عامة، فنشير إلى بعض ما نزل من الايات الكريمة في أهل الكتاب قبل البعثة المحمدية وبعدها ثم إلى ماكانت عليه الاوضاع البشرية...

ان أهل الكتاب كانوا يضيعون الصلاة ويتركون الطاعات، ويتبعون الشهوات ويأكل الرهبان والاحبار أموال الناس بالباطل، ويصدّون الناس عن سبيل الحق والهدى، ويخفون مافي كتبهم ويكتمون الحق، ويفترون على الله سبحانه ، و يكفرون بالله تعالى ، فخانوا و هم رؤساء أهل الكتاب ودعاتهم وقائدوهم ، فاختلفوا بعد البينة، وافترقوا بعد الحجة البالغة كما هودأ بهم بغياً بينهم و بغضاً وعداوة على الحق وأهله، وكانوا يسعون في ردّ المؤمنين عن دينهم، و إرجاعهم إلى الكفر كماهم عليه اليوم، و كانوا يغلون في الدين، وينسبون إلى إبراهيم و موسى وعيسى ومريم وغيرهم ماهم برءاء منه، وإلى الله سبحانه وهومنزه عنه.

قال الله عز وجل: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً» مريم: ٥٩)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله» التوبة: ٣٤)

وقال: «قل يا أيها الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون» آل عمران: ٩٩)

وقال: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب» المائدة: ١٥)

وقال: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» البقرة: ١٤٦)

وقال: «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» آل عمران: ٧١)

وقال: «وان منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الكذب و هم يعلمون» آل عمران: ٧٨)

وقال: «يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون» آل عمران: ٧٠)

وقال: «ان هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون» النمل: ٧٦)

وقال: «ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم وما يضلّون إلاّ انفسهم وما يشعرون» آل عمران: ٦٩)

وقال: «يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله و رسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد» النساء: ١٧١)

وقال: «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء - لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم - لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة - يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق و

لاتتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل» المائدة: ٦٤، ٧٢، ٧٣، ٧٧)

وقال: «وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله» التوبة: ٣٠)

ثم يطرد كل من اليهود والنصارى الآخر مع إنحراف كلتا الطائفتين عن طريق الحق والهدى:

قال الله جل وعلا: «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» البقرة: ١١٢)

وقال: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما انزلت التوراة و الانجيل إلاّ بعده أفلا تعقلون» آل عمران: ٦٤-٦٥)

وقال: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» آل عمران: ٦٧)

وغيرها من الايات القرآنية النازلة في أهل الكتاب قبل البعثة و بعدها على ما كانوا عليه من الشرك والطغيان، والكفر والعصيان، والضلالة والكتمان، والانحطاط والشقاق...

فلم تكن قبل البعثة على وجه الارض امة صالحة لعقيدة، وصالح العمل، ولم يكن مجتمع ولا اسرة على أساس مكارم الاخلاق والفضيلة، ولا حكومة قائمة على أساس العدل والانصاف، على الترحم والاحسان، وعلى توحيد الكلمة و كلمة التوحيد، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الانبياء عليهم السلام

إذ كانت الديانات العظيمة ضريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المجرمين و المنافقين حتى فقدت روحها، ومسخت شكلها، فلو بعث أصحابها الاولون لم يعرفوها

وكانوا يبرئونها، وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال، وسوء النظام وعسف الحكام وشغلت بنفسها لاتحمل للعالم رسالة وللامم دعوة، وأفلست في معنوياتها، ونضب معين حياتها لاتملك مشرعاً صافياً من الدين السماوى، ولانظاماً ثابتاً من الحكم البشرى.

وقد كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام من أحط أدوار التاريخ البشرى بلاامراء، وقد كانت الانسانية متدلية منحدرة منذ قرون، وما على وجه الارض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردى، بل تزيد الايام سرعة فى هبوطها وشدة فى اسفافها، وكان الانسان فى هذا القرآن قد نسى خالقه، ونسى نفسه، ونسى مصيره وفقد رشده، وفقد قوة التمييز بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين السعادة والشقاء، بين الحسن والقبح، بين الصلاح والفساد، بين الفلاح والخسران، وبين النور والظلمة... وقد خفتت دعوة الانبياء عليهم السلام من زمن، والمصابيح التى أوقدوها قد انطفأت من العواصف التى هبت بعدهم أوبقيت، ونورها ضعيف ضئيل لاينير إلاّ بعض القلوب فضلاً عن البيوت فضلاً عن البلاد، وفضلاً عن البشرية والعالم.

وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة، ولاذوا بالاديرة والكنائس والخلوات فراراً بدينهم من الفتن، وضناً بأنفسهم أورغبة إلى الدعة والسكون، وفراراً من تكاليف الحياة وجدّها، أوفشلاً فى كفاح الدين والسياسة والروح والمادة، ومن بقى منهم فى تيار الحياة إصطلح مع الملوك والمترفين، وكانوا يتعاونون على إثمهم وعدوانهم وأكل أموال الناس بالباطل. فلقد كانت الارض فى حاجة ماسة إلى رسالة جديدة، إذ عمّ الفساد: فساد العقيدة وفساد العمل أرجاء الارض كلها بحيث لا ترجى لها صلاح إلاّ برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة.

ولقد كان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعاً سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرّفوها، أوالمشركون فى الجزيرة العربية

وفي خارجها سواء...

ومن ثم إقتضت رحمة الله تعالى الواسعة بالبشرية إرسال رسول من عنده رحمة لهم: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» الانبياء: ١٠٧)

كان رحمة لهم إذ كانت عامة الناس يوم ذاك منتظرة غير منفكة بمجيىء رسول إلهي، بمجيىء مصلح سماوي يصلح عقائدهم و أقوالهم، يصلح أعمالهم و بيئاتهم، و يصلح مجتمعهم و دنياهم و يصلح آخرتهم وعقباهم، و من ثم جائت الرساله المحمدية في إبانها، وجاء هذا الرسول في وقته، جاء بكتاب لاتصلح الارض وأهلها إلا به، ولاتتحول الأوهام والأباطيل والشرو الفساد إلا بعثة هذا الرسول وبمجيىء هذا الكتاب.

فهم كانوا جميعهم بل البشرية كلها يومئذ على كلمة واحدة وهي مجيىء المنقذ الهادي، مجيىء المصلح الحق، ومجيىء القانون الالهي، يحكم على البشرية و يصلحها، فحينئذ أرسل الله عزوجل رسوله محمداً (ص) وأتاه بكتاب إذ قال: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة» البينة: ١-٣)

ولما جاءهم الرسول المصلح المنقذ الناجي مع كونهم منتظرين إليه، و إن كانوا متشتتين ومختلفين فيما سوى ذلك فقد انقسموا شعباً و تحزّبوا أحزاباً، و تطوّفوا بطوائف جاء الرسول المنقذ فناداهم: «وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» البينة: ٥)

دعاهم إلى الله تعالى وحده، وإلى عبادته وحده و إلى إخلاص الدين له و إلى عقيدة خالصة وإلى دين واحد وعقيدة واحدة تتوالى بها الرسالات و يتوافى عليها الرسل دين لاغموض فيه ولاتعقيد، عقيدة لاتدعو إلى تفرّق و لاخلاف ولاتشعب ولاشقاق، ثم دعاهم إلى الصلاة التي هي مظهر وحدة العقيدة، ووظيفة فردية، ثم إلى الزكاة التي

هى مظهر الانسانية و وظيفة إجتماعية .

فلم يكن للعرب كيان ولا دور فى الأرض قبل الاسلام كانوا فى اليمن تحت حكم الفرس أو الحبشة ، و كانت دولتهم حين تقوم هناك أحياناً تقوم تحت حماية الفرس و فى الشمال، و كانت الشام تحت حكم الروم إما مباشرة و إما بقيام حكومة عربية تحت حماية الرومان .. ولم ينسج إلاّ قلب الجزيرة من تحكم الأجانب فيه، و لكنه ظل فى حالة بداوة أو فى حالة تفكك لا تجعل منه قوة حقيقية فى ميدان القوى العالمية .

و كان يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل أربعين سنة ، ولكن لم تكن هذه القبائل متفرقة، ولا مجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة ... ولأوّل مرة تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه، وأصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب، قوة جادفة تكتسح الممالك ، وتحطم العروش، وتتوالى قيادة البشرية، بعد أن تزيح القيادات الجاهلية المزيفة الضالة، وهذا تحت راية الاسلام ، وهو الذى هيّأ للعرب هذا الأوّل مرة فى تاريخهم و انسيهم نعرة الجنس وأنساهم عصبية العنصر و ذكّرهم انهم مسلمون ومسلمون فقط، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لمدنى على قروى ... ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

فرفعوا حينئذ راية الاسلام وحدها، وحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها إلى البشرية رحمة وبراً بالبشرية، ولم يحملوا قوميّة ولا عنصرية ولا عصبية، حملوا فكرة سماوية يعلمون الناس لها، لا مذهباً أرضياً يخضعون الناس لسلطانه ، وخرجوا من أرضهم جهاداً فى سبيل الله تعالى وحده .

ولم يخرجوا ليؤسّسوا إمبراطورية عربية ، ويرتعون فى ظلها، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكمهم أنفسهم، إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى وحده كما قال ربعى بن عامر رسول المسلمين فى مجلس يزدجرد: « الله إبتعثنا

لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام»

وبذلك حصل للعرب وجود و قوة و قيادة ، و كانت كل ذلك لله جل و علا و في سبيل الله تعالى وحده، ولقدظلت لهم قوتهم و قيادتهم، مااستقاموا على الطريقة حتى إذا انحرفوا عنها وذكروا عنصريتهم وعصبيتهم ، وتركوا راية الله عز و جل ليرفعوا راية العصبية راية الشخصية، تركوا راية الله جل وعلا تركهم الله تعالى في ظلمات لا يبصرون و الفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب للبشرية، كانت هي راية الاسلام و العقيدة الاسلامية ، وهي التي رفعتهم إلى مكان القيادة، وإذا أرادت البشرية أن تعيش حياة لا نفسها، وأرادت قوة وقيادة، فلابد وأن تترك راية غير الاسلام من رايات الكفر و الضلالة ، و الظلم و الجناية ، و رايات الاستكبار و الغواية ، والاستبداد و المعصية ، و تستظل راية القرآن المجيد كما دعاها إليها الدين الاسلامي .

قال الله عز وجل: « يا أيها الناس قد جاء كم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم» النساء: ١٧٠)

وقال: « قل أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات و الارض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون» الاعراف: ١٥٨)

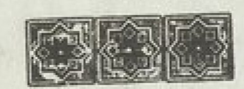
وقال: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» الانبياء: ١٠٧- ١٠٨)

وقال : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» سبأ: ٢٨)

وقال : « يا أهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن

تقولوا ماجائنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير» المائدة: ١٩)

وقال: «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون» التوبة: ٣٣)



محمد اليتيم صلى الله عليه وآله وسلم و تبليغ الرسالة

قال الله عز و جل : « ألم يجدك يتيماً فآوى ـ و أما بنعمة ربك فحدث » الضحى : ٦ - ١١)

ولقد عاش محمد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ملء الحياة فى حساب الانسانية و التاريخ ثم فى قلوب الملايين ممن آمنوا برسالته، وستظل الدنيا أبداً خاشعة أما هذا البشر الرسول الذى لم يكد يهتف هتافه الخالد: «الله أكبر» وهتافه الدائم: «أشهد أن لا إله إلا الله» حتى كان النسر الرومانى يترنح ثم يتمرغ فى التراب لآخر مرة.

وإذاً العرب الحفاة البداة الذين لم يكونوا يخرجون من جزيرتهم إلا لر- حلتى الشتاء و الصيف، يطأون هذا النسر بالأقدام، و يرثون عروش الأكاثرة و تيجان الأباطرة و الفراعنة . ثم يندفعون شرقاً حتى يبلغوا برسالة الاسلام أسوار الصين، وينطلقون بها غرباً حتى يصلوا إلى ساحل المحيط الأطلسى ليشيدوا لدينهم دولة إسلامية فى أسبانيا معقل الكاثولوكية المتعصبة المتحرفة، ثم يغذون السير شمالاً حتى يقرعوا أبواب « فيينا » عاصمة إمبراطورية النمسا ، ذات السلطان فى قلب أوروبا المسيحية .

وستظل العقول أبداً حيرى أمام عظمة هذا الانسان وجلالته ، أمام رحمة هذا البشر ورأفته ، و أمام طهارة نفس هذا الانسان وعظيم خلقه . . . هذا البشر الذى ولدته امه آمنة بنت وهب بشراً سوياً : يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق من غير ضرب ولا طراد كما للحكام الجائرة، والامراء المستبدة، والسلاطين الطاغية،

والملوك الباغية . . .

هذا الانسان الذى يجلس مع الفقراء والمساكين والضعفاء و المحتاجين ،و يذوق مرارة اليتم ولوعة الثكل ويحب ويتزوّج ويلد ويموت شأن كل بشر .

واستطاع هذا البشر الرسول أن يوجّه تاريخ البشرية كلها منذ مطلع القرن السابع الميلادى وأن يقرّر مصاير دول عظمى وشعوب عريقة ، ما كانت لتعرف شيئاً عن شبه الجزيرة القاحلة الجرداء ، أو تحسّ وجوداً لأهلها الذين يتنقلون على الابل بين فيافيها المقفرة وصخورها العارية ...

وهذا « كيتانى » الذى ولد وشب في جوار الفاتيكان وحمى القديس بطرس، يشد رحاله إلى بلاد العرب فى صدر القرن الرابع عشر الهجرى، لعله يكشف هناك عن سرّ خلود ذلك الراعى اليتيم ، و تعلق أتباعه به إلى حدّ لا يعرف التاريخ له مثيلاً ...

وهذا مستشرق آخر، يمسك قلمه ليتسأل فى دهشة وعجب ، عن المعجزة التى جعلت من إبن آمنة القرشية آكلة القديد ، بطل الأبطال كما وصفه « كارليل» رغم كونه النبى الأوحد بين أنبياء العالم ، الذى ولد فى ضوء التاريخ الكامل، ومعجزته كتاب عربى مبين ، سمى بالقرآن المجيد الذى يصرّ على بشرية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ينحّى عنه كل ما حف بابن مريم من جانب النصارى ، وبعزير من جانب اليهود قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قداسة والوهية و كونهما إبنى الله سبحانه .

وهل عرفت الدنيا إبن انثى قبل محمد أو بعده « يغدو سلوكه اليومى – كما يقول هو جارت – سواء فى الامور الخطيرة أو الامور البسيطة ، القانون الذى يرعاه الملايين من أتباعه بكل دقة ، ويقلدونه عن يقين وايمان إلى أيامنا هذه ؟ »

« كلا! ولم يحدث إن اعتبر شخص واحد فى أية طائفة من طوائف الجنس البشرى المثل الكامل للانسان، فقلّدت أفعاله بتمام الدقة كما حدث لمحمد بن عبدالله الذى وضعته آمنة بنت وهب كما تضع كل انثى من البشر» فى فجر يوم من أيام

ربيع بجوار البيت العتيق، ثم عاشت له حتى بلغ السادسة من عمره، فسعت به إلى قبر أبيه بيثرب، ثم خلّفته وحيداً في الطريق إلى مكة !

ولم تدر «بركة» وهي تودع الجسد الساكن، تلك الحفرة النائية في صحراء الحجاز أن الراحلة قد تركت وراءها ذكراً خالداً يقهر الزمن و يغلب الفناء، ولا أحست وهي تبكي سيدتها في ذاك القفر الموحش، أن قوماً ممن آمنوا بابن آمنة، قد زاروا قبرها بعد أعوام، فخيل إليهم أن الجن تنوح عليها منشدة :

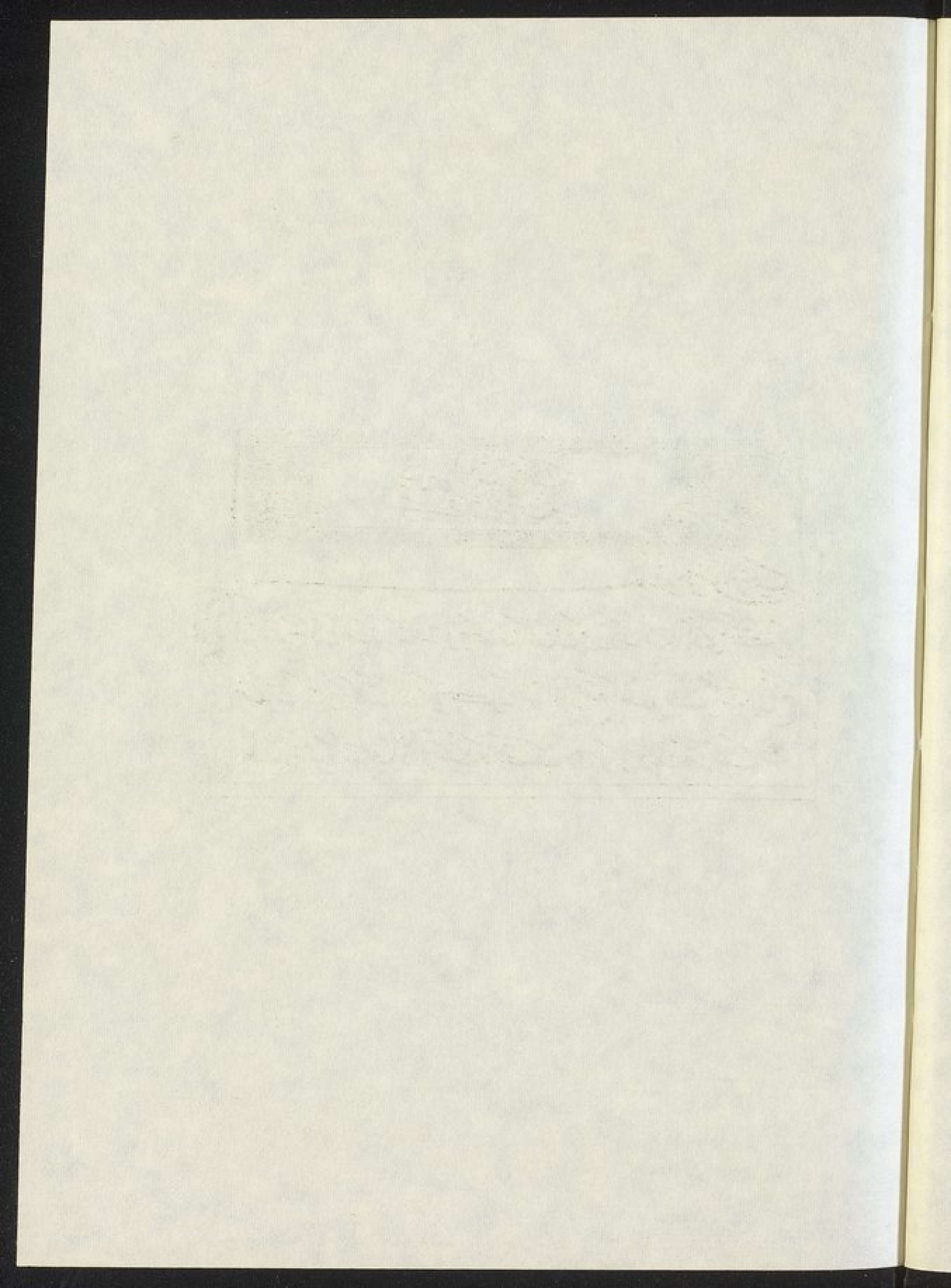
نبكي الفتاة البرّة الأمينة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبدالله و القرينة	أم نبي الله ذي السكينة
لو فوديت لفوديت ثمينة	وللمنايا شفرة سنينة
لا تبقين ظاعناً و لا ظعينة	إلا أتت و قطّعت و تينة

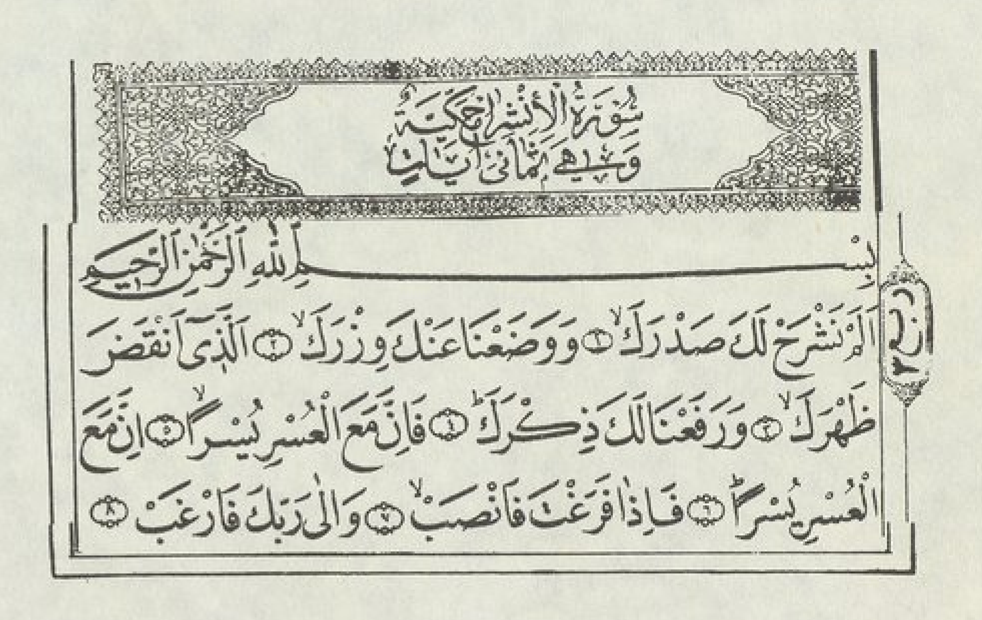
ولم يقدّر أحد ممن شهدوا رقدتها في مضجعها الأخير بالأبواء أن سوف يأتي حين من الدهر تبعث فيه الراقدة، ثم لا يموت لها ذكر من بعد ذلك أبداً، بل تظل صورتها تتنقل عبر الأجيال باهرة السنا والبهاء والجمال والجلال، ويظلّ إسمها خالداً على مر العصور والأدهار، يحف به جلال أمومتها العظمى التي لبثت، وسوف تلبث دائماً، تستثير أنبل ما في وجدان المؤمنين من إنفعال، وتلهم شعراءهم روائع القصيد، وهذه الدنيا تصغي في الليلة المباركة من ربيع كل عام هجري، إلى هتاف المحتفلين بذكرى الساعة الغراء التي قامت فيها آمنة عن ولدها سيد البشر ﷺ

كيف ترقى رقيّك الأنبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك و قد حا	ل سنى منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنا	س كما مثّل النجوم الماء
تتباهى بك العصور و تسمو	بك علياء بعدها علياء
فهنيئاً به لآمنة الفضـ	ـل الذي شرفت به حواء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب	من فخار ما لم تنله النساء

سلام على محمد و والديه : عبدالله و آمنة، وعلى كفيليه : عبدالمطلب و أبى طالب ، و على زوجته : خديجة و علـى آله المعصـومين ، صـلوات الله عليهـم أجمعين .

تمت سورة الضحى و الحمد لله جـل و عـلا
وصلى الله على محمد و أهل بيته النجباء





سورة الانشراح مكية
وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ① ووضعنا عنك وزرك ② الذى أنقض
ظهرك ③ ورفعنا لك ذكرك ④ فإن مع العسر يسرا ⑤ إن مع
العسر يسرا ⑥ فإذا فرغت فانصب ⑦ وإلى ربك فارغب ⑧

﴿ فضلها وخواصها ﴾

وقد سبق من فضل هذه السورة وخواصها في سور الشمس والليل والضحى فراجع وتدبر واغتنم.

وفي البرهان: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأها: «سورة الانشراح - أعطاه اليقين و العافية، و من قرأها على «ألم» في الصدر و كتبها له شفاه الله، و من كتبها في إناءٍ و شربها و كان حصر البول شفاه الله و سهّل الله إخراجه.

و فيه: قال الصادق عليه السلام من قرأها على الصدر ينفع من ضرّ وعلى الفؤاد يسكنه باذن الله وماؤها ينفع لمن به البرد باذن الله تعالى.

وفي المجمع: عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأها اعطى من الاجر كمن لقي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مغتماً ففرّج عنه.

أقول: و من غير بعيد - بناء على صحة الرواية دلالة - أن يكون من آثار السورة و خواصها عند قرائتها و التدبر في مضامينها و مبانيها حصول اليقين و العافية و شفاء الصدور و تسهيل الامر وجزيل الثواب وجميل الجزاء ...

قال الله عز و جل: «الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب»

الرعد: ٢٨-٢٩)

وهل القرآن الكريم إلاّ ذكر من رب العالمين.

قال الله تعالى: «و هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» الانبياء: ٥٠)

وقال: «إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين» يس: ٦٩)

وقال: «هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب» ص: ٤٩)

و قال: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد» الزمر: ٢٢-٢٣)

وقال: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» الحجر: ٩٩)

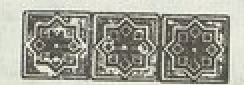
وقال: «يا أيها الناس قد جائتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور و هدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» يونس: ٥٧-٥٨)

وإنما القرآن الكريم شفاء لمن استشفى به، فيشفى الالم كله روحياً كان أم جسمياً.

و فى كتاب طب الائمة عليهم السلام: باسناده عن سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنى لا عرف آيتين من كتاب الله المنزل يكتبان للمرأة إذا عسر عليها ولدها يكتبان فى رق ظبى وتعلقه عليها فى حقويها: «بسم الله و بالله ان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» سبع مرات يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما

أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»

قولـه عليه السلام: «فى رق» الرق: جلـد رقيق يكتب فيـه و «حقويها» الحقو: الخصر.



﴿الغرض﴾

غرض السورة تعديد لما أفاض الله جل وعلا على رسوله ﷺ من فنون النعماء العظام الروحية، وتطمين لنفس النبي ﷺ وتذكيره بعناية الله تعالى به، ووعده باعطاء السكون الروحي، وتعقبه على نفسه، وحثه ﷺ إلى مافيه هذا السكون وهو سببه، كما كان غرض سابقتها تعديد لما أفاض الله عز وجل عليه ﷺ من فنون النعماء العظام المادية، ووعده باعطاء عظيم اخروى لا يقادر قدره.

فبينهما تماثل من هذه الناحية- ولكن شتان بين الغرضين- ولذا إشتبه على بعض المفسرين بوحدة الغرض لهما، وانهما سورة واحدة.

والتدبر فيهما يلهم باستقلال الغرض لكل واحدة منهما، ويلهم انها نزلت في ظرف أزمة نفسية ألمت برسول الله ﷺ بعد أزمة فترة الوحي مما كان يلاقيه من قومه من عناءٍ وعسر، فاعترى على نفسه همٌ وغمٌ فوعده الله تعالى بعد ما عدّ ما أفاض عليه بأن الأمر سينتهي إلى اليسر والنجاح.

ففيها من تقوية النفس والروح وتلقينها التي تساعده ﷺ على مواجهة الصعاب والاستخفاف بالعقبات والاستغراق في الدعوة والاندفاع فيها، والثبات والصبر في تجاه ذلك حتى تمّ له النصر الموعود، وتبدل العسر يسراً وصارت كلمة الله تعالى هي العليا مما لا يخفى.

﴿النزول﴾

سـورة الانشراح مكيـة ، نزلت بعد سـورة « الضحـى » و قبـل سـورة « العصر ».

وهي السورة الثانية عشر نزولاً، والرابعـة و التسعون مصحفاً.

وتشتمل على ثمان آيات إجماعاً، سبقت عليها/ ٢٦٩ آية نزولاً، و/ ٦٠٩٠ آية مصحفاً على التحقيق، وهي مشتملة على / ٢٧ كلمة وقيل: ٢٦ كلمة، و/ ١٠٣ حرفاً، وقيل: / ١٥٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

ولهذه السورة أسماء أربعة :

أحدها ـ سورة « الانشراح» وهـو الاشهر.

ثانيها ـ سورة «الشرح ».

ثالثها ـ سورة «الصدر».

رابعها ـ سورة «ألم نشرح» ولكل وجه لايخفى على القـارىء الخبير.

في تفسير روح البيان : في قوله تعالى: «ورفعنا لك ذكرك» قال: وذلك أنه تعالى أعطاه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلىء منهم.

أقـول : إن أهـل البيت مضافاً إلى أن سيّدهم و كبيرهـم هو مـولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فان الـذين إمتلىء

بهم العالم كلهم من نسل الامام على بن أبى طالب عليه السلام كما ورد فى الروايات العديدة: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان ذرية كل نبى من صلبه، و ذريتي من صلب على بن أبيطالب عليه السلام» وقدكانت ذرية النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلهم من بنت واحدة وهى فاطمة الزهراء عليها السلام زوجة أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

و فى الدر المنثور: عن جابر بن عبدالله قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن ثلاث مأة أو يزيدون، علينا أبوعبيدة الجراح، ليس معنا من الحمولة إلاّ ما نركب، فزوّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرابين من تمر، فقال بعضنا لبعض: قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين تريدون وقد علمتم ما معكم من الزاد، فلو رجعتم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئلتموه أن يزودكم؟ فرجعنا إليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: انى قد عرفت الذى جئتم له، ولو كان عندى غير الذى زوّدتكم لزودتكموها فانصرفنا و نزلت: «فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» فأرسل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعضنا، فدعاه فقال: ابشروا فان الله قد أوحى إليّ: «فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» ولن يغلب عسر يسرين.

وفيه: لما نزلت هذه الآية: «ان مع العسر يسراً» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين.

أقول: وعلى صحة الرواية لاتضرّ مدنية الآية على مكية السورة.

وفى رواية: انه لما نزلت: «فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»

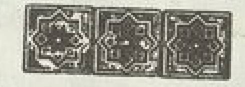
وقيل: لو دخل العسر جحراً لدخل اليسر عليه، وذلك ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا فى ضيق شديد، فأعلمهم الله انه سيفتح عليهم، ففتح الله عليهم الفتوح وأيدهم بالعسر الذى كانوا هم فيه اليسر.

وفى أسباب النزول للسيوطى قال: نزلت لما عيّر المشركون المسلمين بالفقر، وأخرج إبن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: «ان مع العسر

يسراً، قال رسول الله ﷺ: أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين.

و في **شواهد التنزيل** للحاكم الحسكاني الحنفي- من أعلام العامة- باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «فاذا فرغت فانصب» قال: يعني إنصب علياً للولاية.

وفيه: باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «فاذا فرغت فانصب» قال: يعني فاذا فرغت فانصب علياً للناس.



﴿القراءة والوقف والوصل﴾

ولم ينقل في القراءة شيء من القراء، وأما الوقف والوصل فهاؤم: «صدرك لا» للعطف التالي، و«وزرك لا» للوصف التالي، و«ذكرك لا» لعدم تمام الكلام، وإرتباط الجمل بالعطف والصفة بالموصول، و«ذكرك ط» لتمام الكلام، و «يسراً لا» للارتباط بالتأكيد، و«يسراً ط» لتمام الكلام، و«فانصب لا» للعطف.



﴿ اللغة ﴾

١٣ - الشرح - ٧٨١

شرح اللحم يشرحه شرحاً - من باب منع - : بسطه وقطعه طوالاً، ومنه الفتح، و كل ما فتح من الجواهر فقد شرحه أيضاً. والشرحة : القطعة من اللحم. و من الظباء : الذى يجاء به يابساً كما هو لم يقدّ د.

شرح الصدر يشرحه شرحاً : بسطه وفتحه لقبول الشىء خيراً أم شراً، حقاً أم باطلاً أو إيماناً أو كفراً .

قال الله عزوجل :« ألم نشرح لك صدرك » الانشراح : ١) أى بسطه بنور إلهى وسكينة من جهة الله عزوجل .

وقال حكاية عن موسى عليه السلام :« رب اشرح لى صدرى » طه: ٢٥)

وقال:« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» الانعام: ١٢٥) و شرح الله صدره لقبول الخير: وسّعه لقبول الحق فاتسع .

وقال :« ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله » النحل : ١٠٦)

وانشرح: مطاوعة شرح، يقال :« شرح الله صدره لقبول الخير فانشرح » أى وسّعه فاتسع، ومنه: الانشراح لطيب النفس والسرور، وشرح صدره بالشىء وللشىء : سرّ به وطيّب به نفسه كأنه أوسع من صدره و فسح له فى متنفسه .

وفى حديث الحسن: قال له عطاء :« أكان الأنبياء عليهم السلام يشرحون إلى الدنيا و

النساء؟فقال: نعم ان لله ترائك فی خلقه» أراد كانوا ينبسطون إليها ويشرحون صدور- هم لها ويرغبون فی إقتنائها رغبة واسعة.

وشرح الغامض: كشفه وفسّره وبيّنه، وشرح المشكل من الكلام: بسطه، و إظهار مايخفى من معانيه، وشرحت الحديث شرحاً: إذا فسّرته و أوضحت معناه، والقول الشارح عند المنطقيين: هوما يبيّن معنى الاسم فی اللغة أوذات المسمى فی الحقيقة.

وشرح الشیء: فتحه، والكلام: فهمه، والشیء: وسّعه. والشرح الافتضاض للابكار يقال: شرح البكر: إفتضها، والمشروح أيضاً: السراب، وشرّح الشیء: قطعه وفصل بعضه من بعض، ومنه التشريح عند الأطباء.

والشارح أيضاً: الحافظ، والشرح فی كلام أهل اليمن: الذی يحفظ الزرع من الطيور و غيرها كقوله:

وما شاكر إلا عصافير قرية يقوم إليها شارح فيطيرها

شريح: قاض تنسب إليه المسئلة، الشريحية من مسائل العول عند الفقهاء.

وشريح القاضی: هو الحارث بن قيس الكندی إستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة وأقام قاضياً خمساً و سبعين سنة لم تبطل إلا ثلاث سنين إمتنع فيها من القضاء وذلك أيام فتنة إبن الزبير، واستعفى الحجاج فاعطاه فلم يقض بين إثنين حتى مات وكان من التابعين.

فی اللسان: شرح فلان جاريته إذا سلقها على قفاها ثم غشيها. قال إبن عباس: كان أهل الكتاب لا يأتون نساءهم إلا على حرف، وكان هذا الحی من قريش يشرحون النساء شرحاً. و المشرح: متاع المرأة.

وفی النهاية: يقال: شرح فلان جاريته: إذا وطئها نائمة على قفاها.

وفی المجمع: الشرح: فتح الشیء مما يصدر عن إدراكه، و أصل الشرح:

التوسعة و يعبّر عن السرور بسعة القلب و شرحه ، و عن الهمّ بضيق القلب لانه يورث ذلك.

وفى تاج العروس: من المجاز بفلان يشرح إلى الدنيا ، ومالى أراك تشرح إلى كل ريبة ودنيّة وهو إظهار الرغبة فيها.

١٤ - الصدر - ٨٤٤

صدر عن المكان والماء يصدر صدراً وصدوراً - من بابى نصر وضرب -: رجع عنه وانصرف عنه، وصدر الرجل غيره: أرجعه . فالفعل لازم ومتعد . وصدر الأمر صدوراً: حدث وحصل ومنه: برز، وعنه : نشأ ونتج .

وقد يختلف معنى الصدر باختلاف حرف التعدية ، فيقال: صدر عن الكلام : رجع عنه وصدر إليه والمصدر: أصل الكلمة التى تصدر عنها صوادر الأفعال، ويقال فى تعريفه: المصدر ما يصدر عنه الفعل أو شبهه .

الصدر: الجارحة وما يشار به إليه، وبه نبض القلب، وحركة التنفس، وفيها تظهر آثار الانفعال إرتياحاً وانقباضاً وقلقاً وإنشراحاً . صدر الانسان: مادون العنق إلى فضاء الجوف .

قال الله تعالى: « ألم نشرح لك صدرك » الانشراح : ١) وجمع الصدر: الصدور قال الله جل وعلا :« ويشف صدور قوم مؤمنين » التوبة : ١٤)، ويرد الصدر وأحواله فى القرآن الكريم للاشارة إلى الفهم والشهوة والهدى والغضب ونحوها . . . قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلب، فاشارة إلى العقل و العلم نحو: « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» ق : ٣٧)

وحيثما ذكر الصدر فاشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى و الغضب ونحوها ... وقوله تعالى :« رب اشرح لى صدرى» طه: ٢٥) أى فسوّاه لاصلاح قواه وقوله :« فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» الحج: ٤٦)

أى العقول التى هى مندرسة فيما بين سائر القوى وليست بمهتدية . ورجل بعيد الصدر: لايعطف وهو المثل.

الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله ، و كل ماواجهك صدر ، ومنه : صدر السفينة. وصدر القدم : مقدمها مابين أصابعها إلى الحمارة . وصدر المجلس والكتاب والكلام وصدر النهار والليل وصدر السيف وصدر الشتاء ، وصدر الكتاب: عنوانه وأوله، أخذ الشيء بصدره : أوّله، وربما سمي القلب صدراً لكونه فيه، صدر القوم: رئيسهم ومقدّمهم من يتصدر في امورهم ، وصدر المؤلف كتابه: جعل له صدراً : ديباجة، وتصدّر الرجل، نصب صدره في الجلوس، وصدور الوادى وصدائره: أعاليه ومقادمه، وبعد الانتهاء إلى أعالى الوادى يكون الرجوع، فقيل: الصدر عن كل شيء - بالتحريك - : الرجوع والانصراف ، و الصادر : المنصرف ، و الوارد : الجائى .

الاسم: الصدر - بفتح الصاد والدال - : الرجوع ، يقال : صدرت الابل عن الماء صدر - بالتحريك - : رجعت عنه ، طريق صادر: أى يصدر بأهله عن الماء ، و من معنى الرجوع قوله تعالى: « لانسقى حتى يصدر الرعاء » القصص: ٢٣) أى يرجع الرعاء من سقيهم أو يرجعون إبلهم، وقوله تعالى : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً » الزلزلة: ٦)أى يرجع من مخارجهم من القبور إلى موقف العرض أو الحساب.

وصدره : أصاب صدره أو قصد قصده نحو ظهره و كتفه ، ومنه قيل : رجل مصدور: إذا يشكو صدره. بنات الصدر : الهموم. ذات الصدر : علة تحدث فيه. الصدر الاعظم: الوزير الأكبر كلمة سياسية، الأصدر: العظيم الصدر، والأصدران: عرقان تحت الصدغين ، والصدارة - بالفتح - : التقدم، وفي العرف السياسي: منصب الصدر الأعظم، والصدار: ثوب يغطّى به الصدر على بناء دثار ولباس ، ويقال له الصدرة و يقال ذلك لسمة على صدر البعير، وصدّر الفرس : جاء سابقاً بصدره.

وقيل: الصدار: ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر بلا كمّين غير مشقمق

تلبسه نساء العرب فى الحزن، وفى حديث الخنساء :« انها دخلت على عائشة و عليها خمار ممزّق وصدار شعر »

والصدر- بالتحريك- : اليوم الرابع من أيام النحر و فى الحديث :« من كان متمتعاً فلم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله فاذا فاته ذلك وكان له مقام بعد الصدر صام ثلاثة أيام بمكة ». ومنه الحديث :« للمهاجر إقامة ثلاثة بعد الصدر» يعنى بمكة بعد أن يقضى نسكه.

طواف الصدر: طواف الرجوع من منى والصدر: رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد . وصدر الناس عن حجهم أى رجعوا، ومنه حديث الحاج:« الناس يصدرون على ثلاثة أصناف ولاتصدر الحوائج إلاّ منه » أى لاتقضى من غيره .

والصدر: طائفة من الشىء ، ومنه حديث المكاتب :« يعتق منه ما أدى صدراً فاذا أدّى صدراً فليس لهم أن يردّوه فى الرق »

وفى الحديث :« يهلكون مهلكاً واحداً و يصدرون مصادر شتى » أى يخسف بهم جميعهم فيهلكون بأسرهم: خيارهم وشرارهم ثم يصدرون بعد الهلكة مصادر متفرقة على قدر أعمالهم ونياتهم، ففريق فى الجنة وفريق فى النار .

المصدِّر- بضم الميم و كسر الدال- : إسم لجمادى الاولى فى الزمان القديم ، و- بضم الميم وفتح الصاد والدال - : القوى الصدر الشديد ، والغليظ الصدر من السهام، يقال: سهم مصدر . وفى حديث عبدالملك : « اتى بأسير مصدّر » أى عظيم الصدر. وفى حديث الحسن:« يضرب أصدريه » أى منكبيه. الاصدار: الاجماع .

٤٥ - الوضع - ١٦٧٨

وضع الشىء من يده يضع وضعاً - معتل الفاء الواوى من باب منع- : ألقاه ووضع الشىء : أثبته، ووضع منه: حطّ من قدره ، ومنه الحديث : « ويضع العلم » أى يهدمه و يلصقه بالأرض ، ووضع عن غريمه : نقص مما عليه شيئاً، وفى الحديث :

«من أنظر معسراً أووضع له » أى حط عنه من أصل الدين شيئاً.

و وضع عنقه: ضربها، ووضعت الابل وضيعة : رعت الحمض حول الماء ، و وضع فلان نفسه: أذلّها، ووضع الجناية عن فلان : أسقطها ، وفى الحديث : « إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينه » أى أسقطها .

وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم لمعان :

١- الوضع: الخفض وهو ضدّ الرفعة، يقال: وضعه: خفضه.

قال الله جل وعلا: « والارض وضعها للأنام» الرحمن: ١٠) أى خفضها مدحوّة مبسوطة ومن هذا الوضع عبارة عن الايجاد و الخلق. ووضع البيت : بناؤه قال :«ان أول بيت وضع للناس » آل عمران : ٩٦)

الوضيعة: الحطيطة من رأس المال ، وقد وضع الرجل فى تجارته يوضع إذا خسر، ورجل وضيع بين الضعة فى مقابلة رفيع بين الرضيعة.

٢- الوضع: الخلع والالقاء يقال: وضع فلان ثوبه ونحوه مما يلبس: خلعه ، ويقال من هذا : وضع الفارس السلاح: ألقاه، ووضعت الحرب أوزارها : حطّتها ،و المراد وضع أهلها أسلحتهم ، وهذا كناية عن إنتهائها ، ووضع الله عنك همّك و كربك: نفاه عنك ، ووضع عنك الذنب: عفا عنك .

قال الله عز و جل :« ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك » الانشراح : ١ - ٢)

وقال:« فاما منّاً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٤) وضع الحرب أوزارها كناية عن إنتهائها. وقال:« وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة» النور: ٥٨) أى تخلعون. وقال :« ويضع عنهم إصرهم» الاعراف : ١٥٧) أى يلقى وينفى .

وقال: « ووضع الكتاب » الكهف: ٤٩) أى ألقى بين أيدى الناس وقيل : هو إبراز أعمال العباد. وفى الحديث :« ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم »

كناية عن توقير طلاب العلم الذين يطلبونه لوجه الله تعالى لا لمتاع الدنيا...

٣- الوضع: وضع الحمل، يقال: وضعت الحامل ولدها: ولدت، وقد يحذف المفعول قال الله تعالى: « قالت ربى انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت » آل عمران: ٣٦) أى ولدت وقال: « وتضع كل ذات حمل حملها » الحج: ٢)

٤- الوضع: جعل الشيء فى مكانه و إثباته فيه، يقال: وضع الشيء فى هذا المكان: جعله فيه وأثبته، ويقال من هذا: وضع الشيء وأثبته وقرّره، تقول: وضع الله العدل بين الناس: أثبته وأوجبه. والموضع: المكان الذى يوضع فيه الشيء ويثبت، يجمع على المواضع...

قال الله تعالى: « والسماء رفعها ووضع الميزان » الرحمن: ٧) أى أثبته وأوجبه.

وقال: « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » الأنبياء: ٤٨) أى نثبتها.

وقال: « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه » النساء: ٤٦)

٥- الوضع: السعى و السرعة، يقال: أوضع الراكب حمل مطيته على الاسراع فى السير ويقال من هذا: أوضع بين القوم بالفتنة: سعى بينهم بالنميمة و الجساسة وإفساد ذات بينهم.

قال الله عزوجل: « ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » التوبة: ٤٧) أى لأسرعوا فيما بينكم بالنمائم وأشباه ذلك.

يقال: وضعت الدابة تضع فى سيرها: أسرعت. وفى حديث الحج: « فأوضع فى وادى محسر » أى أسرع فيه إذا أتيته. وفى الحديث: « شر الناس فى الفتنة الراكب الموضع » أى المسرع.

وللوضع معان اخر فى الروايات واللغات...

يقال: وضع فلان الحديث: إفتراه و كذبه، فهو واضع والحديث موضوع. الأحاديث الموضوعة: أى المختلقة. والحديث الموضوع: المكذوب على رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

ومن الأحاديث الموضوعة عن طريق العامة: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر: « ان الله يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة و يتجلى لك يا أبا بكر خاصة » ومنها: انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: « حدثني جبرئيل ان الله لما خلق الأرواح اختار روح أبي بكر من بين الأرواح » ومنها: ما روى: « ان أول ما يعطى كتابه بيمينه عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس » وغيرها من الأحاديث المختلقة والأراجيف والأكاذيب المشحونة في كتبهم ...

ووضع الكتاب: ألفه وصنفه، ووضعت المرأة خمارها: رفعته لا خمار لها، ووضع عصاه: أقام، ووضع السلاح في العدوّ. قاتله، ووضع فلان يده في الطعام: أكله، ووضع يده عن فلان: كفّ عنه. رجل وضّاع: كذّاب مفتر. الوضيع: الرجل الدنيء المنحط القدر والضعة: الذل و الهوان و الدناءة. الوضيع: ضد الشريف.

الوضيعة: الوديعة، يقال: « وضعت عند فلان وضيعاً » أي وديعة، الوضيعة: حنطة تدق ثم يصبّ عليها سمن فتؤ كل.

موضوع العلم: هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كالقرآن المجيد لعلم التفسير، وجسم الانسان لعلم الطب، وموضوع الوعظ عند الوعّاظ هو الآية أو المادة التي يبنون عليها الوعظ. الوضع: الطرح ومنه قوله: « هذا عنه موضوع » أي مطروح، غير مكلف به، ومنه: « وضع عن امتي كذا »

وضع الرجل يوضع ضعة ووضاعة - من باب كرم - : لؤم و كان في حسبه إنحطاط ولؤم وخسّة، ووضع وضاعة: كان وضيعاً أي دعياً.

وضّع الشيء توضيعاً: ألامه، ووضّع الجبّة: خاطها بعد وضع القطن فيها، و واضعه مواضعة ووضاعاً: راهنه، وتواضع الرجل تواضعاً: تذلّل وتخاشع: ضد تكبّر.

وفي الحديث :« ما تواضع أحد لله إلّا رفعه » الواضعة: الروضة ، والمرأة الفاجرة، المواضعة : متاركة البيع، والمواضعة : الموافقة في الأمر، والمواضعة: المحاطة و منه:« بيع المواضعة » أي المحاطة وهي خلاف المرابحة مأخوذة من الوضع، وهي أن يبيع برأس المال ووضيعة معلومة .

وفي الحديث :« الوضيعة بعد الصفقة حرام» ولعل المراد شدة الكراهة ، و الوضيعة: الخسارة والنقيصة . ومنه الحديث :« وان كنت لاتجد إلّا وضيعة فليس عليك زكاة »

الوضائع : ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور، والوضائع : الوظائف، و الوضائع: كتب يكتب فيها الحكمة ، والوضائع: أثقال القوم ، يقال: أين خلّفوا الوضائع. المواضعة: المناظرة في الأمر، والمواضعة: أن تواضع صاحبك أمراً تناظره فيه، والوضائع: قوم كان كسرى ينقلهم من أرضهم، فيسكنهم أرضاً أخرى حتى يصير وابها وضيعة وهم الشحن والمسالح .

في المفردات: الوضع : أعم من الحطّ ومنه الموضع .

وفي النهاية: الوضع: البسط ، وفي الحديث : « ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم» أي تفرشها لتكون تحت أقدامه إذا مشى .

٢٩ - الوزر - ١٦٦٢

وزر الشيء يزره وزراً - من باب ضرب - : حمله، و يأتي ذلك في الأحمال الثقيلة، و يقال ذلك على سبيل المجاز في إرتكاب الذنوب والآثام إذ كانت أثقالاً على صاحبها .

الوزر - بكسر الواو - : الثقل تشبيهاً بوزر - بفتح الواو - : الجبل، و يعبّر بذلك عن الاثم كما يعبّر عنه بالثقل. والوزر : حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة .

ووزر الثلمة: سدّها ، ووزر الرجل : غلبه، ووزر: أثم، ووزر للسلطان و زارة: صاروزيراً له،ووازره: قوّاهوعاونه وهو مقلوب آزره . والوزر : الهمّ يغشى الانسان، ويكون ثقلاًعليه .

الوزر- مصدر - : الاثمو الثقل والكاد، والسلاح لثقلهعلى حامله . وأوزر الشيء ايزاراً : أحرزه ، وأوزر الشيء: إذاذهب به، وأوزر المكان : جعله لنفسه يأوىإليه ويلجأ، وأوزر الشيء : أوثقه وخبأه. أوزار الحرب : آلاتها ، ووضعت الحرب أوزارها: إنقضت لأن أهلهايضعون أسلحتهم حينئذ ، والوزر: الشرك . و جمعالوزر : أوزار .

الوزر: يأتي لما يجيىء :

١- الوزر : الحمل الثقيل، ويقال من هذا أوزار الحرب لآلاتها وأسلحتها إذ كانت أحمالاً ثقيلة .

قال الله عز و جل :« ووضعناعنك وزرك الذى أنقض ظهرك » الانشراح : ٢ - ٣)

وزره صلى الله عليه وآله وسلم : أعباءالنبوّة وهمّ هداية الناس، وأوزار الحرب واحدهاوزر: آلتهامن السلاح قال الله جلوعلا :« حتىتضع الحرب أوزارها» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٤) أىحتى تضعأهل الحرب السلاح، وسمى السلاح وزراً لأنه يحمل .

٢- الوزر : الذنب والاثم يرتكبه المكلّف ، وهذا علـى التشبيه بالحـمل يعنت حامله . قال اللهجل وعلا : « ولاتزروازرة وزر اخرى » الانعام : ١٦٤) أى لايحمل وزرهمن حيث يتعرّى المحمول عنه، وأماحمل وزرالغير فيالحقيقةهو حملوزر نفسهعلىما أشارإليه النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:« من سنّ سنةحسنة كانله أجرها وأجرمن عملبها منغير أن ينقص من أجره شيءومن سنّ سنة سيئة كان لهوزرها ووزرمن عملبها » أىمثل وزرمن عملبها. وفي الحديث :« إرجعـن مأ جورات غيرمازورات » أىغير آثمات ...

٣- الوزر: جزاء الاثم ، وهو من إطلاق الشيء على ماينشأ عنه .

قال الله تعالى :« من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً » طه: ١٠٠) أي جزءاً على الاثم . وقال:« ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة » النحل : ٢٥) الأوزار أجزية الثواب .

٤- وزر للسلطان وغيره يزر وزارة ووزارة : أعانه في أمره وحمل عنه من أعباء عمله، والوصف من ذلك وزير. والموازرة : المعاونة ، يقال: وازرت فلاناً موازرة أعنته على أمره، وجمع الوزير: وزراء .

قال الله تعالى :« واجعل لي وزيراً » طه: ٢٩)

٥- الوزر- بفتح الواو والزاء - : الملجأ يعتصم به من يخشى شيئاً، وأصل الوزر: الجبل المنيع يتحصّن به ، و كل معقل: وزر.

قال الله عزوجل :« كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر » القيامة: ١١ - ١٢)

وفي النهاية : وفي حديث السقيفة : « نحن الامراء وأنتم الوزراء » جمع وزير و هو الذي يوازره فيحمل عنه ما حمله من الأثقال، والذي يلتجيء الأمير إلى رأيه وتدبيره فهو ملجأ له ومفزع .

وقد يطلق الوزر على كل مايثقل على الانسان من الغم والحزن والجهد والكدّ .

٥٣ - الرفع - ٥٨١

رفعه يرفعه رفعاً- من باب منع -: أعلاه فهو رافع و هي رافعة، واسم المفعول: مرفوع، والمؤنث: مرفوعة ، سواءاً كان الاعلاء حسياً برفع الأجسام والأصوات و غيرها أم معنوياً باعلاء الرتب و تشريف المقامات والتنويه .

قال الله جل وعلا :« ورفعنا لك ذكرك» الانشراح : ٤) رفع ضد: وضع، ومنه حديث الدعاء :« اللهم ارفعني ولا تضعني »

فيكون الرفع تارة في الأجسام الموضوعة : إذا أعليتها عن مقرّها نحو : «و رفعنا فوقكم الطور» البقرة: ٦٣) و« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» الرعد: ٢)

وتارة اخرى في البناء إذا طوّلته نحو قوله :« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت» البقرة: ١٢٧) وثالثة في الذكر إذا نوّهته نحو قوله:« ورفعنا لك ذكرك» الانشراح: ٤)ورابعة في القدر والمنزلة إذا شرّفتها نحو قوله: « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف: ٣٢)

«فرش مرفوعة » أي بعضها فوق بعض و«فيها سرر مرفوعة » أي رفيعة السمك أو القدر أو مقربة لهم، وفي صفة القيامة: « خافضة رافعة» أي تخفض أهل المعاصي و ترفع أهل الطاعة . والرافع من أسماء الله تعالى وهو الذى يرفع المؤمنين بالاسعاد و أولياءه بالتقريب .

رفع يرفع رفاعة - من باب كرم- : علا فهو رفيع .

قال الله تعالى:« رفيع الدرجات ذو العرش » غافر : ١٥)

رفع رفاعة : صار رفيع الصوت ، ورفيع الصوت: جهيره، ورفع رفعة: شرف وعلا قدره فهو رفيع ، والرفعة - بكسر الراء- : إرتفاع القدر والمنزلة .

والرفعة- بفتح الراء : نقيض الذلة ، والرفعة : خلاف الضعة ، ومن صفات المؤمن: « يكره الرفعة » وذلك تنزيهاً لنفسه عن رذيلة الكبر .

الرفيعة: القصة المرفوعة إلى الحاكم ، يقال: رفع فلان إلى العامل رفيعه .

ويقال: ارفع زيداً إلى الحاكم : قدمه إليه ليحاكمه ، ورافعه إلى الحاكم شكاه و قدمه إليه ليحاكم وترافعا إلى الحاكم : تحاكما، ويقال: ارفع زيداً إلى السلطان: قرّبه ،ويقال : دخلت على فلان فلم يرفع لي رأساً أي لم ينظر إليّ ولم يلتفت، و يقال : هذا أمر يرفع الرأس أي يعطى مجداً و كرامة . و رفع الله عمله : قبله.

ورفع البعير في سيره: بالغ، لازم و متعد.

يقال: إرفع هذا : خذه وارفع الكلمة : ألحقها علامة الرفع ، والرفع نوع من الاعراب ، والرفع في العربية : خلاف الجر والنصب، والمبتداء مرافع الخبر لان كل واحد منهما يرفع صاحبه .

ورفع يده في الركوع والسجود: خضع وتذلل لله تعالى، والرفع في الأجسام حقيقة في الحركة والانتقال ، وفي المعاني محمول على ما يقتضيه المقام، ومنه: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق» والقلم لم يوضع على الصغير ولا المجنون ولا النائم، وإنما معناه لا تكليف فلا مؤاخذة .

ترفّع - من باب التفعل - : تعلّى ، وارتفع مطاوعة رفع. برق رافع: ساطع. يقال: هذه أيام رفاع - بفتح الراء و كسرها - : أيام رفع الحصيد إلى البيدر . ورفع الزرع : نقله من الموضع الذي يحصده إلى البيدر . و الرفاعة - بالتثليث - : شدة الصوت ، و - بالكسر و الضم - : العظّامة ، خيط يرفع به المقيد قيده إليه .

وفي الحديث: « ان الله تعالى يرفع العدل ويخفضه » قال الأزهري : معناه: انه تعالى يرفع القسط وهو العدل فيعليه على الجور وأهله ، و مرّة يخفضه فيظهر أهل الجور على أهل العدل إبتلاء لخلقه ، و هذا في الحياة الدنيا و العاقبة للمتقين .

ورفع السراب الشخص: زهاه، ورفع - مجهولاً - لي الشيء : أبصرته من بعد . والرفع : تقريب الشيء من الشيء . و الرفاعة - بالضم - : ثوب ترفع به المرأة الرسحاء عجيزتها تعظمها به ، و الرافع من الابل : التي رفعت اللباء في ضرعها .

٤٢ - العسر - ١٠٠٦

عسر فلان غريمه يعسره عسراً - من باب ضرب -: طلب منه الدين على عسرة و أخذه على عسرة، ولم يرفق به إلى ميسرته. والعسرة: تعسّر وجود المال قال الله تعالى: « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » البقرة: ٢٨٠) وعسّرني الرجل: طالبني بشيء حين العسرة.

وعسر عليه الأمر يعسر عسراً - من باب نصر -: إشتدّ عليه و التوى، وعسر عليه الزمان: إشتدّ.

وعسر الأمر يعسر عسراً بفتحتين فهو عسير بفتح العين و كسر السين - من باب علم -: ضاق.

وعسر يعسر عسراً وعسارة فهو عسير - من باب كرم -: صعب. ويوم عسير: يتعصّب فيه الأمر، قال الله تعالى: « و كان يوماً على الكافرين عسيراً » الفرقان: ٢٦) العسر: الضيق والشدة والصعوبة، ضد اليسر، و نقيض الراحة، و خلاف السهل.

قال الله تعالى: « فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً » الانشراح: ٥-٦)
من الحسى العسير: الناقة التي ركبت قبل تذليلها وترويضها، وعسرت الناقة: رفعت ذنبها في عدوها و بعد اللقاح.

والاسم منه العسرة قال تعالى: « والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة » التوبة: ١١٧)

والعسرى - كبشرى - تأنيث الأعسر: مقابل اليسرى قال تعالى: « فسنيسّره للعسرى » الليل: ١٠) وأعسر فلان: أضاق وافتقر، وتعاسر القوم: طلبوا تعسير الأمر و إشتداده وصعوبته، وتعاسر البيعان والزوجان: لم يتفقا وطلبا تعسير الأمر قال الله تعالى: « وإن تعاسر تم فسترضع له اخرى » الطلاق: ٦)

والعسير و العسر - بكسر السين - : الصعب الشاق الضيق قال الله تعالى : «فذلك يومئذ يوم عسير » المدثر: ٩) وقال :« هذا يوم عسر» القمر: ٧) أى يتصعب فيه الأمر على الكافرين .

المعاسرة : ضد المياسرة ، و التعاسر : ضد التياسر، و المعسور : ضد الميسور ، و العسر : ضد اليسر قال الله : « سيجعل الله بعد عسر يسراً » الطلاق: ٧)

ونعم ما قال الشاعر :

فلا تيأس إذا أعسرت يوماً	فقد أيسرت فى دهر طويل
و لا تظنن بربك ظن سوء	فان الله أولى بالجميل
و ان العسر يتبعه يسار	وقول الله أصدق كل قيل

وعسر على المرأة : ضيق عليها ولادها، وعسر على فلان ما فى البطن: لم يخرج، وعسر على فلان: خالفه. وعسر فلان : قل سماحه فى الامور وضاق خلقه . واعتسر فلان من مال ولده: أخذ منه وهو كاره . الاعتسار: الافتراس والقهر . ويقال: دعه إلى ميسوره وإلى معسوره .

والعسر - بالضم والفتح -: قبيلة من الجن أو أرض يسكنونها، والعسر - بالضم والسكون وبضمتين -: قلة ذات اليد، والعسر - بالضم والسكون -: لعبة وهى أن ينصبوا خشبة ويرموا من غلوة باخرى فمن أصابها قمر، والعسر - ككتف -: الصعب وتعسّر القول: إلتبس فلم يقدر على تخليصه.

جيش العسرة : جيش تبوك لانهم ندبوا إليها فى حمارّة القيظ فعسر عليهم و هى آخر غزواته صلى الله عليه وآله وسلم وقيل: سمى جيش العسرة لان الناس عسر عليهم الخروج فى حرارة القيض وإبان اينناع الثمرة.

والعسرة - محركة -: القادمة البيضاء ، والعواسر: الذئاب التى تعسر فى عدوها وتكسر أذنابها من النشاط، والعسران: جمع الاعسر وهو الذى يعمل بيده

اليسرى كالاسود والسودان. والعيسران: نبت.

والعسير: بئر بالمدينة كانت لابى امية المخزومى سماها النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بيسيرة.

والعسرى: العذاب، والعسرى: البقلة، واعسرت الكلام: إذا اقتضته قبل أن تزوّره وتهيئه.

٨- اليسر - ١٧٢٠

يسر الرجل ييسر يسراً - بالفتح والسكون و يسراً بفتحتين - من باب ضرب -: لان وانقاد، ويسرت المرأة: سهلت عليها الولادة، و يسر فلان: لعب بالقداح، ويسر فلان فلاناً: جاء عن يساره، ويسر فلان: فتل إلى أسفل وهو أن يمدّ يمينه نحو جسده وطعن حذ ووجهه، ويسر الناقة: جزأ لحمها، و يسر القوم الجزور: إجتزروها واقتسموا أعضاءها، ويسرت الناقة: خرج ولدها سرحاً، ويسر الامر ييسر يسراً - من باب علم -: سهل فهو يسير. ويسر الشيء ييسر يسراً - من باب كرم -: سهل وهان.

قال الله عزوجل: «ان مع العسر يسراً» الانشراح: ٦) أى سهولة وسعة. وفى الحديث: «ان هذا الدين يسر» أراد انه سهل سمح قليل التشديد وفى الحديث: «الاسلام يسير المضمار» أى قليل الوقت لان الدنيا مضماره وهى قليلة.

وشيء يسير أى هيّن، ومنه الحديث: «ان الكيس لدى الحق يسير» أى هيّن لين.

وفى الحديث: «قلة العيال أحد اليسارين» وفى الحديث: «يسّروا و لا تعسّروا» اليسر: سهول العمل: الخير والشر. قال الله جل وعلا: فسنيسّره لليسرى

ـ فسنيسّره للعسرى»

فاليسر مصدر : ضدّ العسر ، والوصف : يسير. وقد يستعمل اليسر في موضع اليسير ، فيقال : أمر يسر . و إسم التفضيل من هذا : الا يسر في المذكر ، واليسرى في المؤنث ، وقد يقال: اليسر للقليل لهوانه واليسير: الشيء القليل .

قال الله تعالى: «وما تلبثوا بها إلاّ يسيراً» الاحزاب: ١٤)

اليسر ـ بالصم والسكون ـ: شجر له حب شديد السواد، طيب الرائحة ينظم في سلك ليلعب به كلما استعمل إشتدّ بريقه . والميسّر: المعد والمهيّأ. و في الحديث : « اعلموا وسدّدوا وقاربوا فكل ميسّر لما خلق له» أي مهيّأ مصروف مسهّل. ولعل الرواية تشير إلى اختلاف الناس في الاستعداد للحرف والاشغال المختلفة لحاجتهم إليها في مدى الحياة ، فمن اشتغل بما يستعد له فهو هيّن له كجرى الماء في مسيله وإلاّ فلا رقي له في شغله كجرى الماء في غير مسيله.

الميسور: اليسر، ويقال: قول ميسور: يسير سهل وهو من الوصف بالمصدر.

قال الله تعالى: «فقل لهم قولا ميسوراً» الاسراء: ٢٨)

يسّره تيسيراً : سهّله و هيّأه ، و من هذا يقال : يسّر الله تعالى فلاناً للخير أو الشر: هيّأه فواقعه وأتاه، وأكثر ما يستعمل التيسير في تسهيل الخير.

قال الله عز وجل : « و لقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » القمر:١٧)

ويقال: يسّر الرجل تيسيراً: سهلت ولادة إبله وغنمه، ويسّر الغنم: كثر لبنها ونسلها، وتيسّر الشيء: تسهّل وهان قال الله تعالى: «فاقرؤا ماتيسّر من القرآن» المزمل: ٢٠)

إستيسر الشيء: تسهّل وتهيّأ قال الله عزوجل: «فان احصرتم فما استيسر من الهدى» البقرة: ١٩٦)

ياسره: أخذ يساره، و فلاناً: لاينه و ساهله، وياسر الشيء: أخذه في جهة اليسار.

وأيسر الرجل: صار ذاغنى، وأيسرت المرأة: سهلت عليها الولادة، وأيسر فلان غريمه: نفّس عليه في طلب الدين ولم يشدّد عليه، وتيسّر البلاد: أخصبت وتيسّر النهار: برد، وتيسّر للقتال: تهيّأ له. وتياسر القوم: تساهلوا، يقال: «تياسروا في الصداق» أي تساهلوا فيه و لاتغالوا.

اليسرة - محركة -: بهاء أسرار الكف إذا كانت غير ملصقة وقيل: هي سمة في الفخذين وقيل: هي ما بين أسارير الوجه والراحة وتكون في اليمنى و اليسرى وهو خط يكون في الراحة يقطع الخطوط التي في الراحة كأنها الصليب و هي من علامات السخاء. جمع اليسرة: أيسار و يسرات، و اليسرات أيضاً: القوائم الخفاف والميسور: ضد المعسور ومنه: «الميسور لايسقط بالمعسور»

المياسرة: المسامحة وفي الدعاء: «اللهم تفضل عليّ بالمياسرة إذا حاسبتني» والمراد المسامحة في الحساب.

الميسرة :- بضم السين وفتحها -: الغنى والسعة في المال. قال الله تعالى: «و إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» البقرة: ٢٨٠) واليسار: السهولة والغنى.

والميسرة: خلاف الميمنة جمعها: مياسر، والايسر: نقيض الايمن، واليسار: اخت اليمين.

الميسر: قمار العرب في الجاهلية بالازلام والقداح، ويقال: يسر الرجل ييسر إذا دخل في هذا القمار، و المخاطرة والداخلون فيه يسمّون بالايسار ويطلق الميسر بالتوسع على كل ما فيه مخاطرة وجهالة بالعاقبة من ربح و خسارة كالنرد و غيره، و كان ميسر الجاهلية على جزور يجتمع الايسار و

يتقاسمون الازلام ، ولها أنصباء مختلفة بقدرما فيهـا من جزور ، توضع الازلام في خريطة، و يتولى إخراجهـا على أسماء من اختاروهـا أمين للميسر يسمى الضريب، فان خرج القدح الذى سماه صاحبه فقد ظفروغنم بقدرما في قدحه من جزور ، و إلاّ فقد خسرو يغرم قـدر ما يربح لوربح ويستمر الامرهكذا حتى نهاية المقامرة.

وكان لحم الجزورلا ينال منه الرابحون، وإنما يعطى فقراء الحى، ومن ثم كان الدخول في الميسرعندهم من أمارات النبل والكرم، وكانوا يتمدّحون بذلك ويطلق الميسر بالتوسع على كل ما فيه مخاطرة وجهالة بالعاقبة من ربح وخسارة كالنردوغيره.

قال الله عز وجل : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهمـا إثـم كبير» البقرة : ٢١٩)

قيل : سمى القمـار ميسراً لتيسر أخـذ مال الغير فيـه من غير تعب و لامشقة و كل شيء فيه قمـار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز الذى يتقـامرون به لانه يجـزى أجزاء فكأنه موضع التجزية و كل شيء جزيتـه فقد يسرته.

٢٧ - الفراغ - ١١٤٦

فرغ يفرغ فراغاً وفروغاً ـ من باب منع ونصروعلم ـ: خلا من الشغل ، و الوصف: فارغ.فرغ من العمل: خلا ذرعه فهوفرغ ـ ككتف ـ وفارغ،وفرغ فلان: مات لانجسمه خلا من روحه، وفرغ دم فلان: ذهب هدراً لم يطالب به، وفرغ عليه الماء : صبّه.

من المادى الفرغ: الارض المجدبة، وفرغ الدلو: خرقة الذى يأخذ الماء

أى سعته، وأفرغت الدلو: صببت ماءه، و منه قيل: «أفرغ علينا صبراً» البقرة : ٢٥٠).

فالفراغ : خلاف الشغل ، والفراغ من شيء : الخلاص منه. الفريغ : العريض، الفرغ : السعة والسيلان، طريق فريغ : واسع و قيل : هوالذى قد أثر فيه لكثرة ما وطيء ، و فرس فريغ : واسع العدو كأنما يفرغ العدو إفراغاً : و ضربة فريغة : واسعة ينصبّ منها الدم. الفريغ من الخيل: الهملاج الواسع المشى كالفراغ، والفريغ: مستوى من الارض كأنه طريق ، ورجل فريغ: حديد اللسان، وسهم فريغ: حديد ، والطعنة الفرغاء : الواسعة ، الفراغ سريع المشى واسع الخطو.

إفترغ الماء : صبّه على نفسه، يقال: «رأيته وبين يديه الماء يغترفه ثم يفترغه ».

وفى حديث الغسل: «كان يفرغ على رأسه ثلاث إفراغات» جمع إفراغة ، و هى المرة الواحدة من الافراغ يقال : أفرغت الاناء إفراغاً : إذا قلبت مافيه من الماء.

والفرغ: مخرج الماء من الدلو بين العراقى. والفراغة ـ بضم الفاء ـ: ماء الرجل وهو النطفة، وأفرغ عند الجماع: صبّ ماءه.

ومن المعنوى الفرغ: فرغ لكذا وتفرّغ: توفر عليه وعمد إليه ، و يقال افرغ إلى أضيافك: اعمد واقصد.

ورد الفعل للمادى والمعنوى، والوصف المعنوى فى: «فاذا فرغت فانصب » الانشراح : ٧) فالفراغ فى اللغة على وجهين: الفراغ من الشغل ، والآخر القصد للشيء ومن الاخير قوله تعالى: «سنفرغ لكم أيها الثقلان» الرحمن:٣١) لان الله جل وعلا لايشغله شيء عن شيء.

فرغت الضربة فراغة ـ من باب كرم ـ: إتسعت فهى فريغة ، وفرغ الرجل:

جزع وقلق ، وحلقة مفرغة : إذا كانت مصمتة الجوانب غير مقطوعة لا يدرى أين طرفاها ، وفرّغ الظرف : أخلاه، وفرّغ الماء : صبّه ، وفرغ الدماء : أراقها، وفرّغ الله عليه صبراً: أنزله عليه. وفى الدعاء : «اللهم إنى أسئلك العيش الرافغ والبال الفارغ » وأفرغ الذهب و الفضة وغيرهما من الجواهر الذائبة : صبّها فى قالب، ودرهم مفرغ: مصبوب فى قالب ليس بمضروب، تفرّغ: تخلّى من الشغل، وتفرّغ لكذا: بذل مجهوده فيه. وإستفرغ تقياً ومجهوده لكذا: بذل طاقته فيه واستقصاها.

الفراغ: ناحية الدلو التى يصبب منها الماء ، والفراغ: الاناء بعينه ، و الفرغان: الاناء الواسع، والفراغ: الاودية، وقوس فروغ وفراغ : بغير وتر وقيل: بغير سهم. وناقة فراغ : بغير سمة، والفراغ من الابل: الصفى الغزيرة الواسعة جراب الضرع.

فرغ الدلو: منزلان للقمر كل واحد كوكبان بين كل كوكب قدر رمح فى رأى العين، وقيل: الفرغ: نجم من منازل القمر، والفرغان: منزلان فى برج الدلو: فرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر و كل واحد منهما كوكبان نيران بين كل كوكبين، قدر خمس أذرع فى رأى العين.

والفرغان: الاناء الواسع، وفرغانة: ناحية بالمشرق، والفروغ: برج الجوزاء.

ومفرغ الدلو: مايلى مقدّم الحوض.

والمستفرغة -بكسر الراء-: الخيل لاتدّخر من حضرها شيئاً، والمستفرغة: الناقة الغزيرة.

٤٢ - النصب - ١٥١٩

نصب الشىء ينصبه نصباً - من باب ضرب -: رفعه وأقامه حتى كان شاخصاً

ماثلاً بارزاً. ونصب فلان العلم: رفعه وأقامه مستقبلاً به، ونصب الشجرة: غرسها في الارض، ونصب السلطان فلاناً: ولاه منصباً ونصب الشر لفلان: أظهره له، ونصب له رأياً: أشرت عليه برأى لايعدل عنه.

وتنصبَّ الغبار: إرتفع، ونصب الستر: رفعه، يقال: نصبت الخيل آذانها: رفعتها، والانصب: التيس المنتصب القرنين، وفى الدعاء: «إليك نصبت يدى» أى رفعتها، ونصبني: اجلسني للعلم والافتاء وفى الدعاء أيضاً: «لاتجعلني لنقمتك نصباً» وفي حديث الصلاة «لاينصب رأسه ولايقنعه» أي لايرفعه.

والنصاب ـ بكسر النون ـ: الاصل و أول كل شيء و مرجعه، ونصاب كل شيء: أصله يقال: فلان يرجع إلى نصاب صدق ومنصب صدق، و أصله: منبته ومحتده.

ونصاب الشمس: مغيبها ومرجعها الذى ترجع إليه، والنصاب من المال: القدر الذى تجب فيه الزكاة إذا بلغه نحو مائتى درهم وخمس من الابل...

ونصب الشيء: وضعه وضعاً ناتئاً كنصب الرمح والبناء والحجر، والنصيب: الحجارة التى تنصب على الشيء، وجمعه: نصائب ونصب، وكان للعرب حجارة تعبدها و تذبح عليها، شاة نصباء: منتصب القرن، و ناقة نصباء: منتصبة الصدر و نصاب السكين و نصبه، و منه نصاب الشيء: أصله، و رجع فلان إلى منصبه.

النصاب: الذى ينصب نفسه لعمل لم ينصب له مثل أن يترسل و ليس برسول. والنصب ـ بضم النون و الصاد و سكون الصاد ـ: حجر كانوا ينصبونه فى الجاهلية ويتخذونه صنماً فيعبدونه، وقيل: هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه فيحمر بالدم.

والنصب ـ بفتح النون وسكون الصاد وضمها ـ: العلم المنصوب قال الله تعالى، «كأنهم إلى نصب يوفضون» المعارج: ٤٣) أى إلى علم منصوب يستبقون

إليه أو إلى أصنام كقوله عزوجل: «وما ذبح على النصب» المائدة : ٣) والينصوب: علم ينصب في الفلاة، والنصب - بفتح النون وسكون الصاد وضمهما -: كل ما عبد من دون الله تعالى، وتذبح عنده الذبائح، ويصب دماؤها عليه، جمعه: الانصاب وكان حول الكعبة في الجاهلية أنصاب يذبحون عليها لغير الله تعالى، قال جل وعلا: «إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان» المائدة: ٩٠) الانصاب: الاوثان من الحجارة كانوا يذبحون عندها. قال الله تعالى: «وما ذبح على النصب» المائدة: ٣) النصب هنا ماكانوا يذبحون عليه من الاوثان...وقال: «كأنهم إلى نصب يوفضون» المعارج : ٤٣) أي وثن أو علم. والنصب: كل ما عبد من دون الله.

نصب ينصب نصباً فهو ناصب وهي ناصبة - من باب علم -: أعيى وتعب من العناء والعمل، ويقال من هذا: نصب : جدّ في عمله لانه بسبيل إلى التعب يقال: أنصب في الطاعة. و قد ورد صحيحاً عن الطريقين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «فاطمة بضعة مني ينصبني ما أنصبها» أي يتعبني ما أتعبها. النصب: التعب والمشقة .

قال الله عزوجل : « فاذا فرغت فانصب» الانشراح: ٧) أي جد في العبادة و اجتهد. انصبني كذا: اتعبني وأزعجني . قال الله تعالى : «لا يمسّهم فيها نصب» الحجر : ٤٨)

نصب الهمّ زيداً ينصبه: اتعبه، ونصبه المرض: أوجعه، ونصب الشيء، وضعه وضعاً ثابتاً كنصب الرمح والبناء والحجر ورفعه فهو ضدّ. يقال: نصّب الشيء : وضعه ورفعه.

والنصائب: حجارة تنصب حول الحوض ويسدّ ما بينها من الخصاص بالمدرة المعجونة واحدة النصيبة وهي علامة تنصب القوم وانصاب الحرم: حدوده. والنصب: المعاداة يقال: نصبت لفلان نصباً: إذا عاديته، ومنه الناصب و هو الذي يتظاهر

بعداوة أهل بيت الوحي عليهم السلام أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم. ونصب فلان لفلان نصباً: إذا قصدله وعاداه وتجرّد وله الناصبية والنواصب: المتدينون ببغضة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لأنهم نصبوا له عليه السلام أي عادوه. ناصبه مناصبة: عاداه وقاومه، وناصب فلاناً الحرب والعداوة: أظهرها له وأقامها.

وقال الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لانه لاتجد رجلاً يقول: «أنا أبغض محمداً وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم انكم تولونا وأنتم من شيعتنا»

النصب ـ بالضم والسكون ـ: الداء والبلاء وما يوجب التعب، عيش ناصب: فيه كدّ وجهد. قال الله عزوجل: «إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب» ص: ٤١) أي ببلاء وشر.

النصبة ـ بالفتح والسكون ـ: المرة ـ وبالكسر والسكون ـ: النوع ـ وبالضم والسكون ـ: السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق، جمعها: نصب.

النصيبة الحصة من الشيء والقسم منه، والجمع: أنصبة وأنصباء.

قال الله تعالى: «اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب» البقرة: ٢٠٢) أي جزاء خيراً أم شراً. والنصيب: الحظّ المنصوب أي المعين قال تعالى: «أم لهم نصيب من الملك» والنصب ـ بكسر النون ـ: الحظّ من كل شيء. ونصيبين: بلد عظيم كثير الأنهار والجنات والبساتين، وهو قاعدة ديار ربيعة.

والنصب ـ بفتح النون وكسر الصاد ـ: المريض الوجع. والكلمة المنصوبة: يرفع صوتها إلى الغار الأعلى، والنصب في الاعراب كالفتح في البناء، والنصب في القوافي: أن تسلم القافية من الفساد وتكون تامة البناء.

النصّاب ـ كشداد ـ: الذي ينصب نفسه لعمل لم ينصب له مثل أن يتنبيء وليس بنبيّ. والمنصب: الأصل، والمرجع والحسب والمقام، ويستعار للشرف، ومنه

منصب الولايات السلطانية والشرعية، ويقال: لفلان منصب أى علوّ ورفعة، و امرأة ذات منصب أى ذات حسب و جمال أو ذات جمال، فان الجمال و حده علوّ لها ورفعة.

والمنصب -بكسر الميم وفتح الصاد-: آلة من حديد تنصب تحت القدر للطبخ جمعه: مناصب.

٤٦- الرغبة- ٥٧٤

رغب في الشيء يرغب رغباً - بفتح الراء و سكون الغين - و رغباً - بضم الراء وسكون الغين - و رغبة - من باب علم -: أراده وحرص عليه وأحبّه حباً شديداً.

الرغبة في الأصل: السعة في الشيء. ورغب إليه: توجّه إليه ضارعاً سائلاً. و تاء الرغبة لتأنيث المصدر قال الله تعالى: «وإلى ربك فارغب» الانشراح: ٨) أى توجه إليه ضارعاً سائلاً. وفي الدعاء: «اليك رغب الراغبون فرغبت» الرغبة: السؤال والطلب.

قال الله عز وجل: «إنا إلى الله راغبون» التوبة: ٥٩)

رغب عن الشيء: زهد فيه وتركه، وصرف رغبة عنه، وأعرض عنه ولم يرده، ورغب به عن غيره: فضّله عليه، و في الحديث: «الرغب شؤم» أى الشره والحرص على الدنيا. وقيل: سعة الأمل وطلب الكثير. ورغب بنفسه عن الشيء: صانها عنه وصرفها، وإسم الفاعل من الجميع راغب و رغوب. الرغيبة: الأمر المرغوب فيه.

فاذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه، وإذا قيل: رغب عنه: إقتضى صرف الرغبة عنه ورغب عن الشيء: تركه متعمداً.

قال الله تعالى: «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه» البقرة: ١٣٠) أى يزهد ويصرف رغبته عنها.

و قال عز وجل : « و يدعوننا رغباً و رهباً » الأنبياء : ٩٠) أى رجاء وخوفاً، و فى الحديث : «لا تجتمع الرغبة و الرهبة فى قلب إلاّ وجبت له الجنة» و الرغبة هى السؤال والطلب، والرهبة هى الخوف. وفى الدعاء: «رغبة و رهبة إليك».

«صلاة الرغائب» ما يرغب فيها من الثواب العظيم والأجر الجزيل ، و هى التى تصلّى فى أول جمعة من رجب، جمع رغيبة. وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة» أى قلّت العفة، و كثر السؤال، والحرص على الجمع مع منع الحق. وفى الحديث: «لاتدع ركعتى الفجر فان فيهما الرغائب» أى ما يرغب فيه من الثواب الجميل.

رغب الشىء يرغب رغباً ـ بضمّ الراء وسكون الغين وضمهما ـ من باب كرم ـ: اتسع. رغب النفس: سعة الأمل وطلب الكثير. حوض رغيب: واسع، و فلان رغيب الجوف ـ إذا كان أكولاً ـ: بطين، وفرس رغيب العدو. والرغبة والرغب والرغبى: السعة فى الارادة. ويقال: رغب فلان: إذا كان كثير الاكل وشديد النهم، و منه قولهم: هو رغب البطن أى واسع الجوف. ومنه حديث أبى الدرداء: « بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب»

ورغب الوادى: كثير أخذه للماء فهو رغيب، أرض رغاب: لاتسيل إلاّ من مطر كثير، والرغاب: الارض اللينة. وتراغب المكان: إذا اتسع، وفى حديث الحجاج : «لما أراد قتل سعيد بن جبير رضى الله عنه ائتونى بسيف رغيب» أى واسع الحدين يأخذ فى ضربته كثيراً من المضروب. المرغب ـ بكسر الغين ـ: الموسر، والمراغب: الاطماع والمضطربات للمعاش. أرغب الله قدرك: وسّعه وأبعد خطوه وطريق رغب ـ ككتف ـ: واسع جمعه، رغب ـ بضمتين، فرس رغيب الشحوة: واسع الخطو. تراغب

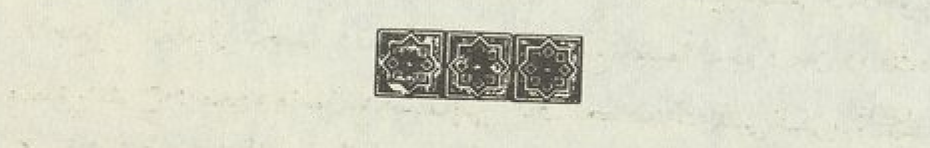
الوادى: إتسع.

وفي الحديث: «أفضل العمل منح الرغاب لا يعلم حسبان أجرها إلاّ الله عز وجل»

الرغاب: الابل الواسعة الدر الكثيرة النفع.

الرغبانة -بضم الراء -: سعدانة النعل.

في المفردات: الرغيبة: العطاء الكثير إما لكونه مرغوباً فيه، فتكون مشتقة من الرغبة، وإما لسعته فتكون مشتقة من الرغبة بالاصل.



﴿ النحو ﴾

١- (ألم نشرح لك صدرك)

الهمزة للاستفهام ، و«لم » حرف جحد، تجزم الفعل المضارع ، و«نشرح» فعل مضارع للتكلم مع الغير، مجزوم بحرف الجحد، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً ، راجع إلى الله تعالى وحده ، وقد اُوتى بصيغة الجمع تعظيماً له جل و علا، و« لك» متعلق بـ« نشرح» و«صدر» مفعول به، اضيف إلى كاف الخطاب: «ك» للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- (و وضعنا عنك وزرك)

الواو للعطف، و«وضعنا» فعل ماض لتكلم مع الغير، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله عز وجل وقد اوتى بصيغة الجمع تفخيماً لله جل وعلا، عطف على المتقدم المنفى لفظاً، و المثبت معنى ، عطف الماضى على المضارع، والمثبت على المنفى لفظاً ، و على الماضيين المثبتين معنى ، و«عنك» متعلق بـ« وضعنا » و«وزر» مفعول به، اضيف إلى كاف الخطاب : «ك» للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٣- (الذى أنقض ظهرك)

«الذى» موصولة فى موضع نصب، نعتاً لـ« وزرك» و« أنقض» فعل ماض من باب الافعال، وهو صلة الموصول على إستتار العائد فيه وهو فاعله ، و«ظهر » مفعول به، اضيف إلى كاف الخطاب :«ك» للرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٤- (و رفعنا لك ذكرك)

الواو للعطف ، و«رفعنا» فعل ماض للتكلم مع الغير، وفاعله ضمير مستتر فيه،

راجع إلى الله جل و علا، و«لك» متعلق بـ«رفعنا» و«ذكر» مفعول به، اضيف إلى كاف الخطاب: «ك» للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والجملة عطف على ماسبق.

٥- (فان مع العسر يسراً)

الفاء للتعليل أو للفصاحة على ماقيل، و«إن» حرف تأكيد، و«مع» حرف جر بمعنى «بعد» و«العسر» مجرور بحرف الجر، واللام فيه للجنس دون الاستغراق، و قيل: للعهد دون الجنس، والجار و المجرور متعلق بمحذوف، وهو الخبر لحرف التأكيد على تقدير: يحصل أو يتعقب على العسر يسر، و«يسراً» إسم لحرف التأكيد.

٦- (ان مع العسر يسراً)

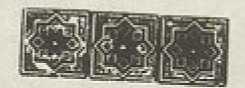
تأكيد لفظاً ومعناً على ماتقدم، وإعرابه ظاهر مما سبق.

٧- (فاذا فرغت فانصب)

الفاء للتفريع، و«إذا» ظرفية، و«فرغت» فعل ماض، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والفاء الثانية للجزاء، و«انصب» فعل أمر، فاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٨- (والى ربك فارغب)

الواو للعطف، و«إلى ربك» متعلق بـ«فارغب» وقيل: متعلق بمحذوف، والفاء في «فارغب» للجزاء، و«ارغب» فعل أمر، فاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، راجع إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على طريق الخطاب.



﴿البيان﴾

١- (ألم نشرح لك صدرك)

إستفهام تقريري يفيد توكيد الخبر الواقع عليه الاستفهام، فهو خبر، و لذلك عطف عليه الخبر و هو قوله عزوجل: بعدذلك: «ووضعنا عنك وزرك» إعتباراً للمعنى.

والمعنى: لقد شرحنا لك يامحمد بالنبوة وماأودعنا فيك من العلوم والحكم والمعارف حتى وسعت أعباء النبوة ودعوة الناس كافة، وماترى في سبيلها ...

وذلك ان في الاستفهام هنا طرفاً من الجحد، و«لم» حرف جحد، وإذا وقع جحد على جحد رجع إلى التحقيق والتقرير كقوله عزوجل: «أليس الله بأحكم الحاكمين» التين: ٨)

وقوله تعالى: «أليس الله بكاف عبده» الزمر: ٣٦).

فالاستفهام عن إنتفاء الشرح على وجه الانكار يفيد إثبات الشرح، فالاستفهام هنا نقل الكلام من المنفي إلى الايجاب، وفي التعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن إنتفائه ايذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لايقدر أحد أن يجيب عنه بغير «بلى».

وقيل ان إعتبار المعنى من جانب «وضعناه» أصوب وأنسب ليكون الكل داخلاً في الاستفهام الانكاري كأنه قيل: ألم نشرح؟ و لم نضع؟ ولم نرفع. ومثله مامر في سورة «الضحى» «ألم يجدك يتيماً - وألم يجدك ضالاً - وألم

يجدك عائلاً ... » أومعنى «ألم نشرح» : أماشرحنا ؟ فيصح العطف عليه بهذاالاعتبار ليشمل الاستفهام مجموع الأفعال ، وهكذا في سورة « الضحى » و أماالعدول من المتكلم الواحد في سورة « الضحى » إلى الجمع في هذه السورة ففائدته إما تعظيم حال الشرح وإماالاعلام بتوسط الملك في ذلك الفعل كماروى : إن جبرائيل أتاه، شق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي ثم ملأه علماً وايماناً ، ووضعه في صدره .

وطعن القاضي فيه من جهة أن هذه الواقعة من قبيل الاعجاز ، فكيف يمكن تصديقها قبل النبوة ، ومن جهة أن الامور المحسوسة لايقاس بها الامور المعنوية ؟ اجيب عن الأول بأن الارهاص جائز عندنا . وعن الثاني بأنه يفعل مايشاء ولا يبعد أنه تعالى جعل ذلك الغسل والتنقية علامة تعرف الملائكة بها عصمته عن الخطايا ...

والأكثرون على أن الشرح أمر معنوي وهو إما نقيض ضيق العطن بحيث لا يتأذى من كل مكروه وايحاش يلحقه من كفارة قومه ، فيتسع لأعباء الرسالة كلها ، ولايتضجر من علائق الدنيا بأسرها ، وإماخلاف الضلال والعمه حتى لايرى الحق ، و لاينطق عن الهوى ولايفعل إلا لوجه الله جل وعلا .

وقال المحققون: ليس للشيطان إلى القلب سبيل ، و لهذا لم يقل: «ألم نشرح قلبك» وإنمايجيىء الشيطان إلى الصدر الذي هو حصن القلب ، فيبثت فيه هموم الدنيا و الحرص على الزخارف ، فيضيق القلب حينئذ ولايجد للطاعة ولا للايمان حلاوة ولا على الاسلام طلاوة فاذاطرد العدو بذكر الله والاعراض عما يعنيه حصل الأمن و انشرح الصدر ويسر له القيام بأداء العبودية .

وبالجملة ان الآية الكريمة بصدد تقرير لعد نعم إلهية ايجابية وسلبية ، تذكيراً بما كان من عناية الله جل وعلا به صلى الله عليه وآله وسلم تطميناً وتثبيتاً له صلى الله عليه وآله وسلم . ومن أعظمها و أجلها شرح الصدر .

وفي زيادة الجار و المجرور - لك - مع توسيطه بين الفعل ومفعوله ايذان من أوّل الأمر بأن الشرح من منافع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصالحه، مسارعة إلى إدخال المسرّة في قلبه صلى الله عليه وآله وسلم و تشويقاً إلى مايعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن.

وفي المقام ايضاح بعد إبهام لأنه مقام إمتنان وتفخيم فان الشرح يفيد شرح شيء ،وصدرك يفيد تفسيره وبيانه، وفائدة ذلك إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: الابهام أولاً والايضاح ثانياً، وإما التمكّن المعنى في النفس تمكّناً زائداً لوقوعه بعد الطلب، فانه أعزّ من المنساق بلاتعب، أو لتكمل لذّة القلم به فان الشيء إذا علم من وجه ما تشوق النفس للعلم به من باقي الوجوه، وتألمت فاذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة.

وهكذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: «رب اشرح لي صدري» طه: ٢٥) و إن الفرق بينهما هو الفرق بين الانفاق و الاعطاء، فان موسى عليه السلام طلب الشرح فأتاه الله تعالى على قدر طلبه، وان الله عز وجل اعطى محمداً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم شرح الصدر بلا طلب وسئوال بقدر جوده فشتان بينهما!

وقيل: ان من فوائد إقحام «لك» دون أن يقتصر على قوله: «ألم نشرح صدرك» هو الاجمال ثم التفصيل، وإرادة الاختصاص أو كونه أهمّ.

٢- (و وضعنا عنك وزرك)

تقرير آخر لنعمة اخرى في سلبيتها، على طريق العطف على ما اشير إليه من مدلول الجملة السابقة، كأنه جل و علا قال: لقد شرحنا صدرك، و وضعنا وزرك.

إن تسئل: فما فائدة في زيادة ذكر «لك» و«عنك» والكلام تام بدونهما؟

تجيب: فائدته الابهام ثم الايضاح، وهو نوع من أنواع البلاغة، فلما قال قال تعالى: «ألم نشرح» فهم ان ثمّ مشروحاً له، ثم قال: «صدرك» فأوضح ما علم مبهماً

بلفظ «لك» وكذا الكلام في «ووضعنا عنك»

و«عنك» متعلق بـ«وضعنا» وتقديمه على المفعول به الصريح: «وزرك» من أن حقه التأخير عنه لقصد تعجيل المسرّة والتشويق إلى المؤخر.

وليس المراد بوضع الوزر ماتوهّمه من يجوّز الأفعال القبيحة: الصغائر منها والكبائر للأنبياء عليهم السلام من كونه كناية عن الذنب. وإنما المراد: بوضع الوزر ماكان يعاينه محمد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من الامور المستصعبة والمواقف الخطيرة في أداء الرسالة وتبليغ النذارة...

في **تلخيص البيان:** للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه قال: «وهذا القول مجاز وإستعارة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لايجوز أن ينتهي عظم ذنبه إلى حال إنقاض الظهر، هو صوت تقعقع العظام من ثقل الحمل لان هذا القول لايكون إلّا كناية عن الذنوب العظيمة والأفعال القبيحة وذلك غير جائز على الانبياء عليهم السلام في قول من لايجيز عليهم الصغائر ولا الكبائر وفي قول من يجيز عليهم الصغائر دون الكبائر لأن الله تعالى قد نزّههم عن موبقات الآثام ومستحقات (مستقبحات ظ) الأفعال إذ كانوا امناء وحيه وألسنة أمره ونهيه، وسفرائه إلى خلقه.

فنقول: ان المراد هيهنا بوضع الوزر ليس على مايظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب، وإنما المراد به ما كان يعانيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الامور المستصبعة والمواقف الخطرة في أداء الرسالة وتبليغ النذارة وما كان يلاقيه صلى الله عليه وآله وسلم من مضار قومه ويتلقاه من مرامي أيدي معشره وكل ذلك جرح (حرج ظ) في صدره وثقل على ظهره فقرره (فقرّج) الله تعالى بأنه أزال عنه تلك المخاوف كلها وحطّ عن ظهره تلك الاعباء (الاعناء ج) بأسرها وادّاله من أعدائه وفضله على اكفائه، وقدم ذكره على كل ذكر ورفع قدره على كل قدر حتى أمن بعد الخيفة وأطمأنّ بعد القلقة.

وخرج من حقائق الضغطة إلى مفاسح الغبطة، ومن عقال الانقباظ إلى محال

الانبساط فلذلك قال سبحانه: «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك» وهذه الامور التى امتن الله تعالى عليه بأنه فعلها به متشابهة فى المعنى لان شرح الصدر ووضع الوزر إذا كان بمعنى إزالة الثقل من الهم، ورفع الذكر أحوال يشبه بعضها البعض، فلامعنى لتأول الوزر هنا على أنه الذنب والمعصية، ولادليل فى الآية على ذلك مع ما فى القول به من العمر (الغمز) فى مزايا الأنبياء الذين قد رفع الله سبحانه أقدارهم وأعلا منارهم وألزمنا اتباع مناهجهم وتقبيل طرائقهم وتقبل أوامرهم.

فان قال قائل: ان هذه السورة مكية، وكان نزولها وهو عليه السلام بعد فى حال الخوف والمراقبة وضعف اليد عن المغالبة؟ قيل له: لا يمتنع أن يكون الله تعالى بشره بما تؤول إليه عواقب أمره من انجلاء الكربة، وانحسار اللزبة وقوة السلطان وإنتشار الاعلام، فقام المتوقع من ذلك عنده مقام الواقع لتصديقه وسكونه إلى صحته، فزال ما كان يعانيه من أثقال الهموم، ويقاسيه من خناق الكروب وهذا جواب مقنع بتوفيق الله وعونه». إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف.

٣- (الذى أنقض ظهرك)

وصف للوزر، ونقض الظهر هو: نوءه بالحمل الثقيل وإنحنائه تحته...

وهنا سؤال: أكان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يحمل أثقالاً على ظهره أم أنها أثقال المعاناة النفسية التى كان يعانيها من عناد قومه وخلافهم عليه؟ وإذا كان الله تعالى قد شرح صدر نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هذا الشرح المادى الذى شق به صدره وفتح به قلبه- فهل فعل الله تعالى مثل هذا بظهره فشدّ أعصابه وقوّى فقاره؟ أليس هذا من ذاك؟

٤- (ورفعنا لك ذكرك)

تقرير لنعمة ثالثة فى ايجابيتها أعطاها الله جل وعلا نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورفع ذكره مما هو معترف به من أنه لايمكن أى يدعه وشأنه، وأن رفع الذكر قد قصد به ما

كان من إختصاصه بالنبوة العظمى. وفي وقوع الرفع بعد الوضع مالايخفى لطفه على القارئ الخبير.

٥- (فان مع العسر يسراً)

وعد كريم من الله تعالى بالرخاء بعد الشدة و السعة بعد الضيق، وتيسير كل عسير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصالة، وللمؤمنين تبعاً، وبشرى و تطمين بأن الأمر سينتهي إلى اليسرى و النجاح، ومثل هذه البشرى قد جاءت في السورة السابقة باسلوب الوعد بأن الله تعالى سوف يعطيه حتى يرضى، وان النهاية ستكون خيراً من البداية.

وهكذا كان تدبير الله جل و علا مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بدأ أمر بالعسر و الضيق، ثم كانت عاقبة أمره إلى اليسر والسعة كما يشير إليه قوله تعالى: « وللآخرة خير لك من الاولى» الليل: ١٣) وإنما الامور بخواتيمها.. فما أجمل العافية بعد المرض، وما أطيب الصحة بعد الاعتلال، وما أهنأ الشبع بعد الجوع، والريّ بعد الظمأ!! وهكذا في كل ما يسوء ويسر... إذا جاءت المسرّة بعد المساءة، عظم وقعها، وجمل أثرها، وعفّى على كل أثر للمساءة والمضرة.

كان الفتى لم يربوماً إذا اكتسى　　ولم يك صعلوكاً إذا ماتمولا

وعكس هذا صحيح... فانه ما أثقل المرض بعد العافية، والاعتلال بعد الصحة، و ما أقسى الجوع بعد الشبع والظمأ بعد الريّ، وما أعظم الفقر بعد الغنى، والذلة بعد العزة... وهكذا في كل مساءة تعقب المسرة، حيث يذهب بها كل شيء كان جميلاً طيباً، ثم لا يبقى إلاّ وجهها الكريه البغيض يؤلم ويورق ويضني...

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فالذين يمشون في أول حياتهم على الشوك، ويغلسون أجسادهم بعرق الكفاح والصبر، يجنون أطيب الثمرات، ويضعون أقدامهم على مواقع العزة والمجادة و يتحلّون بحلل الكرامة والفخار... أما الذين يستقبلون الحياة مستنيمين في ظلها متجنبين الخوض في غمراتها، متخففين من حمل أعبائها وأثقالها، فهيهات أن تسلمهم

الحياة آخر الأمر إلى غير المهانة و الضياع ...

تريدين إدراك المعاني رخيصة ولابد دون التشهد من إبر النحل

وهكذا الشأن فيما بين الدنيا والآخرة ... فمن حمل نفسه على المكروه في الحياة الدنيا نزل منازل النعيم والرضوان في الدار الآخرة، ومن وضع فمه في ثدى الدنيا يرضع منها حتى يضع قدمه على طريق الآخرة- إنقطع به مورد فطامه هناك و كان من الهالكين.

ومن المحتمل أن تكون الاية الكريمة تعليلاً لما سبق من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، فما حمّله الله تعالى من الرسالة وأمر به من الدعوة- وذلك أثقل ما يمكن لبشر أن يحمله- كان قد اشتدّ عليه الأمر بذلك، و كذا تكذيب قومه دعوته و إستخفافهم به و إصرارهم على إمحاء ذكره و نسبتهم إلى ما يخالف إعتقادهم به صلى الله عليه وآله وسلم من الكذب وهو صلى الله عليه وآله وسلم صادق عندهم، ومن السحر والكهانة و الجنون و هو أمين عاقل بينهم فضلاً عن قداسة النبوة ومنزل الرسالة ...

كان قد اشتدّ عليه فوضع الله جل وعلا وزره الذى حمّله بتوفيق الناس لاجابة دعوته ورفع ذكره الذى كانوا يريدون إمحاءه و كان ذلك جرياً على سنته عز وجل في الكون من الاتيان باليسر بعد العسر فعلّل رفع الشدة عنه صلى الله عليه وآله وسلم بما أشار إليه من سنته، وعلى هذا فاللام في «العسر» للجنس دون الاستغراق، ولعل السنّة سنّة تحوّل الحوادث وتقلّب الأحوال وعدم دوامها.

والمعنى: إنما فعلنا ذلك لأنا سهلنا الامور لمن هم أهل لها، فنبدّل عسرهم باليسر، وإذا ضاقت صدورهم شرحناها لما هم بسبيله ،وفرّجنا كربهم فيما هم بسبيله لأنا كتبنا على أنفسنا الرحمة ، فهيّأنا كلاً لما هو بصدده و ساعدناه لاسيما الأنبياء عليهم السلام. وإنما نكر «يسراً» للتفخيم أى يسراً عظيماً وأى يسر ؟

وفى كلمة «مع» إشعار بغاية سرعة مجيىء اليسر كأنه مقارن للعسر فجعله كمصاحبه في سرعة المجيىء ، وان المراد بالمعية معيّة التوالى دون معية التحقق

في زمان واحد، ولا يبعد أن يكون المراد التلازم بينهما من غير إنفكاك، فان لكل عسر يسراً والعكس. وقيل: ان المعية هنا «مع العسر» توحي بواقع اليسر بن حال عسر هما، أما يسر الدنيا فارتياح ضمير المعسر في الله تعالى ويتبعه واقع يسره فيها، وأما يسر الآخرة فهو أيضاً واقع مهما كان خفياً ولكنه يظهر يوم الجزاء، وإذا أردت مكافأة بهذه المكرمات فانها ليست إلاّ أن تستمر بها لما بعدك كما كنت تعيشها حياتك أيها الرسول ﷺ

٦ـ (ان مع العسر يسراً)

تكرير للتأكيد والتثبيت: تأكيد الرجاء في قلوب الناس: علمائهم وجهالهم ليطمئن كل بأن الله جل وعلا سيخرجهم من المآزق التي يقعون فيها سواء أكانت دينية أم دنيوية.

وقد ورد: ان النبي الكريم ﷺ قال: أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين. ففي الاية الكريمة دلالة على أن مع العسر الواحد يسران لأن هناك قاعدة: ان المعرفة إذا اعيدت معرفة في الكلام المتصل كان المراد بها عين الاولى كما انه لو قيل: إذا اكتسبت الدرهم أو درهماً فأنفق الدرهم كان المراد بالثاني هو الاول بخلاف النكرة فانها إذا اعيدت كان الثاني غير الاول كما أنه قيل: إذا اكتسبت درهماً فأنفق درهماً، فعلى هذا إنحصر العسر بين يسرين كما قيل:

فيوم لنا ويوم علينا　　ويوما نساء ويوما نسر

ففي تعريف العسرين يلهمنا على أنهما واحد، حيث الثاني يشير إلى الاول كما أن تنكير يسرين دليل على أنهما إثنان إذ لا إشارة حيث لا عهد مسبقاً، فمع عسر الرسالة في وزرها يسران هما: إنشراح صدره ووضع وزره، وإذا اعتبر واحداً فثانيها يسر الحشر وأولاه وضع الوزر وشرح الصدر يجمعهما إرتياح ضمير الرسول ان بلّغ ما عليه، وهكذا يكون دائماً عسر المؤمن مكافحاً بيسرين في الدنيا وفي الدارين وما عندالله تعالى خير وأبقى.

وفي التوكيد مرتين بأنه سيكون مع العسر يسر ما يدل على أن النبي ﷺ كان يلقى صداً وعسراً شديدين، وأنه كان يعتلج في نفسه بسبب ذلك همٌ وغمٌ وقلق، ومما لا شك فيه أنه كان لهذا التوكيد وكذلك للأمر بالاتجاه في الفراغ والخلوات حالما يفرغ من عمله اليومي أثر في إستشعار النبي ﷺ بالسكينة وقوة النفس والروح، وأن ذلك قد ساعده أعظم مساعدة على مواجهة الصعاب والاستخفاف بالعقبات والاستغراق في الدعوة والاندفاع فيها، والثبات والصبر حتى تم له النصر الموعود وتبدل العسر يسراً وصارت كلمة الله تعالى هي العليا.

وفي هذا تلقين جليل مستمر المدى دون ريب، حيث يمد كل صاحب دعوة إلى سبيل الله جل وعلا والخير العام بقوة الروح وسكينة النفس وطمأنينة القلب والاندفاع فيما هو بسبيله وإقتحام صعابه وعقباته وتحمل العناء راضياً مطمئناً إلى أن يصل إلى هدفه ويكون له بعد العسر يسر إذا ما تشبع قلبه بالايمان، وامتلأ بعظمة الله عز وجل واتجه إليه وحده واستصغر كل ما عداه.

ومن المحتمل أن تكون الجملة عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخر نحو قوله ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الثواب» فان المعرف إذا اعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً، وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول، وفي معرفة العسر ونكرة اليسر إشعار بأن في اليسر إبهام وإجمال في وصوله في الحياة الدنيا، فلا يتوقع منه إنسان، ولا يترقب ولا يرتقب بخلاف اليسر فانه مرتقب مترقب بلا تعين زمان وقوعه، هذا بالنسبة إلى أولياء الله تعالى، وأما بالنسبة إلى أعداء الله فالأمر كثيراً ما عكس.

وفي تنكير اليسرين وجهان: أحدهما ـ للتفخيم أي ان مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر. ثانيهما ـ للتنويع.

٧- (فاذا فرغت فانصب)

تعقيب على ما تقدم من تحميله الرسالة والدعوة، ومنّه جل وعلا على النبي الكريم ﷺ بما منّ من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وكل ذلك من اليسر بعد العسر. والمعنى: إذا كان من شأن العسر أن يصحبه يسر، ومن شأن النصب والتعب أن تعقبهما الراحة والرضا، فجدير بك أيها النبي ﷺ - كما هو جدير بكل إنسان - انك إذا فرغت من أيّ موقع من مواقع الكفاح والجهاد فلا تركن إلى الراحة بل افتح جبهة جديدة للكفاح والجهاد فاته بقدر ما يمتد بك هذا الطريق الشاق العسر بقدر ما تحصل من خير وبقدر ما تبلغ من علوّ شأن ورفعة قدر.

وفي الآية الكريمة حثّ له ﷺ على المواظبة على العمل واستدامته شكراً لنا على نعمنا السابقة وما نستفيض عليه من النعم الآتية بوعدنا.

وفيها تلقين جليل مستمر المدى بلا ريب حيث يمدّ كل صاحب دعوة إلى سبيل الله والخير العام بقوّة الروح وسكينة النفس وطمأنينة القلب والاندفاع فيما هو بسبيله، وإقتحام صعابه وعقباته وتحمل العناء: راضياً مطمئناً إلى أن يصل إلى هدفه. فيكون له بعد العسر يسر إذا ما تشبع قلبه بالايمان، وامتلأ بعظمة الله تعالى واتجه إليه جل وعلا وحده واستصغر كل ما عداه.

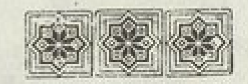
٨- (و الى ربك فارغب)

في الآية الكريمة من الحصر ما لا يخفى إذ قدّم الجار والمجرور نظير قوله جل وعلا: «ان الحكم إلاّ لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون» يوسف: ٦٧)

فالمعنى: لا تتجه بقلبك لغير الله ولا تسئل عما سواه كما أنعمت عليك من قبل من غير أن تسئله فارغب إليه وحده ولا تستعن بأحد سواه فانه وحده هو القادر على إسعافك فانه هو الحقيق بالتوجه إليه والضراعة له.

وقد كان النبي الكريم ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم أعوذ بك من الفقر إلاّ إليك، ومن الذل إلاّ لك، ومن الخوف إلاّ منك»

وفى الاية الكريمه إشارة إلى أن هذا الجهاد والكفاح وما تحتمل فيه النفس من نصب وتعب - إنما يعطى هذا الثمر الطيب إذا كان متجهه إلى الله تعالى، وكانت غايته مرضاة الله جل وعلا والرغبة فيما عنده أما النصب والتعب فيما لا يراد به وجه الله والدار الآخرة، فهو عناء وبلاء ان النصب والتعب فى مغارس الحق والخير يزكو نباته ويطيب ثمره ويكثر خيره، وأما النصب والتعب فى أودية التيه والضلال، فذلك ما لا ينبت إن كان له نبات - إلا الشوك والحسك.



﴿الايجاز﴾

ومن المعلوم أن محمداً ﷺ كان وماكان للقرآن الكريم لفظ، و لايتكلم به أحد فأخبر في عهد مبكر من البعثة بما وقع بواقعه لاينكر من إنشراح الصدر باتيان القرآن المجيد، ومن وضع الوزر بماكان، وقد أخبر بما سيقع من رفعة الذكر وإستمرارها وإبدال العسر باليسر له ولأصحابه ﷺ بالفتح بعد ماكانوا في ضيق شديد، فوقع على ما اخبر بـه.

فلو كان القرآن الكريم من تلقاء نفسه لما كان له ﷺ أن يقول بذلك ليهيّج عصبية الأعداء فيشتدّ سعيهم في إطفاء نور حياته والصدّ عن دعوته وإبطال مايدّعيه مع قلّة عدده وعدم إتكاءه على ذوي عدد وعدد كما كان عليه المتنبؤون والمتقائدون في طوال الأعصار...

و استمع كيف يذكر محمد ﷺ في كل ثانية ليلاً ونهاراً مع ذكر الله تعالى في الأذان و الاقامة و التشهد والخطب و غيرها ؟ كيف قرن ذكره ﷺ بذكره جل و علا في كلمة الشهادة ؟ فلا مسلم ولا مؤذن ولا خطيب ولامصلّ إلاّ ولابد من أن ينادي: أشهد أن لاإله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

و أي شيء أرفع من إقتران إسم محمد ﷺ باسم الله تعالى ، و طاعته بطاعته ؟ و من جحد برسالة محمد ﷺ فهو بحكم من جحد بالله جل وعلا،

و أى منزلة أرفع من النبوة التى منحها الله عزوجل محمداً ﷺ ؟ و أى ذكر أنبه من أن يكون له ﷺ فى كل طرف من أطراف المعمورة أتباع يمتثلون أوامره ﷺ و يجتنبون عن نواهيه، ويرون طاعته ﷺ مغنماً و معصيته مغرماً ؟ و هل من فخار بعد ذكره ﷺ فى كلمة الاسلام مع العلى الرحمن ؟ و أى ذكر أرفع من ذكر من فرض الله تعالى على عباده الاقرار بنبوته، و جعل الاعتراف برسالته بعد بلوغ دعوته شرطاً فى دخول جنته ؟.

و ذلك ان محمداً رسول الله الأعظم ﷺ أنقذ امماً كثيرة من رقّ الأوهام وفساد الأحلام، و رجع بهم إلى الفطرة الاولى من حرية العقل و الارادة و الاصابة فى معرفة الحق و الصواب، و معرفة من يقصد بالعبادة و السعادة، فاتحدت كلمتهم فى الاعتقاد باله واحد و منهج واحد بعد أن كانوا يعبدون آلهة عديدة متفرقين طرائق قدداً : عبّاد أصنام و أوثان، عبدة شموس و أقمار و عبيد شهوات و أوهام . . . لا يجدون إلى الهدى سبيلاً و لا للوصول إلى الحق طريقاً . فأزاح عنهم تلك الغمة، وأنار لهم طريق الصواب والرشاد .

وقد رفع الله جل وعلاذكر نبيه ﷺ معه على المآذن أوقات الصلاة ورفعه قبل مولده ومبعثه فى كتب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من قبل، فأصبح رفيع الذكر حياته وقبلها وبعدها، وياله من ذكر لزاماً لذكر الله جل وعلا ! و كما عن النبى ﷺ عن الله عزوجل: «إذا ذكرت ذكرت معى».

رفع الله تعالى ذكره فى الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يومنوا به، وأن يأمروا اممهم بالايمان به، ثم شهر ذكره فى امته، فلايذكر الله تعالى إلا ذكرمعه محمد خاتم النبيين ﷺ .

ونعم ما قال الصرصري:

لا يصحّ الأذان في الفرض إلاّ / باسمه العذب في الفم المرضى
ألم تر أنا لا يصحّ أذا ننا / ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وقد أجرى الله تعالى الذكر الحسن لنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم على الألسنة، و جعل له صلى الله عليه وآله وسلم ذكراً عالياً باقياً على الأزمنة، فما أسلم مسلم، وما آمن مؤمن بالله تعالى إلاّ جعل الاسلام والايمان بنبوته من تمام ايمانه بالله جل وعلا، وانه لا يؤمن بالله تعالى من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقرن ذكره صلى الله عليه وآله وسلم بذكر الله تعالى.

فأيّ ذكر أعظم من هذا الذكر؟ وأيّ قدر مثل هذا القدر لبشر غيره صلى الله عليه وآله وسلم ونحن إذا تدبّرنا في قوله عزوجل مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى» الضحى: ٦-٨)

ثم تدبّرنا في قوله جل وعلا مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك» الانشراح: ١-٤) نجد تطابقاً في المعنى وتقريراً له...

فهذا اليتيم الفقير يؤويه الله عزوجل، ويرفع ذكره في العالمين، ويجرى الحديث الطيب عنه على كل لسان في كل آن أبد الدهر... والعهد باليتم والفقر أن يقيما الانسان في أدنى درجة من سلم المجتمع الانساني حيث يلفّه الخمول والضياع من مولده إلى مماته..

وهذا الضال الذى إستبدّت به الحيرة، ورهقه البحث عن طريق الخلاص و النجاة قد هداه الله تعالى و جعله مصباح هدى للعالمين، وسراجاً منيراً و رحمة للناس أجمعين فوضع بذلك عن كاهله هذا العبء الثقيل الذى كان ينوء به، من حيرته في أمره وأمر الظلام المنعقد على قومه ... والعهد بالحائرين أن تعلق بهم الحيرة، وأن تترك بصماتها الواضحة عليهم حتى بعد شفائهم مما كان قد ألمّ بهم

من حيرة وقلق.

وهذا الفقير المعيل وكان حسبه أن يجد الغنى الذى يسدّ مفاقره ويشبع جوعه وجوع عياله ـ قد أغناه الله عزوجل، وكفل له ولعيا له لقمة العيش... ثم لم يقف غناه عند هذا، بل شرح الله عزوجل صدره، وأودع فيه ما لا تتسع له كنوز الدنيا كلها بما نزل عليه من آيات ربه، وبما أراه ربه من مقامه عنده، وبما بارك عليه فى اسرته التى تضمّ كل مسلم ومسلمة فى مشارق الارض ومغاربها، يمدّها على الزمن بهذا الغذاء الذى لا ينفد أبد الدهر، من ثمرات الايمان وزاد التقوى.. فأىّ سرح للصدر؟ وأىّ غبطة ورضاً، وأىّ مسرّة وفرحة تعمر جوانبه أكثر من هذا وأعظم وأبقى؟؟؟

ولنعود إلى ما افتتحت به هذه السورة المباركة من برهان صدر النبى الكريم ﷺ فى قوله جل وعلا: «ألم نشرح لك صدرك» ومن برهان طهارة نفسه الزكية فى قوله: «ووضعنا عنك وزرك» ومن برهان رفعة ذكره فى قوله: «ورفعنا لك ذكرك» وذلك انه قد تقرر فى العلوم الالهية: أن الحق جل وعلا برهان على كل شيء كما قال: «أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» فصلت: ٥٣)

وقد ثبت أيضاً ان المبدأ عين الغاية، والبداية عين النهاية، وان الله عزوجل فاعل كل شيء وان الانسان الكامل الذى لا أكمل منه غاية المخلوقات: «لولاك لما خلقت الافلاك» فاذن يجب أن يكون هو البرهان على سائر الاشياء كما قال: «وجئنا بك شهيداً على هؤلاء» النحل: ٨٩)

ومن الشواهد الدالة على هذا المطلب: ان الله تعالى اعطى لكل نبى آية وبرهاناً، وجعل نفس النبى الخاتم ﷺ برهاناً إذ قال: «يا أيها الناس قدجاءكم برهان من ربكم» النساء: ١٧٤) وذلك لان برهان الانبياء كان فى الاشياء غير أنفسهم، مثل برهان موسى عليه السلام فى عصاه وفى يده، وفى الحجر الذى إنبجست منه إثنتا عشرة عيناً

قد علم كل اناس مشربهم.

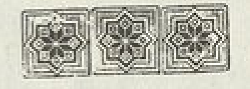
وقد كان نفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم برهاناً بالكلية، فكان برهان عينه ما قال: «لا تسبقوني بالركوع فاني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي» وبرهان بصره: «ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربه الكبرى» النجم: ١٧-١٨) و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها» وبرهان سمعه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أطت السماء وحق لها أنئط ليس فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع» «أطت السماء» صوت بالزهام والمراد كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا ايذان ومثل بكثرة الملائكة.

وبرهان شمه صلى الله عليه وآله وسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن» وبرهان ذوقه صلى الله عليه وآله وسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ان هذا الذراع مسموم» وبرهان لمسه صلى الله عليه وآله وسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وضع الله يده بين كتفي فأحسن برده» وبرهان لسانه صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» النجم: ٢-٣) وبرهان بصاقه ما قال جابر: «انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى أجيىء فجاء فبصق في العجين وبارك وبصق في البرمة فاقسم بالله انهم لأكلوا وهم ألف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط - أي لاشتد غليانها - كماهي، وان عجيننا ليخبز كماهي».

وبرهان تفله انه صلى الله عليه وآله وسلم تفل في عين علي بن أبيطالب عليه السلام وهي ترمد فبرء باذن الله يوم خيبر، وبرهان يده قوله تعالى: «ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى» الانفال: ١٧) وانه سبح الحصى في كفّه، وبرهان إصبعه انه أشار به إلى القمر، فانشق فلقتين، وكان الماء ينبع من أصابعه حتى شرب منه خلق كثير، وبرهان صدره قوله عزوجل: «ألم نشرح لك صدرك» الانشراح: ١) وانه كان له أزيز كأزيز المرجل، و برهان طهارة ذاته المقدسة مما لا يليق إلا على من هو مظهر الكمال الانساني قوله تعالى: «ووضعنا عنك وزرك» الانشراح: ٢) وبرهان رفعة ذكره قوله عزوجل: «ورفعنا لك

ذكرك» الانشراح: ٣) وبرهان قلبه انه كان تنام عيناه ولاينام قلبه ، وأمثال تلك البراهين فى مظاهر وجوده المقدس أكثر من أن تحصى.

وأما براهين مطاوى وجوده وقواه المستورة، فمنها برهان قوة حفظه كقوله عزوجل: «سنقرئك فلاتنسى» الاعلى: ٦) وبرهان قوة علمه قال على عليه السلام: «علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف من باب العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب» وإذا كان حال الوحى هكذا فكيف حال النبى المعلم صلى الله عليه وآله وسلم، وأما برهان قوته المحركة العملية، فلعروجه بجسده الشريف إلى أقصى عالم السموات وهو سدرة المنتهى ، وبجسمه المقدس إلى قاب قوسين أوأدنى، وأما برهان عقله العملى فقوله تعالى: «انك لعلى خلق عظيم» القلم: ٤) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق»



﴿التكرار﴾

واعلم أن البحث في المقام يدور حول أربعة امور :

الاول : ان السور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس :

١ـ سورة الانشراح.

٢ـ سورة التين.

٣ـ سورة البينة.

٤ـ سورة الزلزلة.

٥ـ سورة التكاثر.

الثاني : ان خمس سور افتتحت بحرف الاستفهام: ثنتان منها بحرف «هل» أحدهما ـ سورة الانسان. ثانيهما ـ سورة الغاشية. وثلاثة اخرى بحرف الهمزة: «أ» أحدها ـ سورة الانشراح. ثانيها ـ سورة الفيل. ثالثها ـ سورة الماعون. و تضاعف عليها سورة النبأ باعتبار.

الثالث : أن نشير في المقام إلى صيغ عشرة لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الشرح) على صيغها في القرآن الكريم نحو خمس مرات:

١ـ سورة الزمر: ٢٢) ٢ـ سورة طه: ٢٥) ٣ـ سورة النحل: ١٠٦) ٤ـ سورة

الانعام: ١٢٥) ٥- سورة الانشراح: ١)

٢- « « (الصدر) « « « /٤٦ مرة:

٣- « « (الوضع) « « « /٢٦ « :

٤- « « (الوزر) « « « /٢٧ « :

٥- « « (الرفع) « « « /٢٩ « :

٦- « « (العسر) « « « /١٢ « :

٧- « « (اليسر) « « « /٤٤ « :

٨- « « (الفرغ) « « « ست مرات:

١- سورة الانشراح : ٧) ٢- سورة الرحمن : ٣١) سورة القصص : ١٠) ٤- سورة الكهف : ٩٦) ٥- سورة الاعراف : ١٢٦) ٦- سورة البقرة : ٢٥٠).

٩- « « (النصب) « « « /٣٢ مرة:

١٠- « « (الرغبة) « « « ثمان مرات:

١- سورة الانشراح: ٨) ٢- سورة القلم : ٣٢) ٣- سورة الانبياء: ٩٠) ٤- سورة مريم: ٤٦) ٥- سورة النساء: ١٢٧) ٦ و ٧- سورة التوبة: ٥٩ و ١٢٠) ٨- سورةالبقرة: ١٣٠)

الرابع : وقد اختلفت كلمات المفسرين حول هذا التكرار، ومابين العسر الاول والثاني، وبين اليسر الاول والثاني من الفرق في قوله جل وعلا: «فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» الانشراح٥-٦)

فمنهم من قال : ان الغرض من التكرار هو توطيد الرجاء والثقة بالله عز وجل ، و إلا أن الامل يسوق إلى السعي و العمل ، أما اليأس فهو بالانتحار أشبه قال الله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » الرحمن : ٢٩) على أن ضمير « هو» راجع إلى «يوم » و يقول العلم الحديث : « كل شيء يتغيّر

إلاّ مبدأ التغير و التطور . . . » و المعنى : ان الشدة و الضيق يعقبهما الراحة و الفرج عاجلاً أو آجلاً وان وعد الله تعالى لا يحمل إلاّ على أحسن ما يحتمله اللفظ وأكمله.

ومنهم من قال: ليس في الآيتين تكرار لان المعنى: ان مع العسر الذى أنت فيه من مقاساة الكفار يسراً في العاجل ، وان مع العسر الذى أنت فيه من الكفار يسراً في الآجل ، فالعسر واحد واليسر إثنان. و قال إبن عباس: «لايغلب يسرين عسر واحد » و ذلك ان في « ألم نشرح» عسراً واحداً ويسرين وإن كان مكرراً في اللفظ لأن العسر الثانى هو العسر الاول، واليسر الثانى غير الاول لانه نكرة و النكرة إذا اعيدت اعيدت بألف و لام كقولك : جائنى رجل فأكرمت الرجل ، فلما ذكر اليسر مرتين ، و لم يدخل في الثانى ألفاً ولاماً علم أن الثانى غير الاول. وقيل : ان الجملة الثانية وعد مستأنف ، فيتعدد اليسر و العسر حينئذ.

ومنهم من قال: ان الجملة الثانية تاكيد للاولى كما في قوله تعالى: « ويل يومئذ للمكذبين» المرسلات : ٦) وما أشبهه و كما في قولك : جائنى رجل جائنى رجل وأنت تعنى واحداً في الجملتين، فعلى هذا يتحد العسر واليسر أويكون تعريف العسر لانه حاضر معهود وتنكير اليسر لانه غائب مفقود وللتفخيم والتعظيم .

و قيل: ان المعرفة إذا تكررت كانت هي هي ، و أن النكرة إذا تكررت كان اللفظ الثانى غير الاول . . . و ان كلمة « العسر » - و هى معرفة - هى عسر واحد بعينه في الموضعين ، و أما كلمة « يسر » - و هى نكرة - فانها يسر بعينه في كل موضع ، و من هنا قالوا فيما ورد: «لن يغلب عسر يسرين»: اريد بذلك أن العسر دائماً يواجهه يسر ان ، و أنهما لابد أن يقهراه و

يغلباه ، و يأتون على هذا بحديث لرسول الله ﷺ يقول : « لن يغلب عسر يسرين »

و عن الفراء : إن هذا التكرار تأكيد للكلام كما يقال : إدم إدم ، إعجل إعجل، قال الله تعالى: « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» التكاثر: ٣-٤) ونظيره فى تكرار الجواب: بلى بلى ، لالا وذلك للاطناب والمبالغة. ومنه قول الشاعر:

هممت بنفس بعض الهموم فأولى لنفسى أولى لها

وقال قوم منهم الجرجانى : هذا قول مدخول لانه يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل : ان مع الفارس سيفاً ، ان مع الفارس سيفاً أن يكون الفارس واحداً و السيف إثنان ، و الصحيح أن يقال : ان الله بعث نبيه محمداً ﷺ مقلاً مخفاً فعيّره المشركون بفقره حتى قالوا له: نجمع لك مالاً فاغتم و ظنّ انهم كذبوه لفقره فعزّاه الله و عدّد نعمه عليه ، و وعده الغنى بقوله : « فان مع العسر يسراً » أى لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك العسر يسراً عاجلاً أى فى الدنيا ، فأنجز له ما وعدوك فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز و اليمن، و وسّع ذات يده حتى كان يعطى الرجل المائتين من الابل ، و يهب الهبات السنية و يعدّ لاهله قوت سنة .

فهذا الفضل كلّه من أمر الدنيا و إن كان خاصاً بالنبى ﷺ فقد يدخل فيه بعض امته إن شاء الله تعالى ، ثم ابتدأ فضلاً آخر من أمر الآخرة و فيه تأسية و تعزية له ﷺ فقال مبتدئاً : « ان مع العسر يسراً » فهو شيء آخر ، و الدليل على ابتدائه تعرّيه من فاء أو واو أو غيرهما من حروف النسق التى تدل على العطف ، فهذا و عد عام لجميع المؤمنين لا يخرج أحد منه أى ان مع العسر فى الدنيا للمؤمنين يسراً فى الآخرة لامحالة.

وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة . والذى فى الخبر: «لن يغلب عسر يسرين» يعنى العسر الواحد لن يغلبهما، وإنما يغلب أحدهما إن غلب وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فكائن لامحالة ولن يغلبه شيء أويقال: « ان مع العسر» و هوإخراج أهل مكة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من مكة «يسراً» وهودخوله يوم فتح مكة مع عشرة آلاف رجل مع عزّ وشرف.

و منهم من قال: إذاكان المراد بالعسر الجنس لا العهد لزم إتحاد العسر فى الصورتين ، وأما اليسر فمنكر فان حمل الكلام الثانى على التكرار مثل « فبأىّ آلاء ربكما تكذبان » ونحوه كان اليسران واحداً ، وإن حمل على أنه جملة مستأنفة لزم أن يكون اليسر الثانى غير الاول ، و إلاّ كان تكراراً و المفروض خلافه ، وان كان المراد العسر المعهود فان كان المعهود واحداً وكان الثانى تكراراً كان اليسران أيضاً واحداً، وإن كان مستأنفاً كان إثنين و إلاّ لزم خلاف المفروض.

وإن كان المعهود إثنين فالظاهر إختلاف اليسرين وإلاّ لزم أوحسن أن يعاد اليسر الثانى معرّفاً بلام العهد فهوواحد والكلام الثانى تكرير للاول لتقريره فى النفوس إلاّ انه يحسن أن يجعل اليسر فيه مغايراً للاول لعدم لام العهد ولعل هذا معنى الحديث: «لن يغلب عسر يسرين»

و إذا ثبت هذا المعنى فتحمل الآية الكريمة على وجه يلزم منه إتحاد العسر وإختلاف اليسر وحينئذ يكون فيه قوّة الرجاء ومزيد الاستظهار برحمة الكريم.

وعن السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه انه قال: إن القائل إذا قال شيئاً ثم كرّره فان الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيداً لما لا يفيده الآخر فيجب مع الاطلاق حمل الثانى على غير مقتضى الاول إلاّ إذا كان بين المخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك ان المخاطب أراد بكلامه الثانى

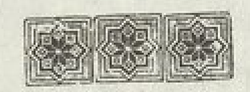
الاول فيحمله على ذلك وأنشد أبو بكر الانبارى:

إذا بلغ العسر مجهوده فشق عند ذاك بيسر سريع
ألم تر نحس الشتا الفظيـ ع يتلوه سعد الربيع البديع

وأنشد إسحق بن بهلول القاضى:

فلا تيأس و إن أعسرت يوماً فقد أيسرت فى دهر طويل
و لا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى لك بالجميل
فان العسر يتبعه يسار و قول الله أصدق كل قيل

وغير ذلك من كلام طويل للمفسرين فى تكرار الآيتين الكريمتين تركناه إذ لم نجد فائدة لذكره والله تعالى هو أعلم.



﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها- التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها- التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها- التناسب بين آيات هذه السورة نفسها.

أما الاولى و الثانية- لاتحادهما في الترتيب النزولي والمصحفي- فالتناسب بينهما: ان هذه السورة متممة لسورة «الضحى» حتى قيل: انهما سورة واحدة، فان كلتيهما عارض لما أنعم الله عزوجل به على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتذكير له صلى الله عليه وآله وسلم بهذه النعم، وتوجيه له إلى ما ينبغي أن يؤديه لها من حق عليه... وهكذا شأن كل نعمة ينعم الله تعالى بها على الانسان لاتتم إلاّ بالشكر للمنعم وبالانفاق منها على كل ذي حاجة إليها.

وذلك ان الله جل وعلا أشار في السورة السابقة: «الضحى» إلى ما أفاضه على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من فنون النعماء العظام الظاهرة المادية وما إليها، واطمأنه على أنه صلى الله عليه وآله وسلم في حمايته و كنفه، ووعده باعطاء نعيم عظيم آخر يرضى صلى الله عليه وآله وسلم: «و لسوف يعطيك ربك فترضى» لايقادر قدره، وأمره صلى الله عليه وآله وسلم بالاحسان على مستحقيه و تحديث نعمه تعالى عليه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ في هذه السورة بذكر ما أفاضه عليه صلى الله عليه وآله وسلم من فنون النعماء العظام الباطنة المعنوية وما إليها، واطمأنه على أنه صلى الله عليه وآله وسلم في حصنه و صيانته من هذه الجهة أيضاً، ووعده برفعة ذكره وبقاء رسمه وإرتقاء إسمه صلى الله عليه وآله وسلم

تجاه ثقل الدعوة والرسالة، وأمره صلى الله عليه وآله وسلم بما فيه هذه الرفعة من إرتباطه بالله جل وعلا بالعبادة و الطاعة، والاتجاه إليه عز وجل تعليماً لنا على مقدرتنا.

وروى عن طاوس وعمر بن عبدالعزيز من التابعين انهما كانا يقولون: ان سورة الضحى والانشراح سورة واحدة، وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة بدون فصل بالبسملة، والذي دعاهما إلى ذلك ما رأيا من التناسب في معرض تعديد النعم بين قوله تعالى: «ألم يجدك يتيماً فآوى ...» وبين قوله: «ألم نشرح لك صدرك ...»

وفيه ضعف لأن القرآن الكريم كله في حكم كلام واحد فلو كان هذا القدر موجباً لطرح البسملة من بين السور لزم ذلك في كلها، مع ان الاستفهام في «الضحى» وارد بصيغة الغيبة وفي سورة «الانشراح» بصيغة التكلم وهذا القدر كاف في كون كل سورة منهما سورة مستقلة مضافاً إلى ان المتواتر المتصل بالترتيب المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته المعصومين صلوات عليهم أجمعين أنهما سورتان تفصل بينهما بسملة.

والمتبادر ان التماثل والتعاقب بين السورتين مما جعل بعض التابعين إذا صحت الرواية يقولان: إنهما سورة واحدة. وهذا التماثل و التعاقب يلهمان أن هذه السورة بمثابة إستمرار لسابقتها ظرفاً وسياقاً وموضوعاً، أو أنها نزلت في ظرف أزمة نفسية ثانية ألمت بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أزمة فترة الوحي مما كان يلاقيه من قومه من عناء و عسر.

وأما الثالثة: فلما أشار تعالى إلى ما أفاضه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي به كماله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم نشرح لك صدرك» نزّهه عما فيه النقص: «ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك» فالاول كمال والثاني طهارة، ومن كان كاملاً وطاهراً فلا جرم له رفعة شأن عند الله تعالى إذ قال: «و رفعنا لك ذكرك» ومن كان عنده تعالى رفيع الدرجات فكيف عند العباد ومن هنا أوجب عليهم باقتران ذكره تعالى من ذكر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في عباداتهم و دعواتهم ...

ومن اللطف وقوع الرفع: « رفعنا لك ذكرك » بعد الوسع: « وضعنا عنك وزرك »

ولما كان المرء لن ينال إلى الكمال إلاّ بالعبور عن العقبات الصعاب - كما أن الذهب لا يقال: انه خالص إلاّ بعد التحلل والتجزية عن الجرائيم- فكذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان له الكمال ذاتاً ولكن لابد له من أن يعبر بكماله عن العقبات الصعاب تعليماً لنا وإن كان بعدها يسر ويسر.

فالله الذي شرح صدر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وخفف الوزر الذي كان شديداً عليه ورفع ذكره مما هو معترف به منه لا يمكن أن يدعه وشأنه. ولأن يجعل عسره مستمراً، و عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتجلد ويصبر: « فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً »

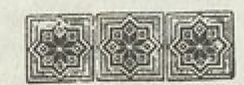
وقيل: ان ترتب الآيات الثلاث الاول في مضامينها ثم تعليلها بقوله: « فان مع العسر يسراً » الظاهر في الانطباق على حاله صلى الله عليه وآله وسلم في أوائل دعوته وأواسطها وأواخرها ثم تكرار التعليل ثم تفريع آيتي آخر السورة كل ذلك يشهد على كون المراد بشرح صدره صلى الله عليه وآله وسلم بسطه بحيث يسع ما يلقى إليه من الوحي ويؤمر بتبليغه وما يصيبه من المكاره والأذى في الله جل وعلا، وبعبارة اخرى جعل نفسه المقدسة مستعدة تامة الا- ستعداد لقبول ما يفاض عليها من جانب الله تعالى.

ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم بما فيه الكمال الانساني كل بحسبه بناء على التعميم أو المراد به الامة والتعليم لنا بانك إذا فرغت من التبليغ والدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى فانصب نفسك للعبادة إذ بها يحصل اليقين: « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر: ٩٩) وإذا فرغت من العبادة فليكن توجهك إلى الله تعالى وحده في كل الاحوال إذ به تطمئن النفس: « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد: ٢٨)

وقد ثبت بالتجربة بان الدعاة والوعاظ لا يقبل قولهم، ولا يصغى الناس إلى ما يقولون أو يكتبون إلاّ إذا كانوا في بعض الأوقات يتفرّعون لربهم بصلاة مع حضور القلب أو ذكر بشرط أن يكونوا كأنهم يخاطبون ربهم، وكلما أوغلوا في العبادات و الذكر مع حضور قلوبهم إستعدّوا للرقي فيما هم بصدده من العلوم والارشاد. و الا-

رشاد إن لم يكن مقروناً بذلك فلا أثر له ، لأن القول إنما يؤثر من صاحب الوجدان، والوجدان في الامور الدينية لن يكون إلاّ بالذكر والعبادة .

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام :« الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً فآياتها محكمة والله عز وجل هو أعلم .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (ألم نشرح لك صدرك)

فى معنى الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى لقد شرحنا صدرك وفسحناه حتى وسع عموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً. ٢- قيل: أى شرحنا صدرك بحيث إحتمل المكاره التى يتعرض لك بها كفار قريش وغيرهم.

٣- قيل: أى شرحنا صدرك بما أودعنا فيه من العلوم و المعارف والحكم، وألناه وجعلناه وعاء للحكمة، و أزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل.

وذلك ان شرح الصدر: فتحه وسعته وبسطه باذهاب ما يصدّ عن إدراكه من الشواغل التى تصدّ عن إدراك الحق.

وان العرب تطلق عظم الصدر وتريد به القوة وعظم المنة وإنبساط النفس، و يفتخرون بذلك فى مدائحهم من قبل أن سعة صدر تعطى الاحشاء فسحة للنمو والراحة، وإذا تم ذلك المرء كان ذهنه حاضراً لا يضيق ذرعاً بأمر.

والمعنى: ألم نفتح صدرك للاسلام؟ و لم نوسع قلبك بالنبوة و العلم حتى قمت بأداء الرسالة وصبرت على المكاره و إحتمال الأذى، واطمأننت إلى الايمان، فلم تضق به ذرعاً. أى قد فعلنا ذلك. فالاستفهام للتقرير.

٢- عن إبن عباس: أى ألم نليّن لك قلبك و نجعله وعاء للحكمة. ٣- عن الحسن أى ألم نملأ قلبك حكماً وعلماً و ايماناً.

٤- قيل: أى بسطنا صدرك بحيث يسع ما يلقى إليه من الوحى، وما تؤمر بتبليغه وما تصيبك من المكاره والأذى فى الله جل وعلا، فجعلنا نفسك المقدسة مستعدة تامة الاستعداد لقبول ما يفاض عليها من جانب الله عز وجل.

٥- عن البلخى: انه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد ضاق صدره بمعاداة الجن والانس إياه ومنا صبتهم له فآتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حمله الله تعالى إياه وأمره به، و ذلك من أعظم النعم.

وقيل: ضاق النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذرعاً بفساد مجتمعة قبل البعثة فأثار الله جل وعلا له السبيل إلى ما يبتغيه فاطمأن قلبه وإنشرح صدره فامتن سبحانه على نبيه بهذه النعمة الكبرى تماماً كما امتن عليه صلى الله عليه وآله وسلم فى السورة السابقة بقوله: «ألم يجدك يتيماً...» و لذلك قيل: ان سورة الضحى و الانشراح سورة واحدة لعلاقة بينهما.

٦- قيل: أى شرحنا صدرك للهدى والايمان بالله تعالى ومعرفة الحق. ٧-قيل: أى ألم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الافادة والاستفادة فما صدته الملابسة بالعلائق الجسمانية والزخارف المادية عن إقتباس أنوار الملكات، ولما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لأسرارها من العلوم والادراكات و الملكات والارادات وما إليها، عبّر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية، فصارت مستعدة تامة الاستعداد لقبول ما يفاض عليها من جانب الله جل وعلا من الوحى والامر بتبليغ الرسالة وما يصيبها من المكاره والأذى فى سبيل الدعوة الالهية.

٨- قيل: ان المراد بشرح صدره صلى الله عليه وآله وسلم: شرح صدره صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسراء لما رآى فيها ما رآى وما نشأ له فيها من الشرح المعنوى.

و هو نقيض ضيق العطن بحيث لا يتأذى من مكروه وايحاش يلحقه من كفار قومه، فيتسع لأعباء الرسالة كلها ولا يتضجر من علائق الدنيا بأسرها. و

قيل: الشرح هو خلاف الضلال والعمه حتى لا يرى إلاّ الحق ولا ينطق عن الهوى و لا يفعل إلاّ إبتغاء لوجه الله تعالى.

وقال المحققون: ليس للشيطان إلى القلب سبيل ولهذا لم يقل: ألم نشرح قلبك، وإنما يجيىء الشيطان إلى الصدر الذى هو حصن القلب، فيبثّ فيه هموم الدنيا و الحرص على زخارفها فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإيمان حلاوة ولا على الاسلام طلاوة، فاذا طرد العدوّ بذكر الله والاعراض عما لا يعنيه حصل الأمن و انشرح وتيسّر له القيام بأداء العبودية.

قيل: ان شرح الصدر يكون بأحد ثلاثة: الاول: بقوة الأدلة التى نصبها الله جل وعلا، وهذا يختصّ به العلماء. الثاني بالألطاف التى تتجدد له حالاً بعد حال كما قال تعالى: «والذين اهتدوا زادهم هدى» محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٧) الثالث: بتوكيد الأدلة و حلّ الشبهة وإلقاء الخواطر والوساوس...

ان شرح الصدر: هو إخلاؤه من وساوس الحيرة والقلق، وإجلاء خواطر الهمّ و الغمّ التى تعشش فيه... وبهذا يتسع لبلابل الفرح والبهجة أن تصدح فى جنباته وأن تغرد على أفنانه... وانه ليس كالهم قبضاً للصدور وخنقاً للأنفاس وإظلاماً للمشاعر و تجميداً للعواطف... ان المهموم المكروب، مكظوم الصدر، مبهور الأنفاس... على عكس الخليّ من الهموم، المعافى من الآلام... إن صدره منبسط يستقبل أنسام الحياة فيرتوى بها، وينتعش بأندائها العطرة، ثم يحسو منها كما يحسو الطير من جداول الربيع، تسيل من عيون الجبال! هذا هو ما نفهم من قوله تعالى: «ألم نشرح لك صدرك» أما ما يروى من أخبار شرح صدر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بما يشبه العملية الجراحية على يد ملكين كريمين يقال: ان الله سبحانه بعثهما لهذه المهمة فشقّا صدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفتحا قلبه وغسلاه وملآه حكمة وعلماً.

فهذا مما ينبغى مجاوزته، وعدم الوقوف طويلاً عنده إذ ليس هذا القلب الصنوبرى من اللحم والدم هو مستودع العلم والحكمة، وعلى فرض أنه هو مستودع

العلم والحكمة، فانه ما كانت قدرة الله تعالى بالتى تعالج هذا الأمر مع النبى ﷺ على هذا الاسلوب الذى توصل العلم الحديث إلى ما هو خير منه . . و لاندرى كيف تحمل كتب التفسير و الحديث مثل هذه الأخبار التى إذا وزنت بميزان العقل لم يكن لها وزن فى معايير الحقيقة والواقع ، الأمر الذى إذا وقف عليه غير الراسخين فى العلم أشاع الشك عندهم حقائق هذا الدين كلها ، و غطى دخان مثل هذه المقولات الساذجة الملفقة على حقائقه ، وحجب الرؤية الصحيحة عن كثير من الأبصار !!

ان الأمر يحتاج إلى نظرة فاحصة من علماء المسلمين جميعاً وإلى كلمة سواء بينهم فى هذه المرويات المتهافتة التى تضاف إلى الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ والذين الوضّاع والمنافقون من مكانتهم فى نفوس المسلمين مدخلاً يدخلون به عليهم ويروّجون عندهم هذا الزور من القول، معزواً إلى كبار صحابة رسول الله ﷺ وإلى أعلام الاسلام ومصابيح هداه !!

وفى القرآن الكريم أكثر من آية تدل على أن شرح الصدر وهو تفتّحه للحياة و إقباله على معالجة امورها فى رضاً وشوق وإقبال ... و فى هذا يقول الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه» الزمر: ٢٣)

ويقول سبحانه: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصعّد فى السماء » الانعام: ١٢٥) وعلى لسان موسى عليه السلام يقول الله تعالى: « رب اشرح لى صدرى و يسّر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى» طه: ٢٥ـ ٢٧)

وشرح الصدر فى هذه المواضع كلها هو بمعنى إستجابته للخير الذى يدعى إليه وتقبله له، وإتساعه للكثير منه ... وضيقه هو عدم تقبله للخير وإختناقه به كما يختنق الصدر بالروائح الخبيثة المنكرة، فلم إذن يكون شرح الله سبحانه وتعالى لصدر رسول الله ﷺ على هذه الصورة التى تشبه الملهاة أو المأساة ؟

وأكثر من هذا فان قوله تعالى: « ألم نشرح لك صدرك » يقابله في آية اخرى قوله جل وعلا: « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » الحجر: ٩٧) فهل كان ضيق الصدر بعملية جراحية كعملية شرحه؟ إن هذا من ذاك سواء بسواء!

وعلى أي فانه إذا صحت هذه المرويات عن شق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه ينبغي ألا تحمل على محاملها المادية الظاهرة، بل ينبغي أن يلتمس لها وجه من التأويل تقبل عليه.

٩- قيل: ان الله عز وجل شرح لأول مرة صدر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بملازمة أعظم ملك من ملائكته ثم بوحي القرآن الكريم إليه ثم بمكافحة المعارضين، فان الشرح هو الانفتاح ومقابله الضيق، والصدر هو صدر الروح وهو الوسيط بين العقل والقلب، يأخذ من العقل وينقل إلى الروح، وهو في الصدر: « القلوب التي في الصدور » فانشراح العقل وتفتحه يفضي إلى إنشراح الصدر والقلب، وكذلك ضيقه وعماه إلى ضيقها وعماها: « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » الحج: ٤٦) وقد يعبّر عن ضيق الصدر أيضاً بالانشراح تفتحاً للكفر: « ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله » النحل: ١٠٦)

فصدر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - وهو صدر الصدور - كان أشرح الصدور بين حملة الرسالات الالهية تلقى الوحي أكثر ما يمكن ولاقى وعاني في سبيل البلاغ أشد ما يمكن وهو منشرح الصدر يستقبل الصعوبات في وعثاء السفر بكل رحابة صدر دون أن يقف لحد.

١٠- قيل: أي أما نوّرنا صدرك وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله تعالى: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » وكما شرح الله تعالى صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق، فبسط صدره بنور إلهي وسكينة وروح منه جل وعلا وجعله نبياً لدين لا إكراه فيه ولا حرج ...

أقول : والاول هو الأنسب بظاهر الاطلاق ، فيشمل لأكثر الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢- (و وضعنا عنك وزرك)

فى الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد : أى حططنا عنك ذنبك . كقوله تعالى: « ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر » وكان جميع ذلك قبل النبوة . قيل: الوزر: الذنب والمعنى : وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وآله وسلم فى كثير من مذاهب قومه وإن لم يكن عبد صنماً ولا وثناً . وقيل : إنّما وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة إهتمامهم بها وندمهم منها وتحسّرهم عليها .

وعن قتادة والحسن والضحاك : كانت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ذنوب أثقلته ، فغفرها الله تعالى له. وقيل: اريد بالوزر : ماصدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة من صغائر الذنوب و وضعه : غفرانه .

٢- عن أبى مسلم : أى وأزلنا عنك همومك التى أثقلتك من أذى الكفار فشبّه الهموم بالحمل و العرب تجعل الهمّ ثقلاً . فالمراد بالحمل هنا همّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم و غمه مما كان عليه قومه فأزاح الله تعالى هذا الغم والهم عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن الكريم .

٣- قيل: الوزر: همّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لوفاة عمه أبى طالب وزوجه خديجة. ٤-قيل: الوزر: غفلته صلى الله عليه وآله وسلم عن الشرائع ونحوها مما يتوقف على الوحى مع تطلّبه .

٥- قيل: أى وعصمناك عن إحتمال الوزر فان المقصود من الوضع أن لا يكون عليه ثقل، فاذا عصم كان أبلغ فى أن لا يكون والمعنى: وعصمناك عن إحتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة فى الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحى و أنت مطهر من الأدناس .

قال السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه : إنما سميت الذنوب بأنها أوزاراً

لأنها تثقل كاسبها وحاملها. فكل شيء أثقل الانسان وغمّه وكدّه جاز أن يسمى وزراً فلا يمتنع أن يكون الوزر في الآية إنما أراد به غمّه صلى الله عليه وآله وسلم بما كان عليه قومه من الشرك، وانه وأصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما أعلى الله تعالى كلمته وشرح صدره وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر ويؤيّده مابعده من الآيات فان اليسر بازالة الهموم أشبه، والعسر بازالة الشدائد والغموم أشبه.

فان قيل: ان السورة مكية نزلت قبل أن يعلي الله كلمة الاسلام فلاوجه لقولكم؟ قلنا: انه سبحانه لما بشره بأن يعلي دينه على الدين كله ويظهره على أعدائه كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمّه بماكان يلحقه من أذى قومه، ومبدلاً عسره بيسر أفانه يشق بأن وعدالله حق.

ويجوز أيضاً أن يكون اللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادوا يامالك ليقض علينا ربك» ولهذا نظائر كثيرة.

٦- قيل: اريد بالوزر حيرته صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الامور كأداء حق الرسالة، ووضعه: تسهيل الله تعالى ذلك عليه صلى الله عليه وآله وسلم. ٧- قيل: اريد بالوزر: الوحي وثقله عليه صلى الله عليه وآله وسلم في بادىء أمره، ووضعه: تسهيله عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

٨- قيل: الوزر: ماكان يرى صلى الله عليه وآله وسلم من ضلال قومه، وعنادهم مع عجزه عن إرشادهم. ٩- قيل: اريد بالوزر: ما كان يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعدي المشركين ومبالغتهم في ايذائه، ووضعه نصره صلى الله عليه وآله وسلم عليهم. ١٠- قيل: الوزر: المعصية ووضعه: عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها والمعنى: فلاتأثم.

١١- قيل: الوزر: ذنوب امته صلى الله عليه وآله وسلم ووضعها غفرانه تعالى لهم، وأضافها إليه صلى الله عليه وآله وسلم لاشتغال قلبه بها.

١٢- قيل: أي حططنا عنك حملك مما أثقل ظهرك من أعباء الرسالة حتى

تبلغها. فجعلنا التبليغ عليك سهلاً، ونفسك به مطمئنة راضية، ولو قوبلت بالاساءة ممن أرسلت إليهم كما يرضى الرجل بالعمل لأبنائه ويهتمّ بهم فالعبء مهما ثقل عليه يخففه مايجيش بقلبه من العطف والشفقة عليهم والحدب على راحلتهم: و يتحمل الشدائد في تربيتهم، وهو راض بمايقاسي في سبيل حياطتهم وتنشئتهم.

فالوزر: ماكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعانيه صلى الله عليه وآله وسلم من الامور المستصعبة، والمواقف المخطرة في أداء الرسالة، وتبليغ النذارة وما كان يلاقيه من مضار قومه ويتلقاه من مرامي أيدي معشره و كل ذلك حرج في صدره وثقل على ظهره فقرره الله عز وجل أن أزال عنه تلك المخاوف كلها، وحطّ عن ظهره تلك الأعباء بأسرها، فنجاه من أعدائه وفضله على أكفائه وقدم ذكره على كل ذكر وقدره على كل قدر حتى أمن بعد الخيفة واطمأن بعد القلقة «فان مع العسر يسراً»

أجل: وان ظهر الرسالة المحمدية كانت ـ لو خليت وطبعها ـ منقضة مقعقة العظام من حملها، مرضوضة من ثقلها حتى وضع الله ذلك الوزر بوزير من نفسه القدسية: من صدره المنشرح و بصيرته النافذة، و صموده القويم وعقله المستقيم ... وبوزير هو كنفه: على أمير المؤمنين عليه السلام الذي عرّفه عشرات مرات: انه وزيره وأخوه ونفسه ومثيله...

هذا هو الوزر الموضوع عنه لامايظنه الجاهلون أو المعاندون، انه الذنب العظيم زعماً أنه المعنى منه لغوياً وليس به، إنما الوزر مايثقل ويتعب، ظهر الروح أو الجسم فان كان بحساب الآخرة كان عصياناً، وإن كان بحساب الدنيا كان طاعة، فان مرضاة الله جل وعلا تبتغي بالاتعاب والحرمانات يوم الدنيا، وزراً في الحياة الدنيا وراحة في الآخرة عكس سخط الله تعالى، ثم الامتنان هنا يشهد، و تأخر الوزر عن شرح الصدر يشهد ثم الله جل و علا شهيد مع هؤلاء الشهداء و قبلهم: أن وزره صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو وزر الرسالة القدسية بحملها وحملها وأعبائها وبلاغها.

ولو كان الوزر هنا ذنباً لم يمتنّ به عليه، ولو كان وضعه غفراناً لذنبه لقال : و غفرنا عنك وزرك ولكان مقدماً على إنشراح صدره ، فانه لاينشرح إلاّ بعد إنمحاء الذنوب تحلية بعد التخلية ، ثم في وزر الرسالة ليس وضعه عزله عنها، فهذا إهانة و ليس مكرمة ، و كذلك عزله عن بعضها ، إذ أفهو تخفيف حمل الرسالة بوزير من نفسه كنفسه .

١٣- قيل: ان المراد بوضع وزره صلى الله عليه وآله وسلم على مايفيده السياق: هو إنفاذ دعوته، وإمضاء مجاهدته في الله تعالى بتوفيق الأسباب فان الرسالة والدعوة ومايتفرّع على ذلك هي الثقل الذي حمّله إثر شرح صدره .

١٤- قيل: ان وضع الوزر إشارة إلى ماوردت به الرواية : ان ملكين نزلا عليه وفلقا صدره وأخرجا قلبه وطهّراه ثم ردّاه إلى محله .

١٥- قيل: الوزر : حيرته صلى الله عليه وآله وسلم التي كان له صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة فكان صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يعبد ربه ، وما كانت نفسه تسكن إلى الشرائع المتقدمة لوقوع الدسّ و التحريف فيها، و وضعه : إزالة تلك الحيرة بارساله صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً إلى النـاس لهدايتهم .

١٦- قيل: الوزر: ماجهله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأحكام والشرائع ، فيغتم بسبب ذلك، ووضعه عنه إنزال القرآن الكريم عليه صلى الله عليه وآله وسلم . ١٧- قيل : الوزر : ما كان تهالك عليه صلى الله عليه وآله وسلم من إسلام أولي العناد فيغتم بسبب ذلك ووضعه عنه ماقيل له : ان عليك إلاّ البلاغ لست عليهم بمصيطر . ١٨- عن الحسين بن الفضل : يعني الخطأ و السهو .

أقول: والخامس هو الأنسب بمقام الامتنان و العصمة من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٤- (ورفعنا لك ذكرك)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس انه قال : يقول الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم :

لا ذكرت إلاّ ذكرت معي في الأذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر و يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ... ولو أن رجلاً عبدالله جل ثناؤه و صدّق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتفع بشيء وكان كافراً.

وعن الحسن: أي قرنّا ذكرت بذكر ناحتى لا أذكر إلاّ وتذكر معي يعني في الأذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر. وعن قتادة: أي رفع الله تعالى ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة فليس خطيب و لامتشهد و لاصاحب صلاة إلاّ و ينادي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وعن مجاهد: يعني بالتأذين.

٢- قيل: أي أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك و لادين إلاّ ودينك يظهر عليه. ٣- قيل: أي رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود و كرائم الدرجات. ٤- قيل: أي وجعلناك عالي الشأن رفيع المنزلة، عظيم القدر.

٥- قيل: أي رفع الله تعالى ذكره في الاولين و الآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا اممهم بالايمان به ثم شهر ذكره في امته فلا يذكر الله إلاّ ذكر معه. ٦- قيل: أي ورفعنا ذكرك بهذا الوزير بحدّ إعتبره شاهداً منه: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» هود: ١٧)

وفي تفسير **روح البيان** للشيخ إسمعيل حقي البروسوي في قوله تعالى: «ورفعنا لك ذكرك» عند تفسير سورة الكوثر، قال: و ذلك أنه تعالى أعطاه

نسلاً يبقون على مرّ الزمان ، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلىء منهم. إنتهى كلامه.

ولا يخفى على القارى الخبير أن أهل البيت بالاضافة إلى أن سيدهم و كبيرهم هو الامام على بن أبيطالب عليه السلام فان الذين إمتلىء بهم العالم كلهم من نسل الامام أمير المومنين على عليه السلام كما ورد فى الاحاديث المتعددة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن ذرية كل نبى من صلبه، وذريتى من صلب على بن أبيطالب عليه السلام من فاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : والاول هو المروى من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر.

٥- (فان مع العسر يسراً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن الكلبى: أى فان مع الضيق سعة، ومع الشدة رخاء، ومع الفقر غنى. وقيل: اليسر : الرخاء بعد الشدة وذلك انه كان صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فى شدة وضيق.

٢- قيل: ان المراد بالعسر غمّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحزنه عما يشاهد من قومه من التكذيب والعناد والاصرار فى الشرك والطغيان، والمراد باليسر تفريج الكرب وإزالة غمه وهمه وحزنه صلى الله عليه وآله وسلم بانفاذ دعوته. ٣- قيل: ان الله تعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مقلاً مخفاً فعيّره المشركون بفقره حتى قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم : إن كان بك من هذا القول الذى تدعيه طلب الشيء والغنى؟ نجمع لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة فكره النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، فاغتمّ وظنّ انهم كذبوه لفقره فعزّاه الله تعالى، وعدّد نعمه عليه ووعده الغنى بقوله: «فان مع العسر يسرا»

أى لا يحزنك ما عيّروك به من الفقر ، فان مع ذلك العسر يسراً عاجلاً أى فى الدنيا فأنجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن، ووسّع ذات يده حتى كان يعطى الرجل المأتين من الابل ، ويهب الهبات السنيّة ويعدّ لأهله قوت سنة فهذا الفضل كله من أمر الدنيا، وإن كان خاصاً بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقد

يدخل فيه بعض امته إن شاء الله تعالى.

٤- قيل: إن المراد بالعسر إستخفاف قومه صلى الله عليه وآله وسلم به صلى الله عليه وآله وسلم وإصرارهم على إمحاء ذكره، والمراد باليسر رفع ذكره الذى كانوا يسعون فى إمحاءه قال تعالى: «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» الصف: ٨)

وقيل: ان مع الشدة التى أنت فيها من مزاولة المشركين وجهادهم يسراً أو رخاء بأن يظهرك الله جل وعلا عليهم حتى ينقاد والحق الذى جئتهم به طوعاً أو كرهاً ومن أوله ما أنت بسبيله رجاء وفرجاً بأن يظفرك بهم فى النهاية. وقيل: ان المراد بالعسر ما حمّله الله تعالى من الرسالة وأمره بالدعوة فاشتد عليه الامر، والمراد باليسر أداء ما حمّله حقه وإجابة الناس دعوته فيسر له الامر.

٥- قيل: أى إنما فعلنا ذلك لانا سهلنا الامور لمن هم أهل لها فنبدل عسرهم باليسر وإذا ضاقت صدورهم شرحناها لما هم بسبيله، وفرّجنا كربهم فيها هم بسبيله لا كتبنا على أنفسنا الرحمة فهيّأنا كلا لما هو بصدده وساعدناه لا سيما الانبياء عليهم السلام.

وان مع الضيق فرجاً، ومع قلة الوسائل إلى إدراك المطلوب مخرجاً إذا تدرّع المرء بالصبر وتوكل على ربه، وتنزل المعونة على قدر المؤنة، فلابد من الصبر على قدر المصيبة، ونعم ما قال الشاعر:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا | من راقب الله فى الامور نجا

من صدّق الله لم ينله أذى | ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال الآخر:

إذا اشتملت على اليأس القلوب | وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطأت المكاره واطمأنت | وأرست فى أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها … و لا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث … يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت … فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى … ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها … فرجت وكان يظنها لا تفرج

ولقد كان حال النبي الكريم ﷺ ضيقاً، وقليل الوسائل إلى إدراك المطلوب إذ ضاق به الامر في بادىء أمره قبل النبوة وبعدها إذ تألب عليه قومه، لكن ذلك لم يثنه عن عزمه ولم يفلل من حدّه، بل صبر على مكروههم، وألقى بنفسه في غمرات الدعوة متوكلا على ربه، محتسباً نفسه عنده، راضياً بكل مايجد في هذا السبيل من أذى ولم تزل هذه حاله حتى قيض الله جل وعلا له ﷺ أنصاراً اشربت قلوبهم حبه، وملئت نفوسهم بالرغبة الصادقة في الدفاع عنه وعن دينه ورأوا أن لاحياة لهم إلاّ بهدم أركان الشرك والوثنية، فاشتروا ماعند الله جل وعلا من جزيل الثواب بارواحهم وأموالهم وأزواجهم، ثم كان منهم من قوّض دعائم الاكاسرة وأباد جيوش الاباطرة والقياصرة ...

فمهما اشتد العسر وكانت النفس حريصة على الخروج منه، طالبة كشف شدته، مستعملة اجمل وسائل الفكر والنظر في الخلاص منه، معتصمة بالتوكل على ربها، فانها ولاريب ستخرج ظافرة مهما اقيم أمامها من عقبات واعترضها من بلايا ومحن، وفي هذا عبرة لرسول الله ﷺ بأنه سيبدّل حاله من الفقر إلى الغنى، ومن قلة الاعوان إلى كثرة الاخوان، ومن عداوة قومه إلى محبتهم إلى أشباه ذلك.

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه والانسب بظاهر الاطلاق هو

التعميم.

٦- (ان مع العسر يسراً)

فى الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : ان الجملة تكرير للاولى وتوكيد لما سبق كقوله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين» لتقرير معناها فى النفوس و تمكينها فى القلوب ... والمعنى : ان هذا الوعد من السعة بعد الضيق و الفرج بعد الكرب واقع لا محالة إذا احتملت ذلك العزيمة الصادقة، وعملت بكل ما او تيت من قوة على التخلص منه ، و قابلت ما يقع من عسر بالصبر و الاخذ بأسباب تفريجه ، ولم تستبطىء الفرج ، فيدعوها ذلك إلى التوانى وفتور العزيمة.

٢- قيل: ان الجملة الاولى عدة بأن العسر مردوف ومشفوع بيسر لامحالة، والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر ، فالعسر ان واحد واليسران إثنان على تقدير الاستيناف ، والمراد باليسرين ما تيسّر للمؤمنين من الفتوح فى أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم بعد وفاته ﷺ. ٣- قيل : هذا إبتداء بفضل آخر من أمر الآخرة ، فاريد باحد اليسرين يسر الدنيا و بالآخر يسر الآخرة كقوله جل وعلا : « قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين» وهى حسنى الظفر وحسنى الثواب. وفيه تأسّية وتعزية له ﷺ فهذا شيء آخر، والدليل على إبتدائه تعريه من فاء أو واو أو غيرهما من حروف النسق التى تدل على العطف ، فهذا وعد عام لجميع المؤمنين لايخرج أحد منه أى ان مع العسر فى الدنيا للمؤمنين يسراً فى الآخرة لامحالة. وقيل: إذا اعتبرا واحداً فثانيهما يسر الحشر وأولاه وضع الوزر وشرح الصدر يجمعهما إرتياح ضمير النبى الكريم ﷺ أن بلّغ ما عليه، وهكذا يكون دائماً عسر المؤمن مكافحاً بيسرين فى الدنيا وفى الآخرة: أما يسر الدنيا فارتياع ضمير المعسر فى الله جل وعلا ويتبعه

واقع يسره فيها، وأما يسر الآخرة فهو أيضاً واقع مهما كان خفياً ولكنه يظهر يوم الجزاء.

٤ـ قيل: «ان مع العسر» هو إخراج أهل مكة النبي ﷺ من مكة و «يسراً» هو دخوله ﷺ يوم فتح مكة مع عشرة آلاف رجل مع عز و شرف: و قيل: ان النبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم.

أقول: وعلى الثالث أكثر المحققين.

٧ـ (فاذا فرغت فانصب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي إذا خلوت أو انتهيت من شغلك فقم للعبادة واجهد في صالح الاعمال... ٢ـ عن إبن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك و مقاتل والكلبي: أي فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فاتعب نفسك إلى ربك في الدعاء وبالغ فيها، وسله تعالى حوائجك فلا تشتغل بالراحة. ٣ـ عن إبن عباس أيضاً: أي فاذا فرغت من الفرائض فانصب نفسك فيما رغبك الله تعالى فيه من الاعمال وصل. ٤ـ عن إبن مسعود: أي فاذا فرغت من الفرائض فانصب نفسك في قيام الليل وسائر النوافل... ٥ـ عن الزهري: أي فاذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك.

٦ـ قيل: أي فاذا فرغت يا محمد ﷺ من التبليغ فخذ في عمل آخر واتعب في إتقانه لكي تنتفع به أنت وغيرك.

٧ـ عن الكلبي: أي فاذا فرغت من تبليغ الرسالة وأداء ما امرت به، فانصب نفسك واتعبها لطلب الشفاعة، فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات... ٨ـ عن قتادة والضحاك أيضاً والحسن وإبن زيد: أي فاذا فرغت من جهاد عدوك فانصب نفسك لعبادة ربك. ٩ـ قيل: أي فاذا فرغت من جهاد الاعداء فانصب بجهاد نفسك.

١٠ـ عن مجاهد والحسن أيضاً والجبائي: أي فاذا فرغت من دنياك فانصب نفسك في أمر آخرتك بالدعاء والعبادة والاحسان وصالح الاعمال... وقيل: أي فاذا فرغت من امور الدنيا وأشغالها و قطعت علائقها، فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال. ١١ـ عن الجنيد: أي فاذا فرغت من أمر الخلق فاجتهد في عبادة الحق فلا تشتغل بالراحة.

١٢ـ قيل: أي فرغت من الجهاد فجدّ في الرجوع إلى بلدك. ١٣ـ قيل: أي فاذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك. ١٤ـ قيل: وقد سئل على بن طلحة عن قوله تعالى: «فاذا فرغت فانصب» فقال: القول فيه كثير، وقد سمعنا انه يقال: إذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصباً في العبادة. ويدل على هذا ما روى ان شريحاً مرّ برجلين يتصارعان، فقال: ليس بهذا أمر الفارغ إنما قال الله سبحانه: «فاذا فرغت فانصب» فعلى العاقل ان لا يضيع أوقاته في الكسل والدعة ويقبل بجميع قواه على تحصيل ما ينفعه في الدارين. فلا ينبغي لاحد أن يكون فارغاً سبهللاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته.

فالمعنى: فاذا فرغت من عمل فاتعب نفسك في مزاولة عمل آخر فانك ستجد في المثابرة لذة تقرّ بها عينك و يثلج لها صدرك، وفي هذا حثّ له ﷺ على المواظبة على العمل واستدامته. فالمراد بالنصب بعد الفراغ هو إستمرار الصلة بالله جل وعلا وإدامتها بالدعاء والعبادة وصالح الاعمال وبكل ما يتحقق به الصلة بالله عز وجل.

١٥ـ عن الشعبي: أي فاذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك.

١٦ـ قيل: أي إذا كان العسر يأتي بعده اليسر، و الامر فيه إلى الله عز وجل لا غير، فاذا فرغت مما فرض عليك فاتعب نفسك في الله تعالى ـ بعبادته و دعائه ـ و ارغب فيمن سيمنّ عليك بما لهذا التعب من الراحة ولهذا العسر من اليسر.

وهذا بناء على ان الفاء للتفريع على ما تقدم من الآيات الكريمة بأن ما بيّن قبل من تحميله الرسالة و الدعوة و منّه جل و علا عليه صلى الله عليه وآله وسلم بما من: من شرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر و كل ذلك من اليسر بعد العسر.

١٧- قيل: أى فاذا فرغت من التبليغ ومن الغزو فاتعب نفسك فى العبادة شكراً لنا على نعمنا السابقة، وعلى ما ستناله من النعم الآتية بوعدنا، فاياك أن تضيع وقتاً من أوقاتك، فاما تبليغ أو جهاد أو عبادة.

١٨- قيل: ان هذا تعقيب على قوله تعالى: «فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» لا على ما تقدم من الآيات كلها... والمعنى: إذا كان من شأن العسر ان يصحبه يسر، ومن شأن النصب والتعب أن تعقبهما الراحة والرضا، فجدير بك أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم - كما هو جدير بكل إنسان - انك إذا فرغت من أىّ موقع من مواقع الكفاح والجهاد فلا تركن إلى الراحة، بل افتح جبهة جديدة للكفاح والجهاد فانه بقدرما يمتد بك هذا الطريق الشاق العسر بقدرما تحصل من خير، و بقدر ما تبلغ من علو شأن ورفعة قدر.

١٩- قيل: أى فاذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب علياً للخلافة لقوله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته» المائدة: ٦٧) و لما وردت الروايات الكثير عن الطريقين فى المقام.

وقد تقوّل الزمخشرى فى كشافه بعض الاقاويل وقال: «ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة: انه قرىء «فانصب» بكسر الصاد أى فانصب علياً للخلافة، ولو صح هذا للرافضى لصح للناصبى أن يقرأ هكذا - ويجعله أمراً بالنصب الذى هو بغض على وعداوته»

أقول: ولا يخفى على من له أدنى مسكة وأقل إنصاف، وقلبه خال عن

العصبية الجاهلية وصدره عن العناد واللجاج: ان نصب الامام والخليفة بعد تبليغ الرسالة أمر معقول، بل واجب كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ به لئلا يقع الناس بعده في حيرة وضلال، فيصح أن يترتب عليه ـ وأما بعض المعصوم علي عليه السلام وعداوته فما وجه ترتبه على تبليغ الرسالة حتى يتشدق الزمخشري العنود بقوله: لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ـ ؟

مع أن كتب العامة مشحونة بذكر محبة النبي الكريم ﷺ لعلي عليه السلام و إظهار فضله للناس مدة حياته ، وان حبه ايمان وبغضه كفر، وان حربه حرب الله جل و علا ولرسوله ﷺ فانظروا إلى هذا الملقب العنيد بجار الله ـ كيف أعمى الله تعالى بصيرته بغشاوة حمية التعصب في مثل هذا المقام حتى دفعه نصبه إلى مثل هذا المنكر والزور: «انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»

وقال بعض المعاصرين: ليس الفراغ هنا عن الصلاة لكي يكون نصبه نصباً في الدعاء، ورغم أن الدعاء ليس فيها تعب ونصب! فالفاء المفرّعة توحي إلى أصل سابق، وليس إلاّ شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر التي تجمعها الرسالة المحمدية بعسرها ويسرها، فليس الفراغ إذاً إلاّ عن بلاغ الرسالة، وما هو إلاّ عند حضور الموت، فليس النصب إلاّ نصباً لاستمرارية الرسالة، ولكي يرغب إلى ربه مؤدياً مبلغاً ما عليه: «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الفاسقين» المائدة: ٦٧)

هنا في محاولة إستمرار الرسالة عند الفراغ عنها نصب ـ بالفتح والسكون ـ ونصب ـ بالفتحتين ـ كلاهما يناسبان «فانصب» وخلاف ما يزعم، ليس في الدعاء نصب ولا نصب ولا سيما للرسول ﷺ الذي زاده الدعاء، فلم يؤمر هو ﷺ هنا بالدعاء فانه كان يعيش حياته الدعاء دون إختصاص بالفراغ عن الرسالة، ولقد كان في

نصب علی علیه‌السلام عند وصية الخلافة نصب بالغ إذ تبع الكلمة اللاذعة المشهورة ممن احتالوا الخلافة لانفسهم، فقالوا: «دعوه فان الرجل ليهجر» ما تدمی العيون و تحرق الاكباد!

ثم «فانصب» لغوياً ـ علی الصحيح أو الاصح ـ أمر بالنصب لا بالنصب وإلاّ كان «فانصب» وفی المنجد: نصب ينصب نصباً الشیء: رفعه وأقامه، والامير فلاناً: ولاّه منصباً.

والمروی عن أئمة أهل البيت علیهم‌السلام مستفيضاً صريح فی النصب أو تولية المنصب وهما يناسبان نصب الخلافة الاسلامية فانها نصيب للرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم ويستمر به بعد مماته كما كان قبله، وكما عن الصادقين علیهماالسلام تفسيراً للآية: «فاذا فرغت» من نبوتك «فانصب» علياً «وإلی ربك فارغب» فی ذلك وهو الوجه الوحيد الموافق تمام الآيات واللغة.

أقول: ومما يلهمنا التدبر فی ظاهر الاطلاق: أن أكثر تلك الاقوال المحتملة من قبيل ذكر بعض المصاديق للفراغ والنصب، وإن كان بعضها أظهرها لا القصر فی بعض دون بعض فتأمل جيداً واغتنم جداً.

٨ـ (وإلی ربك فارغب)

فی الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبی: أی وإلی ربك وحده فارغب فی السؤال يعطك، فلا تسئل غيره فانه تعالی وحده هو القادر علی إسعافك، كما أفاض عليك من قبل من غير سؤال من شرح الصدر ووضع الوزر ورفعة الذكر. وقيل: أی فارغب إلی ربك فی إنجاز المأمول لا إلی غيره يعطك خير الدارين. ٢ـ قيل: أی وإلی ربك وحده أقبل بشوق علی عبادته جل وعلا. ٣ـ عن عطاء: أی إلی الله تعالی وحده تضرّع راهباً من النار وراغباً فی الجنة.

٤ـ قيل: أی وإلی ربك وحده فارغب، فلا تتجه بقلبك لغير الله ولا تستعن بأحد

سواه وكان رسول الله الاعظم ﷺ يكرر هذا الدعاء: «اللهم أعوذ بك من الفقر إلاّ إليك، ومن الذل إلاّ لك، ومن الخوف إلاّ منك». ٥- قيل: أي ولا ترغب في ثواب أعمالك وتثميرها إلاّ إلى ربك وحده فانه هو الحقيق بالتوجه إليه والضراعة له. ٦- قيل: أي فارفع حوائجك إلى ربك وحده ولا ترفعها إلى أحد من خلقه. ٧- قيل: أي وأخلص لربك النية والرغبة. وعن الثوري: أي إجعل نيتك ورغبتك إلى الله تعالى. ٨- عن إبن مسعود: أي وإلى ربك فارغب بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والانداد.

أقول: وما يلهمنا التدبر في ظاهر السياق: ان المراد هو قطع الرجاء و القنوط عما سوى الله تعالى وحصر الرغبة والرجاء رجاء تاماً من الله جل وعلا والاستغراق في ذكر الله تعالى والتوجه إليه في كل حال.



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (ألم نشرح لك صدرك)

لقد شرحنا لك صدرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، وفسحناه بما أودعنا فيه من العلوم والحكم والمعارف ، وبسطناه بنورنا وسكينة و روح منا حتى وسع لاعباء النبوة ودعوة الناس قاطبة ، و أخرجناك من الحيرة التى كنت تضيق بها ذرعاً بما كنت تلاقى من عناد قومك و لجاجهم وإستكبارهم عن إتباع الحق والهدى و إعراضهم عن الرشاد و الصواب ، و كنت تلتمس الطريق لهدايتهم فهديت إلى الوسيلة التى تنقذهم بها من التهلكة ، و تجنبهم عن الردى الذى كانوا مشرفين عليه وتنجيهم من الانحطاط وقد كانوا على شفا حفرة من النار.

فأزلنا عن صدرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الضيق والحرج الذى يعترى النفوس فيصدّها عن العلم والحكمة، وينفرها من تحمل أذى الناس ومن حبهم، وذهبنا عن نفسك جميع الهموم حتى لاتقلق ولاتضجر، وجعلناك راضى النفس، مطمئن الخاطر، واثقاً من تأييدالله جل وعلا، ونصره عالماً كل العلم، فالذى أرسلك لنجاة عباده لايخذلك، ولايعين عليك عدواً.

ان الله تعالى شرح صدر محمد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بنور إلهى، وبسطه

بافاضة الوحي و العلم والحكمة، وقد كان هو صلى الله عليه وآله وسلم امياً لا يعرف الكتاب ولا العلم والخط، واستعد نفسه الشريفة تامة الاستعداد لتبليغ الرسالة والتحمل لما يضيق صدره من المكاره والاذى تجاه الدعوة والرسالة السماوية عن المشركين والمعاندين ...

قال الله عزوجل: «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً» النساء» ١١٣)

وقال: «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذا لارتاب المبطلون» العنكبوت: ٤٨)

وقال: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢)

وقال: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين» هود: ٤٩)

وقال: «قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبايء المرسلين» الانعام: ٣٣_٣٤)

وقال: «ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربك و كن من الساجدين» الحجر: ٩٧_ ٩٨)

وقال: «كتاب انزل إليك فلايكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» الاعراف: ٢)

و قال: «واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى

ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون» النحل: ١٢٧ -١٢٨)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل.

٢- (و وضعنا عنك وزرك)

ولقد عصمناك عن صدور الاثم عنك، و إعتراء الضلال عليك وعن إتباع الهوى و إحتمال الوزر لانك بأعيننا، فما أثمت من قبل، ولا تضلّ بعد إذ كنت في حمايتنا و تحفظك و نحفظ ما أوحينا إليك، فعليك الدعوة وإبلاغ الرسالة، و المجاهدة في سبيلنا، و علينا الانفاذ و توفيق الاسباب، وتيسير الامور وعلينا ظهور دين الحق وإظهاره على جميع الاديان.

قال الله تعالى: «ماضلّ صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى» النجم: ٢-٥)

وقال: «فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين» القلم: ٥-٧)

وقال: «قل إن ضللت فانما أضلّ على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي انه سميع قريب» سبأ: ٥٠)

و قال: «ولو لا فضل الله عليك و رحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك و ما يضلّون إلاّ أنفسهم و ما يضرونك من شيء» النساء: ١١٣).

وقال: «قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواء كم قد ضللت أنا وما أنا من المهتدين قل إني على بينة من ربي و كذبتم به ماعندي» الانعام: ٥٦-٥٧)

وقال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله و

ما أنا من المشركين» يوسف: ١٠٨)

وقال: «ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً» الاسراء: ٨٦-٨٧)

وقال: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» الطور: ٤٨)

وقال: «فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بماانزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم» الشورى: ١٥)

وقال: «ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى» الاعلى: ٨-٩)

وقال: «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» الصف: ٩)

ولايخفى على القارىء الخبير من التشابه بين مضامين هذه السورة من جهة، وماسئل عنه موسى بن عمران عليه السلام بعد أن امر به فى قوله جل وعلا: «إذهب إلى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً» طه: ٢٤-٣٤)

وان الفرق بين المقامين هو الفرق بين الانفاق الذى يتعقب السؤال، فيؤتى المنفق على قدر السائل، وبين الاعطاء الذى يعطى الجواد بلا سؤال على قدر جوده. وبناء على التشابه فلامنافاة بين ما أوردنا فى التفسير من الآيات القرآنية، وبين التفسير على نطاق الروايات الواردة فى المقام التى سيأتى ذكرها.

٣- (الذى أنقض ظهرك)

هذا الوزر الموضوع هو الذى أثقل ظهرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتعبك حتى كانه سمع صوته كما يسمع من السرير ونحوه عند إستقرار شىء ثقيل عليه.

والنقيض هو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير ومنه أخذ لفظ: «أنقض» والمراد به ظهور ثقل الوزر عليه ظهوراً بالغاً.

٤- (ورفعنا لك ذكرك)

ورفعنا لك ذكرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة العظمى لكافة الناس، وبالرسالة العليا للثقلين، وقرنّا إسمك باسم الجلالة في كلمة الشهادة التي هي أساس الدين الاسلامي، فلا يتحقق الاسلام لاحد إلاّ بهما معاً.

فما آمن مؤمن بالله تعالى إلاّ جعل الايمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من تمام ايمانه بالله عز وجل، وانه لا يؤمن بالله تعالى من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصاحب بذكر الله جل وعلا في تحقق الاسلام.

وقرنّا إسمك باسم الجلالة في الاذان والاقامة والتشهد... فلا مؤذّن ولا مصلّ إلاّ أن يذكر إسمه صلى الله عليه وآله وسلم في أذانه الذي هو إعلان الدين، وفي صلاته التي هي عماد الدين، ولا خطيب إلاّ ولا بد له أن ينادي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدعون الناس إليهما، ولا يذكر إسمه صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أن يصلي عليه الذاكر والسامع معاً.

وأيّ شيء أرفع من إقتران إسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم باسم الله جل وعلا وطاعته بطاعته ومن جحد برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو بحكم من جحد بالله عز وجل.

قال الله تعالى: «وما أرسلناك إلاّ كافة للناس» سبأ: ٢٨)

وقال: «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١)

وقال: «لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم و يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا» النور: ٤٦-٤٧)

وقال: «قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين

بآيات الله يجحدون» الانعام: ٣٣)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول- من يطع الرسول فقد أطاع الله» النساء: ٥٩-٨٠)

وقال: «ان الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلموا تسليماً» الاحزاب: ٥٦)

٥- (فان مع العسر يسراً)

فان مع الشدة والضيق سهولة وسعة، ومع الفقر والكرب غنى وفرجاً، ومع الحزن والهزيمة فرحاً وظفراً.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلقى صداً وعسراً شديدين، وانه كان يعتلج في نفسه صلى الله عليه وآله بسبب ذلك حزن وهم وغم وقلق، فوعده الله جل وعلا بان النهاية ستكون خير من البداية، وان العاقبة لاهل التقوى والمغفرة.

قال الله تعالى: «واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» النحل: ١٢٧-١٢٨)

وقال: «ونيسّرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى» الاعلى: ٨-٩)

وقال: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين» هود: ٤٩)

فلابد لدعاة الدين خاصة، ولكل مسلم عامة من المساعدة على مواجهة الصعاب والاستخفاف بالعقبات والاستغراق في الدعوة والاندفاع فيها والثبات والصبر حتى تم لهم النصر الموعود، وصارت كلمة الله جل وعلا هي العليا، وتبدل العسر يسراً: تبدّل الضيق والشدة رخاء وسهولا، تبدّل الكرب والحزن فرجاً وفرحاً

وتبدل الفقر والضراء غنى وسرّاء ... لان الله عزوجل مع الصابرين وأهل التقوى واليقين.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين - ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين - والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون» البقرة: ١٥٣ و١٥٥ و١٧٧)

وقال: «من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى» الليل: ٥-٧)

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً - سيجعل الله بعد عسر يسراً» الطلاق: ٢ و٤ و٧)

وهذا في الحياة الدنيا.

٦- (ان مع العسر يسراً)

ان مع العسر في الحياة الدنيا يسراً في الدار الآخرة لامحالة، وربما إجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة، وذلك للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والذين معه من المؤمنين الصابرين...

قال الله تعالى: «والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» الرعد: ٢٢-٢٤)

وقال: «اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا يدرؤن بالحسنة السيئة ومما

رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين» القصص: ٥٤-٥٥)

وقال: «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى-لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء: ١٠١-١٠٣)

وقال: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٩)

و أما الكفار و المتكبرون، والفجار والمستكبرون، و الفسّاق و المجرمون فكانت عاقبة أمرهم في الحياة الدنيا والآخرة عسراً، وإن كان لهم في أيام يسر ظاهراً.

قال الله عز وجل: «وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى ومايغني عنه ماله إذا تردّى» الليل: ٨-١١)

وقال: «فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير» المدثر: ٨-١٠)

وقال: «الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً» الفرقان: ٢٦)

٧-(فاذا فرغت فانصب)

فاذا فرغت يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم من عمل، تبليغياً كان أم عبادياً، دنيوياً كان أم اخروياً، نفسياً كان ام خلقياً، فانصب نفسك لعمل آخر، فلا بدلك من السعى والعمل في كل حال مادمت حياً، فعليك أن لا تضيع وقتاً من أوقاتك ولا تركن إلى الراحة أو الكسالة والله يعصمك من الناس فانك بأعيننا.

ان الاية الكريمة في معنى قوله تعالى: «قم الليل إلاّ قليلاً- ان لك في النهار سبحاً طويلاً» المزمل: ٢-٧)

وقوله: «قم فانذر ـ ولربك فاصبر» المدثر: ٢ـ٧)

وقوله: «فلذلك فادع واستقم كما امرت» الشورى: ١٥)

وقوله: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» النحل: ١٢٥)

وقوله: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم» الطور: ٤٨ـ٤٩)

وقوله: «يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس» المائدة: ٦٧)

٨ـ (و الى ربك فارغب)

فاجعل رغبتك إلى الله تعالى وحده فى جميع الاحوال لا إلى أحد سواه، واخشع له وحده، واسئل عنه وحده، واقنط عما سواه، واستغرق فى ذكره جل وعلا بكرة و عشياً، فان فى ذلك كله رفعة وعلواً وسكوناً وإطمئناناً وعيشاً هنيئاً.

قال الله عزوجل: «إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً» الانسان: ٢٣ـ٢٦)

وقال: «واذكر ربك فى نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ و الآصال ولا تكن من الغافلين» الاعراف: ٢٠٥)

وقال: «واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً» المزمل: ٨)

وقال: «الذين آمنوا وتطمئن **قلوبهم** بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» الرعد: ٢٨)

وقال: «واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوّ والعشى يريدون

وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريدزينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلناقلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً»الكهف: ٢٧-٢٨)

وقال: «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً» طه: ١٢٤)

وقال : «ومن يعش عن ذكرالرحمن نقيّض لـه شيطاناً فهولـه قرين» الزخرف: ٢٦)



﴿جملة المعاني﴾

٦٠٩١- (ألم نشرح لك صدرك)

لقد شرحنا لك صدرك بالنبوة العظمى وإفاضة العلم والحكمة فيه، وإستعداد نفسك لتبليغ الرسالة والتحمل لما يضيق به صدرك من تكذيب قومك وموقفهم في دعوتك وأذاهم إياك.

٦٠٩٢- (ووضعنا عنك وزرك)

ولقد عصمناك عن صدور الذنب عنك لانك في حمايتنا قبل النبوة وصيانتنا مادمت حياً.

٦٠٩٣- (الذى أنقض ظهرك)

الوزر الموضوع عنك هو الذى لو ارتكبته لانكسر ظهرك، وما كنت على ما تكون عليه الآن.

٦٠٩٤- (ورفعنا لك ذكرك)

ورفعنا لك منذ خلقتك- لولاك لما خلقت الأفلاك - ذكرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأذكرك وأمرنا ملائكتنا وعبادنا بذكرك، فلاذكر إلاّ وأنت تذكر هناك، فقرنّا إسمك من إسمي ، ولاعقيدة ولاعبادة ولادعوة ولاذكر إلاّ ولابد وأن تذكر فيها ، ولاتمضي ثانية في الأرض والسماء إلاّ وفيها تذكر فيها ذكراً حسناً.

٦٠٩٥- (فان مع العسر يسراً)

فلاتحزن يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاتكن في ضيق عما تشاهده من قومك المشركين خاصة، ومن المجتمع البشرى المنحط عامة من الشرك والطغيان، من التكذيب و

العناد، من الكفر والانحطاط، ومن الاستكبار والاستبداد... ولاتحزن من قلة الأ-
سباب و كثرة الموانع فی تبليغ الرسالة فانها كلها تزهق فان الباطل كان زهوقاً،
فيعقبه اليسر والاعلاء لان كلمة الله تعالى هی العليا وسيجیء النصر والفتح : «إذا
جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فی دين الله أفواجاً» النصر: ١-٢) « إنا
فتحنا لك فتحنا مبيناً- وينصرك الله نصراً عزيزاً» الفتح : ١-٣)

٦٠٩٦- (أن مع العسر يسراً)

ليس الرخاء بعد الشدة مقصوراً فی الحياة الدنيا، بل إن مع الضيق فی الحياة
الدنيا سعة عظيمة فی الآخرة لايقادر قدرها.

٦٠٩٧- (فاذا فرغت فانصب)

فاذا فرغت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن عمل فانصب نفسك لعمل آخر، واستمر به
الصلة بالله جل وعلا.

٦٠٩٨- (و الى ربك فارغب)

واستغرق فی ذكره تعالى وتوجّه إليه وحده فی كل حال وانقطع عماسواه.

﴿ بحث روائی ﴾

فی تفسير فرات الكوفي: باسناده عن أبی جعفر عليه السلام فی قوله تعالى: « ألم نشرح لك صدرك» قال: ألم نعلّمك من وصيّك.

وفی مناقب آل أبی طالب: عن الباقر والصادق عليهما السلام: « ألم نشرح لك صدرك» ألم نعلّمك من وصيّك فجعلناه ناصرك، ومذلّ عدوّك الذی أنقض ظهرك وأخرج منه سلالة الأنبياء الذين يهتدون؟ « ورفعنا لك ذكرك » فلا اذكر إلاّ ذكرت معی « فاذا فرغت » من دنياك « فانصب » علياً عليه السلام للولاية تهتدی به الفرقة.

وفيه: عن عبدالسلام بن صالح عن الرضا عليه السلام: « ألم نشرح لك صدرك » يا محمد ألم نجعل علياً وصيّك « ووضعنا عنك وزرك » تقتل مقاتلة الكفار وأهل التأويل بعلی عليه السلام « ورفعنا لك » بذلك « ذكرك » أی رفعنا مع ذكرك يا محمد له رتبة.

وفی تفسير القمی: « ألم نشرح لك صدرك» بعلی عليه السلام فجعلناه وصيّك حين فتح مكة و دخلت قريش فی الاسلام شرح الله صدره و يسّره « ووضعنا عنك وزرك» بعلی عليه السلام ثقل الحرب « الذی أنقض ظهرك » أثقل ظهرك « ورفعنا لك ذكرك » تذكر إذا ذكرت وهو قول الناس: « أشهد أن لا إله إلاّ الله و أن محمداً رسول الله » « ان مع العسر يسراً » ما كنت فيه من العسر أتاك اليسر « فاذا فرغت » من حجة

الوداع « فانصب » أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن الحسن بن راشد عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » قال بولاية أمير المؤ- منين عليه السلام .

وفي تفسير ابن كثير : عن ابي بن كعب ان أباهريرة كان جريئاً على أن يسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء لا يسئله عنها غيره فقال : يارسول الله ! ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وقال : لقد سئلت ياأباهريرة ! إني في الصحراء إبن عشر سنين وأشهر و إذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط أرواح لم أجدها من خلق قط و ثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسّاً .

فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه فأضجعناني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره فهوأحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج الغل والحسد ، فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها ، فطرحها فقال له : ادخل الرأفة والرحمة ، فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى فقال : أعد وأسلم ، فرجعت بها أعدو رقة على الصغير و رحمة للكبير .

رواه السيوطي في الدر المنثور باختلاف يسير ، وفي تفسير روح المعاني للآلوسي : « إبن عشر حجج » مكان : « إبن عشر سنين وأشهر » وفي الدر المنثور « إبن عشرين سنة » بدل : « ابن عشر سنين » وفي بعض الروايات نقل القصة عند نزول سورة « العلق » وفي بعضها كما في صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي نقل القصة عند إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان القصة على أيّ حال من قبيل التمثّل بلا إشكال ، وقد أطالوا البحث في توجيه ما تتضمّنه على أنها واقعة مادية ، فتمحّلوا بوجوه لاجدوى في التعرّض لها بعد فساد أصلها

وفى المجمع: عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد سئلت ربى مسئلة وددت انى لم أسئله قلت: اى رب انه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى قال: فقال: ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قال: قلت: بلى قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قال: قلت: بلى اى رب قال : ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى اى رب.

وفيه: عن إبن عباس قال: سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقيل: يا رسول الله! أينشرح الصدر؟ قال: نعم قالوا : يا رسول الله ! وهل لذلك علامة يعرف بها ؟ قال : نعم التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت .

وفى الجامع لأحكام القرآن: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رجل من قومه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: فبينا انا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة (أحد الثلاثة بين الرجلين خ) فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدرى إلى كذا و كذا . قال قتادة : قلت : ما يعنى ؟ قال: إلى أسفل بطنى قال: فاستخرج قلبى فغسل قلبى بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشى ايماناً وحكمة .

وفى اعراب ثلاثين سورة: لابن خالويه : قال: فلما أنزل الله تبارك و تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» قال عبدالله بن مسعود: يا رسول الله ! أو يشرح الصدر ؟ قال: نعم بنور يدخله الله فيه . قال : وما أمارة ذلك يا رسول الله ؟ قال : التجافى عن دار الغرور و الانابة إلى دار القرار والاستعداد للموت قبل الفوت .

و فى الدر المنثور : عن عبدالله بن مرة عن أبى جعفر قال: لما نزلت :«فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» قالوا : كيف يشرح الصدر قال : إذا نزل النور فى القلب إنشرح له الصدر وانفسح قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال : نعم الانابة إلى دار الخلود و التجافى عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل

الفوت .

وفي الاحتجاج: روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لعلي عليه السلام: هذا إدريس عليه السلام أعطاه الله عز وجل مكاناً علياً؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطى ماهو أفضل من هذا، ان الله جل ثناؤه قال فيه: «ورفعنا لك ذكرك» فكفى بهذا من الله رفعة قال له اليهودي: فقد ألقى الله على موسى محبة منه؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك وقد اعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ماهو أفضل من هذا، لقد ألقى الله عز وجل عليه محبة منه، فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله عز وجل به الشهادة فلا تتم الشهادة إلا أن يقال: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله ينادي على المنار فلا يرفع صوت بذكر الله عز وجل إلا رفع بذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه ... الحديث

وفي الدر المنثور: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاني جبرئيل فقال: ان ربك يقول: تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم قال: إذا ذكرت ذكرت معي.

وفي المجمع: قال: وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح و يشهد
وضمّ الاله اسم النبي إلى إسمه ... إذا قال في الخمس المؤذّن أشهد
وشق له من إسمه ليجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وفي البحار: عن إبن عباس قال: ولقد كنّا في محفل فيه أبو سفيان وقد كفّ بصره وفينا علي عليه السلام فأذّن المؤذّن، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو سفيان: هيهنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا، فقال: لله درّ أخي بني هاشم، انظروا أين وضع إسمه؟ فقال علي عليه السلام: أسخن الله عينك يا باسفيان، الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: «ورفعنا لك ذكرك» فقال أبو سفيان: أسخن الله عين من قال:

ليس هيهنا من يحتشم .

وفي المجمع: روى عطاء عن إبن عباس قال: يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين .

وفيه: قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً .

وفي التهذيب: باسناده عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن علي عليهم السلام: ان امرأة إستعدت على زوجها انه لاينفق عليها ، وكان زوجها معسراً فأبى علي عليه السلام أن يحبسه و قال: ان مع العسر يسراً .

وفي الفقيه : باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : و اعلم أن مع العسر يسراً و ان مع الصبر النصر وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً .

وفي تفسير البرهان: عن مسعدة بن صدقة قال : سمعت جعفراً يقول في قوله تبارك و تعالى: «فاذا فرغت فانصب و إلى ربك فارغب» : فاذا قضيت الصلاة قبل أن تسلم وأنت جالس فانصب في الدعاء من أمر الدنيا والآخرة، وإذا فرغت من الدعاء فارغب إلى الله تبارك و تعالى

وفي المجمع : في قوله تعالى :« فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب » قال : معناه: فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسئلة قال وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى:« ان مع العسر يسراً» قال: ما كنت فيه من العسر أتاك اليسر « فاذا فرغت فانصب» قال:«إذا فرغت» من حجة الوداع فانصب أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام .

وفي الكافي: باسناده عن عبدالحميد بن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث- يقول فيه حاكياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحتج عليهم حين اعلم بموته ونعت إليه

نفسه، فقال الله جل ذكره: «فاذافرغت فانصب وإلى ربك فارغب» يقول: فاذافرغت فانصب علمك وأعلن وصيك، فأعلمهم فضله علانية، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثلاث مرات، ثم قال: لأبعثن رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ليس بفرار يعرض بمن رجع يجبن أصحابه و يجبنونه.

وفي قرب الاسناد: عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت جعفراً عليه السلام يقول: كان أبي عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: «فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب» فاذا قضيت الصلاة قبل أن تسلم و أنت جالس فانصب في الدنيا من أمر الدنيا و الآخرة و إذا فرغت من الدعاء فارغب إلى الله تبارك و تعالى أن يتقبلها منك.

وفي تفسير القمي: عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فاذا فرغت» من نبوتك «فانصب» علياً عليه السلام «وإلى ربك فارغب» في ذلك.

وفي تفسير فرات الكوفي: باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام «فاذا فرغت فانصب» علياً عليه السلام للولاية.

وفي مناقب آل أبي طالب: عن أبي حاتم الرازي ان جعفر بن محمد عليه السلام قرأ: «فاذا فرغت فانصب» قال: فاذا فرغت من إكمال الشريعة فانصب لهم علياً إماماً.

وفي تفسير البرهان: عن أبي جميلة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قوله تعالى: «فاذا فرغت فانصب» علياً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجاً فنزلت «فاذا فرغت فانصب» علياً للناس.

وفيه: عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «فاذا فرغت فانصب» علياً بالولاية.

وفي فقه الرضا عليه السلام قال: لاصلاة إلاّ باسبال الوضوء، وإحضار النية، وخلوص اليقين، وإفراغ القلب، وترك الأشغال وهو قوله: « فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب »

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « فاذا فرغت فانصب » قال: يعني انصب علياً للولاية .



﴿ بحث فقهي ﴾

في التهذيب: باسناده عن زيد الشحام قال : صلّى بنا أبو عبدالله عليه السلام الفجر فقرأ « الضحى » و« ألم نشرح » في ركعة .

وفيه: عن زيد الشحام أيضاً قال: صلّى بنا أبو عبدالله عليه السلام فقرأ في الاولى « الضحى » وفي الثانية « ألم نشرح لك صدرك »

وفي الخرائج: عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ قال: فلما طلع الفجر قام فاذّن وأقام و أقامني عن يمينه ، و قرأ في أول ركعة « الحمد » و « الضحى » و في الثانية بالحمد و قل هو الله أحد ثم قنت ثم سلّم ثم جلس .

وفي المجمع: قال: وروى العياشي عن المفضل بن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلاّ « الضحى » و « ألم نشرح » و« ألم تر كيف » و« لايلاف قريش »

وما يستظهر من الأخبار الواردة في المقام هو جواز الجمع بين سورة « الضحى » و« الانشراح » في ركعة من ركعتي الفريضة الثنائية ، والاولين من غيرها وهو أعم من الاتحاد من غير لزوم الاتيان بهما معاً ، وجواز إفراد أحدهما عن الآخر في كل ركعة ، فلا شيء في الأخبار على وجوب الجمع بينهما : ولا على عدم جواز الفصل بينهما فضلاً عن كونهما سورة واحدة . فيجزي بأحدهما على

الأقوى .

والأقوى أيضاً - في غيرهما - جواز قراءة أزيد من سورة واحدة في ركعة من ركعتي الفريضة الثنائية و الاولين من غيرها على كراهية ، بخلاف النافلة ، فلا كراهة فيها ، و لكن الاحوط تركها في الفريضة إذا لم يقصد بكلتا السورتين مثلاً الجزئية ، وأما إذا قصدبهما الجزئية فالأقوى عدم الجواز. وهذا مما يستظهر من الروايات التالية وغيرها .

في التهذيب : باسناده عن زرارة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنما يكره أن يجمع بين السورتين في الفريضة ، فأما النافلة فلا بأس .

وفيه: باسناده عن عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقرأ سورتين في ركعة؟ قال : نعم قلت : أليس يقال : أعط كل سورة حقها من الركوع والسجود ؟ فقال : ذاك في الفريضة ، فأما النافلة فليس به بأس .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا بأس أن تجمع في النافلة من السور ماشئت .

وفي السرائر : عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لاتقرنن بين السورتين في الفريضة في ركعة فانه أفضل .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئلته عن رجل قرأ سورتين في ركعة ، قال: إذا كانت نافلة فلا بأس وأما الفريضة فلا يصلح .

أقول: ولا يخفى: ان المشهور عند الفقهاء : ان سورة «الضحى» و«الانشراح» سورة واحدة ، و كذلك سورة «الفيل» و«الايلاف» فلا تجزي واحدة منها، بل لابد من الجمع مرتباً مع البسملة الواقعة بينهما .

وقال بعض المعاصرين : وهذه الوحدة تخص الصلاة حكمياً ، وإلا فهما سورتان في غير الصلاة للفصل بالبسملة بينهما .

أقول: وتظهر ثمر كونهما سورة واحدة أو سورتين في النذر بأن ناذراً إذا نذر باعطاء درهم من قرأ سورة واحدة من القرآن الكريم، فقرء قارىء سورة الضحى أو الانشراح أو الفيل أو الايلاف فهل يجب عليه الوفاء بالنذر أم لا ؟ و عندي : نعم بلاريب ، و أما تجويز قرائتهما في ركعة واحدة فلشدة إتصالهما معاً وتناسبهما معناً .



﴿بحث مذهبي﴾

وقد استدل بقوله سبحانه: «ووضعنا عنك وزرك» الانشراح: ٣) من جوز الكفر حتى الشرك، وصدور الكبائر عن النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم من الأشاعرة، وصدور الصغائر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من المعتزلة على مذهبهم.

أقول: بكلمة ان الأمر عكس حيث ان الآية الكريمة نفسها بصدد عصمة الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم وفيها وعد كريم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مصون من إرتكاب الاثم لكونه صلى الله عليه وآله وسلم في حماية الله جل وعلا و كنفه قبل الرسالة وبعدها كما تشعر صيغة الماضي إلى ذلك كقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «وضع عن امتي تسعة أشياء: السهو والخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه وما لا يعلمون وما لا يطيقون والطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق مالم ينطق الانسان بشفه» وقد اتفق الفقهاء والمحققون على أن المراد من وضع التسعة رفع أصل التكليف لا رفع المؤاخذة.

وإنما معنى الآية الكريمة: عصمناك من صدور الاثم عنك، فلا تأثم بعد كما انك ما أثمت من قبل وان الرجوع إلى التحقيق في الاقوال وبحث التفسير والتأويل في هذه السورة وإلى بحث عقيدة الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة في هذا التفسير يغنينا عن إعادة البحث في المقام فراجع واغتنم جداً.

﴿علم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرح الصدر﴾

قال الله عزوجل مخاطباً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم نشرح لك صدرك ـ و رفعنا لك ذكرك» الانشراح: ١ـ٤)

ومما الامراء فيه: ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان من أول نشأته ينفر من أعمال قومه المنافية للفطرة البشرية والاخلاق الفاضلة والعقل، وخاصة عبادتهم للأصنام والأوثان فقد حفظه الله جل وعلا منذ الصغر من تلك الأعمال الفاسدة، والعقائد الباطلة التى جاء الاسلام بضدّها، ولذا كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحبّ الانفراد والانقطاع والتأمل، فكان يذهب إلى غار «حراء» خارج مكة المكرمة للتحنث ومناجاة الله تعالى لتخليص قومه والعالم كله من الكفر والضلالة، من الاستبداد والجناية، من الاستكبار والغواية، من الظلم والمعصية، ومن كثرة الشرور والآثام...

وقد بقى محمد صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الحالة مدة من الزمن إلى أن شرح الله جل وعلا صدره بنور العلم والحكمة فبعثه الله تعالى وأكرمه بالنبوة العظمى العامة للثقلين وهو فى الأربعين من عمره صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم من الكمال وهى أربعون سنة أرسله الله عزوجل للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم، من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الجور إلى نور العدل...

وقد شرح الله تعالى صدر نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم واستعد نفسه الطاهرة للنبوة العظمى والرسالة الكبرى لان الاعطاء على قدر المعطى كما أن الانفاق على قدر السائل ولذلك أجمع فيه صلى الله عليه وآله وسلم علوم الاولين والآخرين من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

في الكافي: مرفوعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: يمصّون الثماد ويدعون النهر العظيم قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي أعطاه الله، ان الله عزوجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سنن النبيين من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: وما تلك السنن؟ قال علم النبيين بأسره، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام: فقال له رجل: يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبوجعفر عليه السلام: إسمعوا ما يقول؟ ان الله يفتح مسامع من يشاء اني حدّثته أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين، وانه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسئلني أهو أعلم ام بعض النبيين؟

قوله عليه السلام: «يمصّون» المصّ: الشرح بالجذب و«الثماد»: الماء القليل، فكأن الامام عليه السلام أراد أن يبين ان العلم الذي أعطاه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم أمير المؤمنين عليه السلام هو اليوم عنده وهو نهر عظيم يجري من بين أيديهم، فيدعونه ويمصّون الثماد بأنهم يأخذون ما ليس بعلم، ويتركون أخذ العلم من أهله.

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلاّ وله وصيّ، وكان جميع الانبياء ألف نبي وعشرين ألف نبي منهم خمسة اولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وان علي بن أبيطالب عليه السلام كان هبة الله لمحمد وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ورث علم من كان

قبله من الأنبياء والمرسلين.:. الحديث.

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: ياأبامحمد! ان الله عزوجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقدأعطاه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال: وقدأعطى محمداً جميع ماأعطى الأنبياء وعندنا الصحف التي قال الله عزوجل: «صحف إبراهيم وموسى» قلت: جعلت فداك هي الالواح؟ قال: نعم.

وفيه: باسناده عن إبراهيم عن أبيه أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم قلت: من لدن آدم عليه السلام حتى إنتهى إلى نفسه؟ قال: مابعث الله نبياً إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعلم منه قال: قلت: إن عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيي الموتى باذن الله قال: صدقت وسليمان بن داود عليه السلام كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل؟ قال: فقال: ان سليمان ابن داود عليهما السلام قال للهدهد حين فقده وشك في أمره فقال: «مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين» حين فقده فغضب عليه، فقال: «لاعذبنّه عذاباً شديداً أولاذبحنّه أوليأتينّي بسلطان مبين»

وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا- وهوطائر- قداعطي مالم اعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل و الانس والجن و الشياطين و المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، و كان الطير يعرفه، وان الله يقول في كتابه: «ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أوقطعت به الأرض أو كلّم به الموتى»

وقدورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيّر به الجبال وتقطّع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء وان في كتاب الله لآيات مايراد بها أمر إلا أن يأذن الله بهمع ماقد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنافي ام الكتاب ان الله يقول: «ومامن غائبة في السماء والارض إلا في كتاب مبين» ثم قال: «ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله عزوجل وأورثناهذا

الذى فيه تبيان كل شيء .

وفي الملاحم والفتن : باسناده عن إبن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله رفع لي الدنيا، فأما أنظر إليها وهو إلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي .

وفي الكافي : باسناده عن هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي- عبدالله عليه السلام لم أحفظ إسمه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ان عيسى إبن مريم عليه السلام اعطى حرفين كان يعمل بهما واعطى موسى أربعة أحرف، واعطى إبراهيم ثمانية أحرف، واعطى نوحاً خمسة عشر حرفاً، واعطى آدم خمسة وعشرين حرفاً، وان الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وان إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً اعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد.

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برمانتين من الجنة فأعطاه إياهما فأكل واحدة وكسر الاخرى بنصفين ، فاعطى علياً عليه السلام نصفها فأكلها، فقال: ياعلي أما الرمانة الاولى التي أكلتها فالنبوة ليس لك فيها شيء ، وأما الاخرى فهو العلم فأنت شريكي فيه.

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قلت له: الأئمة يحيون الموتى، ويبرؤون الأكمه والأبرص، ويمشون على الماء ؟ قال: ما اعطى الله نبياً شيئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاه مالم يكن عندهم... الخبر.

وفيه : عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل علي عليه السلام من علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم جميع النبيين ، و علم ما كان و علم ماهو كائن إلى قيام الساعة .

وفيه : باسناده عن سيف التمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لاخبرتهما أني أعلم منهما

ولأنبأتهما بماليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام اعطيا علم ماكان ولم يعطيا علم ماهو كائن وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطى علم ماكان، وماهو كائن إلى يوم القيامة فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثة.

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله علمين: علم مكنون مخزون، لايعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء وعلم علّمه ملائكته و رسله وأنبيائه فنحن نعلمه.

وفي رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إنماهما إثنتان: الكلام والهدى، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدى هدى محمد»

وان هداه صلى الله عليه وآله وسلم هو وجوده المقدسة وقوله الكريم، وفعله الحسن وتقريره الشريف، وأحاديثه التي هي قبس من نور النبوة، وضياء من نور الذي غمر الكون و عمّ المخلوقات وجاء بالدين الحق، والشريعة المطهرة والأخلاق الفاضلة والمزايا الحميدة والتربية المثالية الصحيحة قال الله عز و جل : «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون » التوبة : ٣٣)

وقال: «والنجم إذاهوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» النجم: ١-٤)

وقد ورد صحيحاً عن الطريقين: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً»

ان الله تعالى أعطى محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرح الصدر بلاسئوال بقدر جوده إذ قال: «ألم نشرح لك صدرك» الانشراح: ١) وأتى موسى بن عمران شرح الصدر على قدر طلبه إذقال: «رب اشرح لي صدري» طه: ٢٥)

كالفرق بين اليسرين: يسر طلبه موسى عليه السلام من الله تعالى إذ قال: «ويسّر لي

أمرى» طه: ٢٦)

ويسر وعده الله عزوجل نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم موكداً مرتين: «فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» الانشراح: ٥-٦) بل جعل وجوده الشريف يسراً إذ قال: «ونيسّرك لليسرى» الأعلى: ٨)

وان شرح الصدر بالنسبة إلى غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو أن يصير الصدر قابلاً للنور إذقال: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه» الزمر: ٢٢)، وأما بالنسبة إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو نفس النور ونفس السراج المنير، ومن هنا وصف الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بنفسهما إذ قال: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الاحزاب: ٤٥-٤٦)

وقال: «يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون الصف: ٨)

وقال: «ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢)

وقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفس السراج المنير وهذا هو المراد من شرح الصدر له صلى الله عليه وآله وسلم مع أن شرح الصدر لغيره هو عبارة عن إفاضة النور فى القلب حتى يصير كالسراج.

فشتان بين الصدرين وبين الشرحين!

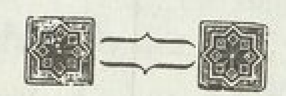
ثم انظر فيما جاء في خلق موسى بن عمران عليه السلام وتأمل فيه إذقال جل وعلا: «ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلاتشمت بى الاعداء ولاتجعلنى مع القوم الظالمين - ولماسكت عن موسى الغضب أخذ الالواح» الاعراف: ١٥٠-١٥٤)

وقد قال تعالى فى نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت

فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر» آل عمران: ١٥٩)

وقال: «انك لعلى خلق عظيم» القلم: ٤)

فشتان بين الخلقين!!



﴿محمد رسول الله ﷺ ورفعة ذكره﴾

ومما لا خلاف فيه : ان الاسلام لا يتحقق لأحد إلاّ بالشهادتين : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ » فبهما يتحقق الاسلام، ولا يؤذّن موذن إلاّ بذكر محمد ﷺ في أذانه وبه يعلن الاسلام ولا يصلّي مصلّ إلاّ و لابد من أن يذكر محمداً ﷺ في تشهد صلاته وهي عماد الدين الاسلامي ، ولا يخطب خطيب إلاّ ولابد أن يذكر محمداً ﷺ في خطبته وإبلاغ الدين الاسلامي، ولا يستجاب دعاء إلاّ بذكر محمد ﷺ فيه و فيه بقاء الاسلام ، و ليس ببعيد من يسمع إسم محمد ﷺ و لم يصلّ عليه وآله الطاهرين ، ولا بفلاح من يذكر إسمه ﷺ ولم يصلّ عليه وآله . ولا بخير من يكتب إسمه ﷺ ولم يصلّ عليه وآله ... فهل الرفعة إلاّ ذلك ؟

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين، وقد سبق منا في سورة الاحزاب ما يناسب المقام، فراجع، ونشير هيهنا إلى نبذة من الروايات الواردة:

في الكافي : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام – في الفرق بين الاسلام و الايمان – فقال : الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: « شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله و اقام الصلاة ، و ايتاء الزكاة ، و حج البيت ، و صيام شهر رمضان ، فهذا : الاسلام ...

الحديث.

وفيه : عنه عليه السلام أيضاً في توصيف الاسلام، فقال: الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس ... الحديث.

و في فقه الرضا : قال عليه السلام : إعلم رحمك الله ان الأذان ثمانية عشر كلمة والاقامة تسعة عشر كلمة : وقد روى : ان الأذان و الاقامة في ثلاث صلوات : الفجر و الظهر و المغرب. و صلاتين باقامة : هما العصر والعشاء الآخرة لأنه روى خمس صلاة في ثلاث أوقات و الأذان أن يقول : « الله أكبر، الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، أشهد أن لا إله إلاّ الله ، أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، لا إله إلاّ الله مرتين في آخر الأذان.

وفي آخر الاقامة واحد ليس فيها ترجيع ولا تردّد ولا « الصلوة خير من النوم» والاقامة أن تقول: الله أكبر، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيّ على الصلوة ، حيّ على الصلوة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله مرّة واحدة.

أقول: ويستحب إستحباباً مؤكداً عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية الشهادة بولاية مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بين «أشهد أن محمداً رسول الله» و «حيّ على الصلاة» بأن يقال: «أشهد أن أمير المؤمنين علياً ولي الله» مرة أو مرتين.

ولا ينبغي أن تترك هذه الشهادة بالولاية في الاذان والاقامة.

ومن غير ريب ان الشهادة بالولاية من كمال الاسلام وتمام الايمان لان الله عزوجل يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ـ٦٨)

وهذه رفعة ذكر للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في الحياة الدنيا، وأما رفعة الذكر له صلى الله عليه وآله وسلم في الدار الآخرة، فقد وردت فيها روايات كثيرة منها:

في السرائر: باسناده عن عبدالله بن ميمون عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يحشر بلال على ناقة من نوق الجنة يؤذّن أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا نادى كسى حلة من حلل الجنة.

وله صلى الله عليه وآله وسلم رفعة ذكر في العالم السماوي وردت فيها روايات كثيرة منها:

في تفسير القمي: ـ في حديث طويل ـ عن إبن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصادق قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لما اسري بي، وانتهيت إلى سدرة المنتهى، فاذا ملك يؤذّن لم ير في السماء قبل تلك الليلة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله: صدق عبدي أنا أكبر من كل شيء، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله، فقال الله: صدق عبدي أنا الله لا إله غيري، فقال: «أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» فقال الله: صدق عبدي أن محمداً عبدي ورسولي أنا بعثته وانتجبته، فقال: «حيّ على الصلاة: حيّ على الصلاة» فقال: صدق عبدي، دعا إلى فريضتي، فمن مشى إليها راغباً فيها محتسباً كانت كفارة لما مضى من ذنوبه. فقال: «حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح» فقال الله: هي الصلاح والنجاح والفلاح، ثم أممت الملائكة في السماء كما أممت الأنبياء في

بيت المقدس.

رواه الصدوق رحمة الله تعالى عليه في معاني الأخبار باختلاف يسير مختتماً بقوله: «حي على خير العمل، حي على خير العمل» قال الله جل جلاله هي أفضل الأعمال وأزكاها عندي ثم قال: «قد قامت الصلاة» فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقام أهل السماء فمن يومئذ تم شرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و عن ابن عباس في قوله تعالى: «ورفعنا لك ذكرك» قال: يريد الأذان و الاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبداً عبدالله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء و كان كافراً.

و قال قتادة: رفع الله ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وقال الضحاك: لا تقبل صلاة الا به، ولا تجوز خطبة إلا به.

وفيه قال حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح و يشهد

وضم الا له إسم النبي مع إسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من إسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال الآخر:

رفيع القدر في عز المكان ... كريم القول في لطف البيان

وقال الآخر:

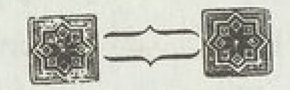
لا يصح الأذان في الفرض إلا ... باسمه العذب في الفم المرضي

ألم ترانا لا يصح أذاننا ... ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وعن أبي داود: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا دخل أحدكم المسجد فليصل و ليسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليقل: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» فاذا خرج فليقل: «اللهم اني أسئلك من فضلك» وانه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل المسجد صلى على محمد و آله

وسلم ثم يقول: «اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» فاذا خرج صلّى على محمد وآله وسلم ثم يقول: «اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي باب فضلك».

أقول : ومن البيّن أن يذكر إسم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل آن من الآنات الليلية والنهارية على اختلاف الآفاق على المآذن، سوى المنابر والصلوات والفرائض والمجالس...



﴿ ترك الصلوات على محمد وآله المعصومين صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

في التشهد وبطلان الصلاة

وقد أورد في ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم نشير إلى مايسعه المقام روماً للاختصار:

١ـ روى القاضي عياض المغربي في (الشفاء ج٢ ص ٥٥ ط مصر)

عن إبن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلّى صلاة لم يصلّ فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه» رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١ـ إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص٢٣٢ ط عبداللطيف بمصر)

٢ـ ابو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٢٩ ط القاهرة)

٣ـ أبو عبدالله البغدادي في (المنتخب من الصحيحين ص ٤)

٤ـ حمزاوي في (مشارق الأنوار ص ٩٢ ط الشرقية بمصر)

٥ـ إبن حجر الهيتمي في (الدر المنضود ص ١٢)

٦ـ باكثير الحضرمي في (وسيلة المآل ص ٧٢)

٧ـ السخاوي في (القول البديع ص ١٢٦)

٨ـ الدهلوي في (الحجة البالغة ج٢ ص١٢ ط المنيرية بالقاهرة)

٢ـ روى البيهقي في (السنن الكبرى ج٢ ص٣٧١ ط حيدرآباد)

باسناده عن عبدالله بن مسعود قال: «لو صلّيت صلاتاً لا اصلّي فيها على آل

محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرأيت ان صلاتي لاتتم».

رواه السخاوى فى(القول البديع ص ١٢٦) وباكثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص ٧٢)

٣- روى محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى) عن جابر رضى الله عنه انه كان يقول: «لوصليت صلاة لم اصل فيها على محمد وآل محمد مارأيت انها تقبل»

رواه جماعة منهم:

١- القندوزى فى(ينابيع المودة ص١٩٢ ط إسلامبول)

٢- أبوبكر الحضرمى فى (رشفة الصادى ص٢٩ ط القاهرة)

٣- باكثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص٧٢) ثم ذكر الحضرمى أبيات الشافعى:

يا أهل بيت رسول الله حبكم　　فرض من الله فى القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم القدر انكم　　من لم يصل عليكم لا صلاة له

ثم قال: وقلت فى بعض قصائدى:

اولئك قوم أذهب الله رجسهم　　وخصوا بفضل لا بسبيل بجحده

فكيف وجبرئيل جاء بمدحهم　　وأنزل قرآناً تثاب بسرده

وكل مصل لم يصل عليهم　　فليس له قراط أجر لطرده

٤- روى الامرتسرى فى(أرجح المطالب ص ٣١٨ ط لاهور)

عن الشعبى قال: «لاصلاة لمن لم يصل فيها على النبى وآله فى التشهد فليعد صلاته» أخرجه البيهقى.

٥- روى السيوطى فى تفسير (الدر المنثور ج ٥ ص٢١٧ ط ايران)

عن جابر بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الاولى قال: آمين ثم رقى الثانية، فقال: آمين، ثم رقى الثالثة، فقال: آمين، فقالوا: يا رسول الله سمعناك تقول: آمين ثلاث مرات؟ قال: لما رقيت الدرجة الاولى جائنى جبرئيل

فقال: شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له، فقلت: آمين ثم قال: شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت: آمين ثم قال: شقى عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت: آمين.

وغير ذلك مما ورد عن طريقهم تركناه للاختصار.

وأما ماورد في المقام عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثير نشير إلى نبذة منها.

في ثواب الاعمال: باسناده عن محمد بن هارون عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا صلى أحدكم ولم يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنة: رواه البرقي في المحاسن عن أبي جميلة، والصدوق في المجالس باختلاف يسير.

وفي البحار: عن جابر الجعفي قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إذا صلى أحدكم فنسي أن يذكر محمداً وآله في صلاته سلك بصلاته غير سبيل الجنة ولاتقبل صلاة إلا أن يذكر فيها محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: لعل النسيان بمعنى الترك أو محمول على نسيان مستند إلى تقصيره وعدم إهتمامه.

وفي اعلام الدين للديلمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من صلى ولم يذكر الصلاة على وعلى آلي سلك به غير طريق الجنة وكذلك من ذكرك عنده ولم يصل على.

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن هارون عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا صلى أحدكم ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنة قال: و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله قال: وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ومن ذكرت عنده فنسي الصلاة على خطىء به طريق الجنة.

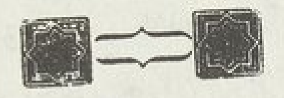
وفي التهذيب: باسناده عن عبدالملك بن عمرو الأحول عن أبي عبدالله عليه السلام قال: التشهد في الركعتين الاولتين: «الحمدلله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل

شفاعته وارفع درجته»

وفيه: باسناده عن زرارة قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: ما يجزى من القول فى التشهد فى الركعتين الاولتين؟ قال: أن تقول: أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له، قلت: فما يجزى من تشهّد الركعتين الاخيرتين؟ فقال: الشهادتان.

وفى الفقيه: باسناده عن أبى بصير وزرارة جميعاً قالا فى حديث: قال أبو عبدالله عليه السلام: ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من تمام الصلاة إذا تركها متعمّداً فلا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ... الحديث.

وفى التهذيب: باسناده عن أبى بصير وزرارة جميعاً عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال: من تمام الصوم إعطاء الزكاة كما أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من تمام الصلاة ومن صام ولم يؤدّها فلا صوم له إذا تركها متعمداً، ومن صلّى ولم يصلّ على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وترك ذلك متعمداً فلا صلاة، إن الله تعالى بدأ بها قبل الصلاة فقال: «قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربك فصلّى»



﴿ذكر الصلوات واستجابة الدعاء﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في المقام نشير إلى نبذة منها، وأما عن طريق العامة فكثيرة منها:

١- روى الفقيه إبن المغازلي الشافعي في (المناقب) باسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلّى على محمد وآل محمد مأة مرّة قضى الله تعالى له مأة حاجة.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- الديلمي في (الفردوس)

٢- الحمزاوي في (مشارق الأنوار ص٩٣ ط الشرقية بمصر)

٣- أبوبكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص٣٢ ط القاهرة) وغيرهم تركناهم للاختصار.

٢- روى الصفوري في (نزهة المجالس ج١ ص ٧٥ ط القاهرة) مالفظه:

عن بعض الصالحين: انه حبسه بعض الخلفاء، واقسم أن يضرب عنقـه، فقال له رجل في النوم: اكتب ورقة فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل إلى الرب الجليل اني مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين، فبحق محمد وآل محمد اكشف همّي وحزني وفرّج عنّي» واطرح الورقة في اليم.

٣- روى الدهلوي في (تجهيز الجيش) مالفظه: و روى انه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن

كيفية الصلاة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد فقال رجل من الصحابة وعلى آل محمد فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من فصّل بيني وبين آلي بـ«على» لم ينل شفاعتي.

وفي رواية اخرى: «فليس من امتي» وقد أشار إلى هذا الحديث جلال الدواني في (حاشيته على شرح التجريد للقوشجي) وقدسبق منا كلام في المقام في سورة الأحزاب، فراجع.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسئلة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم سل حاجتك فان الله أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الاخرى»

قال ابن أبي الحديد في الشرح: هذا الكلام على حسب الظاهر الذي يتعارفه الناس بينهم وهو عليه السلام يسلك هذا المسلك كثيراً ويخاطب الناس على قدر عقولهم وأما باطن الأمر فان الله تعالى لايصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأجل دعائنا إياه أن يصلّي عليه لان معنى قولنا: اللهم صلّ على محمد أي أكرمه وارفع درجته، والله سبحانه قدقضى له بالاكرام التام ورفعة الدرجة، و رفعة الدرجة من دون دعائنا وإنما تعبّدنا نحن بأن نصلّي عليه لان لنا ثواباً في ذلك لالأن إكرام الله تعالى له أمر يستعقبه وتستتبعه دعاؤنا.

ونختم البحث بذكر بعض ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية:

في الكافي: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلّي على محمد وآل محمد.

قال المجلسي رضوان الله تعالى عليه في (شرح الحديث) قولنا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد فمعناه: عظّمه في الدنيا باعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وابقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في امته، وتضعيف أجره ومثوبته.

وفي الكافي: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع الدعاء.

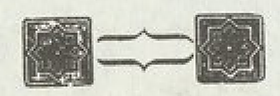
وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كانت إلى الله عزوجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسئل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فان الله عزوجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لاتحجب عنه.

وفي العلل والعيون: - فيما سئل عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام وأجاب عنه الحسن بن علي عليه السلام -: وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وأما ماذكرت من أمر الذكر والنسيان: فان قلب الرجل في حقٍّ وعلى الحق طبق، فان صلّى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة إنكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب وذكر الذكر ما كان نسي، وإن هو لم يصلّ على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم، إنطبق ذلك الطبق على ذلك الحق، فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره... الحديث.

وفي الكافي: باسناده عن مسمع عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه، فقال: ياغلام ماتصنع هيهنا؟ فقال: إن إخوتي ألقوني في الجبّ قال: فتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله جل وعلا إن شاء أخرجني قال: فقال له: إن الله تعالى يقول لك: ادعني بهذا الدعاء حتى اخرجك من الجبّ، فقال له: وما الدعاء؟ فقال: قل: اللهم إني أسئلك بأن لك الحمد لا إله إلاّ أنت المنّان بديع السموات والارض ذوالجلال والاكرام أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي بما أنا فيه فرجاً ومخرجاً قال: ثم كان من قصته ماذكر الله في كتابه.

أقول: ولعمري ان لي في ذكر الصلوات على محمد وآل محمد والتوسل بهم صلوات الله عليهم أجمعين تجربات عجيبة وخاصة في أمر هذا التفسير: (تفسير البصائر)

وفي تأليف وطبعه ونشره ومايتعلق به، وفي جميع شئون حياتي حتى النوم إذ قلما كنت لاأتنوم لماكان يعتريني من الحزن والهم، فاصلّي على محمد وآل محمد ثلاث مرات أو أكثر فأنوم ثم كنت أستيقظ متى اريد من الساعات... فعليكم أيها المسلمون با لصلوات التامات في كل وقت وأمر.



﴿العسر واليسر﴾

قال الله عزوجل: «فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» الانشراح: ٥-٦)

ان العسر: عبارة عن الشدّة والضيق، نقيض اليسر الذى هو عبارة عن الرخاء والسعة، والعسير هوالذى يتعذر طلبه أووصوله أو النجاة عنه نقيضه اليسير.

وان العسر الذى يقع فيه الانسان على قسمين:

أحدهما: مايقع فيه الانسان بسوء إختياره مايوجب ذلك من الكفر والضلالة من إتباع الهوى والجناية، ومن الجرم والمعصية ... أو لقلة التدبير و الغفلة عن عمدوليس وراء هذا العسر يسر، ولاتشير الآيتان الكريمتان إليه إذليس وراء عسر الكافر والعاصي يسر وإن كان هوفي الحياة الدنيا في يسر ظاهر، ولكن ورائه عسر لايعقبه يسر.

قال الله تعالى: «وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى» الليل: ٨-١٠)

وقال: «فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير» المدثر: ٨-١٠)

وقال: «ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق

للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّنى عن الذكر بعد إذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولاً » الفرقان: ٢٥ ـ ٢٩)

ثانيهما ـ مايقع فيه الانسان إبتلاء به من الله عزوجل، سواء قدّم عليه اليسر أم لا، وهذا القسم من العسر لابد منه لمن يتكامل فى إنسانيته إذ له فيه إعتبار وتجارب ماليس فى غيره، فيقع فيه، ويتعقب عليه اليسر فى الحياة الدنيا إذا اجتمعت شرائط الاستبداد الآتية، وإلاّ ففى الآخرة.

قال الله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ذلك أمر الله أنزله إليكم ـ ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً» الطلاق: ٤ـ٧)

ولاريب ان مع كل ضيق يكون إبتلاء من الله جل وعلا فرجاً لا كل ضيق، و مع قلّة الوسائل إلى نيل المطلوب أو النجاة من شدائد ووقائع مخرجاً إذا تدرّع المرء بالصبر وتوكّل على ربه عزوجل وتوسّل بمحمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولقد كان حال رسولنا الاعظم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أكبر نموذج و أحسن درس لنا، فانه قد ضاق عليه الأمر فى بادىء الأمر قبل الرسالة وبعدها إذ تألب عليه قومه لكن لم يثنه ذلك عن عزمه، ولم يفلل من حدّه بل صبر على مكروههم، وألقى بنفسه فى غمرات الدعوة، ولم يتركها قط متوكلاً على الله تعالى محتسباً نفسه عنه جل وعلا، راضياً بكل مايجد فى هذا السبيل وأذى، ولم تزل هذه حاله حتى نال اليسر.

إذ أشرب الله تعالى قلوب الأنصار بحبه، وامتلأ نفوسهم بالرغبه الصادقة فى الدفاع عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعن دينه. ورأوا أن لاحياة هنيئة إلاّ بهدم أركان الشرك

والوثنية، وأركان الفجور والغواية وأهلها، فاشتروا ماعندالله عزوجل من جزيل الثواب وجميل الجزاء بأنفسهم وأموالهم وجاهدوا فى الله جل وعلا حق جهاده فأهد مواد عائم الأكاسرة، وأبادوا جيوشهم، وأهبطوا الأباطرة والقياصرة عن سريرتهم، وكسّروا عروشهم عليهم، متوكلين على الله تعالى، معتصمين بحبل الله جل وعلا.

وأما الامورالتى لابد منها فى الخروج من العسر وإستبداله باليسر فى الحياة الدنيا فأربعة:

أحدها ـ النظر والتفكر فى سبيل الخروج والخلاص من العسر.

ثانيها ـ التوكل على الله عزوجل والاستعانة به تعالى والتوسل إلى محمد و أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وخاصة بالصلوات عليهم، والصبر على العسر.

ثالثها ـ تحصيل الأسباب التى يحتاج إليها الخروج منه، من غير إضرار على الثانى.

رابعها ـ إستعمال الأسباب فيه، فمن وقع فى عسر ولم تكن معه الامور فلا بدله أن يبقى فيه إلى إنقضاء الأجل، وأما الآخرة فلا يحتاج إستبدال عسرها باليسر إلا الايمان وصالح العمل.

فبالجملة لكل إنسان كامل عسر لشمول الابتداء فى دائرة الايمان ولسنة الكمال فى الكون، ولكل عسر يسران إذا اجتمعت الشرائط ...

وفى رواية: عن إبن عباس انه قال: ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً على إبل أرسلها كسرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذهبنى معه لسفر فقال صلى الله عليه وآله وسلم فى الطريق: يابن عباس! احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وإذا سئلت فاسئل الله، فاذا استعنت فاستعن بالله، قدمضى العلم بماهو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بمالم يقضه الله لك لما قدروا عليه، ولو جهدوا أن

يضرّوك مالم يكتبه الله عليك لما قدروا عليه، فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ماتكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «لايعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان»

وقد قالت الحكماء: ان الصبر على ضربين:

أحدهما: جسمي وهو تحمّل المشاقّ بقدر القوة البدنية، ولا فضيلة تامة فيه ولذلك قال الشاعر:

والصبر بالأرواح يعرف فضلـه   صبر الملـوك وليس بالأجسام

وهذا النوع من الصبر إما في الفعل كالمشي ورفع الحجر أوفي رفع الانفعال كالصبر على المرض وإحتمال الضرب المفظع والحبس...

ثانيهما ـ نفسيّ، وفيه تتعلق الفضيلة، وهـذا النوع من الصبر على قسمين أيضاً:

أحدهما ـ صبر عن مشتهى، ويقال له: عفة.

ثانيهما ـ صبر على تحمّل مكـروه أو محبوب، وتختلف أسمـاؤه بحسب إختلاف مواقعه، فان كان في نزول مصيبة لم يتعدّ به إسم الصبر، ويضادّه الجزع والهلع والحزن، وإن كان في إحتمال الغنى سمّي ضبط النفس، ويضادّه البطر والأشر والرفغ، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن كان إمسـاك النفس عن قضاء وطر الغضب سمّي حلماً، ويضادّه التذمر والاستشاطة وإن كان نائبة مضجرة سمي سعة صدره، ويضادّه الضجر وضيق العطن والتبرّم وإن كان في إمساك كلام في الضمير سمّي كتمـان السرّ ويضادّه الافشـاء وإن كان عن فضول العيش سمّي قناعة وزهداً، ويضادّه الحرص والشره.

فهذه كلهـا أنواع الصبر، ولكن اللفظ العرفي واقع على الصبر الجسماني،

وعلى مايكون في نزول المصائب ووقوع الحوادث .:. وينفرد باقي الأنواع بأسماء تخصّها ...

و في المناجات المنظومة للامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

إليك لدى الاعسار واليسر أفزع
إلهى وخلاّقى وحرزى وموئلى

وفى أعمال اليوم السابع والعشرين من شهر الرجب المرجب -: «اللهم صلّ عليه صلاة قائمة تكون لك شكراً، ولنا ذخراً، واجعل لنا من أمرنا يسراً و اختم لنا بالسعادة إلى منتهى آجالنا...» الدعاء.

وفى دعاء السحر: في ليالى رمضان المبارك - : «اللهم يسّرلى ما أخاف تعسيره فان تيسيره ما أخاف تعسيره عليك سهل يسير، وسهّل لى ما أخاف حزونته ونفّس عنى ما أخاف ضيقه وكفّ عنى ما أخاف همّه واصرف عنى ما أخاف بليته يا أرحم الراحمن... » الدعاء

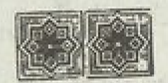
وفى دعاء الليلة الاولى من رمضان المبارك -: «اللهم سهّل لنا فيه ما قسمته من رزقك، ويسّر ما قدّرته من أمرك - ألهمنا ذكرك وجنّبنا عسرك وأنلنا يسرك - وجنّبنا العسرى ويسّرنا لليسرى...» الدعاء.

وفى دعاء اليوم السابع والعشرين من أيام رمضان المبارك: «اللهم ارزقنى فيه فضل ليلة القدر وصيّر امورى فيه من العسر إلى اليسر واقبل معاذيرى وحطّ عنى الذنب والوزر يارؤفاً بعباده الصالحين»

وفى دعاء يوم العرفة بعرفات - قال سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليهم آلاف التحية والثناء-: «منذ خلقتنى وبرأتنى من أوّل العمر من الاغناء من الفقر و كشف الضرّ وتسبيب اليسر ودفع العسر وتفريج الكرب والعافية فى البدن والسلامة فى الدين... الدعاء.

وفى أعمال مسجد الكوفة-: «أن تصلّى على محمد و آل محمد وأن تقضى لى يارب حاجتى، وتيسّر عسيرها وتكفينى مهمّها وتفتح لى قفلها...» الدعاء.

وفى صلاة الحاجة: «واسئلك بالحق الذى جعلته عند محمد صلى الله عليه وآله وسلم و عند علىّ والحسن والحسين وعلىّ ومحمد وجعفر وموسى وعلى ومحمد وعلى والحسن والحجة عليهم السلام أن تصلى على محمد وأهل بيته وأن تقضى لى حاجتى وتيسّر لى عسيرها وتكفينى مهمّتها...» الدعاء. فراجع إلى مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى رضوان الله تعالى عليه.



﴿بحث روائي في العسر واليسر﴾

وقد أوردنا بعض ماورد في العسر واليسر في البحث الروائي في هذه السورة، فان شئت فراجع، ونشير إلى نبذة اخرى مما يسعه المقام:

١- في قرب الاسناد باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا عسر أحدكم فليخرج ولايغمّ نفسه وأهله.

٢- وفيه باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى جعل مع كل قحط خصباً، ومع كل مساءة رخاء، ومع كل عسر يسراً، ومع كل حزن فرحاً، ومع كل غلاء رخصاً، و لكن تجرؤن إلى ربكم تعالى وتنسون إليه.

٣- في نهج البلاغة- في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها إليه بحافرين منصرفاً من صفين -: «وأكرم نفسك عن كل دنيّة و إن ساقتك إلى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً، وماخير خير لاينال إلاّ بشرّ، ويسر لاينال إلاّ بعسر»

وفي تحف العقول: «ويسر يسر لاينال إلاّ بعسر» على تكرير اليسر كالخير.

٤- في البحار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبراً، ولكل نعمة شكراً، ولكل عسر يسراً. أصبر نفسك عند كل بليّة و رزية في ولد أوفي مال، فان الله إنما يقبض عاريته وهبته ليبلو شكرك صبرك.

٥- في نهج البلاغة قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق خلق البلاء يكون الرخاء»

٦- في الكافي باسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ان الحرّ حرّ على جميع أحواله إن بته نائبة صبر لهاوإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن اسر وقهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضرر حريّته إن استعبد وقهر واسر ولم يضرره ظلمة الجبّ و وحشته ومانااله، إن منّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان مالكاً فأرسله ورحم به امة، و كذلك الصبر يعقّب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر توجروا.

٧- في مكارم الأخلاق - فيما وصّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر -: «يا أباذر ألا اعلّمك كلمات ينفعك الله عزوجل بهنّ؟ قلت: بلى يارسول الله قال: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سئلت فاسئل الله عز وجل، وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بماهو كائن إلى يوم القيامة، فلوأن الخلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم تكتب لك ماقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فان إستطعت أن تعمل لله عزوجل بالرضى واليقين، فافعل وإن لم تستطع فان في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً، وإن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً.

٨_ فى تحف العقول عن الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال: «حق الله فى العسر الرضى، والصبر وحقه فى اليسر الحمد والشكر»

قال إبن أبى الحديد فى الشرح : كان يقال : إذا اشتدّ المضيق إتّسعت الطريق : و كان يقال : توقّعوا الفرج عند إرتتاح المخرج.

وقال الشاعر:

إذا بلغ الحوادث منتهاها — فرجٌ بعيدها الفرج المطلّا
فكم كرب تولىّ إذ توالى — وكم خصب تجلّى حين جلّى

وفى الأثر : تضايقى تنفرجى سيجعل الله بعد العسر يسراً.

الفرجة_ بفتح الفاء _ : التفصّى من الهمّ.

وقال الشاعر:

ربما تجزع النفوس من الأمر — له فرجة كحل العقال

واما الفرجة _ بضم الفاء _ : ففرجة الحائط وما أشبهه.

ونعم ما قال الشاعر:

إذا اشتدّ بك العسر — ففكّر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين — إذا أبصرته فافرح

وقال الآخر:

فلا تيأس إذا اعسرت يوماً — فقد أيسرت فى دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء — فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار — وقول الله أصدق كل قيل

وقال الآخر:

توقّع لعسر دهاك سروراً — ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده — وقد قال ان مع العسر يسراً

وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءها فرج قريب

وقال الآخر:

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع
ألم تر نحس الشتاء الفظيع يتلوه سعد الربيع البديع

وقال الآخر:

إذا الحادثات بلغن المدى وكادت لهنّ تذوب المهج
وجلّ البلاء وقلّ العزاء وعند التناهي يكون الفرج

وفي تعقيب صلاة العصر: «اللهم إني أسئلك اليسر بعد العسر والفرج بعد الكرب والرخاء بعد الشدة...» الدعاء فلا تغفلوا عنه قطّ أيها المؤمنون.

وفي دعاء المصباح -: «يا خير من دعى لكشف الضرّ و المأمول لكل عسر و يسر بك أنزلت حاجتي فلا تردّني من سنيّ مواهبك خائباً ...» الدعاء.

وفي دعاء السمات-: «وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسّرت ...» الدعاء.

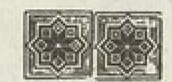
وفي مناجات المطيعين لله جل وعلا: «اللهم ألهمنا طاعتك و جنّبنا معصيتك و يسّر لنا بلوغ ماتتمنّى من ابتغاء رضوانك...» المناجات.

وفي مناجات المريدين-: «إلهي فاسلك بناسبل الوصول اليك وسيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك قرّب علينا البعيد وسهّل علينا العسير الشديد...» المناجات.

وفي دعاء الافتتاح - في ليالي رمضان المبارك -: «اللهم المم به شعثنا واشعب به صدعنا و رتق به فتقنا و كثّر به قلّتنا و أعزز به زلّتنا و أغن

به عائلنا واقض به عن مغرمنا واجبر به فقرنا وسد به خلّتنا ويسّر به عسرنا...» الدعاء.

وفي أعمال ليلة العرفة-: «ويسّر لي السبيل وأحسن لي التيسير ولاتخذ-لني في العسير...» الدعاء.



﴿ كلمات قصار حول العسر واليسر ﴾

غرر حكم ودرر كلم في العسر واليسر فنشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إتق الله في عسرك ويسرك»

٢ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

٣ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ان الله تعالى رضي لهذه الامة اليسر وكره لها العسر».

٤ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظلّ إلاّ ظله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان وصلة لاخيه المسلم إلى ذي سلطان في منهج برّ أو تيسير عسير أعانه الله على جازة الصراط يوم تدحض فيه الاقدام».

٦ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يسروا ولا تعسروا»

٧ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خير دينكم أيسره، وخير النكاح أيسره».

٨ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال بعد فريضة الصبح مأة مرة لا إله إلاّ الله الملك الحق المبين فعل الله معه ثلاثة سهل عليه عسرة الدنيا والآخرة، ويأمنه من شر السلطان وشر الشيطان ولا يزول ايمانه بالذنب»

٩ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة نساء يرفع الله عنهن عذاب القبر وحشرهن مع فاطمة عليها السلام: إمرأة صبرت على عسر زوجها، وإمرأة صبرت على سوء خلق زوجها،

وإمرأة وهبت صداقها»

١٠- قال مولى الموحدين الامام علي بن أبيطالب عليه السلام: «العسر يفسد الاخلاق»

١١- وقال عليه السلام: «الكريم إذا أيسر أسعف وإذا أعسر خفّف»

١٢- وقال عليه السلام: «العسر يشين الاخلاق ويوحش الرفاق»

١٣- وقال عليه السلام: الرفق ييسّر الصعاب ويسهّل شديد الاسباب»

١٤- وقال عليه السلام: «أكرم ذوي رحمك ووقّر حليمهم واحلم عن سفيههم و تيسّر لمعسرهم فانهم لك نعم العدة في الشدة والرخاء»

١٥- وقال عليه السلام: «أفضل الجود ما كان عن عسرة»

١٦- وقال عليه السلام: «إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً و كلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً»

١٧- وقال عليه السلام: «حق الله سبحانه عليكم في اليسر البرّ والشكر، وفي العسر الرضا والصبر»

١٨- وقال عليه السلام: «خير الناس من كان في عسره مؤثراً صبوراً»

١٩- وقال عليه السلام: «خير الناس من كان في يسره سخياً شكوراً»

٢٠- وقال عليه السلام: «رب يسير أنمى من كثير»

٢١- وقال عليه السلام: «كل يسار الدنيا إعسار»

٢٢- وقال عليه السلام: «كن عفواً في قدرتك، جواداً في عسرتك، مؤثراً مع فاقتك تكمل لك الفضائل»

٢٣- وقال عليه السلام: «من حسنت نفسه عزّ معسراً، من شرهت نفسه ذلّ موسراً»

٢٤- وقال عليه السلام: «لاتكونن عبد غيرك فقد جعلك الله سبحانه حرّاً فما خير خيراً لاينال إلاّ بشرّ، ويسراً لاينال إلاّ بعسر»

٢٥- وقال عليه السلام: «يسّروا ولاتعسّروا وخفّفوا ولاتثقلوا»

٢٦- وقال عليه السلام: «إذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرّت، ونفقت الرذائل

ونفعت، وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر»

٢٧- وقال عليه السلام: «ليس الموسر من كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً وكان يمكن أن يغتصبه غيره منه ولايبقى بعد موته له، لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكه، ولايمكن أن يؤخذ منه، ويبقى له بعد موته وذلك هو الحكمة»

٢٨- وقال عليه السلام: «الكريم لا يلين على قسر ولا يقسو على يسر»

٢٩- وقال عليه السلام: «أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز»

٣٠- وقال عليه السلام: «من أفضل أعمال البرّ: الجود في العسر، والصدق في الغضب والعفو عند القـدرة»

٣١- وقال عليه السلام: «أعسر العيوب صلاحاً العجب واللجاجة»

٣٢- وقال عليه السلام: «عسر الاسر فقدم اليسر»

٣٣- وقال عليه السلام: «أصعب الاعمال أربعة: العفو عند الغضب، والجود من اليسير والعفة في الخلوة، وقول الحق عند من تخافه وترجوه»

٣٤- قال الامام الحسن المجتبى عليه السلام - فيما سئل عن أشياء -: «فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر»

٣٥- قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «صدقة منك على مسكين لعلك تنجو يا مسكين من يوم عسير»

تمت سورة الانشراح والحمد لله في الآخرة والاولى
وصلى الله على محمد وأهل بيته النجباء

فهرس ماجاء في تفسير سورة الشمس

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سودة الشمس وفيه بصيرتان:

البصيرة الاولى: وفيها إثنان وعشرون أمراً:

البصيرة الثانية: وفيها أمر واحد:

		رقم الصفحة
وهو	بحث روائي في عاقر الناقة أشقى الأولين، وقاتل الامام علي عليه السلام أشقى الآخرين	٢٤٢

فهرس ماجاء في تفسير سورة الليل

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة الليل وفيه :

بصيرة واحدة: وفيها سبعة امور:

فهرس ماجاء في تفسير سورة الضحى

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة الضحى وفيه:

بصيرة واحدة: وفيها ثلاثة عشر أمراً:

فهرس ما جاء فى تفسير سورة الانشراح

يدور البحث حولها على فصلين :

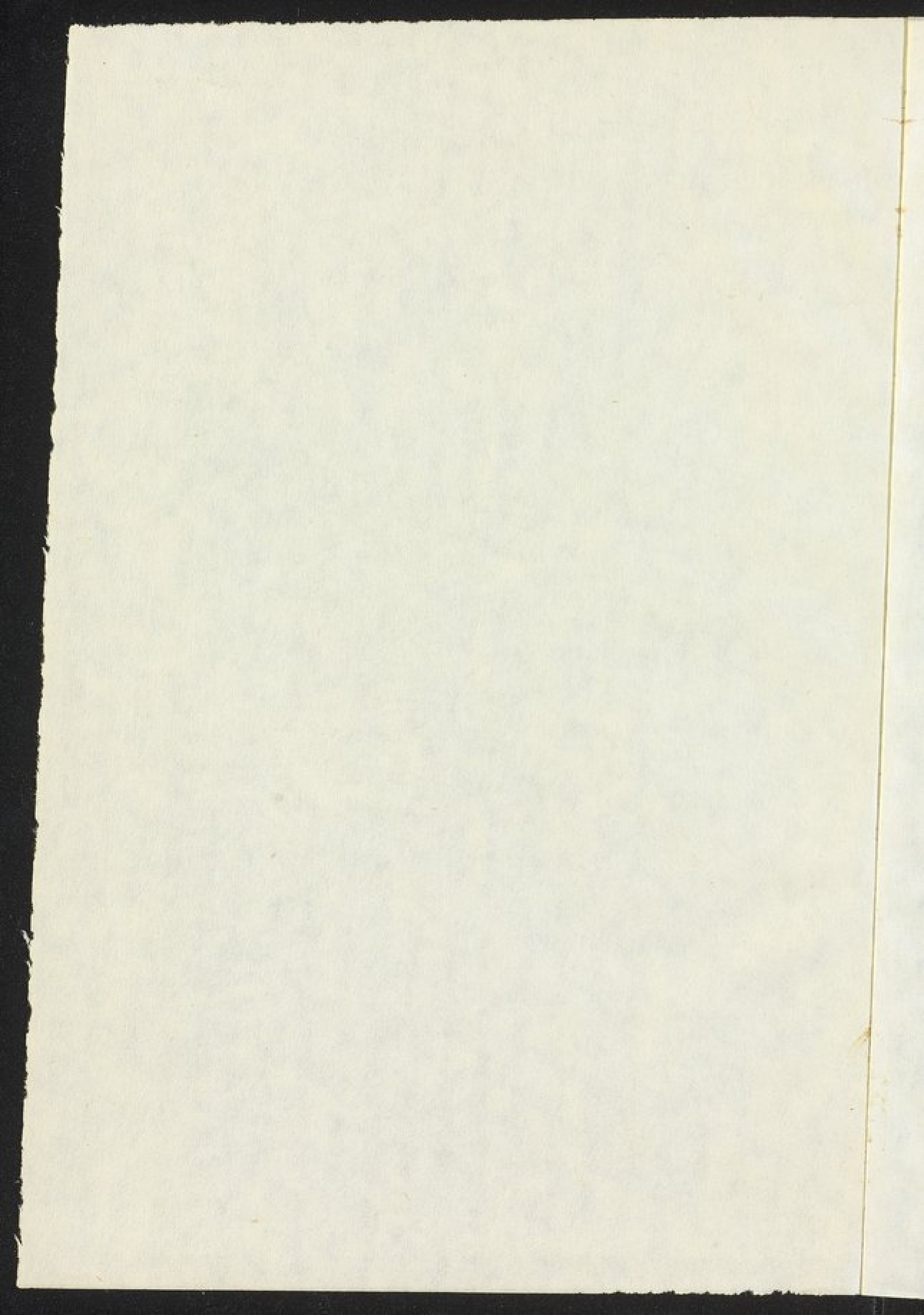
الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: فی مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

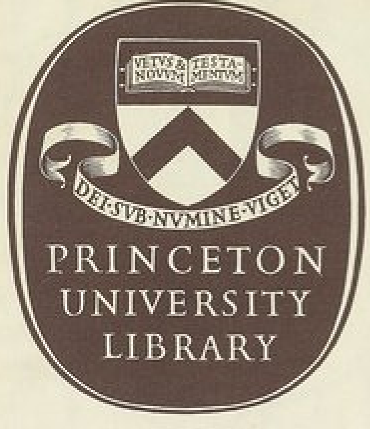
المبحوث عنها فی سورة الغاشية وفيه بصيرتان:

احداهما- وفيها أربعة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امور ثلاثة :




دارالکتاب
قم ایران
تلفن ٢٤٥٦٨



VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

